

## ﴿التقاريط﴾

لما كان هذا التفسير قد قرّظه كثير من علماء الشرق والغرب وأطنبوا في مدحه وقد طلب منا الكثير من قرائه درجها في الكتاب رأينا أن نضع في كل مجلد قسماتها بحسب ما يقتضيه المقام ، ونبدأ الآن بما جاء في « المجلة الاسيوية الفرنسية » المطبوعة سنة ١٩٠٨ لنبين بذلك منزلة المؤلف عند علماء أوروبا من حيث العلم والدين . وكذلك ما كتبه الاستاذ مصطفى السقا مدرّس اللغة العربية وآدابها بالمدارس الثانوية الأميرية في جريدة المتظم يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٣ تقرّظا لهذا الكتاب . ثم نقبّعه بما نشر في جريدة الاهرام يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ترجمة لمادججه البارون ( كراديفو ) بالفرنسية في كتابه المسمى « مفكر الاسلام » وهاك بيانها بالترتيب مبدؤة بكلمة وجيزة للصحيح :

( بسم الله الرحمن الرحيم )

حدا لمن أنزل الذكر الحكيم . واصطفى لفهم أسرار كل حبر عليم . فأخرج من مكنون معارفه ثمين جواهر لآليه . وأظهر من الأصداف دررا غالية بعد أن خفي على تاليه . - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -

وصلاة وسلاما على يذبوع المعارف ، تليدها والطارف ، سيدنا محمد المحمود وآله معدن الأسرار ، وصحابة العلماء السكّلة الأخيار ، وبعد فلما كان تنزيل ربنا لا يدرك كنهه من بنى الانسان إلا الملهمون ، قيض الله جلت قدرته فيلسوف العصر ووحيد الدهر العلامة الحكيم ( الشيخ طنطاوى جوهرى ) افشر معارفه الحكمية مصداق - ما فرطنا في الكتاب من شئ - فخير بأن يتسابق الى الوقوف على بديع ما أبداه من العلوم الكونية والعمرانية كل مسلم محب الاطلاع على سر الكتاب العزيز ، وبذلك فليتنافس المتنافسون ، ونرجوا الله أن يطيل في عمر المؤلف حتى يكمل طبع هذا السكز الثمين وان يمتع الامة الاسلامية بمؤلفاته آمين

ابراهيم حسن الانباني

خادم العلم ورئيس لجنة التصحيح

بمطبعة الشيخ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

## ﴿تقرّظ مجلة علمية﴾

جاء في المجلة الاسيوية الفرنسية مانصه : « الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ماهو عالم بالدين ، وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جودا معيبا أدّى الى انحطاط المدارك الاسلامية فى العصر المتأخرة فانحطت بذلك الأمم الاسلامية ، فهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الاسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ، ويحاول إزالة الغشاوة عن أعين الأمم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجود الخيم عليها فى جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لا يخص مذهباً دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة ببلاد الشرق لأن بحثه عام فى الكائنات ونداءه عام حتى يلتمحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية فى المعارف والعلوم والمدنية والحضارة » اهـ

## ﴿ تفسير الجواهر ﴾

اليوم فرغت من قراءة قسم كبير من ذلك التفسير الجليل للأستاذ الفاضل « الشيخ طنطاوى جوهرى »  
وفى نيتى أن أعود إليه مرة أخرى ورمعت إليه أكثر من مرة لأن الأثر الذى تركه فى نفسى حبيب الى أن لا أفرغ  
منه ، أحب أن أقرأه مرات كثيرة لأنه يعيد على الذاكرة ذلك الدرس النافع الذى كنا نتلقاه فى دار العلوم  
عن ذلك الشيخ الجليل ، بل الفيلسوف الكبير

كان الاستاذ يلقى علينا درسا فى تفسير القرآن الكريم ، ولم يكن تفسيراً بالمعنى الذى اصطلح الناس عليه  
فلم يكن الشيخ ممن يذهبون بعيدا فى تأويل الألفاظ وتحميلها ما لا تحمل من المعانى التى سماها غلاة الصوفية  
بالمعانى الباطنية والاشارات الرمزية ، ولم يكن ممن يعبئون بسرد مذاهب أهل النظر والعقائد من سنية ومعتزلة  
وخوارج وشيعة وجبرية وقدرية وغير أولئك من الفرق والشيع ، ولم يعن بالمباحث اللفظية التى امتلأت بها  
كتب كثير من قدامى المفسرين حتى أصبحت عائقا عن فهم معانى القرآن الذى أنزل بلسان عربى مبين  
لقد كان الاستاذ يسلك فى تفسيره غير تلك الطريق التى سلكها المفسرون من قبل ، فكان يفسر القرآن  
كما كان يفهمه الصدور من علماء المسلمين فى العصور الزاهية . وكان يفسر القرآن مبينا ما اشتمل عليه من  
الاصول لهضة الأمم وحياتها ، وكان يفسر القرآن بذلك الروح الذى سرى فى علماء المسلمين يوم كان الاسلام  
قويا وكان علماءه مسموعى الحكمة فنهضوا بأمتهم نهضة مباركة

عرفنا مما ألقى علينا الاستاذ خلاصة فكرته فى تفسير القرآن وهى أن الدين الاسلامى منبع اسعادتى الدنيا  
والآخرة ، وأن المسلم يجب عليه أن يصلح حال دنياه مع سعيه اصلاح آخرته وأن كل تقصير فى الوسائل التى  
ترقى الناس فى دنياهم يكون سببا فى انحطاطهم وتسجيل الشقاء عليهم ، فكان كل ما يلقى تطبيقا على هذه  
الفكرة التى امتلأت بها نفسه . فكان نسمعه يشرح لنا العلوم الاسلامية والكونية والسياسية والاجتماعية  
التي بها تنهض الأمم وترقى . ويبين سنة الله فى الأمم التى بادت بمظلمات وهلكت بما أسرفت . ويحذر الأمم  
الحاضرة أن تسلك مسالكهم أو تأخذ أخذهم فتصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريبا من دارهم

وكنا نراه يعنى بالرقى الحسى والمعنوى الذى نالته أُم الحضارة . ويبين انه قائم على أسس من العلوم  
والفنون التى أهملها الشرقيون . وينبه الغافلين الى وجوه المدنية الصحيحة ويحثهم على التعلق بأهدابها .  
تلك كانت طريقة الاستاذ فى تفسيره الشفهى الذى كان يلقى على طلاب دار العلوم . وما كان أسعد دار العلوم  
بما غرس الاستاذ فيها من مبادئ الحكمة الرشيدة . وما كان أشد غبطة طلاب دار العلوم بذلك الدرس الحى  
الذى ملأت قلوبهم روعته ونفذت الى أقدنتهم حكمته

ولقد رأى الاستاذ أن ما كان ينتفع به الطلاب فى دار العلوم جدير أن ينتفع به كل مصرى بل كل شرقى  
فشرع يحرق تلك الحكم الغالية ثم طبعها وأهداها الى أمتة التى ينفانى فى حبها والعمل لانقاذها ، ولقد مضى  
على الكتاب العزيز نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن وضع العلماء فى خلالها مئات من كتب التفسير ولكن  
ليس بينها ( فيما أعلم ) مثل هذا التفسير الجديد . ولم أعلم أن أحدا من المفسرين حاول وضع مثله أو حدث  
نفسه به

أقول ذلك وقد قرأت فى كثير من كتب الغابرين فلم أر بينهم مفسرا كان همه أن يطبق ما فى الكتاب  
العزيز على الحياة العامة للأفراد والجماعات وسنن الله فى الكائنات والتدبير فى نظام الأرض والسموات وما  
فيهما من آيات بينات كما فعل أساتذنا الشيخ طنطاوى فى تفسيره الجديد

لست مبالغا أيها القارىء فيما أقول . وها هو الكتاب على كتب منك . خذ وتدبر ما قال مؤلفه تر أن

الكتاب فوق ما أصف لك وأن مؤلفه قد رزق من التوفيق حظا كبيرا - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم -

سترى (إذا قرأته) أنك تقلب النظر في روضة علوم أحكم غرسها وتنسيقها الفحول من علماء الشرق والنايعون من فلاسفة الغرب

ترى فيه جمال الاسلام ونصاعته وأنه دين الفطرة الذي يلائم روحه كل زمان وأنه الدين الذي رفع أمة الاسلام لما أخلصت الى حيث غاية الهمم ومنتهى الآمال وأنه الدين الذي يقبس من نوره اهتدى ناس من أهل الغرب فنالت أمتهم من سعادة الدنيا حظا موفورا وقسطا كبيرا

ترى فيه المذاهب الجديدة والأفكار الحديثة في تطبيق العلم على الدين . وترى صاحبها تارة معلما للنبات يشرح خصائصه . ودارسا للحيوان يعدد أنواعه وفصائله . وتراه تارة فيلسوفا دينيا . وطورا زعيما سياسيا . وآونة شاعرا يخلق بك في سماء الخيال ، وأخرى كاتباً بالفاظ من السحر الحلال

وعلى الجلة ترى نظام العالم مشروحا وأسرار الأرواح محققة وعجائب الكون مفصلة وسنن الوجود مبينة وآيات الله في الخليقة واضحة

وخلاصة القول أن تفسير الاستاذ الشيخ طنطاوى هو ظرف لتجربة دامت نصف قرن قضاها مؤلفه بين طلب العلم في الأزهر الشريف ثم في مدرسة دار العلوم وتدرّس في المدارس المصرية على اختلاف درجاتها وإطلاع واسع على الأفكار الذائعة بين فلاسفة الشرق والغرب ومعرفة بأمراض الأمم الاسلامية والشرقية عمّة وخبرة بما تتطلبه حاجتها إبان نهضتها . فلئن كان الاستاذ قد وفق الى وصف العلاج الناجع لما نحسّ من الآلام لقد كان نتيجة تلك التجربة الطويلة والغيرة الشديدة على الشرق وعلومه التي نسبت ومدنيته التي محيت ، ورجاؤنا الى الله أن يمدّ في عمر الاستاذ ويبارك فيه ليطول به الامتاع ويعم الانتفاع ان شاء الله تعالى

مصطفى السقا

مدرس اللغة العربية بالمدارس الثانوية الأميرية

### ﴿ المفكرون في الاسلام ﴾<sup>(١)</sup>

أبرز لنا الشيخ طنطاوى جوهرى المصرى الجنس كتباً كثيرة فلسفية دينية وهو روح قوية مفيدة ملك النوق العلمى ويشعر بنشاط قوى وحجاسة بما فى الأمم الاسلامية من النقص الشائن الذى حطّ من كرامتها في عيون أمم الغرب ، ويجتدى فى بث فكرته ونشاطه وحجاسته بين معاصريه فى أقطار الاسلام ليبرهن لهم أن اكتساب العلوم ليس مما لا يضافد الاسلام فحسب ، بل ان العلوم مجددة لشباب الاسلام معطية له قوى جديدة . وينبئن من كلامه انه رجل السلم والانسانية الراغب فى أن يرى المودة مشيدة الصروح بين الأمم معتقدا أن الديانات تسعى لنشر هذه المودة العائمة كما يظهر من ناحية أخرى انه مخلص صادق أمين . وهذا الحكم استنتجناه من أسلوبه السهل المنتعش الحياة العالى النادر الوجود . وبالجملة فالاستاذ يتجلى فى نفسه من كلامه بهيئة محبوبة ذات روح لطيفة وشخصية بارزة

فسر القرآن بطريقة فريدة تستحق الاحترام والاجلال شائقة جديدة ومع ذلك لم يشذّ فيها عن آراء المتقدمين . وابتدأ بهذا التفسير وهو مدرس بدار العلوم . وكان يلقى على تلاميذه تفسير بعض الآيات وتلفقته جميع الأقطار الاسلامية وانتشر فيها أى انتشار . والصفحات الأولى منه تريك حجة واضحة وآية ظاهرة وقوة

(١) فصول مستخرجة من كتاب « مفكرى الاسلام » للعلامة البارون ( كارادى فو ) وهى تعريب النص الفرنسى بالحرف من صفحة ٢٧٥ الى صفحة ٢٨٤ بعنوان المفكرين فى الاسلام وذكر منهم فيه بمصر ثلاثة : رفاعه بك والامام الشيخ محمد عبده والاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى



قاهرة تحت على مطالعة العلوم الطبيعية . وقد وضع المؤلف موازنة بين العلوم الطبيعية التي شغلت أذهان مفكرى الاسلام والعلوم الفقهية . ويقول : « إن القرآن لم ينصح بمطالعة العلوم الطبيعية فقط بل جعلها في المكان الأعلى فوق العلوم الأخرى » وفي القرآن كما يقول الاستاذ (١٥٠) آية تدل على العلوم الفقهية مع أن فيه (٧٥٠) آية تدل على العلوم الطبيعية وهذا حساب غريب جدا ، ولكن هذا الحساب مزين بالجمال وهو خير مشجع لقراءته ، وهو يقسم العلوم الى قسمين : العلم الأول وهو كل العلوم الطبيعية علم الآفاق والأنفس بحسب هذه الآية - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - . والعلم الثاني هو علم الفقه ، وجاء في القرآن - الحمد لله رب العالمين - وأيضا - قل انظروا ماذا في السموات والأرض -

قال : فنحن معاشر المسلمين يجب علينا أن نقرأ عجائب المخلوقات كما نقرأ الفقه ، وبهذه العلوم الكونية نعرف جلال الله تعالى وجماله فنرتقي في الفنون والصناعة والزراعة والتجارة ، بهذا أدعو جميع الأمم الاسلامية الشرقية منها والغربية والافلاهاذا يقول الله تعالى - ليظهره على الدين كله - ! وكيف لا يكون الاسلام فوق الأديان وهو الذي أوجب مطالعة العلوم الكونية مع ان الديانات الأخرى قصارى أمرها ألا تتعرض لنبذها ، والعجب كل العجب أن الاستاذ لم يقتصر بمهارته الفائقة على الحث على مطالعة العلوم الطبيعية بل أيدها بالآيات القرآنية المقدسة وهو دائم الثوب قوى الهجوم بديع الاسلوب

يقول : أنذر المسلمين اذا لم يعملوا أن تغشاهم غاشية من عذاب الله كما غشيت عادا وثمود ، وقد ابتدأت تظهر الدلائل وأدركها المسلمون وهي تلك الطيارات القاذفات القنابل على القرى والشيخ والأطفال ، إن علوم الطبيعة محققة مكشوفة واضحة لا يتورها اختلاف

ليفسر علماء الاسلام للمسلمين عجائب الشمس والقمر والزهر والثر وعجائب المعادن والنبات وحيث تكون المذاهب الاسلامية كلها تدرس علوما متحدة فيرى السني والشيعة والزيدى أنهم جميعا متفقون في جميع علوم الكائنات التي هي الغذاء لنوع الانسان ولا يكون اختلافهم إلا في علوم الشريعة التي هي كالدواء وما أقل الدواء بالنسبة للغذاء ، الانسان لا يعيش إلا بالغذاء ولا يستغنى عنه أما الدواء فانما يكون وقتا دون وقت أيها المسلمون : اطلبوا علوم الغذاء وعلوم الدواء أي العلوم الكونية والعلوم الشرعية وجميعها يطلبها القرآن وقد اعتنى بعلوم الغذاء أشد من عنايته بعلوم الدواء ، فالى أراكم عموما قدمه الله معرضين وعلى ما أخره الله عاكفين ؟ قدم تربيته للعالمين ورجته للمخلوقين على العبادة وهدايته للصراط المستقيم ، لقد ساءنى والله ما أرى من أعراض بعض علماء الدين عن عجائب الخلق ، كنت أود أن أرى أولئك الذين نزحوا الى أوروبا بعلم الطبيعة مغرمين ولعجائب الخليفة مسارعين ولكنى رأيتهم منصرفين الى الوظائف الوقتية والأعمال الادارية ومارأت واحدا منهم بالعلوم الكونية مغرما فقتشابه في بلادنا العلماء الدينيون والشبان الذين هم للكون دارسون فالأولون على أحكام الفقه مقتصرون وهؤلاء بالوظائف قانعون وكل حزب بما لديهم فرحون إلا قليلا من الفريقين نالوا حظا عظيما ، قال الله تعالى - وقليل ما هم - وقل - وقليل من عبادى الشكور -

ولا يقتصر الشيخ طنطاوى على الحث والتعريض بل يبرهان بل يؤيد الوعظ بالبراهين ويضرب الأمثال إنه في السطور الأولى من الفاتحة وهي السورة الأولى من القرآن هجما هجوما شديدا وأظهر مقصوده من تفسير القرآن بوضوح تام وقام في ذلك مقام العلامة القزوينى مؤلف (عجائب المخلوقات) ولكن الشيخ طنطاوى قزوينى العصر الحاضر منه استمد عامه لامن القديم

فمثل هذا الكتاب المملوء حكمه وعلمها الغزير المادّة السامى الفكرة الناتج من تفكير عميق وبحث يقل نظيره يدعو دعوة حارة الى سعادة الأمم أجمعين . ويدعو أيضا بالجماسة الشديدة الى التجديد العام وهو مفخرة لمصر والاسلام وجدير بالاحترام



١٧١

الجليل

في تفسير القرآن الكريم

المتمثل على عجائب بديع الكون وأغرائب الأرباب

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
متع الله المسلمين بحياته آمين

الجزء السابع عشر

طبع مطبعة

مطبعة البستاني الخليلي وأولاده بمصر

وحق الطبع محفوظ لهم

وباشر طبعه - محمد أمين عمران

ذی الحجة سنة ١٣٤٨ هـ

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة فاطر

( هي مكية )

( آياتها ٤٥ - نزلت بعد الفرقان )

( مقدمة في مبادئ السور )

لقد اتصلت هذه السورة بالسورة التي قبلها فانه جاء في آخرها - وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل انهم كانوا في شكٍّ مريب - فهو لاء شاكون في أمر البعث وقلوبهم محجوبة ونفوسهم محبوسة ، وذلك لأن النفوس الضعيفة التي تنزل الى هذا العالم ولم تستعد بعد الى فهم العالم اللطيف والملائكة والأرواح والبعث والحشر ، تكون كل آمالها موجهة الى عالم المادة فلا تنبى به بديلاً  
فجاء ابتداء هذه السورة مبشراً المطيعين بالملائكة الذين هم يبشرونهم عند الموت ويوم القيامة ويحبونهم ويلهمونهم مدة الحياة بالخيرات لأجل استعدادهم

ابتداء الله سورة الفاتحة بأن الحمد لله لتربيته لجميع العوالم وفي الأنعام بتفصيل العالم المادى الى ظلام وضياء ولطيف وكثيف وفي الكهف بالتصرف في العالم العقلى بالديانات وانزال القرآن لتجعل للقلوب وجهة شريفة كما ازدانت المادة بالأنوار في سورة الأنعام وفي سورة سبأ بأن العالم المادى يتصرف فيه من حيث النتائج الحاصلة فيه إدخالاً وإخراجاً في الأرض وتبييناً للتنوع والتفنن في المادة بالأثمار والأزهار والنعم التي لانهاية لمداها ولا حد لأقصاها وتسخير الأولين لنفع الآخرين كنزاً في الأرض ودفناً في الثرى وبياناً في العصور القديمة ثم ظهوراً في الأجيال المتأخرة . وهكذا عالم السماء فيه التصرف المناسب له . ثم أبانه أيماء تبيان في هذه السورة . فكما كان الإدخال في الأرض والإخراج منها بعضه من فعل الانسان الأول للانسان الآخر في سبأ



هكذا في سورة فاطر يكون صعود الملائكة الى عالم السماء ونزولهم الى عالم الأرض نفعا للعباد وتسخييرا لمنفعتهم بالتدبير في النظام وتبليغ الوحي والالهام . وكما يختلف الكائنون من نوع الانسان والمؤلفون والمعلمون الاول في آرائهم وعقولهم وآثارهم يختلف الملائكة في درجاتهم ومقدار قوتهم . ولا يعرف الناس ذلك إلا بمقياس وهو الطائر ذو الجناحين وذو الأربعة وفوق ذلك

فتبين من ذلك أن الحمد في الفاتحة على مجمل وفي الأنعام لتفصيل الكثيف واللطيف وفي الكهف لتزيين العقول بالعلوم كما زينت المادة بالعجائب البهجة وفي سبأ بأنواع الجبال الأرضي من نبات وثمر وبما خزن الأولون للآخرين من مال وكال وفي سورة الملائكة بنهاية النهايات وزينة الأرض والسموات وهو عالم الملائكة الذي اليه تتجه الأنظار بل هو مرمى أهل الجنة ليتخلصوا من المادة ويصلوا الى مقام الكمال فكأن العالم المجمل في الفاتحة فصل بعدها في الامور المادية وفي العقلية وانتهى بأرقى العقلاء وهم الملائكة وليس بعد ذلك من نهاية لنوع الانسان . ولذلك يقول تعالى في سورة سبأ - وله الحمد في الآخرة - ومعلوم أن الحمد لا يكون إلا على النعم ولا تعرف النعم إلا بالعلم وقد ذكر العالم المادى والمعنوى في الحمد المختلفة كأن الانسان لا يصل الى العالم الأعلى عند سدرة المنتهى ويشاهد عالم الملائكة إلا بعد المرور على درجات هذه العوالم دراسة وتفكيراً ثم ينتهى الى عالم الجبال . انظر هذا الترتيب . انظر كيف أخر هذا المعنى الى سورة الملائكة . انظر كيف لم يذكره في سورة الفاتحة ولا في سورة الأنعام ولا في الكهف ولا في سبأ بل ألمع في سبأ الى أن الحمد لله في الآخرة وحده وأظهر المقصود في سورة فاطر . واذا شئت منهجاً آخر في هذا أخصر أقول لك : الحمد في فواتح السور جاء لمقدمتين وخاتمة المقدمة الأولى : حمد على نعم ظاهرة في العالم المشاهد في الفاتحة والأنعام . المقدمة الثانية حمد على نعمة العلم والحكمة في الكهف وعلى حسن الترتيب في انتقاله من الأولين الى الآخرين ومن العلماء للجهلاء فان بعض ما يلج في هذه الأرض الإلهامات للعقلاء والوحي للأنبياء وبهما يخرج أنواع الأعمال الصالحات والمنافع العمة التي بها زينة الدنيا . فأما النتيجة فهي العوالم المفطورون على الحكمة والعلم إذ هم الذين بهم ينزل العلم والوحي في الأرض ويخرج للفوائد العامة وهم ينزلون من السماء بالعلوم فيلهمونها للناس ويعرجون بأعمال الناس . فالولوج في الأرض والخروج منها نتائج النزول من السماء والصعود فيها من حيث التأثير ومقدمات من حيث الدرس والتفكير . فالعوالم السفلية نتائج العوالم العلوية من حيث النظام ولكنها لا يتوصل اليها إلا بعد المرور على العوالم السفلية طبقة طبقة فدرس العالم المشاهد كما في الفاتحة والأنعام ثم العالم المعقول بالتفكير ونترك آثاراً لمن بعدنا وحينئذ نستحق الرقى الى عالم السموات مع الملائكة

هذا ما حضر لي في نظام هذه الآيات بالنسبة لما قبلها من الحمد في أوائل السور . فانظر مناسبتها لما بعدها في هذه السورة . فانظر كيف يقول سبحانه - اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - ثم انظر كيف خصّ خشية الله بالعلماء الناظرين في السموات والأرض والألوان والجبال . ثم أوضح درجات العاملين فمنهم المقتصد والمتوسط والسابق . ولا ريب أن السابقين هم المقربون في جنات النعيم والقرب انما يكون بالعلم والعمل جعل الله الذين ورثوا الكتاب (ثلاثة أقسام) وجعل الملائكة ذى أجنحة مثنى وثلاث ورباع . فذكر ثلاث درجات أيضاً وأعقب ذلك بأنه يزيد في الخلق ما يشاء وانه اذا فتح للناس رجعة فليس بمسكها أحد . فلاملائكة درجات وللذين ورثوا الكتاب درجات والدرجات ليست واقفة عند حد فان باب الزيادة مفتوح لمن هو أهل من نوع الانسان . إن ذكر الملائكة في أول السورة مقدمة لصعود الكلم الطيب ورفع العمل وارتقاء درجات المؤمنين كما تتابعت درجات الملائكة . إن عالمنا الذي نعيش فيه عالم دراسة فليدرس الناس في الدنيا وعلى قدر دراستهم يكون مقامهم بعد الموت . أفلم ينظر الناس كيف كانت الأمم تعلم التلاميذ في المدارس واذا أتموا دروسهم وضعوهم في أعمال تناسب ما كانوا يدرسونه . ومماثل الناظرين في العوالم المادية والمعنوية المذكورة في أوائل

السور المبدوءة بالحمد وفي الآيات الآتية في هذه السورة المحبة للنظر في اختلاف الألوان في الجبال والحيوان والانسان إلا كمثل التلاميذ الذين يدرسون في المدارس السياسية ليعرفوا نظام الممالك وسياستها ثم يكونون من رجال السياسة ، هكذا هؤلاء الحكماء والمفكرون اذا ماتوا كانت نفوسهم عاكفة على ذلك الجمال وعجائب العالم كأنهم ملحقون بالملائكة ينظرون في التدبير العام الإلهي مفكرين في جمال فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا الخ . انتهت المقدمة

### ﴿ تقسيم البقرة ﴾

فلأجعل الكلام على هذه السورة في ﴿ ثلاث مقامات ﴾ المقام الأول في تفسير البسملة ﴿ المقام الثاني ﴾ في تفسير الألفاظ ﴿ المقام الثالث ﴾ في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها

### ﴿ المقام الأول ﴾

( في تفسير البسملة وقوله تعالى - إن ربنا لغفور شكور - وقوله - والذي أوحينا إليك

من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير - )

لقد يبدو للناظر أول وهلة أن هنا تباعدا فيما بين هذه الثلاثة وهي البسملة والآيتان بعدها وانها ليست في مقام واحد وأنا أشرح المقام شرحا تاما فأبين أولا كيف يكون الله رحما وغفورا وشكورا وخيرا وبصيرا مع ان العبد يكون كذلك فهو رحيم رحمن وخير وبصير وغفور وشكور ، ثم كيف كان اشتراك الخالق والمخلوق في الاسم اشتراكا لفظيا اشبه على الجهال من المبتدعة في الأمم الاسلامية فضلا باعتقادهم الالهية في بعض أناس من الأئمة كما تقدم في هذا التفسير ثم كيف كان الاسلام هو المحصن للحقيقة وحده ومظهرها وحدانية الإله موافقا في ذلك حقائق الديانات القديمة مخالفا لظواهرها ، وكيف كان هذا الموضوع مما يجب ايضاحه لأنه ألبس على كثير من جهلاء المسلمين وبعض خاصتهم

لقد تقدم في أوائل سورة الروم ولقمان والسجدة عند تفسير البسملة تفسير موجز لبعض أسماء الله الحسنى وأن اشتراك الأسماء بين الخالق والمخلوق لم يكن إلا بالاسم فان صفات العبد لامناسبة بينها وبين صفات الله والأسماء دالات على صفات فلا اشتراك لفظي لا غير وهذا واضح هناك وضوحا تاما ، ولكني أريد أن أبين هنا أمرا لامناص لي من تبيانه لأن الأمم الاسلامية اليوم يتناقل فيها الناس أقاويل عن الصوفية ملتبسات مهوشات على العقول مثيرات للشكوك وكثير من الصالحين الجهلاء يوجهون وجوههم تلقاء أناس مشهورين فيعتقد فيهم كأنهم غياث لهم وملجأ وكأن الربوبية حلت فيهم وانتهت اليهم كما هو مشهور ومذكور فأقول : يروى في الآثار المنقولة « تخلقوا بأخلاق الله . إن لله كذا وكذا خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة » ويقول الشيخ أبو علي الغارمدي ان شيخه أبا القاسم الكركاني قال : « إن الأسماء التسعة والتسعين اسما تصير أوصافا للعبد وهو بعد في السلوك غير واصل » وقال بعضهم « أنا الحق » وقال أبو يزيد البسطامي (إن صح ما روى عنه) « سبحاني ما أعظم شأنى » . ويشاع على ألسنة الناس أن الاستاذ الأكبر (عبي الدين) يقول : الرب عبد والعبد رب فليت شعري من المعذب

وأمثال هذا كثير ينقل عنه . ولقد اعتقد كثير من الفرق الاسلامية في بعض الأئمة من آل البيت الالهية وتقدم في هذا التفسير أن الصوفية في آخر أمرهم مالوا الى التشيع وتدخلوا مع الامامية وهناك اعتقدوا اعتقادهم كما قدمته في هذا التفسير . فهذه مجامع المصائب التي حلت بهذه الأمم الاسلامية وهي التي أضاعت العقائد وأوجبت التفريق . فأنا الآن أبين الحقائق تبيانا واضحا وأشرحها شرحا وافيا بمعونة الله عز وجل فهو الذي وفقني وهو الذي شرح صدرى وهو الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدى لولا أن هداني الله فأقول :



إن كل علم لا يبحث عن تاريخه فهو قليل الفائدة يحفظه الناس ولا يدركون سره ولا يسهرون غوره .  
ومسألة الله وخلقه والرب والعبد قديمة العهد منذ الخليفة . فهل لك أيها الذكي أن أحدثك عنها حديثا جيلا  
يشرح صدرك لتعلم أن ما دخل على عقول المسلمين حديثا لم يكن رمية من غير رام ، بل إن المسلمين لما خالطوا  
الأمم قرؤا علومهم فنقلوا فلسفتهم وعقائدهم وهناك تدخلت بينهم وهم لا يشعرون ، ألم أقدم لك في هذا  
التفسير أن علوم الصابئين دخلت في أمم الاسلام حتى ان البونى أدخل دعوات الكواكب السبعة في دين  
الاسلام ووزع آيات القرآن على تلك الكواكب ، ألم أبين لك سابقا أن بعض فرق الشيعة مثل ابن الصباح  
القائم في أواخر القرن الخامس عكفوا على حساب الجمل وحسبوا آيات القرآن به وأدخلوا حساب الأسماء في  
التعاليم والدعوات ولكن ابن الصباح اتخذ له سبيلا آخر تقدم ايضاحه ومنع الناس من قراءة العلوم وشوقهم  
الى الأخذ عن الامام من آل البيت الى آخر ما تقدم ، ألم أذكر لك أن الأوفاق من مثلث ومربع وخمس الى  
المتسع كانت تكتب عند قدماء المصريين وبقية الصابئين للتقرب بها للكواكب فنقلها المسلمون الى دين  
الاسلام وطبقوها على الآيات ، وهاهي ذه الكتب تباع وتقرأ في أقطار الاسلام وثلاثة أرباع المتعلمين في ديار  
الاسلام عاكفون عليها مغرورون بها وهم لا يعلمون أن هذه أديان منسوخة جاهلة ودين الاسلام هو الذي  
نزل لا بطلها

إذا عرفت هذا سهل عليك أن تفهم ما سأورده لك من علوم قديمة تناقلتها الأمم جيلا بعد جيل وقرنا  
بعد قرن والأمم الاسلامية أدخلتها في الدين وأكثر الناس لا يعلمون ، فهذا كان هو السبب في الانتكاس على  
الرأس وسقوط كثير من الأمم الاسلامية في هذه الجهالة العمياء . ومتى عرفت الحقائق في أمثال هذا التفسير  
فهناك يكون الارتقاء والسعادة العظمى لأمم الاسلام

اعلم انه لم يبق مجال للرب أن لكل دين قديم ( وجهين \* أحدهما ) سرى والآخر ظاهري كدين  
البرهمية في الهند والهرمسية في مصر والوثنية في اليونان ، فظواهر كل هذه الديانات اشراك وتثليث وطقوس  
ورموز صعبة الحل وأصنام وهياكل فهذه الظواهر كلها قد جعلوها للعامة معتقدين أنهم لن يعقلوا إلا المحسوسات  
فأما الرؤساء فأنهم جميعا كما دل عليه الكشف الحديث الذي كشفه علماء الفرنسيين والانكليز مجمعون في جميع  
هذه الديانات على أن الله واحد سرمدى ، يقول (مانو) الفيلسوف الهندي : « الله هو الكائن بنفسه الذي  
لا يمكن أن تصيبه الحواس المادية بل الروح فقط ، وهو المنزه عن أجزاء منظورة ، أولى سرمدى روح الكائنات  
الذي لا يمكن العقل أن يدركه على ما هو عليه »

وقال (كولوكا) الهندي وهو من أشهر مفسري أسفار (الفيدا) والأكثر اعتبارا عند الشعب الهندي  
« إن الأقدمين مع تأليههم لقوى الطبيعة المتعددة لم يكونوا يعتقدون إلا إلهها واحدا فقط هو مبدع  
وعلة الكائنات وهو أزلي غير هولي حاضر في كل مكان سعيد (هذه الكلمة لا تجوز في ديننا) منزّه عن كل  
كدر وهم وهو الحق بالذات ومنبع كل عدل وحكمة المدبر الكل والمرتب نظام العالم . لا شكل له ولا صورة ولا  
حد ولا نسبة »

وكان من عادة (البراهماتما) عند قبوله التلميذ في الدرجة الثانية أن يقول له هكذا : « تذكر يا بني أنه  
لا يوجد إلا إله واحد فتطرب الكون وعلة الكائنات والواجب على كل برهمن أن يعبد في الباطن . واعلم  
أن هذا السر يجب كتمه عن العامة والجهلاء وان كاشفت به أحدا يحل بك البلاء »

ويقولون : « إن الله وحده هو الموجود الحقيقي الثابت الحياة وهو الذي خلق المادة وبث فيها الحياة ،  
ويسمون هذه الثلاثة : الجوهر (الله) والمادة والحياة ومن هنا نشأ التثليث . فليس التثليث عند تلك  
الأمم أن الله ثلاثة بل معناه أن الموجودات كلها ثلاثة : واحد هو الله واثنان هما المادة وحياتها . فالمادة

ظاهرة وحياتها لا تكون إلا بنفوس وعقول وهي التي تعبر عنها الشرائع بالملائكة  
هذه هي علوم الأمم السابقة ، فجها لهم كانوا يعتقدون التثليث وقد جاء علم الأرواح الحديث الذي امتلات  
به أوروبا فأفاد أن توهم الجاهلاء التثليث هو رأى مادى بشرى لا إلهى ، فالعلوم الروحانية اليوم منطبقة على  
التعاليم السرية عند الأمم القديمة ومنطبقة تمام الانطباق على دين الاسلام

وبالجملة فالأمم الهندية والأمم المصرية كان جهالهم يكتبون بقشور الألفاظ والأصنام والهيكل وحكامهم  
يعتقدون أن الله واحد ويحبونه حبا جما ويبحثون فى أسرار الطبيعة ونظامها العجيب غراما بربهم الواحد  
الأحد ومنفعة لعباده باستخراج كنوز الطبيعة التي يعرف بعضها اليوم نساك الهند فى الغابات

هذا ملخص ما عرف فى الكشف عن هاتين الأمتين ، فإذا سمعت أن الديانة البرهمية عندهم مؤسسة  
على التثليث وأن (برهم) عندهم هو الأزلى الواحد الأحد المنزه عن المادّة وأن (براهما) و(فيدشنو)  
و(سيفا) صفاته فهو الخالق الحافظ لخلقه المقلب لهم من حال الى حال وأن هذه الثلاثة إله واحد ، فاعلم أن  
الكشف الحديث أظهر أن هذا التثليث وإن رجع الى الصفات فليس له وجود ألبنة فى (سفر الرىجفيد)  
القديم ، فهو اختراع اخترعه البراهمة ثم جعلوا لكل واحد من هؤلاء الثلاثة هيكلا خاصا وعبدوها ثم أكثروا  
من الأصنام فى بلاد الهند وما جاورها من الصين واليابان لأن عقول الناس اذا أدركت الحقائق لاتنقاد الى  
الرؤساء كما ان البهيمه ان لم نضع الغطاء على عينيها لاتنتفع بها فى ادارة الطاحون ولا الساقية

وإذا سمعت فى كلام طيماوس الحكيم اليونانى كما تقدم فى (سورة الشعراء) تحت عنوان « بهجة  
العلم والطب » انه يقول ما نصه : (إن هذا العالم هو إله محسوس على مثال الاله المعقول) وقد قلنا هناك  
إن هذه العبارة فى ديننا كفر وهو قصد بها أن العالم آثاره وهو يدل على حكمته وقدرته . انتهى بالمعنى  
فاعلم أن ذلك القول يقرب من أقوال البراهمة ، وقد قلت لك هنا ان الأمم الاسلامية سرت لهم ظواهر  
العلوم والاعتقادات فنطقوا بها تارة واعتقدوها الجاهلاء تارة أخرى . فمن قال منهم « أنا الحق » ومن قال  
« سبحانى الخ » فليس معناه أن الله هو نفسه عين عبده فان هذه غير معقولة وليس عند أولياء المسلمين  
من الأسرار ما ينافى العقل فليس من أسرار الولاية أن يقال باجتماع النقيضين ولا بالمحالات العقلية . فهل يقول  
الولى إن النقيض والاثبات يجتمعان . أو يقول : العدم والوجود يكونان معا . كلا . ثم كلا . وإذا قال أبو يزيد  
البسطامى « انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو » فليس معناه انه هو نفس  
الله بل معناه انه انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهما فلم يبق فيه متسع لغير الله ولم يكن له هم سوى معرفة  
الله تعالى . قال : « فإذا لم يحل فى القلب إلا جلال الله وجهاله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لا انه هو تحقيقا »  
وقال الامام الغزالى فى كتاب « المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » مانصه :

(و فرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو . لكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو كما ان  
الشاعر تارة يقول كأنى من أهوى وتارة يقول أنا من أهوى وهذه منزلة قدم فان من ليس له قدم راسخة فى  
المعتولات ربما لم يتميز أحدهما عن الآخر فينظر الى كمال ذاته وقد تزين بما أتى فى من جليلة الحق فيظن  
انه هو فيقول أنا الحق وهو غلط غلط النصارى حيث رأوا ذلك فى ذات عيسى فقالوا هو الإله بل غلط من ينظر  
الى مرآة قد انطبع صورة ملونة فيها فيظن أن تلك الصورة هى صورة المرآة وأن ذلك اللون لوث المرآة  
وهيئات بل المرآة فى نفسها لا لون لها وأشأنها قبول صور الألوان على وجه يتخايل الى الناظرين الى ظاهر  
الامور أن ذلك هى صورة المرآة حتى ان الصبي اذا رأى انسانا فى المرآة ظن أن الانسان فى المرآة ، فكذلك  
القلب خال عن الصور فى نفسه وعن الهيئات وإنما هيئته قبول معانى الهيئات والصور والحقائق فما يحله يكون  
كالمتحد به لانه متحد به تحقيقا . ومن لا يعرف الزجاج والجر اذا رأى زجاجة فيها خر لم يدرك تباينهما فتارة



يقول لآخر وتارة يقول لازجاجة كما عبر عنه الشاعر حيث قال

رقّ الزجاج وراقت الخمر \* فتشابهها فتشا كل الأمر  
فكأنما خمر ولا قدح \* وكأنما قدح ولا خمر

وقال ماملخصه في خاتمة ذلك الكتاب : **وتحقيق الأمر في قول النائل ان معاني أسماء الله تعالى صارت أوصافا للمخلوق لا يخلو من أحد أمرين إما أن تكون نفس أوصاف الله من العلم والقدرة والرحمة والشكر صارت أوصافا للعبد ، وإما أن تكون أمثالها هي التي صارت أوصافا للعبد لا أعينها ، فإذا قلنا بالأول أي ان صفات الله نفسها صارت للعبد ، فهذا لا يكون إلا بالانتقال أي انتقال نفس صفات الله من الله للعبد فيكون هذا العبد خالقا للسموات والأرضين وهو أزلي أبدي عليم بكل شيء مرسل الأنبياء الخ وإما أن يكون بغير الانتقال وهذا يكون بأحد أمرين : إما بالاتحاد أي اتحاد ذات الله بالعبد حتى يكون هو هو فتكون صفاته صفاته ، وإما بطريق الحلول . فهذه الأقسام الثلاثة تفصيل للقسم الأول وهو أن تكون نفس أوصاف الله هي نفس أوصاف العبد . فأما القسم الثاني وهي أن تكون أوصاف العبد مماثلة لأوصاف الرب ، فتلك المماثلة إما مماثلة مطلقة من كل وجه بحيث يكون هذا العبد قادرا على كل شيء مثل الله تعالى ، وإما أن تكون المماثلة عبارة عن الاشتراك من حيث الاسم في عموم الصفات دون خواص المعاني ، فهذان قسمان آخران فتكون الوجود خمسة والصحيح منها واحد فقط والبقية باطلة وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مماثلة تامة فبقيت الأربعة الباطلة**

(١) فإذا قلنا إن صفة العبد تماثل صفة الرب مماثلة تامة بأن يكون محيطا بجميع المعلومات خالقا لجميع المخلوقات لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم كما أن الله عزيز حكيم فاذن يكون العبد خالق نفسه لأنه من جملة ما في السموات والأرض ، ثم اذا ثبتت هذه الصفات لعبدین فان كلا منهما يكون قد خلق صاحبه فكل منهما خالق من خلقه وكل ذلك خرافات وجهالات وترهات

(٢) واذا قلنا إن الصفات العالية انتقلت من الله للعبد فذلك محال عقلا لأن انتقال الصفات على وجه العموم مستحيل وهل تفارق الصفة موصوفها كأن ينتقل بياض زيد الى عمرو وعلم خالد الى ابراهيم ؟ وهل تقوم الصفة إلا بموصوفها ولو أن صفات الربوية انتقلت من الرب الى العبد لصار الرب إذ ذاك ليس ربا لأن صفات الربوية قد فارقت ، فاذن هو رب وليس رب في آن واحد وهو محال

(٣) واذا قلنا ان العبد اتحد مع الرب فعناه أن العبد هو نفس الرب بل ان قولك ان زيدا صار هو نفس عمرو محال واتحاد شيء بشيء محال لأنهما إما موجودان أو معدومان أو أحدهما موجود والآخر معدوم أو بالعكس ولا خامس لهذه الأقسام . فإذا كانا موجودين فستحيل أن يكون أحدهما عين الآخر بل كل منهما موجود وقد يتحد مكان الموجودين وهل اتحاد مكان اثنين يوجب اتحاد الذاتين . كلا . بل كل منهما موجود فان العلم والارادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا يتباين محالها ولانكون القدرة هي العلم ولا الارادة ولا يكون قد اتحد أحدهما بالآخر وتكون التفاحة ناعمة ذات رائحة جميلة وهي جراء

فهذه ناصفات ثلاث اختلفت وان اتحد محالها ، فاتحاد المحل لا يوجب اتحاد ما يحل فيه ، فاذن الامور الموجودة يستحيل أن يكون أحد هو عين الآخر وان كان أحدهما موجودا والآخر معدوما ، فلا اتحاد لموجود بمعدوم والاتحاد بين شيئين مطلقا محال فهل يصير هذا البياض أو السواد ذلك البياض أو السواد مثلا كما يستحيل أن يقال ذلك السواد هو ذلك البياض فالشيآن من نوع واحد لا يتحدان كما لا يتحد الشيطان من نوعين مختلفين (٤) وأما الحلول وهو الرابع من الأقسام الأربعة الباطلة فهو أن يقال الرب حل في العبد أو العبد حل في الرب ، تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ، ولوصح هذا لم يوجب الاتحاد ولا أن يتصف العبد بصفات

الرب فان صفات الحال لا تصير صفات المحل بل تبقى صفة الحال كما كان  
واعلم انه لا معنى للحلول إلا بأحد أمرين : إما النسبة بين الأجسام وأمكنتها كالنسبة بين زيد ومكانه  
الجالس هو فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمي ومن لا جسم له لا يكون له حلول بهذا المعنى ، وإما بالنسبة  
بين العرض والجوهر فالعرض لا قوام له إلا بالجوهر كالبياض والسواد بالنسبة للموصوف فيعبر عنه بأنه حال  
فيه ، ولا جرم أن الله لا قوام له إلا بنفسه ، ولا جرم أن كل ما قوامه بنفسه لا يمكن أن يحل فيما قوامه بنفسه  
حلول العرض في الجوهر ، فإذا كان العبدان لا يحل أحدهما في الآخر فكيف يعقل الحلول بين العبد والرب  
تعالى ، إذن بطل الحلول وانتقال الصفات والاتحاد والاتصاف بأمثال صفات الله على التحقيق ولم يبق إلا  
المشاركة في الاسم فقط ، فالله رحيم وشكور الخ على الحقيقة والعبد كذلك ولكن على معنى الاشتراك في الاسم  
ثم ان معنى قولهم : ﴿ إن العبد مع الاتصاف بجميع ذلك سالك لا واصل ﴾ فيبانه أن السلوك تهذيب الأخلاق  
والأعمال والمعارف والوصول وهو أن ينكشف له جليلة الحق ويكون مستغرقا به وينسلخ من نفسه بالسلبية  
ويتجرد له فيكون كأنه هو ، والولاية يستحيل أن تخالف طور العقل . وإذا كوشف الولي بأن فلانا يموت  
غدا فهذا من الممكنات . ولكن اذا كوشف بأن الله يخلق المستحيل فذلك غير ممكن . ومن المستحيل أن  
أن يكشف بأنه هو صار نفس الله وصفاته كصفاته من كل وجه ﴾ انتهى ما أردته من الكتاب المذكور للإمام  
الغزالي رحمه الله تعالى مع حذف وإيضاح نارة واختصار أخرى

واعلم أيديك الله اني أطلت الكلام في هذا المقام لأنني أعلم أن الأمة الاسلامية قد دخلت فيها آراء غريبة  
فلكم سمعت من أناس يقولون إن شيوخنا هم نفس الإله وأذكر منهم رجلا كان معي ببلدة الجيزة يسمى  
عبد الشافي وله أستاذ كان موظفا بمحافظة مصر . فهذا كان يقول إن الله هو نفس أستاذي فأما نفس الله  
فلا يعقل أن يكون موجودا إلا على هذه الشريطة . وهكذا نسمع من وقت لآخر أن صوفيا يقول : ﴿ ان  
شيخي يتصرف في أحوال الناس بل هو الله ﴾ ونسمع أم النصارى يقولون : ﴿ ان عيسى هو الله أو ابن الله ﴾  
والأمم المصريون والبوذيون الذين ذكرتهم آنفا كانوا هم أول ناشرين لهذه الآراء عند عاقبتهم وهي مضطربة  
فانحطت مداركهم ثم تحولت محورة الى بلاد الاسلام فاستبدل الجهال من المسلمين جهلاء الشيوخ بالأصنام  
واستغنوا بالصالحين من بني آدم عن الكواكب وأصنامها وعن الملائكة . وكل هذه لا تنزع من الصدور إلا  
بالعلم والحكمة وأمثال ماسطرناه في هذا المقام

هذا واعلم أيها الذكي أيديك الله أن الله عز وجل رتب العالم العقلي كما رتب العالم الحسي وجعل الحسي  
كأنه نموذج للعقلي (يا سبحان الله ويا سعادته . اللهم إني أحمدك على العلم وعلى الحكمة وعلى التوفيق وأعلن  
للأئمة موقنا أن من اتجه اليك وهو مخلص فانك تعلمه والعلم هو غاية السعادة في الدارين) هانحن أولاء نرى  
الانسان وأنواع الحيوان درجات بعضها فوق بعض . أفليس الطير والذين يركبون الطيارات قد تمتعوا بالهواء  
الجميل عند طيرانهم . أفليس في الأرض حشرات دنيئات لا تعيش إلا في التراب وهكذا أمثال الحيات والعقارب  
والفيران . فهذه مسجونات حقيرات ولكنها من صنعك . كل هؤلاء هؤلاء يمدحهم الله بالعطاء والنعمة  
ولكن فوق ما بين درجة الانسان والطير في الجوّ وبين درجة الفيران والصراصير في خفيات الأرض . هذا  
من جهة الأحوال الجسمية . أما من جهة الأحوال العقلية فأننا اذا وازنا ما بين الانسان والبهائم نجد فرقا شاسعا  
فله عقل ولها شئ سموه غريزة . فكما رأينا البون شاسعا بين مراتب الحيوان فهكذا كان البون شاسعا بين  
معتقدات طوائف الناس . فمنهم من يرى إلهه حجرا ومدرا . ومنهم من يرتقي قيراء شمسا وكوكبا . ومنهم من  
يراه فوق المادة . ومنهم من لا يرى إلهها وإنما يرى نفسه فقط وهو الملحد (والعباد بالله) فكما نبين الحيوان  
في أحواله الجسمية والفكرية اختلف الانسان وتباين في معتقداته . والبون هناك كالبون هنا شاسع في الحالين



نوع الله الحيوان ونوع المعتقدات وهكذا نراه نوع أنواع النبات ولكل فائدة كالسواء وكالغذاء وكالفاكهة  
وكالسم . إن أرضنا والله معرض للصور أوهى صور متحركة (السينما توغرافيا) عالم يشرح صدر الحكيم إذ  
يراه أمامه صوراً متحركة والجاهل جامد القرينة ، وبينما الحكيم المفكر يفرح بسعة الحكمة في نظام المادة  
إذ يرى من جهة أخرى أنه عالم متأخر فكل أن أرضنا جعلت محل تربية لأرواح ضعيفة تباينت أقدارها الناقصة  
وأحوالها الطبيعية واستعداداتها فحشرت في هذه الأرض وريت على مقتضى درجاتها وستبعث على هذه  
الدرجات وأمرهم والله عجب ، قوم نراهم يسجدون للصنم فعقولهم لم تعرف صفات الله ولكنهم في الوقت  
نفسه عرفوا نظام الدنيا وآخرون أتبع لهم تنزيه الاله ولكنهم لا يزالون ضعيفي الإدراك في صنعه وابداعه .  
فهذه الأمم جمعاء أبناء التقاليد صرعى الأوهام والأوهام التي هي سبب ضعفهم قد جاء أوان خذلانها بنشر  
العلوم العقلية في الأمم كلها في العالم العقلي . فكما أتبع للأطباء في العالم كله اليوم أن يقتلوا المخلوقات القرينة  
القائنات للإنسان والحيوان والأرض قد كثرت فيها التطهير بالمواد لقتل المكروبات فعاش وتكاثر الحيوان  
والإنسان فهكذا نرى الآراء العقلية تنشر والخرافات تضحل بنسب مطردات في عوالمنا الأرضية . وكما أن  
الحشرات والمكروبات لم يبدعها نوع الإنسان وان سطا عليها بالعقاقير وقللها هكذا أضليل الإنسان وان سطا  
عليها العلم فقللها لاتزال باقية في الأرض ، فإذا رأينا بعض علماء الأمريكان والانجليز وغيرهم يرون الاسلام  
دينا صحيحا وأكثر المستشرقين كذلك ويدخلون فيه ويعلنون وينشرون مبادئهم وأكثر أبناء الانجليز  
يودون لو يسلمون ولكن يخافون من ذويهم كما أخبرنا بذلك (اللورد هيدلي) فإن أكثر القوم عاقلون ،  
وهكذا إذا رأينا أمم الاسلام أولئك الذين صفت عقائدهم ونسوا الأصنام والمعبودات الباطلة فانه لا يزال كثير  
منهم لا يعلم أن النظر في مصنوعات الله من الفلك والطبيعة والحيوان والنبات مقربات لله موجهة لحبه والغرام  
بجماله والهيام بقلائه وان عرف كثير منهم ذلك . فهذا النوع الانساني هذه شفتته ، ملكه التقليد ولكنه  
كالدينا التي عاش فيها فهم كالثوب الخلق كلما رقع يوما فانحرق . حظ الحكيم من هذه المناظر أن يفرح بجمال  
الحكمة ونظام الدنيا ويرى أن الله حكيم في صنعه إذ جمع في أرضنا بين أرقى عالم وهي النفوس المشرقات  
الفرحات بنظام ربها المتعطشة للقاءه الباحثات عن رحائه وبين النفوس النائمة اللاتي كأنها حجرية لاترى  
ما يراد بها . فالحكيم في الأرض في جنة وهو الشاهد وأهل الأرض مشهودون وهو السعيد بما يشاهد وهو  
من أصحاب الأعراف الذين يعرفون كلا بسيماهم . فإذا رأى عقلا قاصرا ألقه بحيوان دنيء . وإذا وجد عقلا  
كبيرا ألقه بالملك . وهناك يدرك أن هذه الدنيا هي جنته وانها ما هي إلا معرض ومحتلى أسواق الصور العقلية  
والحسية يلبس كل مخلوق صورته التي عشقها أوهى معمل تصنع فيه أدوات مختلفات تقوم بالطرق تارة والصقل  
أخرى وهذا يرمز له سورة الضحى فاليتيم والاضلال والفقر رمز للارزايا والنكبات في هذا العالم الأرضي .  
وهذه الرزايا جعلت مقومات لا معذبات لأن الرحيم الحكيم يضع الامور مواضعها فيجعل المصائب مقومات  
كما تقوم الآلات بطرقها فإذا قومت فقد حان صقلها وهذا هو المرموز له بالايواء والهداية والغنى وشرح الصدر  
ووضع الوزر ورفع الذكر فالمصائب ثلاثة والنعم ضعفت وهذه النعم للإنسان العام مقابلات للصقل في الآلات  
إن الدنيا دار كبيرة فيها وليمة عظيمة قد أعدها ملك لرعيته ورتبهم درجات في اعداد الطعام ورتبهم  
ونظمهم فهم يأكلون وكل بأصحابه مقرون وكل حزب بما لديهم فرحون وبعد انقضاء هذه الوليمة يرجع  
كل منهم الى داره التي خرج منها . وهذا هو تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » فرجته شاملة تعطى كلاما  
يليق له . انتهى الكلام على (المقام الأول) في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم  
الأحد (١٦) فبراير سنة ١٩٣٠ م

## المقام الثاني

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَنى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ  
 يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا  
 وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ  
 عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ \* وَإِنْ  
 يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ \* إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا  
 إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ الْأَفْحَابِ السَّعِيرِ \* الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ \* أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ أَلَّ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ  
 يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَاللَّهُ الَّذِي  
 أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُمِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ \*  
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ  
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ  
 نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ  
 عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ  
 وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ  
 مَوَاقِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ  
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ  
 مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ \* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِنْهُ خَبِيرٌ \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
 الْحَمِيدُ \* إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ \* وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وَزَرٍ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ  
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ \* وَمَا  
يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي  
الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ \* إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ  
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا \* وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ \* وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ \* ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا  
وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ \* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ  
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ  
كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَنَجْوَىٰ يَتَجَارَةً لِّنَ تَبُورَ \* لِيُؤْتِيَهُم  
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ \* وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ  
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ \* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا  
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ \*  
جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ \* وَقَالُوا  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ \* الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ  
لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا  
وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ \* وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا  
نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا  
فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ \* إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* هُوَ الَّذِي  
جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا  
مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ  
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ  
إِن يَدْعُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا \* إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا  
إِن أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا \* وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُجَاءَهُمْ نَذِيرٌ  
لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِهْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَقُورًا \* اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ



وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ  
 اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا \* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ  
 إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا \* وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ  
 يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) الى  
 الأنبياء (أولى أجنحة) ذوى أجنحة . وليس معنى الأجنحة في العالم المادى إلا ما يقدر به على الطيران .  
 فأما في عالم الأرواح فهو ما تمتاز به الملائكة من القوى والقدر الروحانية التى لانسبة بينها وبين القوى المادية  
 (مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء) يزيد فى خلق الأجنحة ما يشاء كما يزيد فى أرجل الحيوان ما يشاء  
 حتى بلغت فوق العشرين . هكذا فى عقول الآدميين ورفيقهم النفسى . وروى أنه عليه الصلاة والسلام رأى  
 جبريل فى صورته له ستائة جناح (إن الله على كل شئ قدير) فيزيد كل ما هو أهل لازيادة مادية أو معنوية  
 كعقول الآدميين (ما يفتح الله للناس) ما يطلق لهم (من رحمة) مطر ورزق وعافية (فلا ممسك لها وما ممسك)  
 وما يمنع (فلا مرسل له من بعده) من بعد أمساكه (وهو العزيز الحكيم) فيما أرسل (يا أيها الناس اذكروا  
 نعمة الله عليكم) احفظوها واعرفوا حقها (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو  
 فأتى تؤفكون) فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك) فتأس واصبر (فقد  
 كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور) فيجازيك وإياهم (يا أيها الناس إن وعد الله) بالحشر  
 والجزاء (حق) لا خلف فيه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم نعيمها (ولا يغرنكم بالله الغرور)  
 الشيطان (إن لشيطان لكم عدوا فتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا)  
 أى أفمن زين له سوء عمله بأن غلب هواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقيح حسنا  
 كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحقائق فاستحسنه واستقباحه على مقتضى الحق وذلك قدر مقدور (فإن  
 الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) على مقتضى الاستعداد (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى فلا  
 تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم . وقوله (فتشير سحابة) على حكاية استحضار تلك الصورة العجيبة  
 الدالة على كمال الحكمة (فسقناه الى بلد ميت) أى نسوقه (كذلك النشور) أى مثل إحياء الموات نشور  
 الأموات (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى من كان يريد العزة فليتعزز بطاعته بخلاف الكفار  
 عباد الأصنام (إله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) أى ان الله يقبل الكلم الطيب وهو التوحيد  
 والذكر والدعاء وقراءة القرآن . ومن الذكر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وكذلك  
 يرفع الله العمل الصالح فاذا صعد الكلم الطيب بنفسه الى الله فالعمل الصالح يرفعه الله والمراد بصلاحه الاخلاص  
 فيه فما لا اخلاص فيه لا يقبل وذلك كأداء الفرائض . واعلم أن هذا المعنى به يعرف المسلمون أن العلوم

والمعارف والتحقيق من نظام هذه العوالم لا يخرج عن كونها من الكلام الطيب . إن هذه المعارف من حيث نظمها وترقيتها للفكر الانساني من جملة الكلام الطيب بل قولنا « لا إله إلا الله » وما عطف عليه لاسبيل الى صعودها الى الله إلا اذا صعدت النفس في المعارف . فالتسبيح والتحميد والتوحيد درجات للسالكين في العلم فالتسبيح درجة والتوحيد أعلى والتحميد أعلى وذلك العاقل ليس يكون إلا بالعلوم . فاذا رأيت في بعض الأحاديث أن سبحان الله ثوابها عشر درجات ولا إله إلا الله عشرون درجة والحمد لله ثلاثون درجة فليس ذلك لمجرد نطق اللسان بل العلم والمعرفة فإذا أيقن بذات مبرأة من المادة فهو أول الإيمان . ثم اذا عرف أن العالم كجسم واحد يديره مدبر واحد كان ذلك أرقى . ثم اذا عرف أن جميع من في هذا الوجود منه واليه وأصبح ذلك ملائكة راسخة في النفس بتكرار البرهان والنظر . فهناك تكون الدنيا والآخرة عند الانسان نظاما جيلا ويعرف ما لا يعرفه كثير من العلماء والعامة واذ ذاك يتمتع بالسعادة العلمية . ومتى خلاص من الدنيا كان ذلك أوفر سعادة له . هذا هو المقصود من التسبيح والذكر . وهذا معنى صعود الكلام الطيب لله فالصعود هنا لن يكون إلا بصعود النفوس من الجهالة الى العلم ومن العمى الى الهدى

بهذا فلنفهم كلام الله سبحانه وتعالى ، فأما الذكر المجرد من العلم فذلك درجة العباد والصالحين وهؤلاء أواخر المراتب في دين الاسلام . ألم تر الى قوله تعالى - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - فهؤلاء الذين ذكرتهم لك الآن هم الصديقون ، فأما الصالحون فهؤلاء يكون كل مقصودهم وهمهم العمل . بهذا نفهم السر في قوله تعالى أن الكلام الطيب يصعد بنفسه والعمل يرفعه الله اشارة الى أن الكلام الطيب أفضل من العمل الصالح (وبعبارة أخرى) العلم والحكمة أفضل من الأعمال والحمد لله على التوفيق

ثم قال تعالى (والذين يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ) أي المكرات السيئات كقريش في دار الندوة إذ تشاوروا في أمر النبي ﷺ من حيث الحبس والقتل والاجلاء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يفسد ولا ينفذ لأن الله مقدر الامور والله سبحانه يحفظ المصلحين من الأنبياء وتابعيهم (والله خلقكم من تراب) إذ خلق آدم منه ، وأيضا الأغذية التي تتحول الى الأجسام كلها من التراب والأغذية تصير دما ومن الدم النطفة ولذلك قال (ثم من نطفة) نطفة الآباء (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا واناثا بقدر معلوم بحيث يكاد الفرقان يستويان عددا فلولم يكن كذلك لفنى نوع الانسان وهكذا كل حيوان ، لحفظ النوع لا يتم إلا بتلك المساواة ولان تكون المساواة إلا بتدبير وعلم وهذا معنى قوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أي لإلماعومة له ولولم يكن كذلك وكانت المصادفة العمياء هي القائمة في هذه العوالم لم يتزوج العدد في الزوجين ولم يحفظ التوازن في الانسان والحيوان وهؤلاء الذكور والاناث يعيشون على الأرض أياما محدودة ، ولو أن الأعمار طالت مئات السنين وتناقلت الذرية وكثرت لكان على القدم ألف قدم ولكانت الحياة الدنيا نارا وجحما إذ يكثر الناس وتقل الخبرات فلذلك تفاوتت الأعمار في جميع الأعصار وكانت بمقدار بحيث لا تطول فوق مائة ضيه الحكمة ، فاعتدل النظام بالمرض والموت والوباء والحرب . هذا هو نظام الأرض المحيية وهو قوله تعالى (وما يعمر من معمر) أي ولا يمد في عمر من مصيره الى الكبر (ولا ينقص من همره) من عمر المعمر أي لا يجعل ناقصا (إلا في كتاب) وهو اللوح المحفوظ . ذلك لحفظ الموازين في الأرض حتى ينتظم العمران فلولم يكن ذلك بمقادير لا يختلط الحابل بالنابل وساء مصير العمران إذ يكثر الناس وتزدحم الأرض ويشتد الكرب ، وليس ذلك عسيرا على الله (إن ذلك على الله يسير) هين بغير كتابة (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) الفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والأجاج الذي يحرق بملاوحته ، وفي قراءة - سيف - بالتشديد والتخفيف ، ذلك ضرب مثل للمؤمن والكافر (ومن



كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) هذا استطراد لصفة البحرين ، يقول الله تعالى هما وان خرج من كل منهما السمك واستخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح فليسا متساويين فيها هو المقصود الأصلي فأحدهما قد دخل فيه ما أفسده وهو الملح فغيره عن المقصود منه وهو سقى الأنعام والنبات ، فاذن الكافر كالملاح والمؤمن كالعذب بل البحر الملح أفضل من الكافر إذ يستخرج منه الدر والمرجان والكافر لا ينزل له واعلم أن هذا القول منطبق على ما نشاهد في الناس ، فهم شركاء في المعروف الظاهر ولكن العتول متفاوتة تفاوتاً كثيراً حتى ان التلميذين من مدرسة واحدة وأب وأم يختلفان أخلاقاً اختلافاً كثيراً وقد يكون أحدهما أغزر علماً والآخر بليد الطبع وهما مؤمن وهذا كافر (وترى ذلك فيه مواخر) أى تشق الماء بجريها (لنبتغوا من فضله) أى من فضل الله بالنفلة فيها والتجارة والمجور مرتبط بمواخر (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله . ولما كان بين الفلك في البحر والشمس والقمر في مدارهما مناسبة باعتبار أن كلا منهما ومن جميع الكواكب ساجحات في تلك المدارات ، ساجحات في تلك العوالم الشاسعات ، أردفه بذكر الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر إذ قال (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى يدخل الليل في النهار فيكون النهار أطول من الليل ساعة فأكثر الى عشر الى غير ذلك ، ويدخل النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار كما تقدم انظرهما في (سورة البقرة) (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) لمتنهي دوره أو منتهاه أو يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك) أى الفاعل لذلك الله الخ (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وهى لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (إن تدعوهم) أى الأصنام (لا يسمعون دعاءكم) لأنهم جناد (ولو سمعوا) فرضا (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم أو ما نفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) بأشراككم (ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير به أخبرك وهو الله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) وإنما عبر بالفقراء ليبين كثرة حاجات الناس فانه كلما كان المخلوق أعلى مرتبة وأدق تركيباً وأحسن صنعا كان أكثر حاجة ، فالحاجة على مقدار الرفعة في هذا العالم ، ولذلك ترى الحيوان أقل حاجة من الانسان والنبات أقل منهما ، فالفقير في الانسان أبين لأن الانسان مدني بالطبع ، واذا كان الانسان أكثر المخلوقات حاجة فهو في أشق حياء ويقابله الله عز وجل الذى هو الغنى على الاطلاق (وهو الغنى الحميد) فهو المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات فله عليهم استحقاق الحمد (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يقوم آخرون أطوع منكم أو بعالم آخر غير ما عرفونه ، ذلك ان الله حميد والحمد على النعم والامعنى للحمد إلا على معرفتها وعلمها والام التي لا علم عندها لا تعرف نعم الله فلا حمد لها والناس خلقوا ليتلقوا النعمة من مبدعها فاذا جهلوا النعمة أذهبهم وأتى بخلق جديد إما لاحتلال البلاد واستعمارها كما نراه في أمريكا وأستراليا إذ استؤصل السكان الذين هم أهل البلاد إلا قليلاً حتى ان رجال الحكومة الانجليزية في الحرب العامة أرادوا أن يجندوا من بقى من أهل البلاد في أستراليا فبقي في مجلس الأعيان كلاماً لا تجندوا منهم بل يجب أن يبقى هذا العنصر للأجيال المقبلة في التاريخ هكذا لما بطر المسلمون في القرن السادس وجهلوا نعم الله ولم يعطوا النعمة حقها أزال ملكهم وسلط عليهم التتار والمغول فقتلواهم وأزالوا ملكهم ، اقرأه في (سورة الكهف) عند ذكر يأجوج ومأجوج وهكذا الدول قديماً وحديثاً وهكذا أرضنا هذه متى جاء أجلها منقرت كل ممزق وخلق غيرها في أجيال لا ندر بها ، فأما سكانها فهم في جنة أو في نار (وما ذلك على الله بعزيز) بتعذراً أو متعسر (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ما لم تكن أضلتها فانها تحمل وزرها ووزراً مثل وزر من ضلوا بها ولكن هذا وزرها هى بالاضلال فأما وزر النفس الضالة فلا يحمل عنها (وان تدع) نفس (منقلة) أثقلتها الأوزار نفساً أخرى (الى حملها) ثقلها أى ذنوبها التى أثقلتها لتتحمل عنها بعض ذلك كما قد يفعل في الدنيا (لا يحمل



منه شيء) لأن كل امرئ مشغول بأمر نفسه (ولو كان) المدعو (ذا قربى) ذا قرابة قريبة كآب أو ولد أو أخ (إنما تنذر) أى ينفع انذارك يا محمد (الذين يخشون ربهم بالغيب) أى حال كونهم غائبين عن عذابه أو عن الناس فى خلواتهم (وأقاموا الصلاة) لأنهم هم المنتفعون بذلك الانذار (ومن تزكى) ومن تطهر من دنس المعاصى (فإنما يتزكى لنفسه) إذ نفعه لها (والى الله المصير) فيجازيهم (وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات) أى وما يستوى الصم والبصير ولا الباطل والحق ولا الثواب والعقاب ولا المؤمن والكافر أو العلماء والجهلاء وهو أعم ، والحرور والحرى وقد غلب على السموم وزيادة لافى نفى الاستواء لمزيد التأكيد فى المواضع الثلاثة (إن الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه للهداية (وما أنت بمسمع من فى القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات (إن أنت إلا نذير) فاعليك إلا الانذار ، أما الاسماع بالهداية فلاحيلة لك فيه عند من طبع على قلوبهم (إنا أرسلناك بالحق) أى ارسالاً مصحوباً بالحق (بشيراً) بالوعد الحق (ونذيراً) بالوعيد الحق (وان من أمة) أهل عصر (إلا خلا فيها نذير) من نبي أو عالم ينذر عنه أى إلا خلا فيها نذير وبشير فلكل جيل أناس يبشرون ويخوفون لتنظيم شؤون الناس (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (وبالزبر) أى الصحف كصحف إبراهيم عليه السلام (وبالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بالعقوبة أى انظر يا محمد كيف كان تغييرى عليهم بالعذاب حيث لم يؤمنوا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى المطر (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح وما أشبهها ، ومعلوم أن أصنافها كثيرة وألوانها كالخضرة والصفرة والخضرة الخ (ومن الجبال جدد بيض وحمر) أى طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (مختلف ألوانها) بالشددة والضعف (وغرايب سود) أى شديدة السواد كما يقال «أسود غريب» تشبيهاً بلون الغراب وكأنه قيل : ومن الجبال ذو طرق مختلفة اللون ومنها غرايب متحدة اللون وغرايب تأكيد لاسود ومن حقه أن ينبع المؤكد ولكن أضمر المؤكد بالفتح قبله والذي بعده تفسير للضمير كأنه قيل : وسود غرايب سود وذلك لزيادة التأكيد بالاضمار تارة والظهار أخرى (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال ، يشير ذلك الى دراسة الجبال والثمار والناس والدواب والأنعام مختلف ألوانها وهيئتها وأشكالها واختلافها صفراً وكبراً وطعوماً وروائحاً وخواصاً وتراكيباً ونظاماً ومشكلاً من مدور واسطوانى وهرمى ومخروطى وطباً وغذاء ودواء وفاكهة حلوة وزيتية وعطرية ومررة ومائية وحضية وغير ذلك مما قرأته فى هذا التفسير ومما لاحصره فى العلوم التى دونها الأولون والآخرون ، ولوانك نظرت الى لون واحد من الألوان كالخضرة وتصفحت أنواع النبات نباتاً نباتاً لم تجد نباتين يتفقان فى لون الخضرة ، قف بالحقول وفتش على ما فيها من زرع وشجر زرعه الانسان أو أنبت الله رغماً منه وانظر هل تجد خضرة مماثلة لخضرة كلاً . وإذا أحصى العلماء أنواع النبات بنحو (٣٢٠) ألفاً فليست تجد اثنين اتفقا خضرة وقس على ذلك الأشكال والروائح والطعوم ، قف بالحقول واقراء كتاب الله الذى سطره فى أرضه ، هناك تقرأ آيات الثناء والحمد مجسمة ظاهرة لعينك وقلبك ، على ذلك يحضك القرآن ، انظر كيف يقول - ألم تر أن الله أنزل من السماء - كأنه ينسكرك علينا ألا ترى ذلك ، ان ذلك يفتح باب الفكر ومتى فتح هذا الباب دخلت منه العلوم فمن هذا الباب تكون العلوم ويتفرع (فرعان) فرع لرقى الأمم ، وفرع لرقى العقول وهما متحاذيان ، فالعمارة يتسع نطاقها والأرواح تزيد أجنحتها الى المقام الأعلى وتلحق بعالم الملائكة ، والافلاك اذا خلقنا الله فى الأرض ، ولماذا نوع هذه الأنواع وشكل هذه الأشكال يا عجبا : إنك يا الله خلقت النبات وأرخته من العناية وأنزلت عليه الماء وفتحت له الأنابيب الشعرية

يتمتع كما يشاء من خصب الأرض وعناصرها فيصطفى ما يشاء ويختار ، وخلقت الحيوان وأغدقت عليه النعم وكسوته بالريش والجلد الغليظ والوبر والشعر والصوف ومددت له موائد الرزق وبسطت له بساط الأمن ورغد العيش وفياته في ظلال أشجارك وأسكنته في كهوف جبالك وهيأت له في أشجارك مساكن وعلمته بلامعلمين وربته بلامربين . فلا يحتاج لنبي يرسل له ولا مدارس تفتح اليه ولا كليات لتخرج المعلمين ولاوزارة لسير التعليم . فهو في رغد من العيش في جناتك الفسيحات في أرضك . هذا يا الله فعلك مع هذه المخلوقات . أما الانسان فانه حرم من تلك النعمة . نعمة الاكتفاء بما نظمت من الطبيعة . فأرسلت له المرسلين وكوّنت له المعلمين وخلقت له المدرسين وأنزلت المرض والهجوم بساحاته وفتحت له باب البحث ليخرج من ظلماته ويستعد لسعادته وأنوعت له الأنواع وحسنت له الأشكال ووازنت بين حاجاته النفسية والمخلوقات الأرضية بحيث جعلت لكل داء دواء ولكل حاسة مطلوباً ولكل شهوة ما يناسبها وأنصبت له وأنعبته . هل كل هذا لهوانه عليك ؟ كلا . ثم كلا . إنك يا الله فعلت ذلك به لأنه أكرم عليك من أخويه الحيوان والنبات تريد أن يعرف نظمك الأرضية ليظهر بأجنته معارفها الى ساحاتك العلوية ويقتنص من مخبئي علومها وخزائني حكمها وجواهر بحورها ما ينفعه في سفرته المترامية الأكنايف البعيدة المطاف

لهذا وحده أنزلت الديانات ، ولهذا وحده خلق الناس ، ولهذا وحده جاء القرآن ، ولهذا كانت فلسفة الأولين وحكمة الآخرين ، ولهذا سيعلم من بعدنا من المسلمين اذا قرؤوا هذا وأمثاله من تصنيف علماء المسلمين ، ذلك هو باب المحبة والعشق إذ لا محبة إلا بعلم بصفات المحبوب ، ولا علم عند الناس إلا ما وصل اليهم من مصنفاته البهية وحكمه العلية وبدائعه البهجة ، وكلما ازداد المرء نظراً زاد قلبه ولها وحبا ، والمحبة يخشى المحبوب ويهابه ، والخشية على مقدار الكمال ، فالحب والخشية متلازمان ، وكيف يحب الانسان ماهان في نظره ! وارتقاء المحبة يتبعها ارتقاء الخشية . ألا ترى انك كلما ازددت من علم عالم أحسست بروحانية تجذبك اليه وخشية تفشاك منه ، وهذا قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ❦ قال علماءنا رحمهم الله : « إن شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وأفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال ﷺ إني أخشاكم لله وأتقاكم له ،

ألبس المسلمون بغفلتهم عن هذه العلوم أضاعوا أعظم قسط من الدين ، ألم يسلب الله منهم الملك ويعطيه لغيرهم ؟ ذلك لأنهم لم يدرسوا نظامه الموجب للخشية كما يوجب الحب ، إن الآية دالة على انه لا يخشى الله إلا العلماء فهم وحدهم المختصون بالخشية . فهل لك أيها الذكي القارئ لهذا التفسير أن تبحث المسلمين وتحضّ الموحدين على التفكير والنظر . قل للعلماء اقرؤوا سائر علوم الطبيعة والفلك . وقل للجهلاء فكروا في كل جبل وشجر وزرع وتأملوا واذا كروا الله على مقدار طاقتكم . وقل لعلماء الدين فليدرسوا في عقول الزلايم في إبان صغرهم تلك المحاسن والبدائع وليبينوا لهم بعض الحجائب الغريبة التي تحدث في نفوس الجهلة وصغار الطلبة تهجبا فان ذلك يفتح لهم باب الفكر . إن ذلك هو علم التوحيد . إن ذلك هو علم الدين . إن ذلك هو حب الله . إن ذلك هو الموصل لله . إن ذلك هو المرقى للأئم . حب الله وخشيته وارتقاء الأئم في الدنيا وعلو درجاتهم في الجنة ووصولهم الى رؤية الله تعالى وتمتعهم بالنظر لوجه الله الكريم . كل ذلك بهذه العلوم فليقلب التعليم في الاسلام شرقا وغربا وليغير منهج الدراسة وليعلم المسلمون أنهم لاسعادة لهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بما ذكرناه فقد أنذرت وحذرت فليستمع المفكرون ولينصح الناصحون وحسبنا الله ونعم الوكيل ولما كان في الناس من لا يابى بهذه العوالم ولا يفكر فيها فقلت خشية الله ودام على ذلك ومنهم من تاب ورجع ففكر بعد الغفلة أعقبه بقوله (إن الله عزيز) في ملكه وسلطانه يقهر من لا يخشى الله لغفلته عن صنعه (غفور) لمن تاب وخشى الله بعد الغفلة وذلك فتح لباب الرجاء . فنحن معاشر المسلمين اذا كنا فرطنا



في معرفة هذه العوالم فيما مضى فأنه وعدنا بالغفران وهو يقبل التائبين . ولما كان المقصود من نزول القرآن وإظهار هذه الحجاب إنما هو الأمة الإسلامية أردفه سبحانه بالكلام على درجة العاملين فيها فقال (إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته مع التفكير المقصود منه ويدرسون هذه العوالم المذكورة قبل هذه الآية دراسة تشمل العالم كله من سموات وأرضين وجبال وزروع (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا) في المسنونة (وعلانية) في المفروضة (يرجون تجارة) رأس مالها وأثمانها النفوس والأموال فالنفوس للعلوم والتفكير والصلاة والأموال للاتفاق والتمن المبيع هو الثواب والجنة والسفر بها إلى الله تعالى فهي تجارة (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران وهي تنفق وتروج عند الله (ليوفيه أجورهم) أي أجور أعمالهم (ويزيدهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (إنه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعاتهم أي مجازيهم عليها وللآية وجه آخر كما سيأتي وهو الأظهر . ذلك أن يكون التالون لكتاب الله المصلون المنفقون هم الصالحون ودرجتهم أقل من العلماء المذكورين قبلهم (والذي أوحينا إليك من الكتاب) أي القرآن (هو الحق مصدق) حال مؤكدة (لما بين يديه) من الكتب السماوية (إن الله بعباده خبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر فلو كانت أحوالك الروحية يا محمد لا تتفق مع هذا الكتاب لم ينزل عليك (ثم أورثنا الكتاب) يقول الله أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه أي حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا) يعني علماء هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرها فهم خير الأمم (فهم ظالم لنفسه) بالتقصير في العمل به أو بالكفر ، أو من رجحت سياسته على حسناته ، أو التالى للقرآن الذي لم يعمل به ، أو أصحاب الكبر أو الجهال (ومنهم مقتصد) يعمل في أغلب الأوقات أو يكون مرآيا بالعمل ، أو من استوت حسناته وسياسته ، أو التالى للقرآن العالم به أو أصحاب الصغائر (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) يضم التعليم والارشاد إلى العمل . أو المؤمن المخلص . أو من رجحت حسناته على سياسته . أو من باطنه خير من ظاهره . أو التالى للقرآن العالم به العامل بما فيه ، أو الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة ، أو العالم . واعلم أن هذه المعاني لا تنافى بينها . فكل خصلة من الخصال فيها سابقون ومقتصدون ومقصرون . فالسابقون يدخلون الجنة بغير حساب والمقتصدون يحاسبون حسابا يسيرا . وأما الذين ظلموا فهم يحبسون في المحشر ثم يرجون . ثم أشار إلى إيراثهم الكتاب واصطفائهم فقال (ذلك هو الفضل الكبير) جنات عدن) مبتدأ (يدخلونها) خبر والضمير للذين (يحلون فيها) خبر ثان (من أساور) جمع أسورة جمع أسوار أى بعض أساور مصنوعة (من ذهب) وقوله (ولؤلؤا) عطف على محل من أساور أى يحلون أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) من خوف العقوبة ومن أجل المعاش والآفات والوساوس الشيطانية (إن ربنا لغفور) للذنبين (شكور) للطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) دار الإقامة (من فضله) من انعامه وفضله (لا يمسن فيها نصيب ولا يمسن فيها لغوب) كلال إذ لا تكليف فيها وقد نفى ما يتبع النصب من الكلال بعد نفيه للبالغنة (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) فيستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزي كل كفور) مبالغ في الكفر أو كفران النعم (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون قائلين (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) فهم متحسرون على ما أضاعوا أيام حياتهم فأجابهم الله قائلا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) يوبخهم الله سبحانه على أعمار تنقضى بلا تفكير ولا اعتبار كأنه يقول : أهملناكم ولم نعمركم تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو يتناول كل عمر وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتناول أعظم . فإذا قيل هو ثمان عشرة سنة أو أربعون سنة أو ستون سنة فذلك ليس حصرا (وجاءكم النذير) الرسول عليه الصلاة والسلام أو الشيب يقول الله عمرناكم وجاءكم النذير (فدوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (إن الله عالم غيب السموات والأرض) لا يخفى عليه خافية فيهما ثم علله بقوله (إنه عليم بذات الصدور) وإذا علم

دقائقها فعلمه بغيرها أولى (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها (فمن كفر فعليه كفره) أى جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقنا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) المقت أشد البغض والخسار يكون في الآخرة (قل أرايتم شركاءكم) أى آلهتكم التي أشركتموهم في العبادة (الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض) أى أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمما استحقوا به الشركة أروني أى جزء من أجزاء الأرض استبدتوا بخلقه (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركة في خلق السموات (أم آييناهم كتابا فهم على بينة منه) أى أمعهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب . ولما نفي أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر الأسباب الداعية الى ذلك وهو تفرير الأسلاف والرؤساء للأخلاف والتابعين فقال (بل إن بعد الظالمون بعضهم بعضا لا غرورا) بأن يقولوا لهم إن هؤلاء شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه (إن الله يمسك السموات والأرض) كراهة (أن تزولا) لأن الامساك منع لهما عن الزوال من الوجود ومن مداراتهما . فجميع العوالم من الأرض ومن الشمس والأقمار والسيارات تجري في مدارات خاصة ولولا الميزان الذي وضعه الله في السموات والأرض الذي يعبر عنه علماء العصر الحاضر بالجاذبية لاختل النظام ولتخطمت هذه الكرات المشاهدة وزالت نظمها وساءت حالها فبالميزان اتزنت وبالنظام ثبتت في أماكنها واستقرت في مداراتها (وإن زالتا) على سبيل الفرض (إن أمسكهما من أحد من بعده) أى ما أمسكهما أحد من بعد الله . أو من بعد الزوال (إنه كان حلما غفورا) لا يجعل بالعقوبة حيث أبقى من يستحقون العذاب الى أجل مسمى ولم يهت الأرض والسموات عليهم هتاء . هذا ولقد كانت قریش قبل مبعث النبي ﷺ تقول : لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى جاهدين في أيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) أى من واحدة من أمم اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) وهو محمد ﷺ (ما زادهم) النذير (إلا نفورا) تباعدا عن الحق ، وقوله (استكبارا في الأرض ومكر السيئ) مفعول لأجله (ولا يحيق) ولا يحيط (المكر السيئ إلا بأهله) وهو الماكر كما حصل لقریش في الغزوات (فهل ينظرون) ينتظرون (إلا سنة الأولين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فلا تغبر سنة الله في انتقامه من المكذبين فلا يجعل غير التعذيب بدله ولا ينقلها من المكذبين الى غيرهم وهكذا سائر السنن (أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسيرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء) أى لبسقه ويفوته (في السموات ولا في الأرض إنه كان علما) بكل شيء (قديرا) على كل ممكن (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصي (ما ترك على ظهرها) ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها (واسكن يؤخرهم الى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم . انتهى التفسير اللفظي

### (لطيفة في هذه الآية)

يقول الله : لو أني أخذت الناس بظلمهم وكنت طالبا منهم مافوق طاقتهم بحيث يكونون أبرارا فضلاء في جميع أعمالهم لم أخلق ما على الأرض من حيوان وبالنسبة لم أخلق نباتا ولا معدنا لأن النبات مقدم على الحيوان والحيوان مقدم على الانسان والمقصود الأعظم هو الانسان ولذلك كان عدده قليلا على سطح الأرض فهو كالسمع والبصر والحواس في جسم الانسان ، فلو أني أوأخذ بظلمه لمنعت وجود الدواب وما تقدم عليها وهكذا الانسان ، واسكن هذا الانسان في عالم ليس مرتقيا كثيرا فكان أهله غير كاملين ، ومتى نقلوا من الأرض نظرت في أمرهم ووضعهم في أما كنهم المعينة لهم قبل صعودهم من الأرض . واذا كنتم أعدتم



للأجنة في الأرحام قوابل ومراضع وأعددت أنا لهم اللبن في الأمهات وحذفت الأمهات عليهم فهكذا في العالم الذي سترحلون اليه جعلت الملائكة يستقبلون الراحلين من عالمكم ويعاملونهم معاملة الآباء للأبناء أو معاملة السجانيين للمسجونين على حسب المراتب والدرجات ، فهذا العالم ليس آخر مراتب الانسانية بل هناك درجات ودرجات فذلك تركنا على الأرض دوابها وانسانها ونباتها ومعادنها لأنها مرحلة من مراحل الوجود فليس يطلب منها غاية الكمال - إن الله كان بعباده بصيرا - انتهى المقام الثاني

### ﴿ المقام الثالث ﴾

( في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها )

أذكر في هذا المقام ما كنت كتبت منذ سنين في تفسيرها العام إذ جعلت ملخص السورة مائلا أمام الفطن اللبيب فأقول وبالله التوفيق :

- اعلم أن هذه السورة تشتمل على ﴿ سبع مقاصد ﴾ وفيما يلي بيانها
- (١) وصف قدرة الله بأبداع العالم الحسى والعقلى ، وبأنه منعم متفضل وهو توطئة لما بعده
  - (٢) تذكير الناس بالنعم كي يشكروها وافهمهم لها عسى أن لا يكفروها
  - (٣) تثبيت فؤاد النبي ﷺ بقصص المكذبين الأولين للنبيين والمرسلين
  - (٤) نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل فلا يقر بها ويتحلوا بالفضائل فيلبسوها ، فلا يمتطون غوارب الهواجس ، ولا يتبعون آثار الشياطين ، ولينظروا فيما أبدع الله من الآيات ، وما أحكم في الأرض والسموات
  - (٥) ضرب الأمثال لما سلف من القسمين وإيضاح الطائفتين الكافرة والمؤمنة
  - (٦) تقسيم المؤمنين من حيث النظرا إلى ﴿ قسمين ﴾ علماء محققون ، وصالحون متقون . ثم تقسيمهم من حيث العمل إلى ثلاثة أقسام
  - (٧) وصف الكأس التي يتجرعها الكافرون والتي يشربها المؤمنون والثمرة التي جنيها من جنة عالية أو نار حامية

### ﴿ المقصد الأول ﴾

قال تعالى - الحمد لله فاطر السموات والأرض - إلى قوله - وهو العزيز الحكيم - . فطر الله السموات والأرض وأبدعها بلامثال احتداه ولا مرشد هداه وفصل العالم ﴿ نوعين ﴾ حسيا يراه المبصرون . وعقليا لا يدركه إلا المستبصرون من ملائكة ذوى أجنحة تقويها على أن تصعد إلى العلا وتنزل إلى الثرى لتنظيم العوالم ووحى الأنبياء وإلهام العلماء وإنذار الألباء وتذكير الصالحاء وتبشير الأتقياء وكم له من نعمة يزيد بها درجة يرسلها حتى رأينا المحسوسات من الماديات يمتاز بعضها بجمال وآخر بقوة وساطان وآخر بعبالة الجنان كما نرى من الفرق بين الكوكب والدر والحصى والصخر والفيل والذئب والبر والبحر والنخلة والقطير والتمر والنقير . ذلك لأنه يزيد في الخلق ما يشاء . وإذا منح من لدنه رحمة جرت إلى مداها وإن أمسك فمن ذا ينالها أو يراها ؟

### ﴿ المقصد الثاني ﴾

قال تعالى - يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم - إلى قوله - فأني تؤفكون - ما أظهر مراد هذه الآية وما أسهل فهمها على المبتدئين

### ﴿ المقصد الثالث ﴾

قال تعالى - وإن يكذبوك - إلى قوله - وإلى الله ترجع الأمور - يقول لئن كذبتك الجاهلون فكم

من نبي كذب ورسول أودى فصبر فرجع الأمر لله فكانت عاقبته النجاة وعاقبتهم الهلاك والعذاب

#### ﴿ المقصد الرابع ﴾

قال تعالى - يا أيها الناس إن وعد الله حق - إلى قوله - إن ذلك على الله يسير - أبان في مبدأ القول نظام العالم اجبالا وأن منه محسوسا ومعقولا وغائبا ومشهودا . وطلب شكر النعمة والحمد على افضاله وطيب قلب الداعي عن بصيرة ليشرح فؤاده . ويوضح مراده . أخذ يذكر الناس بآيات الأنفس والآفاق ويقول لا يغترنكم القريب العاجل . ولا يحجبكم بهرج زينة الحياة عما وعدناكم بعد الممات . وإياكم أن تغتركم العاجلة فتذروا الآخرة . وإياكم أن تقرّبوا الشهوات فما أشدّ سعيها وما أكثر ضررها . وهل يستوى من استحسن قبيح الذنوب ومن أدرك ما فيها من العيوب . كلا . ألا إن القدر عمّ كليهما والقضاء سجل كليهما فلا تهلك نفسك من الحسرة ولا تسكن جزعا بالمرّة . فاذا خلصت السرائر وتركّت القلوب ونارت الضمائر فما أحرأها أن تنظر السحب وعجائبها وكيف تسيرها الرياح وتزجرها وتسقي الأرض فتنبت أشجارها وتغوزر عها . ذلك عجب نقش على طرسه ونطق لسان حاله بوصف الله بالحكمة البالغة والقدرة الشاملة وأن لا تعجزه الرمم البالية أن يردّها حية صالحة وكيف لا يقدر على إحياء الأموات من أحيا الأرض الموات . إن في ذلك لآيات . فمن اشرب إلى العزّ فكيف يطلبه من سواه . أورام الشرف فمن ذاب به إلا الله . وهل لغيره عزّة فيعطيه أو ممالك من نفسه فيهب منها ويسديها ؟ فاطلب العزّة بالعلوم وفهمها والأعمال واتقانها . والعلم بلا أعمال أشجار بلا ثمار . الإيمان صاعد لله والعمل الصالح يقوى دعائه ويثبت فضائله إلا أن العمل الصالح يرفع الإيمان وبهما يسعد الإنسان . وإذا كان الطين والتراب ترقيا بالأسباب وصعدا بالاصطناع إلى أن صار ذكرانا وإناثا وبنين وبنات ونساء والذات وعقولا فاضلات فهكذا ترقى النفوس إلى الملك القدوس وتصعد الأرواح إلى معارج الفلاح

#### ﴿ المقصد الخامس ﴾

قال تعالى - وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - إلى قوله - فكيف كان نكير - . لما أبان سبحانه المؤمنين والكافرين وحكم بطلان مكر أحدهما وفساده ورفع أعمال الأول ورشاده أتبعه بضرب الأمثال كما هي سنة القرآن ف ضرب المثل تابعا لبيان الحقيقة ولا نارة الحجّة فشبههما بالبحرين هذا عذب فرات يكسر العطش بعذوبته وهذا ملح أجاج يحرق بملوحته ومن كليهما نصيد السمك وفيهما تسير السفن ونفوس على الدّر وهكذا . هما يشبهان في ذاتهما الأعمى في الضلالة عن طريق الرشاد والبصير في الهداية وصفاتهما أشبه شئ بالظلمات والنور وداراهما في المآل كالظل الظليل وحر السموم . ثم ارتقى إلى نهاية التمثيل وغاية التحقير والتبجيل فسماهما أحياء وأمواتا ورتب عليه أن قال - وما أنت بمسمع من في القبور - . ومن عجب أن يتخلل هذه الأمثال أمور ذات بال كالاستطراد بذكر الحلية ولبسها ولحوم السمك وأكلها وسير السفن وحملها والتجارة وعامها وشكر الله على نيلها ثم الانتقال من المسبب إلى السبب ومن السفلى للعلوى . فكم للسفن المواخر في البحار من علاقة بالكوكب السيار والفلك الدوّار . وهل تهبّ الرياح في البطاح إلا بارسال الحرارة الشمسية فتتمتدها وهي تسوق السفائن وقد انتفخت القاع وجرى السفين في البحر الملح أو النهر العذب وهما يجريان في مطارح شعاع الشمس والنجوم ولولا الحرارة لكان النهر ثلجيا والرياح راكدات والسفن راسيات غير مسافرات

فلذلك ذكر الابداع بإبلاج الليل في النهار وإبلاج النهار في الليل باقتراب الشمس وابتعادها فلقد يكون النهار ستة أشهر والليل مثله وقد يتبادلان الزيادة والنقصان من ساعة إلى يوم إلى أيام إلى شهور . ومن عجب



أن لا يزيد أحدهما إلا ما نقص من الآخر ولا يتساويان إلا في يومى الاعتدال كما أنهما متساويان على مدى الزمان فى خط الاستواء ، فالليل والنهار مستويان اذا حسبناهما على مدار السنة ومختلفان فى فصول الصيف والشتاء والخريف والربيع ، وهل لأحد غير الله فيهما من قطمير؟ ما أشد فقر الانسان بل هو أفقر الحيوان وسائر المخلوقات . إن الفقر للانسان مقصور عليه . فهذه البحار وحليتها والأنهار وسمكها والسفن وحملها والرياح وقوتها والعواصف وثورتها والكواكب ودورتها والشمس وحرارتها . كل ذلك يحتاجه الانسان وعلى المسلمين أن يعلموا ويعملوا ما يصلحون به حياتهم ويحبون قوتهم ويرفعون رؤسهم بين العالمين وهل بعد قول الله تعالى - وتستخرجون حلية تلبسونها - بناء الخطاب بيان ؟ لقد جهل المسلمون فى هذه الأيام معادن الشرف وأما كن الغنى والنعمة فناموا على وساد الراحة ولم يفكروا فى المرجان النابت فى قيعان البحار وغفلوا عن الدرّ المخزون فى أصدافه . وقليل من المسلمين اليوم من استيقظ لهذه الأفعال . فهذه المعاني هى التى تخللت خمسة الأمثال للفريقين المؤمنين والكافرين وهذه من أعاجيب القرآن ومن هنا فلتفهموا عجائبه ولتدركوا غرائب فلم يبق إلا تصوير حال المؤمنين لشدة العناية بهم

#### ﴿ المقصد السادس ﴾

قال تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها - الى قوله - ذلك هو الفضل الكبير - . هنا قسم المؤمنين الى طائفتين وأرجعهم الى قسمين فهم المفكرون والحكماء والمحققون الذين تغفلوا فى هذه العوالم فعرفوها وذاقوا لذة العلم واستحلوها وتبينوا اختلاف الأشكال والألوان وتفاوت الثمار وتخطيط الصخور فى الجبال وتباين أشكال الحيوان وعجائب النبات ودرسوا العلم وعقلوه فعرفوا الله ونصروه ، فهل يخشى الله سواهم أو يعرف مقداره إلا هم ؟ ومنهم الذين تلوا الكتاب وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأولئك هم الصالحون . والأولون هم العلماء الوارثون فأولئك أقرب الى الله فى عليين وهؤلاء فى رياض الجنة فرحين . ثم ان المؤمنين أجمعين إما سابقون عالمون متقون معلمون ، واما مقتصدون عاملون فى أكثر الأوقات . واما ظالمون مقصرون فى الأعمال . فهذا تمام الوصف الذى وصف به المؤمنون فلم يبق إلا ذكر الجزاء للفريقين من مؤمنين وكافرين وهو

#### ﴿ المقصد السابع ﴾

قال تعالى - جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - الى قوله - إنه عليم بذات الصدور - . وصف الجنة وحليها من أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ وحلل الحرير وما يعلنون من المسرة ويظهرون من الفرح واللذة ووصف أهل النار بالاستغاثة والاصطراخ وتبئيسهم من الرجوع للحياة الدنيا وتبكيهم بتقصيرهم أيام الامكان . ثم ختم السورة بجوهرتين زهراوين وياقوتتين جراوين من اتقان النظام واصطلاحه العام ومن تدمير الناس وافسادهم فى الأرض فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاء فى الأرض وما أجدرهم أن يتخلقوا بأخلاقه ويسيروا على الصراط المستقيم فانه عز وجل نظم جواهر النجوم الزاهرات والكواكب السيارات وربطها بأسباب وأرسل لها من لدنه رجة فأمسكتها ومجبة لحفظتها فدارت فى مداراتها وجرت فى أماكنها واجتذبتها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق (سماء علماء المحسوسات جاذبية) وتلك المواسك تمسكها لئلا تزول عن مداراتها وتختل فى نظامها ولولا ذلك لتفرقت أبدى سبأ وطاحت شذر مذر فباد الوجود وهلك الوجود وذلك قوله تعالى - إن الله يمسك السموات - الى قوله - حلما غفورا - وايضاح الجوهرة الثانية أن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام وبدائع الاتقان فاتخذوا الله أندادا وعبدوا أوثانا فباؤا بالغضب صاغرين ورجعوا بالملت محرومين واذا عاهدوا عهدا نبذوه وان حلفوا أن يتبعوا رسولا ان جاءهم لم يتبعوه وطباعهم الكبرياء وشأنهم الإباء فهلا ساروا

في الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعزّ منهم نفرا طعنهم الثرى بكلكله ومنّ قهم بطوله فتلك بيوتهم خاوية وجماعاتهم للأقدار جانية ألا ان عاقبة البغي لهم ودائرة السوء تدور عليهم ، ولولا رحة الله الواسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة ، ولكننا نؤخرهم الى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعم ، فليتمتعوا أياما في ساحات رحمتنا ، ولنورد لهم موارد الهلاك بعدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا في النظام وذلك قوله تعالى - وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض - الى قوله - إلا غرورا - وقوله - وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم - الى آخر السورة

### ﴿ آيات العلوم أربع عشرة ﴾

وهي قوله - الحمد لله فاطر السموات - الى قوله - فأني تؤفكون - وقوله - الله الذي أرسل الرياح - الى قوله - من قطمير - وقوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء - الى قوله - إن الله عزيز غفور - وقوله - إن الله يمسك السموات - الى قوله - حليما غفورا - وقوله - أوم يسيرا في الأرض - الى قوله - فإن الله كان بعباده بصيرا -

(العلوم) - علم الحساب والجو والرياح والزراعة وعلم الحياة وعلوم البحار والسنن وهي لا تسير إلا بعلم الفلك والهيئة والتقويم والتلغراف البري والبحري والهوائى ومعرفة الجاذبية العامة وجغرافية البلاد وتاريخ الأمم للاعتبار ، فهذه العلوم مما يجب وجوبا كفايا أشارت لها هذه السورة ، ولقد تركها المسلمون وقام غيرهم بها ، فالعذاب عليهم جميعا واقع في الدنيا والآخرة ماله من دافع مالم يسمعوا قول الناصحين وكل ملوم حتى يتم النظام العام في ديار الاسلام

### ﴿ آيات الأخلاق سبع ﴾

وهي قوله - يا أيها الناس إن وعد الله حق - الى قوله - أصحاب السعير - وقوله - يا أيها الناس أتمم الفقراء - الى قوله - والى الله المصير - وقوله - إن الذين يتلون كتاب الله - الى قوله - غفور شكور - الأخلاق تركية النفس من الرجس وتخليصها من الإثم واعتبار أن الحياة الدنيا طريق والآخرة مقر وأن على كل امرئ إثمه ، وأن يقوى المرء ارادته ولا يتكل على أحد إلا الله بالعمل الصالح ، فليذر المرء الكسل وليدأب في العمل وليخش الله وليقيم الصلاة اه

### ﴿ مقال عام في قوله تعالى - ما يفتح الله للناس - الخ ﴾

وفيه « مقامان » المقام الأول ، فيما يفتح الله به على الناس ، وهو إما فتوح باستخراج مافى العناصر الأرضية من منافع ومعائب . وإما بكشف خيرات كانت خافية على الناس في الطبيعة فظهرت لهم « المقام الثانى » ما يمسكه الله فلا يفتح الله للناس رحة بهم وهو أعلم بما ينفعهم . ففي المقام الأول « فصلان » الفصل الأول ، فيما فتح الله به على الناس باستخراج مافى العناصر الأرضية وذلك

### ﴿ جوهرة في قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحة فلامسك لها - ﴾

### ﴿ العناصر ﴾

اللهم إنك أبدعت نفوسا من النور وكونتها من الجبال فأشرقته وابتهجتها وبها أضاءت حواسنا واستنارت مدتنا وأشرق الأرض بنور ربها كما أشرق أرواحنا فالأرض مشرقة وأرواحنا مشرقة ولكن اشراق العوالم التى تحيط بنا على ﴿ قسمين ﴾ اشراق ظاهر تدركه الحواس واشراق باطن لا تدركه إلا العقول فأما الاشراق الظاهر الذى تدركه الحواس فقد اشترك فيه الحيوان والانسان . فأما الاشراق الباطن الذى اختص بالانسان فهو ما خزنته في عناصر المادة من النور المتراكم المتلاشى المستور عن أعيننا الخبوء الذى منعه عن الابصار



ولم تعد له للناس إلا بعد طلبه والجد في تحصيله وشوقت نفوسا ونفوسا الى استخراجهِ والاستضاءة به . ماذا تقول يا الله في عوالمك التي أحاطت بنا ، ماذا تقول في جمال رائع وحسن باهر . ماذا تقول وقد أودعت في هذه الدنيا عجائب وعجائب تحس بها حواسنا ولا تفقهها عقولنا إلا بعد النصب والتعب ونسمعك تقول - وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها - ونسمعك تقول أيضا - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب -

أنت وعدتنا أن نعرف وقرنت الوعد بأن أمرتنا بالحمد والحمد يستوجب معرفة النعمة ومعرفة النعمة لا تتم إلا بمعرفة سابقة ، فالمعرفة شرط للحمد فلا بد من المعرفة حتى يتم الحمد ، نحن نحمد على ما نعرف وهذه المعرفة تستدعي معرفة أخرى وهذه الأخرى يتبعها الحمد وهكذا معرفة معها جد يتبعها أخرى . إذن شرط المعرفة اللاحقة أن تنقدها معرفة سابقة تحت عليها ، فإذا لم تكن معرفة سابقة عدنا اللاحقة وهذه حال المسلمين في القرون المتأخرة ، نظروا الهواء والماء والملح فلم يظنوا فيها خيرا إلا ما تعرفه العامة ولم يبحثوا عن سر هذه المخلوقات مع أنك ذكرت في قصة سليمان المذكور في مقام آخر أنك سخرت له الريح . فلريح سخرت سليمان ثم قلت - وإن له عندنا للزاني وحسن ما ب - إذن الذي سخرت له الريح أعطاه الله زاني وأعطاه حسن ما ب . فلننظر في الهواء الذي به يكون الريح . نظرنا فوجدنا أن هذا الهواء مركب من نيتروجين وأوكسوجين ومعهما بخار الماء وكرบอน (خم) فلفظ نيتروجين كلمة انجليزية يرادفها بالفرنسية آزوت فهذان العنصران منهما يتركب الهواء والنيتروجين نحواربعة أخماس الهواء فكل أربعة أجزاء من النيتروجين معها جزء واحد من الاكسوجين . ومعلوم أن الاكسوجين أحد جزئي الماء أيضا

هذا النيتروجين الذي هو أهم أجزاء الهواء . ذلك الهواء الذي يحمل السحاب وبه تسير السفن في البحار ويهب على بيوتنا فيطرد المواد والحيوانات الذرية الضارة بنا وهكذا ينشروء الشمس على الأرض ولولاها لكان ضوءها خاصا بما يحاذي قرص الشمس وبه يكون لون الجو أزرق فلولاها لكان سوادا حالكا أقول : هذا النيتروجين الذي في هذا الهواء الذي هذه صفاته هو أهم جزء في حياة النبات وفي حياة الحيوان هو المكون لعضلات الحيوان ولأهم أجزاء النبات . فالهواء الذي أهمه هذا العنصر يحيط بالناس من يوم أن خلقوا على الأرض ولم نعرف عنه شيئا إلا ما ذكره الله في القرآن من أن الريح وهو الهواء المتحرك سخر لسليمان وقد مدحه الله ولم يذمه حتى إذا ارتقى الانسان وكثر علمه وازدهرت الأرض رأينا السباد الذي به يسمد الزرع أهم أجزاء هذا النيتروجين . وقد وفق العلماء في الدنيا لقتل الذرات المهلكة للانسان في الطاعون والأمراض والله رحيم فليس من المعقول أن يوفق الناس لتقليل الطاعون ثم هو لا يعطيهم غذاء . كلا . فإن هذه الأرض كلها مشرقة بنوره . فعقولنا من نوره والأرض مشرقة بنوره . هنالك بحث العلماء في الدنيا عن الأسمدة غير المعروفة لنا وهي فضلات الحيوان المشتملت على مقدار كبير من النيتروجين فإذا فعلوا ؟ وجدوا مناجم في (جزيرة شيلي) وفيها مادة تسمى (نترات الصوديوم) فهي مركبة من النيتروجين والصوديوم وقد استخرجوا منها (٧٠) مليون طن ولكن علموا أن هذا المورد قليل لا بد من فائه فمن أين يأتيون بالسباد الذي يكفي الأرض لأن نوع الانسان كثر والدواب كانت فضلاتها تكفيه قديما أما الآن فلا فإذا نفذت مقادير النيتروجين المركب مع غيره من جزيرة شيلي هنالك يكون حقا عظيم في العالم لا يقبله الماء والمطر بل يقبله السباد . هنالك وفق الله عالما ألمانيا اسمه (فرتزهابر) فقال في نفسه : نحن نحتاج الى النيتروجين ولولا هلاك كثير من الناس في المستقبل فهل من طريق بها نثبت هذا العنصر ونستخرجه من الهواء حتى تنمي مزرعاتنا به ، فكما نرى أن جزيرة شيلي فيها النترات أي مركبات النيتروجين وزبل البقر مثلا فيه ذلك . هكذا نراه في نفس الهواء وهذا مخزن لا ينفد . هنالك رجع الى الكهرباء وقال في نفسه :

ولابد من استخدام الكهرباء ، تلك الكهرباء التي لم تكن الى عهد قريب إلا مجرد لعبة وتسليه وهي التي لما خطب فيها (فاراداي) خطبة قالت له سيدة : « هب ان أبحاثك هذه وتجاربك صحيحة كما تقول فما الفائدة المرجوة منها عملاً ؟ فقال : إن قيمة هذه الاكتشافات هي كقيمة طفل ولد حديثاً لا حول له ولا طول ولكنه سيصير يوماً من الأيام رجلاً ذا بأس شديد ، ولما زاره (غلاستون) الشهير ومعه كبار رجال الدولة واطلع على أبحاثه سأله : ما الفائدة العملية من هذه التجارب . فأجابه قائلاً : لا يمضي زمن طويل حتى تجنى منه الدولة التي ترأسونها المبالغ الكثيرة من الضرائب . ولقد تحقق قوله ، فمن استخدمها في ارتقاء الصناعة والزراعة (فرتزهابر) الذي نحن بصدد الكلام عليه بعد ذلك بنحو قرن وهو في زماننا حتى يرزق فإذا فعل ؟ رجع الى الكهرباء التي جعلوا لها فرناً اسمه (الفرن الكهربائي) وهذا الفرن الكهربائي آلة غريبة بديعة مذهشة كأنها السحر الخلال ، فهو مبرد ومسخن ، أما التبريد فانه يبرد الغازات تبريداً يصير به تحت الصفر الى درجة (٤٥٩) ومعنى التبريد الى هذه الدرجة أن (فهرنهايت) الألماني لما وضع آلة مقياس الحرارة (الترمومتر) في مخلوط الملح والجليد هبط زئبقه (٣٢) درجة عن درجة الجليد فتوهم انه بلغ أدنى درجات الحرارة فدعا تلك الدرجة درجة الصفر ولكنه بعد ذلك ثبت أن الصفر المطلق هو تحت صفر فهرنهايت بنحو (٤٥٩) درجة . هذا معنى ما قلته لك أن الفرن الكهربائي يبرد الى هذه الدرجة التي هي غاية البرودة وبهذه الطريقة أمكن العلماء تحويل الغازات أجساماً صلبة ، وفي أمريكا يبردون الغازات التي تشبه الهواء فتجمد كما يجمد الماء بالتبريد ويبيعونها بمصر مثلاً

هذا هو التبريد ، أما التسخين فان الحرارة بلغت (١٤٠٠٠) فوق الصفر وهذه أعلى من حرارة الشمس (٣٠٠٠) درجة ، إذن الحرارة التي يتحكم فيها الصانع بالفرن الكهربائي نحو (١٤٤٥٠) درجة . فهذه الدرجات يتحكم الصانع في الأجسام لأن الحرارة تمنع تماسك الأجسام وتباعد دقائقها فتتحول الى بخار ثم ترجع الذرات الى عناصرها الأولية ثم تطير من تلك العناصر بعض ككهرباء لأن الأجسام كلها ترجع الى الكهرباء والجزء من تلك الكهرباء المحللة يعادل جزءاً من (١٨٠٠) من ذرة الهيدروجين ، وهذه أصغر وحدة في هذه الدنيا ، فهذا الفرن الذي هو أشبه بالسحر حولوا الكربون الى ألماس وحولوا الفحم الى الجرانيت المستعمل في أقلام الرصاص ، وهذا الفرن نفسه هو الذي استعمله (فرتزهابر) في استخراج النيتروجين من الهواء واستعمله بدل السماد الطبيعي من الدواب ومن جزيرة شيلي وبه أصبح العالم الانساني الآن لا يخشى من نفاد السماد من الأرض

ومن أعجب العجب أن ألمانيا في أيام الحرب انفصلت عن العالم فنع عنها (نترات شيلي) أي المركبات النيتروجينية الآتية من شيلي التي كانت تعتمد عليها في تسميد أرضها ، فلولاً استعانة هذا العالم بعلم الكيمياء بطريق الفرن الكهربائي وجعل هذا الغاز الهوائي جسماً جامداً تسمد به الأرض ما بقيت ألمانيا تدافع عن نفسها خمس سنين ، وهذا النيتروجين المركب كما ينفع سماداً ينفع في مركباته الكيميائية كالنشاير ومادة تسمى (النتريك) وما اشتق منهما في صنع المفرقات في الحرب ، فهذا النيتروجين نفع ألمانيا زمن الحرب في تسميد زرعها وفي قتال عدوها ، وبهذا العالم أمكنها أن تعيش خمس سنين وحدها منعزلة كما تقدم . هذا هو الهواء وفوائده التي تنفع في غذائنا وفي قتال عدونا فالأمر يرجع الى التبريد والتسخين ، فهذا غاز وبهذا الفرن يرجع جامداً بعمليات لا يصح ذكرها لصعوبتها ومثلها سهل : اننا نرى البخار أخف من الماء نحو (١٧٢٨) مرة والهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة ومع ذلك نرى البخار صارماً والماء صارتلجاً والثلج نخلطه بالملح فتنزل درجته فيكون أبرد . إذن البخار الذي هو أطف وأخف من الهواء صار صلباً هكذا هنا النيتروجين الذي هو جزء من الهواء الذي هو أغلظ وأثخن من البخار صار جسماً صلباً . فهذا أمر أمكن فهمه



لنا في هذا التفسير بدون أن ننظر القرن الكهر بائي . ومع صعوبة أذكر الطريقة اجاليا فوق ماضرته من المثل ليقرّب على الأذكاء فيفرحون بنعمة العلم فأقول :

طريقة ذلك انهم يطلقون الشرارة الكهر بائية في مزيج الاكسوجين والنيتروجين ( وعبارة أخرى ) في نفس الهواء لأن الهواء أهمّ أجزائه هذان العنصران ، فهذه الشرارة يتحدان أي تكون بينهما ألفة تامة كالألفة بين الاكسوجين والادروجين إذ يتكوّن منهما الماء ويقال لهذا المتحد هنا ( فوق أكسيد النيتروجين ) كما قيل فيما تركب من الاكسوجين والادروجين ماء فذا عوّل ( فوق أكسيد النيتروجين ) بالماء صار ( حامض النيتريك ) إذن النيتروجين عومل مرتين : مرة مع الاكسوجين ، ومرة مع الماء حتى صار حامض النيتريك . هنالك تستخدم الأفران الكهر بائية ويمرّ في أنابيب يحيط بها الماء البارد ويعامل بالجير ويباع الناتج في الأسواق باسم ( ملح النروج ) أو ملح الهواء وباللسان الكيميائي ( نترات الكاسيوم ) وهذه الطريقة تستعمل في البلاد ذات المنايع الكهر بائية الرخيصة كبلاد ( نروج ) التي تكثّر فيها مهبط الماء التي تستخدم في توليد الكهرباء من غير نفقات طائلة ، والشركات في بلاد نروج تستخدم في توليد الكهرباء قوّة نصف مليون حصان من القوّة بالاستمرار في تثبيت ( النيتروجين ) الجوى وأن الحكومة المصرية الآن تدرس مشروع توليد الكهرباء من خزان اصوان فاذا نجحت أمكن تثبيت نيتروجين الهواء بهذه الطريقة وتوفير مبالغ طائلة تستخدم بها الأيدي العاطلة

اللهم إنك أنت متقن الصنع مبدع ، أحسنت كل شيء ، من ذا كان يظنّ أن الهواء فيه أسمدة ومفرقات وآلات قاتلات ، من ذا الذي كان يظنّ أن القوّة الكهر بائية في السلك الكهر بائي الذي يحدث في الناس رعدة قد كانت محبوبة في أكثر المخلوقات وباستخراجها أمكن تسخير الهواء لتسميد الأرض فيغذى بها الزرع كما تغذى دماونا ! من ذا الذي كان يظنّ أن الماء المنصبّ من أعلى كماء الجنادل والشلالات في أعلى النيل يؤثر في حياة الشعب فيرفعها ، من ذا الذي كان يتفطن الى أن أجزاء الهواء يؤثر فيها الكهر باء فتتحد ومعاملتها بالماء وجريها في الأنابيب ومعاملتها أيضا بالجير تصبح ملحاً يباع في الأسواق يسمونه ( ملح الهواء ) إذن في الهواء ملح ، الهواء الذي يضرب به المثل في انه خال من كل شيء يستخرج الناس منه مادة يبيعونها جامدة نافعة . هذا هو الجلال الالهى والحكمة العالية اه

هنالك لما اطلع صاحبي العالم الذي اعتاد أن يخاطبني في هذا التفسير قال : إن هذا الموضوع قد وضع وضوحا تاما وقد كنت أقرأ مثل هذا فلا أفهمه وكنت أسمع أن الألمانين عندهم سبع معامل في بلادهم بها حوّلوا النيتروجين الى آلات مهلكات وأن تلك المعامل قد حوّلوها بعد الحرب الى مصانع للسجاد فكنت أعجب من هذا وأقول كيف يحوّل النيتروجين الى آلات مهلكة والى سجاد تسمد به أرضنا حتى عرفت الآن فله الحمد

هذا ولكن الآن أريد مسألة أخرى ، أنت ذكرت الملح أيضا مع الهواء ، فأنت شئ في الملح فوق ما قرأنا في هذا التفسير سابقا . فقلت له : فيه عجائب كثيرة بطريق الكهر باء . فقال : وما هذه العجائب ؟ فأنى والله لى شوق شديد لما تقول ، وإنما كان ذلك الشوق لأنى أدهش إذ أرى الهواء الذي يملأ هذا المكان يخاطبني الآن ويقول لى : أيها الانسان . أنا كما أجل لك الروائح الذكية لسرورك والحيثية لتحترس منها ، وكما أجل طلع الأزهار من ذكورها الى إناثها ، وأجل اليك كلام من يكلمك فتعقله وتفهمه هكذا أنا أدخل جسمك وجسم الحيوان فأغذيكم جميعا وأغذى نباتكم

هذا هو الهواء يحدثني عن نفسه ويقول : أنا أجل العلم في الكلمات اللاتي هن حركات تسمونها أتم أصواتا في . فهذه الكلمات أنا أجلها وأوصلها من العالم الى المتعلم . فأنا نعمة من حيث لقاح الأشجار وجرى

السحاب وسماع العلوم والأخبار . وفوق ذلك أنا أدخل في تركيب أجسام الأحياء فأكون لهم عضلات . قال صديق : فلما سمعت هذا من الهواء زاد تعجبي ودهشي . فرجع الهواء يقول لي أيضا : فإذا لم تعقلوا هذه النعمة فوالله ليحولن الله النيتروجين الذي في ويجعله آلات مهلكة لأجسامكم مخربة لمساكنكم كما خربت مساكن عاد وشمود

هذا خطاب الهواء لي الآن سمعته ، فهل تحدثني حديثا آخر عن الملح عسى أن أسمع عنه خبرا يسرني فاسمع خطابه لأن لذة الحياة أن نسمع خطاب هذه المخلوقات حولنا ، ومن لم يسمع مات أصم جاهلا وأكثر الناس صم بكم عمى فهم لا يعقلون . فقلت :

### ﴿ الملح وفوائده ﴾

إن الملح تقدم الكلام عليه في آخر ﴿ سورة آل عمران ﴾ وانه مركب من الكلور والصوديوم والكلور جسم رائحته مفسدة مميتة مهلكة ، والصوديوم تقدم وصفه قريبا في هذه السورة وهو جسم يحترق متى لامس الهواء فيتكونه في الماء ومنهما تكون هذا الملح ، فهذا الملح يكثر في ماء البحر وفي بعض طبقات الأرض ومتى مر التيار الكهر باء في محلوله المائي كما مر في النيتروجين مع الاكسوجين كما تقدم يخرج منه ثلاث مواد مهمة ﴿ أولا ﴾ الكلور ﴿ ثانيا ﴾ الهيدروجين ﴿ ثالثا ﴾ الصودا الكاوية

فهذه المواد الثلاث يستخرج الناس منها اليوم قناطر مئة نظرة كلها من نفس ملح الطعام المحلول في الماء ويظهر ذلك عند شلالات ( نياغرا ) بأمريكا . فقال : كلمة كلور كلمة غير معروفة عند قراء التفسير . قلت له : ولكن فوائدها عظيمة . فنها :

(١) انها تضاف الى ماء الشرب فتطهره من الجراثيم القاتلة لاسيما جراثيم الجى التيفوزية ، فقد كان هو السبب في منع انتشار ذلك الداء الفتاك ، وقطرة منه واحدة تكفي لقتل الجراثيم في ثمانين لترا من الماء (٢) ومنها انه أى الكلور يضاف الى الجير فيكون منه مادة تزيل مافى المادة التى يصنع منها الورق من الألوان ففسخها ويصير أبيض

(٣) ومنها انه يضاف الى مواد أخرى فينفع في الطب وهو ( الكلور فورم ) فيحدث التخدير فهو اذن قاتل الحشرات ، مبيض الورق ، مخدر الانسان في حال الأعمال الجراحية

(٤) ومنها انه هو نفسه غاز سام يستعمل في الحرب

(٥) ومنها انه يوضع مع مواد أخرى تكون منها غازات وأبخرة سامة

(٦) ومنها انه يدخل في الفرقعات

(٧) ومنها انه يدخل في تركيب المواد المهلكة للحشرات في فن الزراعة

سبحانك اللهم . تباركت يا الله . ملح الطعام الذى أماننا تأكله ونراه كل يوم يصبح مطهرا لشرابنا قاتلا للحيوانات التى تقتل آلاف الآلاف منا . الملح اذن قاتل للحيوانات القاتلات لنا ، مبيض لورقنا منظف له . مزيل الآلام عن جرحانا . مهلك للأعداء في الحرب اذ يكون غازا ساما أو بخارا متحدا مع مواد أخرى مخرب للباني . فهو يقتل الأعداء من نوع الانسان ومن الحيوان محافظة على سلامة الأبدان . فقال صاحبي زدنا من هذا

فيسعد حدثنا بأخبار من مضى \* فأنت خبير بالأحاديث ياسعد

نحن عرفنا فوائد الكلور الذى هو أحد جزئى الملح . فما فوائد الهيدروجين . وما فوائد الصودا الكاوية التى حللناها من الملح مع ماذاب فيه من الماء . فقلت :



### { الهيدروجين }

أما الهيدروجين فانا اذا أحرقناه في الهواء فإنه يتحد بالأكسوجين ويتكون منهما الماء ويبقى الاوزون أى النيتروجين ويتحد هذا الغاز الأخير بالهيدروجين في أحوال خاصة فيتولد من اتحادهما غاز (النشادر) المستعمل في صنع الجليد

فلما سمع صاحبي ذلك قال : مامعنى هذا ؟ قلت معناه اننا لما أمررنا التيار الكهر بائى بالملح المذاب في الماء وانفصل الكلور والهيدروجين والصودا الكاوية أخذنا ندرس الكلور فعرفنا صفاته وفهمناها . قال نعم . قلت : فأما الادروجين فهو أحد العنصرين اللذين يتكون منهما الماء فلما أحرقناه في الهواء والهواء فيه الاكسوجين أيضا وجد في الهواء حبيبه . فقال مامعنى هذا ؟ قلت انه وجد في الهواء حبيبه وهو أكسوجين الهواء كما قال الشاعر

جمع الهواء مع الهوى في مهجتي \* فتكاملت في أضلئ ناراني  
فقصرت بالممدود عن نيل المنى \* ومددت بالمقصود في أكفاني

فقال مامعنى هذا . قات : سافر الشاعر الى محبوبة في سفينة فقاومه الهواء الجوى ولم يسعفه فمات بسبب الهوى المقصور بعد ما عاقه عن الوصول الهواء الممدود لأنه لم يصل لمحبوبة . ثم قلت : فهكذا هنا الهيدروجين قبل أن نحرقه في الهواء . نظر فوجد محبوبة الذى يتحد به عادة وهو الاكسوجين مقيدا في الهواء مع النيتروجين فظن انه سيعيش في حسرة ولوعة وقد عاقه الهواء عن حبيبه فلما أحرق في الهواء وجد الفرصة سانحة فاتحد مع حبيبه وكونا الماء مرة أخرى . فالهيدروجين قبل الاتحاد أصبح كأنه مد بالكفن بسبب الحب وأن غاية العاشق أن تتحد روحه بالمحبوب . فأما الشاعر فإنه مات بسبب الفراق . فاتحاد الروحين مطلوب الحب كما قيل

أعانقها والنفس بعد مشوقة \* اليها وهل بعد العناق تدانى  
وألم فاها كي تزول حرارتى \* فيزداد ما ألقى من الهمان  
كأن فؤادى لبس يشفى غليله \* سوى أن يرى الروحان يتحدان

فالهيدروجين هنا كان كأنه في كفن قبل الاتحاد الذى هو المطلوب للمحبة وهذا المعنى آخر ما قرره العلامة الشيرازى في الأسفار

فقال هذه المعاني أدبية فانرجع الى ما نحن فيه . فقلت نعم : لما اتحد الهيدروجين بحبيبه وهو الاكسوجين اعتزلهما العذول وهو النيتروجين . والنيتروجين نفسه يتحد بالهيدروجين بشروط خاصة فيكون منهما النشادر المستعمل في صنع الجليد

فقال صاحبي : الله أكبر . إذن الهيدروجين الذى هو أحد عنصرى الماء ان اتحد مع الاكسوجين صار ماء وان اتحد مع النيتروجين صار نشادرا . قلت له نعم . وأهم فوائد النشادر أن يستعمل في تحضير السماد للزرع . فن مركباته كبريتات النشادر ومنها فصفات النشادر . وهذه المركبات ترسل الى البلاد الزراعية كمصر تغذى شجر القطن . قال : حسن . إذن الملح الذى حللناه بالكهرباء أفادنا السبع الفوائد المتقدمة ثم أفادنا النشادر الذى فيه النيتروجين سمادا للزراعة وهذا ثامن الفوائد . وهالك تاسعها وهو :

ان القطن اذا أصيب بأمراض يظهر بمواد كيمياوية مثل مادة زرينيخ مركب مع الكالسيوم وهذه المادة لا تحضر إلا بواسطة الكلور المتقدم . وعاشرها أن القطن بعد غزله يحتاج الى ما يقصره أى يبيضه . ولا سبيل لذلك إلا بغاز الكلور أو بمسحوق آخر يدخله الكلور . وحادى عشرها أن الناس في حاجة الى جعل خيوط القطن لامعة كالحرير . ولا سبيل الى ذلك إلا أن تعالج بمحلول الصودا وهو المادة الثالثة التى حصلنا عليها لما

سلطانا الكهرباء على الملح كما تقدم فيصير القطن بهذه الطريقة أبيض ناصعاً برّاقاً . وثاني عشرها : إذا أردنا صوغ القطن بالسواد أو بغيره من الألوان استعملنا أصباغ القطران وهذه الأصباغ لا تحضر إلا إذا كان من عوامل ذلك العمل (غاز الكلور)

فهذه اثنتا عشرة فائدة انتفع بها الناس وكلها ناجمة من الملح وحده ، ذلك الملح الذي يأكله الناس وأكثرهم لا يعقلون إلا ما تحسّ به حاسة الذوق للطعام لا غير  
تباركت يا الله ، جال بديع وحسن وبهجة في هذا الوجود ، ملح منبوذ ، قليل القيمة ، كثير الوجود لا يابى له الناس نستخرج منه هذه الفوائد ، فهو يقتل الحيوانات الذرية القاتلة لنا ، ومنه غاز لا يهلك العدو ومفرقات ، وهو منظم مبيض للقطن الخ وهكذا الصودا التي جعلت القطن أشبه بالحرير - فتبارك الله أحسن الخالقين -

فقال صاحبي : هذا جيل وجيل ، فهل من معدن آخر تصفه لنا . فقلت : لم يبق في ذا كرتي إلا  
(الالومنيوم)

هذا المعدن كان يستخرج قديماً من (ركازة) بواسطة فحم كوك فكان يعسر تخليصه من مركباته فكان الرطل منه يباع بنحو (٢٨) جنيتها ولكنه لما ظهر شاب أمريكي فقير يسمى (هول) ولم يصل سنه الى (٢٣) سنة من العمر حتى كشف طريقة لاستخلاصه من ركازة بأن ساط عليه التيار الكهربائي فأنحلت الكتلة الى أكسوجين وألومنيوم كما ينحل الماء الى أكسوجين وأدروجين ، وهذا الشاب الفقير قبل كشف هذه الطريقة لما مات سنة ١٩٢٤ ترك ثروة تقدر بالآلاف الآلاف من الجنيهات . وسبب ذلك أن الالومنيوم له هذه الصفات

- (١) هو معدن متين
  - (٢) لذلك تصنع منه أواني الطبخ والمائدة
  - (٣) ويقوم مقام النحاس في أعمال الكهرباء
  - (٤) يجعل في الطائرات والسيارات
  - (٥) تجعل منه صفائح للتفويض لأنها تحفظ بريقها ولا تسود كما تسود الفضة في الهواء
  - (٦) مسحوقه يستعمل في بعض الزيوت كدهان للحديد لمنع صدئه
  - (٧) يركب مع النحاس فيكون معدناً ذهبياً إذ يكون سبيكة من النحاس والالومنيوم لها مظهر الذهب ولا تصدأ بالهواء
  - (٨) والالومنيوم إذا خلط مع القصدير يستعمل بدل النحاس وهو أفضل منه لأنه أخف وزناً وأقل تلفاً
  - (٩) الالومنيوم يستعمل في لحم المعادن ، وكان ثمن الرطل الواحد (٢٨) جنيتها قبل الكشف المتقدم كما قدمنا فأصبح اليوم (٥) قروش
- فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا جيل ، انه جيل جداً أن يصبح الهواء ويصبح الملح عجائب سحرية تدهش العقل وهكذا الالومنيوم ، فإذا نقول الآن في أمة الاسلام التي قلت فيها العلوم ؟ قلت : أمانة الاسلام التي قلت فيها هذه العلوم فإن أمرها لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال : اذن أنت تريد أن نقول ان الأئمة آثمة بترك هذه العلوم بعد ظهورها لهم . قلت أوتشك في ذلك ؟ أأنت تتذكر أن هذه فروض كفاية ، ولقد ذكرتها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب . ألم تقرأ ما نقلته عن (جمع الجوامع) وعن الاحياء للغزالي وهذا اجماع علماء الاسلام . فهذه علوم واجبة وتركها حرام يورث عذاب الخزي والذل في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون



قل هذا أعرفه ، ولكن أريد ضرب مثل توضح به هذا التحريم . فقلت : ماذا تقول في عناية الله عز وجل بحياة الناس وأموالهم ، ألم يأمر بقتل القاتل ، وتغريب الزاني وجلده أورجه ، وقطع يد السارق . أليس ذلك كله محافظة على الأنفس والنسل والمال . قل بلى . قلت : فإذا قطع اليد على ربع دينار أفليس هذا معناه انه يريد المحافظة على أموالنا كما حافظ على أنسابنا ونفوسنا . قال بلى . قلت : فلو أن لك أبناء عدة وسلمت اليهم أرضك ليزرعوها ، ثم قلت لهم من أخذ من أرض أخيه زرعا يساوى (٢٥) قرشا آذيته أذى كثيرا لحافظ أبنائك كلهم على ما أعطيتهم من الأرض وغرسوا فيها الحدائق والجنات والزرع ، وبقي لك ابن واحد فترك أرضه بلا زرع ولا عمل حتى صارت وحوشا يبابا ، فإذا تفعل بابنك ؟ ألسنت تسأله وتقول له لم أهملت أرضك ؟ أفلمست اذا قل لك يا أبت إني امتثلت أمرك فلم أسرق زرع اخوتي فكيف تغضب علي ؟ ألسنت إذن تقول له : يا بني أنت ولد شؤم ، أنا قلت لكم فليعاقب من أخذ دريهمات من مال أخيه حرصا على أموالكم جميعا . فهم لما رأوني حريصا على ثروتهم زادوها لأنهم علموا اني محب لثروتهم وغناهم بسببين **السبب الأول** اني حرمت عليهم أن يأخذ أحدهم مال الآخر **السبب الثاني** انهم رأوني سلمت لهم الأرض . فتسلمي الأرض لهم معناه الرغبة والمحبة لهم أن تمول زروعاتهم . فأما أنت يا بني فلم تفهم واقتصرت على عدم الأذى ولم تراعي نعمتي ولم تستثمر أموالى ومثلك جدير بالطرد والحرمان فلا آمن اخوتك أن يملكوا أرضك ويستعملوك فيها فتكون عاملا تأكل بعرق جبينك وهم للأرض مالكون

أفلمست تفعل ذلك مع ابنك الذى ترك نصيبه من الأرض التى وهبتها له فعطل الأرض وعطل مواهب جسمه . فلا هبتك من الأرض قام بحققها ولا مواهبه الله من الحواس والأعضاء قام باستعمالها فهو مطرود مبعد منك ومن الله . أليس كذلك ؟ قال بلى . قلت : فهذه حال بعض المسلمين اليوم مع الله . فالله أعطاهم أرضه فتركوها وناموا فتركوا نعمها فلم يستعملوها فألهم أمما أن يستخدموها في أرضهم التى ملكوها

الحق والحق أقول ان الأمم الاسلامية اليوم إن لم تقم بما قلته في هذا التفسير ليكون هذا القرن آخر قرونهم ويهلكون ولا يترك الله أرضه في أيديهم بل يحرمهم من الهواء ومن الملح ومن الماء تلك التى استخرج الناس منها هذه المجائب التى يقول الله فيها هنا - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -

يا الله : إنا نحمدك . عرفنا نعمك وفهمنا قولك وشاهدنا صنعك وهأنذا يا الله أكتب هذا للمسلمين وهأنذا تارك الأرض وذاهب اليك

فقال صاحبي : أنت ذكرت مواهب الأرض . فما للهواء والماء والملح مثلا كيف يحرمهم منها . قلت : الأرض ضربتها مثلا ولكن الهواء والملح والماء وأمثالها جهلها بعض المسلمين كما جهلوا نعم الأرض . فإذا كان الله أمر أن من قتل يقتل . أفليس هذا محافظة على أرواحنا كما قدمت . قال بلى . قلت : وأنت اذا رأيت ابنك جالسا وأمامه نار تحرق بيوت وقصور أبنائك ثم هو أمامه صنوبر يمكنه أن يفتحه وعنده مضخة عظيمة وهى الآلة الماصة الكابسة التى يمكنه أن يطفى بها النار فلم يفعل ذلك حتى احترقت تلك القصور والدور فلم يفعل ابنك شيئا من ذلك . أفلمست تكرهه . قال بلى . قلت حسن . هكذا فعل الله مع المسلمين . هذا الكلور وهو فى ملح الطعام أشبه بالآلة التى تطفى النار فهو قتل للكروبات فى حى التفوذ كما تقدمت والمسلم قد سمع هذا أقرب به فى هذا التفسير . أفليس اذا ترك هذه العلوم يغضب الله عليه بل الغضب هنا أشد لأن غضبك لأجل نفوس أبنائك وهم يعتدون على الأصابع . أما هنا فهى لمنافع أمم وأمم جيلا بعد جيل وأنا موقن كل الايقان أن هذا التفسير متى انتشر هو وأمثاله يهبط المسلمون مرة واحدة لحوز هذه العلوم واذن تصبح الكرة الأرضية لها شأن غير شأنها بالأمس . فقال وماذا يصنع المسلمون اليوم وكثير منهم عندهم محتلون لبلادهم . فقلت : إن أكثر بلاد الاسلام اليوم مستقلة اليمن والحجاز مع نجد وبلاد الفرس والأفغان

وأماها فهو لاء من قرأ من هذه الأمم هذا الكتاب وفهمه هو أو أمثاله وجب عليه أن يعلن الفكرة في بلاده بأى وسيلة كانت بل يجعل حياته وقفا عليها ويحمل حكومته على الإسراع بإرسال تلاميذ حالا لدرس جميع العلوم كما فعلت اليابان ويرسلهم للأمم المختلفة للأمم واحدة ، وهكذا يجب على الأغنياء أن يرسلوا أبناءهم على حسابهم ويدرسوا تلك العلوم ثم يفتحون المدارس في بلادهم كما فعلت اليابان كما قدمنا . فأما الأمم التي احتلتها الأجانب فإن كانوا مستعبدين جدا فكلأى هذا لا يصل اليهم وان وصل اليهم فهم لا وقت عندهم لفهمه فأما الأمم التي احتلتها الأجانب ولأبنائها ذكاء فليكونوا جمعيات ويرسلوا أبناءهم في بلاد مختلفة لتعلم العلوم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فلما سمع صاحبي ذلك قال عرفنا جمال العلم والحكمة الناتجين من الهواء ومن الملح اذا سلطنا الكهرباء عليهما وعرفنا أن المسلمين متى قرؤوا هذا أسرعوا اليه وان قصروا أذنبوا ولكن هذا المقام مقام غزير الفائدة جليل العائدة ، فهل لك أن تأتي لى بمثال غير ما تقدم لأننى أحسّ فى نفسى بنور واشراق وبهجة حين أسمع هذا القول منك وأنا موقن أن الناس اذا قرؤوا هذا الاسلوب الذى يفهمونه زاد تعجبهم وفهمهم وارتقت بلادهم . فقلت إن المقال قد طال . فقال . كلا . إن هذه الآية تجمع العلوم كلها فليس يبدع أن تربينا منه زهرات نشم رائحتها ونبتهج برآها وتنشرح بها صدورنا ، فان العلم على هذا الاسلوب نعمة ورحمة وبشرى وإبهاج لنا وروح وريحان وجنة نعيم ، إني أحسّ بنعيم فى نفسى حينما أسمع هذا الشرح والبيان نعم أنت لست من الاخصائيين فى هذه العلوم ولكن هذا التعبير أحسن فيه بنور وانشرح صدور فزدنا منه زهرة أخرى واجن لنا من بساين العلم ثمرة أخرى لتكون لنا نورا وسرورا وبهجة وجالا . فقلت : ألم تسمع بنبا أدهش العقول وهو :

### ﴿ زجاج بلاس ﴾

فقال زجاج بلاس ! وما هو ذا زجاج بلاس ؟ فقلت زجاج بلاس زجاج له صفات غريبة وسيملأ الأرض قريبا . فقال صفه لى . فقلت :

- (١) هو زجاج قريب فى منظره من زجاجنا
- (٢) زجاجنا سريع العطب ، أما هذا الزجاج الحديث فانك اذا ألقيته على الأرض وأردت كسره فانه لا ينكسر ، ولو أتيت بفأس أو قادم ثم أخذت تضربه فانه لا ينكسر مهما أوتيت من قوة ، وانما يتشقق ويتحطم أما الكسر فلا ، فقال هذا عجب
- (٣) وهو تدخل منه الأشعة التى هى فوق البنفسجية من الشمس ، ومعلوم أن تلك الأشعة لها مزية كبرى فى الطب وزجاجنا العادى لا يسمح بدخولها ، ولقد علم الناس أن عند بعض الناس نوعا من الزجاج يدخل الأشعة فوق البنفسجية وهو غال جدا ، ومعلوم أن الزجاج المعتاد مصنوع من المواد الرملية مع نحو البوتاسا والرصاص ، فأما الزجاج (بلاس) الجديد فانه من مواد أخرى ولكنها قليلة الثمن
- (٤) يصنع من هذا الزجاج ألواح على صورة قشر السلحفاة وعلى شكل الرخام ، ويصنعون منه أقذاح الشاي وأقذاح الماء فلا تحطم ولا تنكسر ، وقد صنعوا منه (القلم الأمريكى) وجهاز اللاسلكى والاسطوانات ، ولا جرم أن القلم الواحد منها يكفى الانسان طول حياته
- (٥) وسيصنعون منه نظريزا للشباب فان هذا الزجاج يسهل تلوينه ، فاذا نغمست إبرة فى هذا المحلول ونقشت بها الثياب صار لها منظر جميل بهيج بلا مشقة فى العمل . وهناك شركات تقوم بتجارب فى



الملابس وتطريزها بهذه المادة الزجاجية الجديدة . وهناك شركة لها مصنع كبير في ضواحي مدينة (نوتجهمام) ولها مصنع آخر تام المعدات في (مدينة فينا) بالتمسا ، وهذا المصنع عجز عن الطلبات المقدمات له لأجل ألواح النوافذ ونحوها والأدوات الداخلة في أعمال الكهرباء

(٦) إن المخترع لهذا الزجاج (المستر بالي) أستاذ الكيمياء بجامعة ليفربول هو ونجله

هذا هو الذي أردت أن أخطبك فيه الآن ، أفلاترى بعد هذا أن نوع الانسان لا يزال طفلا ، فاذا كان هذا العالم وابنه سيقلب عالم الصناعة بعمل جيل أجل من الزجاج الذي نعرفه ، أفليس معنى هذا أن هذه الانسانية طفلة الآن وان تكون كاملة إلا اذا استخرجت القوى من جميع العقول والقوى من جميع المواد حولنا . أيها الناس : أتمم جميعا في حاجة الى علماء يحولون عقولكم عما أتمم عليه من استعباد بعضكم بعضا الى استخدام جميع العقول الأرضية في استخراج جميع المنافع المادية والمعنوية

هذه الأرض مملوءة بالجمال ولكن أهلها لا يزالون أطفالا فاذا داموا على قولهم شرقي وغربي وقوى وضعيف فهم جميعا على خطر يجب على جميع الناس في الشرق والغرب أن يتعاونوا على استخراج عقول كعقل (المستر بالي) ، وليس (المستر بالي) لا نظيره بل في بلاد افريقيا وآسيا وجميع الأمم عقول فيجب استخراجها لتستخرج ثمرات الأرض . إن أهل الأرض جميعا مقصرون ولا سعادة لهم إلا اذا ارتقت جميع العقول والمواهب فاستخرجت جميع المنافع في الأرض لأن ربنا واسع وعليم وخلق لنا عقولا وقال اعملوا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### ( مسامرة )

ثم قلت : هل لك أن أحدثك حديثا غراميا هو أليق بهذا التفسير ليكون ترويحاً للنفس وتنويعاً للفكر وانشراحاً للصدر . فقال : إن ماتقدم لانسام منه النفس . انه بهجة ونور وانشراح صدر لانسام منه النفوس ولا تأف من الاطالة فيه الطباع . فقلت : ولكن اذا تفننا في الحديث (والحديث شجون) كان ذلك أعون على الدرس وأسرع للفهم وأصفي للذهن وأقرب لانشراح الصدر . فقال : أحب ذلك . فقلت : إن هذه المحادثات الصناعية العلمية التي ذكرتها بمناسبة قوله تعالى - مايفتح الله للناس - الخ قد كنت أحدثك بها وأنا أشبهه بأهل الحب الجسمي والغرام لأن الحب ينبع الجمال والجمال جسمي وروحي . فالجمال الجسمي في الأنف والفم والحد والعين وحسن انساقها وجمال تركيبها . قال نعم . قلت وهذا الجمال الانساني في الوجه اذا ساعده حسن الصوت وجمال الرائحة ونور العلم وبهجة الأخلاص والذكاء والحلم كان هذا المحبوب مما لا يطاق فراقه . قال نعم . قلت : ومعلوم أن كل جيل في الأرض لم ينل كل هذه الصفات . والجمال الظاهر - كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا - . قال نعم . قلت ولذلك تجد الشاب بعد الوصال بزمان معلوم يرى أن بهجة الجمال تغيرت وأخذت الزوجة ترضع ولدها وهو مجتهد في طلب الرزق وينقلب الحب اللفظي الظاهري الى حب قلبي هو حب المنفعة والاتحاد في أمر الحياة . قال نعم . قلت : ومعلوم أن العالم محبوب والشجاع محبوب والمحسن محبوب وحب العلماء لا يزول لكن حب المعشوق لظواهر الجمال يتغير سريعا على مقتضى تغير الجمال . قال نعم . قلت : إذن في الأرض عقول تعشق العلم وتعشق العلماء ومنهم من يعشقون خالق العلم والعلماء لأنهم اذا رأوا جلالا في الوجه أوفى العقل أوفى الخلق . قالوا إن مبدع هذا الجمال أجل من هذا جلالا لم نره

فالليث وان لم ألقه فقد تصوّرت خلقه \* والبحر وان لم أره فقد سمعت خبره

والأذن تعشق قبل العين أحيانا . قال نعم . قلت : بعد هذا أقص عليك قصصا جرى في أيامنا وهو خبر

(فون شونبرج) ومحبوبته (ستوستود) . قال فما خبرهما ؟ قلت : يحكى فى أيامنا هذه أن (شونبرج) منذ ثلاث سنين من تأليف هذه المقالة أثناء طبع هذه السورة ذهب الى (نيويورك) بالممالك المتحدة فيينا هو سائر فى المدينة إذ رأى صورة فتاة من الصور التى توضع على الحائط عادة فى جميع العالم . وكانت هذه الصورة فى معرض الصور فما وقعت عينه على هذه الصورة المعينة حتى ذهل لمرآها وتعجب من جمالها ، وهو رجل عنده لقب (كونت) ومثل هذا لا شئ يشغله عن المناظر لكثرة المال عنده ولم يجد دليلا يدل على اسمها ولا صفتها ولا أحوالها فأخذ يضرب فى الأرض شرقا وغربا وهذه الصورة لاتفارقه فى جميع أحواله و بينما هو صرة فى (برلين) بألمانيا إذ رأى نفس الصورة التى كان رآها فى (مدينة نيويورك) فلهبت المحبة فى قلبه وزاد الغرام والهيام وأنشد قول ابن الفارض

ما بين معترك الأحداق والمهج \* أنا القليل بلا إثم ولا حرج  
ودعت قبل الهوى روحى لما شهدت \* عيناى من حسن ذاك المنظر البهيج

وقد زاد به الغرام واشتد به الهيام حتى صار يغدو ويروح كل صباح على هذا المعرض ببرلين ويقف أمام الصورة كالعابد أمام محرابه فيقف جامد الحركة لا يسمع له صوت ولا ينبس ببنت شفة مبهورا متغير اللون ، مشغول اللب ، مكلوم القواد ، فيينا هو على تلك الحال إذ سمع رجلا يقول : « ما أشبه هذه الصورة بصاحبتها » فتقدم الى المتكلم وسأله عن اسمها فقال اسمها (ستوستود) من مدينة نيويورك فأسرع الى نيويورك وخطبها من أيها فردة أهلها بلطف ، أما هى فلما رأت إلحاحه رحلت من البلاد وفرت الى أوروبا فسافر هو معها ولم يفارق كل قطار يستقل بها أو بلدة تدخلها أو فندق تأوى اليه أو سفينة تقلع بها ، وكانت بلادنا المصرية خاتمة المطاف فقد جمعهما فى النيل زورق وهما قد ذهبا معا من اسوان الى الشلال ، فأما هى فهذا رأيها ، وأما هو فأنما هو تابع لها . هنالك أذن الله للعاشق أن ينال ما طلب فاتفقا معا على الزواج ونال العاشق مراده اه

فقال : هذه نادرة عجيبة وماذا تريد من هذه القصة ؟ قلت : إن هذا منطبق على هذا النوع الانسانى مع هذا العلم الجليل وصانعه الحكيم . إن الله فعل مع الناس ما فعله المصورون مع الناس . ألم تر أن الله قد ملأ أرضنا وسمواتنا بالصور الجليات فى الشمس والأقمار والكواكب وكل معدن ونبات وحيوان . ألم تكن الأرض أشبه بما ورد فى الآثار من أن هناك يوم القيامة سوقا تباع فيه الصور . قل نعم . قلت : فهذه أرضنا سوق تباع فيه الصور . ومن أراد صورة نالها . إن (فون شونبرج) لما رأى الصورة أغرم بها . لماذا ؟ لأنها موافقة لمزاجه وقدر رأى آلاف من الناس هذه الصورة كل يوم فلم يغرموا بها ولم يبحثوا عنها لأنها لا تناسبهم إذ ليس كل جيل يناسبنى . ولولا أن هذه الصورة جيلة لم تعلق فى ذلك المكان . إذن كل صورة هناك جيلة ولكن الطلب راجع الى الذوق والمناسبة بين العاشق ومعشوقه . هكذا الله سبحانه أبرز صور هذه الدنيا الجيلة فجعلها منشورة أمامنا لم يحجبها ولم يمنعها وقال : - هاؤم اقرؤا كتابيه - وانظروا فقرأنا . فكل من أدركت نفسه جالا فى عالم من عوالم المادة بحث فيها واستخرج للناس فوائد لها . فهذا العالم الذى صنع (زجاج بلاس) وهو الزجاج الحديث القوى المتين . رأى مواده وهو فى مصنعه يظفر بياله أن يستخرجه لأن هذا الجال ملائم لعقله ولكن الصور الجيلة الإلهية متمنعة أكثر من تمنع الفتاة الأمريكية . فإذا رأينا هذه الفتاة الأمريكية فرت من وجهه عاشقها شرقا وغربا لما أحسن قلبها بأنه مخلص وبأن المخلص يستحق تسليم مطلوبه . هكذا الصور التى زوّق الله بها المادة والصفات الجيلة النخبوة فيها (التي تشبه صفات العلم والحلم والاحسان فى النفوس الانسانية) فهذه الصور متى طلبها الانسان بجدة وشوق وإخلاص فان صاحب المعرض وهو الله يعطى هذا الطالب العاشق مطلوبه كما فعلت الفتاة الأمريكية إذ سلمت نفسها لمن أخلص فى حبها لأن هذه الفتاة من صنع الله



والله هو الذى وهبها الجمال ثم علمها مقابلة الحب بمثله . هكذا أقول وأنا واثق بما أقول : إن هؤلاء العلماء الذين نبغوا فى الأرض وأحدثوا فيها انقلابا عظيما كانوا فى طلبهم أشبه بهذا الكونت وفعل الله معهم ما فعلته الفتاة الأمريكية مع الكونت العاشق لها - والله المثل الأعلى - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - وعليه أقول : إن أحببى قرءاء هذا التفسير ستحدث لكثير منهم شؤن وشؤن وسيصبح كثير منهم مغرمين عاشقين لهذا الوجود وهذه العلوم ولرب العلوم وسيعاملهم الله هذه المعاملة عينها وهو لا يعطى إلا العاشق أما المتكاف الذى لم ينقلب تكلفه عشقا فهو من الصالحين لا من الحكماء المحققين ، وأقول أيضا : وإذا كانت الفتاة الأمريكية وإذا كانت العلوم والمعارف المخبوءة فى هذا العالم يحجبها الله عن الناس ولا يحظى بها إلا العاشقون لها ، الباذلون فيها مهيجهم الفرحون بها المولعون ، فما بالك بمنزل العلوم وخالق الصور الجيلة ، فهو الكبير المتعال وإذا كان مخلوق الكبير المتعال هذا شأنه فما بالك به ! وهو الذى إليه يرجع جميع العالمين

### ( الاتحاد المادى والاتحاد المعنوى )

( وهذا الأخير قسمان : صناعى ، وطبيعى . ومعنى السلام على الصالحين فى الصلاة )  
فلما سمع صاحبى ذلك قال : أود أن تزيدنى فى معانى الحب لأن الحب حياة العلوم وكلما زدنا به علما زدنا سعادة . فقلت : إن علوم الكيمياء اليوم قد أوضحت أبواب الحب وشرحته وفسرت لنا معنى قول المصلى ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ . فقال وأى مناسبة بين الصلاة وبين علم الكيمياء . فقلت : رعاك الله . ألم تسمع كلام الهيدروجين المتقدم ذكره وإلام يشير ألم تسمعه وهو يتحد تارة بالأكسوجين الذى فى الهواء ، وتارة بالنيتروجين الذى منه . فى الأول كان منهما الماء . وفى الثانى كان منهما النشادر . وبالماء حياة كل شئ . وبالنشادر مع مواد أخرى سماد مزارعنا . فقال : ما سمعت من الهيدروجين شيئا . فقلت : إن الادروجين لما أحرق فى الهواء ورأى حبيبه وهو الأكسوجين انطلق إليه حالا وعانقه وقال :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى \* ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال

أنا من أهوى ومن أهوى أنا \* نحن روحان حللنا بدنا

فاذا أبصرتنا أبصرته \* وإذا أبصرته أبصرتنا

فهو عاشق للأكسوجين ولبس عاشقا تمام العشق للنيتروجين فاحتاج فى الاتحاد مع الثانى الى أحوال خاصة أما مع الأول فكان مسرعا إليه . ثم إنى فهمت من هذا الاتحاد وأمثاله أن الاتحاد على ﴿ ضربين ﴾ اتحاد جسمى واتحاد روحى . والاتحاد الروحى أو المعنوى على ضربين أيضا : اتحاد طبيعى واتحاد صناعى . أما الاتحاد الجسمى فهو ما نراه فى المادة من اتحاد الهيدروجين بالأكسوجين ثم اتحادهما بالنيتروجين أى الأزوت واتحاد ذرات الغذاء والماء الداخلات فى أجسام النبات والحيوان فانها بالاتحاد كان منها هذه العوالم كلها ومن عجب أن يكون هذا العالم يسعى لهذا الاتحاد . أما الاتحاد المعنوى أو الروحى الطبيعى فهو اتحاد الصور العلمية بالأنفس الانسانية فان هذه النفوس لما نزلت الى الأرض لم يكن عندها علم ولا حكمة بل كانت غفلا ساذجة فأتى إليها العلم من الخواص ومن العقل . وما العلم إلا صور معنوية . فهذه الصور اتحدت بهذه النفوس كما اتحد الأكسوجين بالهيدروجين فتكون الماء . هكذا هذه الصور المرئية والمسموعة والمشمومة والمذوقة كلها قد اتحدت بهذه الأرواح ففعلت بها ما فعلته الأغذية بالأجسام العضوية . فالجسم لم يكن جسما إلا باتحاد العناصر الداخلة فيها اتحاد الأكسوجين مع النيتروجين . هكذا الروح لم تنم ولم تكمل إلا باتحادها مع الصور

التي وردت لها من الحواس فيها نمت وبها عقلت . فكما رأينا أن الطفل في أول أمره وهو جنين في الرحم (انظره في سورة طه عند قوله تعالى - قل ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - ) لم يكن إلا بيضة لاتراها العين في الرحم ثم تغذى بماء الحيض وأخذ ينمو شيئاً فشيئاً ومرّت على أدوار مختلفة ، هكذا كان ادراكه أشبه بهذه البيضة الصغيرة ثم أخذ ينمو بما يرد اليه من الصور الواردة من الحواس ، فإذا كنا نرى أن البيضة الأولى في الرحم أصبحت لاتنفصل عن المواد التي وردت لها واتحدت بها هكذا هذه الروح الانسانية أصبحت لاتنفصل عن معارفها . فقال لي : هذا القول لا دليل عليه فأننا ندعى ما عرفنا وإذا كبرنا أصبحنا نهرف بما لانعرف . فقلت له : الاتحاد باق كما هو في حال النسيان وفي حال الهرم ، وغاية الأمر انه أصبح مريضاً في عقله كما انه مريض في جسمه ، فإذا كان اتحاد الجسم لم يبطل بمرضه هكذا اتحاد النفس بالصور لم يبطل بمرضها ، وأيضاً يقال : إن كل ما عرفناه مخزون في نفوسنا مهما طال عليه الأمد فهو أثبت من الأحوال المادية ألا ترى أننا إذا رأينا ذاتنا جيلة ثم مرّت عليها سنون فرضت أوماتت فأنها في عقولنا محفوظة لم تتغير ، فالفلاسفة استدلوا بهذا على أن نفوسنا أصول للصور وأوعى لها من المادة وأحفظ لبقائها ، ومعلوم أن الناس في أحوال المرض يتذكرون أموراً قد نسوها في حال الصحة فهذا دليل على أن النسيان ليس معناه أن الصورة قد زالت . كلا . بل معناه انها مغطاة عن الذاكرة لعرض عرض لها . إذن عندنا اتحاد جسمى مادي وهو المشاهد واتحاد روحى أو معنوى وهو ما نحس به في نفوسنا وهذا هو الاتحاد الطبيعي

أما الاتحاد الروحى أو المعنوى الصناعى فهو اتحاد رجال الحكومات والشركات ووضع النظم في الأرض واتحاد الجمهوريات والمجالس النيابية ، فهذه كلها اتحاد صناعى ، فهم يعملون للدولة وللحكومة ولكن الشهوات غالبية على كل واحد منهم فليس اتحادهم كاتحاد الأكسوجين باليدروجين ولا كاتحاد الصور بالأنفس الانسانية والعالم الذى نحن فيه لاتنال فيه نعمة إلا بالاتحاد ، فلو لا اتحاد عناصر أجسامنا ببعضها ولولا اتحاد الصور بأرواحنا ما كانت أجسام ولا كانت مدنية وحياة ، إذن الاتحاد بجميع أنواعه هو الذى عليه نظام هذا الوجود ، والذى عرفنا قيمته جهرة هو علم الكيمياء وهو العلم الشريف البهيج الجليل

فقال صاحبي : هذا موضوع يرجع الى الفلسفة والحقائق وما نتيجته عملاً ؟ قلت الآن وصلنا الى ما نقصد إن نتيجة هذا الموضوع أن هذه العقول الانسانية الى الآن لم تتحد اتحاداً طبيعياً ولا صناعياً فهم أشبه بعناصر متفرقة قليلة الفائدة والعائدة ، إن أهل الأرض اليوم لا يزالون في حال الطفولة أو المراهقة ولم يزالوا في مبدأ أمر الحياة ، إن الله حكم على هذا النوع الانسانى أن لا يرتقى مرتبة إلا إذا ارتقى اليها بنفسه ولم يأذن لهم أن يخرجوا من جهلهم إلا بأعمالهم الخاصة . والدليل على ذلك أن أهل الأرض لم يعطوا الكهرباء إلا بعد ما جدوا لها ، ولا أعطوا الحديد ولا النحاس إلا بعد ما بحثوا عنهما . ألم تر الى قوله تعالى - وأن ليس للانسان إلا ماسى - وأن سعيه سوف يرى - فمن ظن أن سعى الانسان خاص بالأعمال الصالحة الفردية فقد ضلّ وغوى

أيها الذكى : إن كتابى هذا ليس خاصاً بالمسلمين . إن كتاب الله عز وجل لم ينزل للمسلمين وحدهم . إن كتاب الله للعالم قطبة لأن قوله عام لم يختص بأمة دون أمة . فالمفسر يجب عليه أن يوجه اهتمامه للعالم كله وهأنذا أجدنى مسوقاً لهذا المعنى . أجد قلمى ولسانى وقابى يتسابقون الى فهم النظام العام ومخاطبة الأمم كلها إن كتاب الله لسائر الأمم فلا جعل كلامى للمصالح العامة الانسانية . وإذا كنت منذ (١٨) سنة ألفت كتاب (أين الانسان) وخاطبت الأمم كلها وأنا عبد من عباد الله فما بالك بما أكتبه في تفسير كلام الله ففي هذا التفسير أخطب الأمم كلها من باب أولى والله هو الملهم والله هو المتولى أمور الناس عامة وخاصة وهو الذى يعلم نتيجة هذا وليس على إلا أن أسطر ما امتلأت به نفسى وبرزلى قلمى وعلى لسانى . فذلك أخطب الأمم



الانسانية في هذا التفسير فأقول :

أيتها الأمم الانسانية : أتم قد خلت من قبلكم أمم فسرت في الأرض فنظرت كيف كان عاقبتهم ، كان الأولون من نوع الانسان لا يعرفون من العلم إلا أن يستعملوا الحجارة في أدواتهم ، فإله لم يكنهم بأكثر من هذا ، ثم جاء العصر البرنزي والحديدي ثم البخاري والكهربائي ولم يرد أن يعطيهم شيئاً من ذلك إلا بجدهم واجتهادهم ، إذن ثبت بالفعل هنا ﴿ أمران \* الأول ﴾ ان الخزائن مقلدة أمام الانسان ﴿ الثاني ﴾ ان هذه الخزائن لا تفتح إلا بجدهنا . ثم يظهر لي أن للأرض مستقبلاً يكون الناس فيه سعداء . ذلك هو اليوم الذي ورد في القرآن - حتى تضع الحرب أوزارها - فهناك يوم يصبح الناس فيه اخواناً في الحياة متحدين اتحاداً كاتحاد الأكسوجين والادروجين وكاتحاد الصور الممتزجة بأرواحنا . ذلك يوم تكون فيه الانسانية في الدنيا كأنها في جنة . فالجنة للصالحين بعد الموت ويوم القيامة لامتزاج أرواحهم واتحادهم في أخلاق وعادات . والأرض تكون فيها سعادة نسبية لأهل الأرض

أيتها الأمم : إن هذه الأرض لم تحظ قبل اليوم بانكشاف الحقائق واطلاع الغربي على ما عند الشرقي وبالعكس ولم تكن هناك مواصلات ولا محادثات على بعد مثل ما هو حاصل اليوم

أيتها الأمم : إن النبي ﷺ آخر الأنبياء وهو ينادي بجهرة بالسلام العام . نعم هو استعمل الحرب مؤقتاً في الزمان الذي كان الانسان مضطراً اليها فيه . ولكن الاسلام يسمى من جهة أخرى الى السلام العام . ويود الاسلام أن الأمم كلها تكون على وتيرة واحدة في الارتقاء والأعمال العامة كما قال علماءنا ﴿ لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم ﴾

إن أهل هذه الأرض قد آن لهم أن يعملوا بما كتبته في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ بحيث يتعلم كل امرئ ما قدر عليه ولا تذرون فرداً ولا أمة بلا تعليم ولا تذرون أرضاً ولا هواء ولا ماء ولا ذواً بلا بحث لاستخراج منافعه ولن تنالوا هذه النعم إلا بتعليم جميع الأمم وجميع الأفراد تعليمًا على مقدار الاستعداد . إن الاستعداد في الأرض موضوع فيها بقدر وعلى مقتضى سعادة أهلها فالتقص عنه نقص في السعادة

أيتها الأمم : إنكم فتعلم أنفسكم وتر بصم وارتبتم وغرتكم الأمانى . أنتم أمامكم العلم والعمل وأمامكم أرض الله الواسعة . لنظري الانسانية الحاضرة . إن الأمم القديمة لم يفتح لها ما فتح لنا . إن العلوم قد قصت أبوابها والمادة قد أخذت تنادىكم أن هلموا اليّ والسعادة أصبحت على الأبواب . تقولون نحن كشفنا . نعم كشفتم ولكن كشفتم جزءاً من آلاف الآلاف . انكم اتبعتم خطوات الحيوان في كشفكم كما تقدم (في سورة طه عند قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى -) ولكن لم تلحقوا شأوه

ألم تدرسوا المرجان وجزائره . ألم تنظروا بأعينكم (انظرها مصورة في سورة الفرقان عند آية - وهو الذي مرج البحرين -) هل اتحدتم كما اتحد المرجان . لا . أنتم قلتمتم الغل في حربه والعنكبوت في صيده والفأرة في جر الأنهار للنازل ولم تتجاوزوا أعمال الغل في استخدام الاسرى وفاتكم حيوان المرجان . ذلكم الحيوان الذي أخذ المادة الكلسية التي في ماء البحار وحولها الى هيئة أشجار ثم هيئة جزائر وتلك الجزائر تعد بالآلاف تنبت فيها النباتات وتعيش فيها الحيوانات آمنة مطمئنة . فإلستم عن عمله مقصرين . تعتمد الأمة منكم الى أمة أخرى فتهاجم عليها فتأكل خيراتها وقد علمكم التاريخ أن من اتكل على غيره في اصلاح نفسه أوجب طعامه كان ذلك سبباً في ضعف نفسه جسماً وعقلاً ثم يكون الانقراض

اتحد حيوان المرجان فتفنن في صنعه حتى كوّن جزائر وتلك الجزائر كانت سبباً في الحياة لأمم وأمم من الحيوان تعيش في أمن وسلام

أنا لست أقول إن هذه الأجيال تستطيع ذلك . إن علومها ومعارفها وقلة عددها لن تسمح لها باحداث

قارات جديدة في البحر . ولكن لتنظر أرم الأرض الآن في الأرض التي نساها الآن . اللهم إني أقول ما ألهمتني  
وأنت شهيد وأنت المهيمن على الأمم وعلى الأفراد

إني أضرب لكم مثلا مما في هذه الأرض : إن مساحة الجزائر الهندية الشرقية التي تحكمها (هولانده)  
وحدها بقطع النظر عن الباقي مليون وتسعمائة ألف كيلومتر مربع أو (٧٣٣) ألف ميل مربع وهو يعادل  
مساحة بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وسويسرا والدنمارك والسويد (وبعبارة أخرى)  
يساوي نصف مساحة أوروبا تقريبا من غير روسيا

فلننظر إلى السكان فانا نجد جزيرة جاوه وجزيرة مدورا وهما من تلك الجزائر نحو (٣٦) مليون نفس  
و ٤٠٠ ألف نفس تقريبا ومساحتهما معا نحو (١٣١) ألف كيلومترا أي (٥٠) ألف ميل تقريبا ، وتعادل  
مساحة انكلترا بدون اسكتلندا وويلز وارلندا . وسكان سومطره (٦) مليون وربع مليون تقريبا مع ان  
مساحتها (٤٢٠) ألف كيلومترا أي (١٦٢) ألف ميل مربع فهي أكبر من مساحة بريطانيا العظمى

فأنا لا أطيل في سرد الأمثلة ، فإذا كانت (سومطره) بمقدار جاوه في المساحة نحو ثلاث مرات ولكن  
سكانها أقل منها ست مرات فعناهما تسع نحو مائة مليون نفس ، وإذا كانت جزائر الهند الشرقية التابعة  
لهولانده وحدها مساحتها بمقدار مساحة نصف أوروبا تقريبا وسكانها ما هم إلا (٥١) مليوناً من النفوس  
والأرض خصبة والمناخ أرقى من مناخ أوروبا لأنه عند خط الاستواء وخط الاستواء مهد الجنس البشري كما  
قيل « وهو مهبط البركات ومعدن النعم الإلهية التي يلقيها الله بأشعة شمس على الأرض » فهذا معناه أن  
هذا النوع الانساني الآن لم يزل طفلا قد عطل أرضه وتقاتل في أراض ضيقة متبعا خطوات الجهالة كما قال  
تعالى - قتل الانسان ما أكفره - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها  
وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - فالانسان لم يؤتمن على الأمانة التي سلمت له وهي هذه  
النعم . إن جزائر الهند الشرقية التي اتخذتها مثلاً تمتد من آسيا إلى أستراليا بين درجة (٩٥) ودرجة (١٤١)  
من خط الطول شرقا وبين الدرجة (٦) شمالا من خط الاستواء و (١١) جنوبا منه وأطول خط من الغرب  
إلى الشرق خمسة آلاف كيلومترا فتمخر فيها السفينة البخارية في (١٤) يوما في وقتنا هذا ، وهذه المسافة  
(الخمس آلاف كيلومترا) تعادل تقريبا المسافة بين الشاطئ الغربي لارلندا في الاطلنطيق وبين الشاطئ الشرقي  
للبحر الاسود في آسيا ، وأبعد مسافة من الشمال إلى الجنوب (٢٠٠٠) كيلومترا وتعادل المسافة بين البحر  
الأبيض الشمالي وروسيا . ومجموع طول شواطئ هذه الجزائر يعادل طول دائرة الأرض . فجزائر الهند الشرقية  
ضربت بها مثلا لما في الأرض من متسع عظيم . وكم في أمريكا الشمالية والجنوبية من أرض خالية من سكانها  
وكم في العقول الانسانية من مواهب لم يستخدمها ولم يستخرجها الانسان

إن المسلم يقول في صلاته - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم -  
ويقول المسلم في صلاته ﴿ السلام عليك أيها النبي السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ . المسلم يسلم على  
الناس وعلى أهل منزله ويسلم على نفسه وعلى الصالحين إذا دخل المسجد . إن الصراط المستقيم بال هو  
صراط الله وصراط الله هو الصراط الذي قامت به السموات والأرض والصراط الذي قامت به السموات والأرض  
هو صراط يوجب الاتحاد لأننا لم نجد نباتا ولا حيوانا ولا إنسانا قام على الأرض إلا بعناصر متحدة فقام ذلك المخلوق  
وهو الاتحاد المادى الجسمي كما تقدم في اتحاد الهيدروجين بالأكسوجين تارة فكان الماء وبالنيتروجين تارة  
أخرى فكان النشادر . إذن صراط الله يرجع إلى النظام والنظام أوجب الاتحاد وهكذا اتحدت الصور العلمية  
في نفس هذا الانسان فكان العلم وكان العمل وهو الاتحاد المعنوي الذي قدمناه

يقول المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - والصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في



الأرض . فلكه في السموات والأرض لم يتم إلا بالنظام والنظام أوجب الاتحاد والاتحاد قمت به الحياة .  
فاتحاد ذرات الأجسام واتحاد الصور العلمية في العقول قام بهما هذا الوجود ، فلمسلم يقول اهدنا نفس هذا  
الصراط ونفس هذا الصراط هو صراط المنعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم . وبهذا الصراط يكون السلام  
العام الذي يقوله المسلم في التشهد ويقول لمن يقابله ويؤزره والمسلمون قد فرقهم الله في الأرض وانتشروا  
فيها في كل صقع و بلدة وهم يقولون هذا القول في صلواتهم ويريد الله بهذا أن يرقى الانسانية كلها لأن  
الأرض مملوءة بالخيرات ، وقد كان الانسان قديما تحصده المجاعات والحروب والأمراض والطاعون وهاهوذا  
الآن يسعى ليقطل الحرب والمرض كما يسعى وخفف وطأة الطاعون ، فهاهم أولاء يكثرون وينتشرون في الأرض  
والطرق سهلت للتقارب

فليعلم الناس كل أرض لاساكن بها . ولقد كتبت في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ أن كل أمة عندها  
أرض واسعة وقل رجالها عليها أن تقبل في أرضها أقواما من أمة أخرى كما تفعل الممالك المتحدة ، هذا  
واجب محتم ، فلتعمر الأرض الموجودة الآن ، ثم لتوجه الهمم من الآن الى تعليم جميع الأمم جملة وأفرادا حتى  
إذا امتلات هذه الأرض بنوع الانسان وكانوا أضعاف أضعاف الانسان الحالي كانت عقولهم قد أخذت كلها  
حظها من العلوم والصناعات مع رياضات الأبدان وقوتها ، فهناك هذه الأمم تتضافر وتصنع قارة جديدة في  
المحيط الهادئ مثلا أو تحدث جزائر للسكنى فيها ، فإذا كنتم أيها الناس اليوم قلتم الغل في حربه وأسراه  
وقلتم العنكبوت في نسجها وصيدها وقلتم الآساد في افتراسها فأنتم والله أعجز مخلوق على الأرض إذا أنتم  
تركتم مواهبكم واحتجتم الى أرض جديدة بعد دهور ودهور ثم عجزم أن تصنعوا ما صنع حيوان المرجان من  
أحداث أرض جديدة

أنتم الآن لستم في حاجة الى أرض جديدة . أنتم في حاجة الى عقول كبيرة مرشدة ترشدكم الى طرق  
نظام أرضكم هذه والاتحاد في تعميمها ، فإذا ظهر فيكم هؤلاء الرجال عرفتم جميعا أن الانسان محتاج الى الانسان  
وانهم جميعا يكونون أشبه بأعضاء جسم واحد فيما تقدم ، أو بصور علمية في نفس واحدة

فإذا قال المسلم - اهدنا الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - فليعلم المسلم  
وغير المسلم أن من كانوا متعاونين مخلصين من أهل الأرض وهم خلاصتها فإن هؤلاء يكونون في العالم الأخرى  
أوفى عالم الأرواح أشبه بنفس واحدة ، ففكر الواحد ففكر الجميع ولهم هناك نتائج لانعلمها وهكذا أهل هذه  
الدنيا في مستقبل الزمان حين يكثر وتعمر أرضهم ويكونون كأنهم رجل واحد أو نفس واحدة ، فهؤلاء  
حتما منعم عليهم كأهل الآخرة الصالحين ولذلك يقول الله في أهل الجنة - ونزعنا ما في صدورهم من غل -  
أخوانا على سرر متقابلين -

فالأرواح العالية آراؤها كلها رأى واحد فما يراه أحدها يراه الآخر ، فإذا ارتقى أهل الأرض وكانوا  
هكذا فيها بعد أجيال وأجيال فهم أيضا غير مغضوب عليهم لأن هذا مطلوب الاسلام لأنهم على صراط الله  
الذي له مافى السموات ومافى الأرض

ألا هل أذكرك بحياة الخلية الواحدة في العالم الحي . فقال : ما معنى هذا ؟ فقلت : قد كشف للناس بسبب  
اختراع المنظار المكبر أن أنسجة الجسم مركبة من خلايا . قال : نعم هذا معروف . قلت : وكشف هذا أمثال  
(شون) و(شليدن) و(فيرشو) وذلك أن كل حي يبدأ حياته بهيئة خلية وهذه الخلية تنقسم ويستمر  
الانقسام وهذه الخلايا تنقسم أنفسها أقساما كبيرة وتجعل لكل قسم عمله الخاص به فن هنا كانت الأعضاء  
والأجهزة المختلفة فانتظم المجموع مع ان لكل خلية حياتها المستقلة وهذا هو تفسير نظرية الحب . فكل من  
الحبيبين يود الاتحاد بالآخر ليحس بالسعادة بذلك الاتصال . فبهنا ظهر الأمر . كل خلية في كبد أو أمعاء أو

عدة مستقلة في حياتها منضمة الى غيرها فرحة بذلك وكل عضو كالكبد والقلب عنده هذا المبدأ مستقل في عمله فرح بالاشترك مع غيره لتكمل حياة المجموع ، وهذا بعينه هو سياسة الأمم في المستقبل ، يسعد كل فرد باستقلاله وحياته وهو فرح باندماجه في جماعة والجماعة فرحة لانضمامها للامم الأخرى . هذه هي الانسانية المستقبلية . أما الانسان الحالي فهو طفل لم يعرف شيأ من ذلك ، وسيصل لهذه المرتبة في مستقبل الزمان ، والأرواح التي تخرج من الدنيا الآن وهي غير مستعدة لهذا الاتحاد مع غيرها تكون أقرب الى جهنم والعكس بالعكس

فلما سمع صاحبي ذلك قال : وهل قول المسلم - صراط الذين أنعمت عليهم - معناه ذلك ؟ قلت : ألت تعلم أن المنعم عليهم هم الصديقون والشهداء والصالحون الخ قال بلى . قلت : أليس هؤلاء يسعون لسعادة الأمم . قال بلى . قلت : أوليس العالم أو الملك تكون منزلته على مقدار ما أسدى من المعروف للانسانية . قال للمسلمين . قلت : كلا . إن الأمم الاسلامية واجب عليها أن تحافظ على من تحكم من الأمم وعلى من تسلم أو تعاهد وهكذا . إذن نحن جئنا لمنفعة الانسانية كلها . قال نعم . قلت : ثم إن الانسانية كلها كانت أكثر تضامنا كان أفرادها أو فرسعادة ، فإذا سلمنا فرضا أن منفعة المسلم والصالح إنما تكون للمسلم أولم يدخل في سلطانه فان هؤلاء تكون سعادتهم أو فردا إذا اتحد نوع الانسان كله ، وعليه يكون قول المسلم - صراط الذين أنعمت عليهم - له حال أرقى أحواله وهو وفرة المنافع بكثرة العقول المتحدة للنفع العام وذلك بأهل هذه الكرة ، كيف لا وقد رأينا أن مخترعي الآلات البخارية بجميع أنواعها والكهربائية وصانع الآلة الحاكية (الفونوغراف) والتلغراف الذي له سلك والذي لاسلك له والطائرات والبالونات لم يقتصر نفعهم على أمهم بل عموا بنفعهم الأمم كلها ونحن منهم . فإذا كان العمل من قوم لم يقولوا والحمد لله رب العالمين ، ولم يقولوا «اهدنا الصراط المستقيم الخ» أي انهم لم يوجهوا وجوههم قبل العالم كله في دينهم وقد نفعلونا ونحن نقول : إن الله محمود لأنه يرزى العالمين لا المسلمين وحدهم ونطلب من الله أن يهدينا صراطه المستقيم الذي به نظم السموات والأرض المعبر عنه بالعالمين ، فلامعنى هدايتنا لذلك إلا بأن نوجه قلوبنا للمنافع العامة لأن هذه صفة هو التي نحمد عليها والتي طلبنا الوصول اليها . وكلما كان النفع للناس في الدنيا أشمل كان الارتقاء في الآخرة أكثر فإذا طلبنا في صلاتنا أن نكون مثل الأنبياء والصالحين في عمل الخير انرقى به في الآخرة فكذلك أن يعم نفعنا الأمم كلها . وإذا مرن جميع الناس على فعل الخير في الدنيا كان هذا المران عدة لهم يوم الدين . إذن أفضل أحوال المسلم أن يكون في الأرض مع انسانية سعيدة في الأرض كلها حتى يكون ذلك أسعد له في الآخرة وهذا أفضل من السعادة القاصرة على أمة أو على أمم . فلا كمال في الآخرة إلا بعد الكمال في الدنيا ولا ثمرة هناك إلا ما عرس هنا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

فيا أيها المسلمون : اذا نحن طلبنا من الأمم كلها أن يتحدوا للمنافع العامة وأتم - خیرامة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - فتقولوا وخبروني أيها المسلمون : هذه أم الأرض الآن لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر وأضرب لكم مثلا :

هذه الأيام أيام انقلاب وقد كانت أمم الشرق كلها غافلة نائمة وكان للفرنجة سفراء في بلاد الاسلام وهؤلاء السفراء كانوا يقارون في التقرب من ملوك الشرق ومعهم نساؤهم وملوك الشرق يكرمون الضيوف فأعطوهم امتيازاً في بلادهم كما هو شأنهم في اكرام الضيوف . فماذا جرى ؟ أخذ الشرق يضعف وأخذ الغرب يقوى . أصبح الامتياز مهلكة للبلاد وإذلالاً لهم . فنهض الشرق اليوم نهضة الآساد ومنعوا تلك الامتيازات كأهل ايران والترك والصين واليابان . إنما الأمر المحزن المألوم أن هذه الأمم لم تنازل عن الامتيازات إلا بعد السيف . وليس هناك للانسانية نصيب وقد بقيت مصر وفيها امتيازات للأجانب وقد كانت تابعة لدولة الترك ولكن



الترك منعوا ذلك الامتياز ولم يبق بلد فيها امتياز مثل مصر ومصر جيشها ضعيف لأن الانجليز منعوها أن تنظم جيشها ، فبقيت الامتيازات ظلمًا في البلاد فلم نجد هذه الدول نهى بعضها بعضًا عن هذا الظلم . إذن المدنية الحاضرة داخلة في قوله تعالى - كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون -

ولقد جاء في كلام (اللورد أفبري) الانجليزى نقلا عن عالم يابانى ما ملخصه : « ان أوروبا لما كنا نابغين في العلوم سمونا نصف متمدنين ، ولكن لما قتلنا منهم مئات الالوف وأرسلناهم الى عالم الآخرة اعتبرونا متمدنين ، إذن المدنية الحاضرة ناقصة وأهلها ليسوا شهداء على الناس . إن الأمم المستعمرة جميعها قد حتمت أن تنشر الجهل بين من تحكمهم من المسلمين ، فالجهل هو الذى أهلك المسلمين وأذلهم . إن هذه الأمم وهم بهذه الحال لا يصلحون لاسعاد أهل الأرض ، وكيف يصلحون لذلك وهم لا يعرفون المصلحة العامة ؟ ولن يصلح هذا النوع الانسانى مطلقا لرقى النوع الانسانى إلا اذا كانوا جميعا مثل الشهم المانصف الانجليزى وهو (المستر بلانت) فانه ألقى خطابا في بلاده نهى فيه قومه عن احتلال بلادنا المصرية واعتبر هذا عسفا وظلما ، وخطب رئيس الحزب الوطنى المصرى بما معناه :

« إنكم يا أهل مصر تريدون أن نعطيكم استقلالاً ، فاعلموا أن الأمم الاوروبية لا تعطى إلا مكرهة ، ولا يمنحها عن ظلم الأمم إلا السلاح ، أما إعطاء الاستقلال بلا سلاح فهذا مستحيل ، إن من يغركم بأنكم ستنالون استقلالاً بغير هذه الطريقة فلا تصدقوه » اهـ

هذا خوى خطابه والمسيو (بلانت) هذا رجل حرّ مخلص للانسانية وهذه شجاعة منه ونزعة شريفة ولعمري لن يكون نوع الانسان سعيدا إلا اذا كان كله على أخلاق كأخلاق هذا الانجليزى فعلى المسلمين أن يتعلموا علوم الأمم كلها وأن يساووهم ثم ليكونوا عوناً للأمم الأرض كلها . لانهم وسط بين الأمم وهم كالملاح في الطعام ، فليمنعوا الأقوياء عن الضعفاء ، هنالك فقط يكونون خيرامة أخرجت للناس - يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبهذا يسعد نوع الانسان

أيتها الأمم الاسلامية وغير الاسلامية : أنسبقكم (الأرضة) التى شرحتها في سورة النمل وسورة سبأ ، تلك الممالك العظيمة من هذه الحشرة العمياء التى تبنى مدنا عظيمة تمتد أميالا وأميالا وترتفع (٨) أمتار فوق الأرض وهذه الحشرة العمياء تقوم بنظام عملها بغاية الدقة والأوامر مطاعة من ملكتها ، لوعدت هذه الحشرات فى المملكة الواحدة منها لزادت عن نوع الانسان ، فهل يحجم نوع الانسان عن تكوين مملكة كملكيتها ؟ وهذا حيوان المرجان الذى قدمت ذكره هنا وقلت انه أرجد فى البحر جزائر ، فهل عجز الناس أن يتحدوا ويأتوا بالمجائب . وكيف يتحد المرجان فى البحر والأرضة فى البر مع ان عدد الانسان على الأرض ضئيل بالنسبة لعدد الحشرات فى هذه الممالك . إن الانسان فى المستقبل سيصل لغاية يجهلها الانسان الحاضر . إن الشمس لا تهدأ فى جريها وكذلك القمر والنجوم نشاط مستمر والبحر لا يهدأ ولا يسكن وفى الطبيعة نشاط مستمر عجيب . فسبحانك اللهم نراك حوّلت الماء فى القطبين أراضى واسعة ثلجية وخلقت من الماء جبالا ثلجية عظيمة تعوم على وجه البحر وعلمت الناس طريقة بها حوّلو النيتروجين الذى هو أحد عنصري الهواء فحوّله مع الادروجين الى النشادر وهو قد دخل فى سماد الأرض وفى المفرقات فتارة يكون طبقة تسمد الأرض وتارة يكون منميا للزراع فى أنحاء الكرة الأرضية

الهواء صار أجساما جامدة والماء حوله المرجان أى حول ما فيه من المواد الى آلاف من الجزائر العامرة فهل عجز الانسان عن الأمرين : الاتحاد العام كاتحاد المرجان والأرضة وايجاد جزائر فى البحر عند الاضطراب نعم الانسان اليوم طفل والطفل انما يفرح بالمفرقات فهم قد ألهموا اليوم صنع المفرقات لأنهم أطفال فأما غدا فسيكثر نوع الانسان ويكونون أعلم من هذه الأجيال وحينئذ يفهمون روح هذا الوجود ويعقلون قيمة

الشمس والقمر والكواكب وكيف ركبت فيهم عقول قادرة على الابداع واسعاد أهل الأرض - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - ومتى جاء ذلك اليوم أى يوم الاتحاد العام يظهره منى حديث البخارى الذى يفيدنا أن الرجل يأخذ الصدقة فلا يجد من يأخذها . إذن ذلك يوم يستخرج فيه من الأرض منافعها ومن العقول مواهبها . ذلك هو اليوم الذى يكون المسلمون فيه شهداء على الناس لأن أهل الأرض اليوم عن هذه المرتبة قاصرون . انتهى ليلة الأحد بعد نصف الليل فى ١٣ يناير سنة ١٩٢٩ م

### ( ضوء الجوهرة )

وعدنا الله أن يرينا الآيات - ولن يخاف الله وعده - إن الله لا يخاف الميعاد - . أنت وعدتنا يا الله أن ترينا آياتك ، وآياتك هى التى ذكرتها فقات : - سريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وقلت - ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى - وقات - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون - وأنت ترينا الآيات فى خلقك من شمس وقمر وكوكب وأرض وما عليها من نبات وحيوان ومعادن ، أنت ترينا والأنبياء يرونا - فأراه الآية الكبرى - والطيور ترينا فقد جاء فى الغراب - ليريه كيف بوارى سواة أخيه -

اللهم ان كل شئ فى مخلوقاتك يرينا . هذا وبيننا أنا أكتب هذا إذ حضر صديق العالم وقال : ماذا تريد أن تكتب بعد ما جاء فى هذا التفسير من هذه المعانى ؟ إن هذا المعنى قد تكرر فى كل مناسبة . فقلت : لا مكرر فى هذا . ألا ترى رعاك الله أن هذه ألوان الكلام وفنون العلم وأصناف المعرفة ، ومن عادة النفس أن تحب التذوق فى الأساليب كما تحب شهوة الطعام التفتن فى المأكول وتحب العين أفانين الصور والأذن أنواع النغمات . إن النفس أشوق الى هذه الأفانين ولكل وقت فنّ وفيض خاص وابداع ومناسبة . فقال : فإذا الآن ؟ قلت : إن الله يقول - سريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ويقول أيضا - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -

اعلم أيها الذكى أن أصل كل تلك المعارف إنما يقصد بها نفوسنا ، فلنبحث فى أمر هذه النفوس وقواها فهى عندى أصل الحكمة ، وأصل الفلسفة ، وأصل الابداع فى الدنيا ، انظر قواها . إن لها أفانين من الغرائز وأنواعا من العواطف . وعادة الناس أن يحبوا من الطير ومن الأنعام ومن الكواكب . أما أنا فى هذه الساعة فكأننى منفصل عن نفسى وكأنها أمامى أشرحها شرحا جيلا . أرى نفسى يعوزها الطعام والشراب والكساء والزوج والعلم . لم هذا ؟ إنما حدث هذا لأن الله يرينا أنه لاعمق شهوة الطعام والشراب ولا شهوة النساء ولا مدافعة العدو إلا للعلم . فكل ما فى وجودنا لا يراد منه إلا العلم حتى العبادة هى مران النفس لتستقر على حال وتحصل لها ملكة تثبت عليها من الأخلاق أو العلم . قال أوضح هذا المقام اذا شئت . فقلت : إن الله أحوجنا للطعام والشراب ودفع نفوسنا الى طلبهما وركب فىنا شهوة لتقبل الطعام وهذا مبدأ أول من مبادئ العلم لأن الحواس أخذت تهتم وتميز الحلو من المالح والحامض . فهذه مبادئ العلم وهكذا يمتاز الماء العذب من المالح . كل ذلك مبادئ للعلم فان احساس الحواس مبدأ العلوم . فقال لاشك فى ذلك . فقلت وقد علمت فيما تقدم فى هذا التفسير كيف كانت جميع ماكلنا وماكل كل حيواننا عبارة عن مواد محرقة . فانظر لطعام جىء به لغذائنا لنبقى كيف آل الأمر فيه الى أن تنهت فىنا قوة العقل فأصبحت ( بعد أن كانت خامدة ) نارا متأججة تنقب وتبحث

سبحانك اللهم . أن تكون شهوة الطعام والشراب ولذة الوقاع وحب الانتقام من الأعداء هذه كلها للعلم فى الحقيقة . أليس من العجب أن دراسة طعامنا تنتهى بأن نرى ( كما تقدم ) أن المالح ماهو إلا الصوديوم



والكلور وكلاهما مادة مهلكة . فلصوديوم يحترق اذا تعرض للهواء والكلور يدخل في الغازات الحامضة والمواد المهلكة كما انه قاتل للحيوانات الذرية المهلكة لوع الانسان

هذا الملح وحده مثال من بقية الأغذية في انه أرى العقول الانسانية انه من مواد مهلكة تزجى سحابا من الغاز على الجيوش فتهلكهم ، إن النفس الانسانية تدهش وتجب من هذه المجائب في نفوسنا ، إذ ذاك ترى عظمة لاحد لها وتعشق الحكمة والعلم ويزول عنها الجول ، فتكون دراسة هذه المجائب موقظات للنفوس ، وكأن هذه الدراسة تيار كهربائي سلط على النفس فيزقواها كما ان (الكهرباء) تحلل (بطريق خاص) العناصر ، وكأن الملح بانفصال كل من الكلور والصوديوم وحده تظهر قواهما وعند الاجتماع تكون لهما قوة غير قوتيهما الأصلية . هكذا هذا الانسان ما دام لم يعرف العلم تبقى نفسه جامدة خاملة لا اشتراكها مع القوة الغضبية والقوة الشهوية . فاذا اطاعت طي العجائب أخذت تتعالى وترفع عن القوتين الأخريين وتشمخ بأنفها وترتقي وترجع الى عالمها العالي وهو عالم الفكر كما يرجع الصوديوم الى حله النارية اذا وضع في الهواء . فنار الصوديوم كانت مخبوءة في الملح فاثارها انفصال الصوديوم من الكلور . هكذا غريزة حب الاستطلاع وتأجج نيران النفس تظهر أتم ظهور متى اغترفت النفس من ينابيع الحكمة لأنها ذاق ومن ذاق عرف وقبل أن تذوق كانت خامدة . فجميع العائمة من سائر الأمم يأكلون الملح وأمثاله ولا تحترق أفئدتهم بحكمته وعلمه . فأما الذين أدركوا نظام الملح وأمثاله فأولئك تتأجج في قلوبهم نار الغرام بالحكمة والعلم ويقولون إذن : نحن نأكل ناراً منطفئة . فالقمح والشعير والذرة وأمثالها فيها (الجير والمغنيسيا وحض الكبريتيك وحض الفوسفور والكلور والصوديوم والبوتاسا . وهذه كلها مواد نارية . إذن الجبار القهار قهر هذه العناصر وأخذ نارها حتى خضعت لنا وأطاعت وأنت صاغرة . هنالك يفهم معنى اسم الله القهار الجبار والمنكبر والقباض والمذل والحكم والعدل واللطيف والمقيت والواسع والحكيم والقوى المتين والقادر المقتدر والمقسط والضار والنافع . هنالك يفهمون معنى هذه الأسماء . فهو جبار على الكبريت والصوديوم والبوتاسيوم وقوى عليها ومقتدر ومذل فأذلها وأخضعها وأنزلها من حرارتها وجعلها منقادة حتى أكلها الانسان وجعل الضر بالاحراق كالصوديوم نافعا في الأغذية بحسن اللطف في صنعه وهو مقسط عدل يجمع العنصرين بأوزان لا نقص فيها ولا زيادة ولولا ذلك لم تأتلف وهذه ظاهرة في علم الكيمياء أتم ظهور في جميع مركباتها

كل هذه المعاني مخبوءة في أغذيتنا . فهذه الأغذية ظاهرة لاقامة حياتنا مع ان الحياة كان يمكنها أن تقوم بغير هذه المواد ولكنها توقفت عليها لندرسها فلما درسناها أيقظت قوانا العاقلة وهكذا كل ما نحس به من ذل أو عز أو قوة . كل ذلك يستدعي عملا في مادة والعمل فيها يستدعي دراستها ودراستها تفتح للعقل باب النبوغ والحكمة . وهالك ايضا حال بعض أسماء الله الحسنى في عناصر الطبيعة أوسع مما تقدم

قد تقدم في سورة البقرة وغيرها أن النبات مركب من العناصر وما يقرب منها . انظر الى العناصر الداخلة في القمح وفي القطن وفي البرسيم مما شرحناه في سورة البقرة وفي غيرها فانك تجد مقادير محدودة لا تعد شرحها وهذه المقادير قد حكم عليها أن لا تزيد ولا تنقص . فهنا يلبس المسلم القطن ويأكل القمح وهو لا يعلم أن الذي ازدرده من الطعام إنما هي كلمات الله بحسمة أرمعاني الأسماء مشاهدة . وأما أقول هذا الآن حقاً لا مبالغة لم خالق القطن ؟ خلق من مواد منها الصوديوم والبوتاسيوم والجير والمغنيسيا الخ

يلبس الرجل القطن وهو يجهل ما يلبس ! انه يلبس مواد محترقة ولكن عناية الله قد حلت بهذه المواد فاتحدت فصارت ملبسا . الصوديوم محرق وكذا البوتاسا والجير فتجلى عليها اسم (١) السلام (٢) والمؤمن (٣) والجبار (٤) والمنكبر . فلم المرء من نارها . فأمن من عودتها . فخفضت القوة المحرقة . ولا يبرز هذه المعاني لمن ليس أهلا لها (٥) الخالق لأنه قدرها (٦) الباري لأنه أوجدها (٧) المصور لأنه صور ما خلقه

(٨) الغفار لأنه ستر هذه العجائب عن الناس وغفر لهم جهلهم كما نغفر نحن للأطفال (٩) القهار قهر حض  
الكبريتيك وحض الفوسفوريك فانطفاأت الحرارة وتكاملت القوى (١٠) الوهاب : لأنه لما أخضع هذه  
المواد واكتملت وهبها لنا (١١) الرزاق : فنتفعا بها (١٢) الفتاح : يفتح أبواب العلم فنعرفها وأبواب  
الرزق لنعيش به (١٣) القابض : قبض نارها فلم يسلطها (١٤) الباسط : بسط لنا الرزق بهذا التدبير  
(١٥) الجامع : هذه العناصر هيئة نظامية بحدل لأنه (١٦) المقسط (١٧) العدل : وبهذه المخلوقات تكثر  
خزائنه الناجمة من قدرته فهو (١٨) غني و (١٩) مغني لنا بها وهو (٢٠) مانع ضررها و (٢١) ضار و (٢٢)  
نافع . فالضرر بوضعها في غير موضعها كملح الطعام اذا كثر والنفع اذا اعتدل المتعاطى لها (٢٣) الهادي : هدى  
الناس لعلمها واستعمالها (٢٤) النور : وهذا الاسم هو سر هذه الدنيا لأن القوم علموا أن لكل عنصر  
من العناصر التي تبلغ نحو ٩٠ نورا خاصا عند احتراقه وقد قابلوا أضواءها كضوء الحديد والنحاس والذهب  
والفضة والصوديوم والبوتاسيوم فوجدوها تختلف اختلافا بينا في أضوائها ثم نظروا في أضواء الكواكب  
وبحثوا فيها فوجدوا مشابهة بين الأنوار الواصلة من السماء وبين الأضواء الناجمة من هذه العناصر كضوء  
الحديد والنحاس الخ لاسيما الخطوط المظلمة التي تتخلل تلك الأضواء . فهذه الأحوال تختلف في العناصر  
عندنا وتختلف في أضواء الكواكب الواصلة إلينا . وقد وجدوا أن الأنوار الكوكبية تحتوي على أنواع من  
الأضواء مشابهات لأضواء العناصر عندنا فحكموا بتركيب تلك الكواكب من عناصر مثل عناصر أرضنا .  
وعليه يكون اسم الله تعالى (النور) هو سر الكون ولذلك سميت سورة باسم النور وقال الله سبحانه  
- الله نور السموات والأرض - بل ثبت فيما تقدم في تفسير الآية أن أصل العالم نور . إذن اسم الله النور  
هو سر هذه الدنيا لأن عالمنا نفسه نور وثوب القطن الذي كلامنا فيه نور بمجد تجلي عليه الله بأسماء أخرى  
آتية من صفاته فتراكم النور فلبسناه . فالثوب القشيب والثوب الخاق سيان في أنهما نور عند العالم ولكن  
الجاهل لا يرى إلا الظواهر فقد تجلى عليه باسمه (الميت) وعلى العالم باسمه (الحبي) وهو قادر ومقتدر بما  
صنع في الثوب من صناعات مختلفة إذ خلق نساجا وخياطا وهكذا وعلمهم صنائع حتى لبسنا ثوب القطن وهو  
وال يلي أمر الملك ومنه هذا الثوب فقد تولاه بهذه الأعمال مع أنه متعل فليست ولايته بالمشابكة بل هو  
متعال . هذا وبقية الأسماء ظاهرة منطبقة على هذه الدنيا بأسرها . فلاشجر ولا حجر ولا جبل ولا طير إلا وقد  
دخانها صناعات وأعاجيب حولتها من حال إلى حال وقد تجلى الله عليها بتجليات ظهرت لنا من مبدئها إلى منتهاها  
فلبس الثوب وآكل الخبز قد اشتمل عملهما على آثار أسماء الله الحسنى التي دخلت في معاني صفاته .  
إذن صفات الله تعالى كأن لها أمثلة محسوسة بالبصر . فهذه أمثال مضروبة للناس . فتي أشرقت الفلوب  
تجلت لها الأسماء فيما تشاهده في أنفسها وفي الآفاق . وخير معوان لها العلوم الحديثة لاسيما الكيمياء والا  
فما هذا الجمال وما هذا الإبداع . كيف يكون النور هو مبدأ كل شيء ؟ كيف يكون ثوبي وخبزي نورا أو نارا قد  
جدا وجدا . كيف يأكل الناس في الدنيا نارا قد أخذت

بمثل هذا يفهم الناس قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وقوله تعالى ها - ما يفتح الله  
للناس من رحمة - الخ وبهذا يقرب لنا فهم قوله تعالى - هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم -

### ( اختلاف نتائج الطعام في أحوال الناس )

أثبت الاستاذ (مكالم) بتجاربه على الفيران التي ظهر للعلماء انها تأكل اللحم والخضر كالإنسان فلها شبه  
به من حيث التغذية فجعلها العلماء محل تجارب الطعام . فهذا الاستاذ وهو مدرس لعلم الصحة بجامعة (جوز  
هيكنز) قد جعل أربع فيران في ناحية وأربعة في ناحية أخرى فغذى الفريق الأول بالماء والخبطة وغذى



الفريق الثاني بنفس الطعام مضاف اليه أوراق لفت أو بنجر فكبر الفريقان وزادت أفراد الفريق الثاني في أحجامها ضعف أقسام الفريق الأول ولم يحصل بينهما فرق إلا في ذلك وهكذا صنع علماء اليابان فقد أخذوا يغذون فريقا من التلاميذ بغذاء أهل اليابان وفريقا آخر بغذاء الأمم البيضاء فزاد الفريق الثاني في الطول بضع بوصات وهكذا في الوزن وهكذا علماء أمريكا جربوا هذه التجارب في التلاميذ بمدينة (باطيمور) الأمريكية فوصلوا الى ما وصل اليه علماء اليابان من النتائج ، فكانت النتيجة أن الصينيين واليابانيين والكورنيين وأهالي جاوه وغيرهم من الشعوب انما قصرت قاماتهم للاغذية التي يتعاطونها بخلاف الشعوب الطويلة القامة فان الأغذية أثرت في أجسامها فطالت وضمخت

وفعلت هذه التجارب نفسها بواسطة (الكولونل ماكر بسن) من أطباء مصلحة الصحة الهندية إذ وجد (قبائل السنج) و (الباتان) أكبر من (قبائل المدراسي) ونحوهم من الهند ، فوجد الأولين يتناولون الألبان والخضر ونحوهما واللحم ، والآخرون ليسوا كذلك ، فخرّب هذه الحال في الفيران كالأستاذ (مكلم) فكانت النتيجة كما تقدم تماما ، وهكذا فعل هذا الفعل في الجرذان فأطعم طائفة منها طعام فقراء العمال الانكليز وطائفة أخرى طعام اليابانيين ، فكانت الفيران التي تناولت طعام الانكليز الفقراء خشنه الجلد ميالة الى النزاع والحرب ، والفيران التي تناولت طعام اليابانيين وسكان فيلبين وجاوه صغيرة الأحجام والقامات وظهرت فيها بعض صفات هذه الشعوب

هكذا رأى العلماء أن مرض (البري بري) يصيب ملايين من سكان الهند والشرق الأقصى على الأخص فسميت منهم نحو مائة ألف كل سنة ، وذلك بسبب أكل الارز الأبيض المقشور لأن مادة الفيتامين لا تكون إلا في الارز الأسمر ، فاما مادة المغذية انما تكون في قشرة الارز ومرض (البلاغمرا) يصيب سكان الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية وهو يفسد بين القبائل التي يقل الغذاء فيها ، وغالب طعامهم الذرة وهي لا تعطي جميع المواد المغذية فهي قاصرة ، والعين قد تصاب بعشاوة بسبب فقد الفيتامين من الطعام وهكذا يحدث مرض الجلد بسبب حذف بعض عناصر الغذاء من الطعام ، وبعض أطباء اليابانيين أحدث قرحا في المعدة على هذه الطريقة ثم شفاها ، ومرض الكساح سببه قلة التغذية ويشفيه تناول زيت كبدا الحوت وهو المعروف بزيت السمك . انتهى ملخصا من المقتطف

كل هذه العلوم عرفها الانسان بسبب أن شهوة الطعام أوجبت على الانسان تعاطي الغذاء وتعاطي الغذاء دعاء للبحث ولما بحث وجد أن اختلاف الغذاء يوجب اختلاف القامة والخلق وهكذا . إذن هذه الأغذية من أعظم المؤثرات في هذا الانسان

### ﴿ الثواب والعقاب ﴾

إذن ثواب الناس وعقابهم سيكون كنتائج الأغذية فكما أن العقول البشرية لا تعترض على قصر قامة الياباني لاقتصاره على طعام الارز ونحوه ولا ترى أن هنالك ظلما في قصور قامة الياباني عن نظيره من أهل الشرق الأدنى والاورو بين طوال القامات . فالنتائج لها مقدمات ولاغبار على تلك النتائج بعد المقدمات . إذن شهوة الطعام وغيره انما خلقت في الانسان لتفتح عين بصيرته . فالجاهل يرى في الطعام لذة في حاسة الذوق ولكن العالم يرتقي للذة العقل فيقول للجهال أتم تأكلون كما تأكل الأنعام لا تعلمون إلا ما تحس به حواسكم . أما أنا فان عقلي يستلذ بأدراك المعاني الخبوءة في الأغذية والفواكه وينسى الشهوة الصغرى التي اشترك فيها الحيوان والانسان

هنالك فتبحث للانسان بصيرته فإذا فعل ؟ تمادي في الكشف والعلم فحفر الأرض واستخرج كنوزا

وسافر في البر والبحر وفي الطيارات وبحث عن العوالم المخلوقة في القطبين  
فقال صاحبي : هذه شهوة البطن لاغير . فقلت : كلا . هي شهوة علمية ، والدليل على ذلك أن الذين  
توجهوا للقطبين مات كثير منهم ، فهذه شهوة معرفة الحقائق أو الذكر والصيت ونحوها  
نشط الانسان في زماننا هذا نشاطا لم يعهده ، واختلط الغرب بالشرق وظهرت الكنوز والعلوم المدفونة  
فالنقود والحلى والخزائن الذهبية والجواهر الخزونة ظهرت في أقطار كثيرة وابتدع الناس وانتشروا في الأرض  
وطاروا في الأقطار بطياراتهم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وسار الانسان سيرا حيثاسريعا لاسيما لما ارتقى الطيران  
فامتطى الانسان غارب الهواء بالطيارات والبالونات كما امتطى غارب الماء بالراكب وامتطى صهوات الجياد في  
الفلوات فسافر الناس الى القطبين في هذه الأيام . كل ذلك سر مايفتح الله للناس الخ

### ﴿ وصف مناطق القطبين من حيث علم الفلك ﴾

تلك البلاد التي جعلها الله من أعجب العالم ، سنتها يوم واحد ، فالقطب الشمالي يبتدىء يومه من أول فصل  
الربيع وينتهي بأخر فصل الصيف وهناك يبتدىء ليله وهكذا القطب الجنوبي يبتدىء يومه في أول فصل الخريف  
وينتهي في آخر فصل الشتاء ثم يبتدىء نهاره وهكذا ، وصفة الشمس هناك انها تجري جريا رحويا أى كما  
تدور الرحا فهي تدور حول سكان تلك الأقطار مدة ستة أشهر كما يدور الثور في الساقية والبقرة في الطاحون  
والكنها في أثناء الدوران ترتفع شيئا فشيئا الى نحو (٢٣) درجة من السماء ثم تهبط راجعة ثم تغيب  
سمى الناس في أيامنا لكشف تلك الأقطار كأنهم قرؤا هذه الآية - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -  
وكانهم قرؤا قوله تعالى - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا - فقلوه جميعا يراد به أن لا ندر شيئا إلا بمحضناه  
وعرفناه ، فإذا عرف الناس هناك ؟ عثرفوا البترول والفحم والحديد والنحاس وغيرهما

إن احتياج الناس للطعام ومايعين عليه أذاهم الى كشف الأقطار البعيدة بشغف علمي وقد فهموا من  
صنع ربهم انه خلقهم للعلم والعمل وقال لهم ما قاله طارق بن زياد « العدو من ورائكم والبحر أمامكم » قلها  
للجيش الاسلامي وهو يغزو بلاد الأندلس ، هكذا الله يقول للناس : « ذل الحياة من ورائكم والموت أمامكم  
فلا بد من العمل » فشمروا عن ساعد الجد وكشفوا القطب وكثرت الطيارات وارتقى نوع الانسان ارتقاء  
نسبيا لكنهم الى الآن لم يصلوا الى عشر معشار مايقدرون عليه لأن أكثر الانسان معطل في هذه الأرض .  
أكثر الناس معطلون . فكم من عقول ضاعت لعدم استعمالها فيما خلقت له وهذه الأرض قد ملئت خيرات  
وأهلها لا يزالون أطفالا ، فهذا غزال (الرنه) التي رأيت رسم صورتها في ﴿ سورة النور ﴾ مع غيرها يعيش في  
القطب البارد ، وهكذا تلك النباتات التي تعد بالمئات قد حرم من الانتفاع بها الانسان وكذا الحديد والنحاس  
وغيرهما هناك ولم يعرفها الناس إلا في زماننا . إذن ابتداء الانسان الآن يتعلم

هذه بعض الآيات التي أراها الله للناس في هذا الزمان وهي الآيات التي عرفها الناس بسبب احتياجهم  
للغذاء ونحوه وهي مما فتح الله للناس من الرجات

### ﴿ الآيات التي عرفها الناس في زماننا بسبب قوتهم الغضبية ﴾

اعلم أن الانسان كما عرف عجائب النبات وتركيبه وخواصه ومهلكاته وامتلاء الأقطار النائية به كالقطبين  
هكذا نراه عرف بسبب قوته الغضبية علوما أخرى عظيمة . ذلك أنك قرأت فيما تقدم تاريخ المسلمين بالأندلس  
وبالشرق ، وهكذا تقدم أيضا تاريخ قسدماء المصريين فكانت النتيجة أن الترف والنعيم يهلك الأمم ومعنى  
هذا أن دولة العباسيين سقطت وذهبت ريحها ومزقت كل ممزق بسبب نظامهم السياسي المبني على أن الملوك  
هم المتصرفون فاتبعوا الشهوات وأضعفوا الأمم الاسلامية وهكذا تبعهم في ذلك سكان الأندلس إذ تفرقوا  
عشرين دولة وهم بين فكي الأسد في أوروبا ففضموهم قضا والنهموهم التهاما وأكلوهم أكلا لما . ولقد



تقدم واضحا وعرفنا سر نشأت الأمم العربية شرقا وغربا ورجع الأمر الى الشر والجهل والترف والبطر واتخاذ النساء من أمم أخرى حتى فسدت الدولة وساء المصير

نعم نحن رأينا هذا وعرفناه . إذن فلنتب من هذا ولنستغفر الله ولنسر بسيرة غير سيرة آبائنا الأولين فقد أيقنا الآن ﴿ أمرين ﴾ الأمر الأول ﴿ ان نتائج الأغذية لا تخطى قوة وطولا وضعفا وقصرها هكذا نتائج الأمانة المستعبدة التابعة لأهواء الأمراء فانها مضمحلة ذاهبة ، إذن قد صدق الله وعده فانه نظم التاريخ وخلق المؤرخين فالتقوا العلم الينا وأصبح العلم أمامنا والتاريخ يحدثنا حديثا صحيحا عن آبائنا امهم وقعوا فيما أخبرهم به النبي ﷺ إذ قال في الحديث الصحيح « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا الخ » فهذا الحديث قد تم وظهر أن النبوة قد أخبرت بالمستقبل وأخبر ﷺ بما وقعنا فيه الآن من الذلة بسبب فتوح البلدان لآبائنا فانكروا على ما بأيديهم ولم يتعلم الشعب كيف تستفيد الأمم من أرضها وأعمالها وذلك بعد القرون الأولى وهذا قوله تعالى - وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وان كان مكروهم لتزول منه الجبال - إن هذا القول منطبق علينا الآن وأن هذا التفسير قد جمع زبدة هذه المباحث وسيكون والحمد لله لها آثار قريبة المال هو وأمثاله إن شاء الله تعالى

فنحن معاشر المسلمين جميعا سكنا في مساكن أمم خلت وأكثرها ظلمت أنفسها وعرفنا بالتاريخ ( كالكدي قرأته فيما تقدم قريبا عن ابن خلدون وغيره ) انهم كانوا مترفين ظالمين كما علمت و بعضهم من آبائنا العرب إذن هذا هو قول الله تعالى - وقل الحمد لله سير يك آياته فتعرفونها - ، فالآيات قسمان : آيات في الأندس ومنها تاريخ العرب الاسلاميين ومن عاشوا معهم من المسلمين ، وآيات في الآفاق وهي التي عرفناها في تحليل الغذاء الى عناصره وفي عجائب القطبين ونحوهما ، وفهمنا فهمما لاشك فيه أنه لا فرق بين كون طعام أهل اليايات يوجب القصر وغيره يوجب الطول ، وبين كون الترف والتنعم في الأمم يورث زوالها والفضائل والعمل فيها يورث بقاءها ، إذن العلوم والتاريخ الآن مضبوطات ونتائجها لاشك فيها ، إذن الله أرانا فعلا آياته فعرفناها وأن حياة الأفراد بالأغذية نتائج تابعة لها كما ان حياة الأمم تبع لأخلاقيها الفاضلة وموتها تبع لخسرتها وترفها والله حكيم عليم . لقد علمت يا الله أمم ممن حولنا تاريخ الأمم فعملت به فاحترست فطالت أيامها أكثر من طول أيام دول أخرى قديمة . وهذه المباحث مما ففتح الله للناس من الرجات تفسيرها للآية

﴿ نتائج تعليم الله لنوع الانسان في هذا الزمان ﴾

اعلم أن نتائج التعليم في العصر الحاضر أن النوع الانساني قد اعترته حال جديدة زخرته عن أكثر ما لديه من أحوال التعليم ، ثارت نائرة هذا الانسان ، أخذ يسير في الأرض وقد زلزلت زلازلها وأخرجت أثقالها ففتحت خزائنها وظهرت كنوزها وأخرجت موتاهم من القبور بأجسامها لا بأرواحها وعرفوا المعادن وأنواع السوائل المخزونة في الأرض فاستخرجوها وسارعوا الى القطبين فرأوا ما لم يره السابقون وأخذوا يستنطقون الأحجار فنطقت وأخبرتهم بما حل بالقرون السابقة والأمم الخالية وأخذ الناس يسأل بعضهم بعضا ماذا يحل بآلنا بعد الآن وأخذ الناس يركبون الطائرات ، ولا يمضي إلا زمن قليل حتى يركب الناس الطائرات ويكونون في غدوهم ورواحهم كالطيور الصافات . هنالك فقط ينتفعون بنعم هذه الأرض كما انتفعت الطيور برحلة الشتاء والصيف المذكورة في ﴿ سورة النور ﴾ عند قوله تعالى - والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه -

ستكثر الطائرات وتعمل للأفراد ويشارك الناس الطير في جوار السماء فيصير هذا الجسم الثقيل الانساني كالطيور ويجوب الأقطار ويقنحهم الأسفار وهنالك تحصل للناس حال جديدة إذ تصير جميع الناس في عمل ويقل الكسل والجهل ويم التعليم . ولا يعيش في هذه المدنية المقبلة إلا المتعلمون تعلميا حقيقيا . ولا يكون في

الناس من يكون عالة على غيره إلا المرضى والأطفال . والتعليم يكون عاماً بواسطة نفس الأمة . هنالك ترقى الإنسانية ويكون ذلك حالاً نسميها التوكل لأن التوكل حق التوكل هو أن يعمل الإنسان كل ما في طاقته ويترك الأمر في نتيجة عمله لله عز وجل . هنالك يظهر لنا ﴿ معجزتان في الأولى ﴾ الحديث الوارد في الصحيح ﴿ أن الرجل يأتي بصدقة فلا يجد من يأخذها ﴾ وقد ذكر في هذا التفسير سابقاً ﴿ الثانية ﴾ هو قوله ﷺ ﴿ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بطاناً ﴾ فهذا تلويح إلى زماننا هذا إذ يطير الناس كما يطير الطيور في الجو ويحبون الاقطار . فلا يحصرون في الأمصار كالطيور ، والطيور تجوب وتقطع مهامه لا يعرفها الإنسان ، وأذكر كرك بما تقدم في هذا التفسير من أن القوم يبحثون بالطيارات عن قارة مجهولة جهة الأقطار الشمالية لأنهم رأوا الطيور ترحل إليها ، فتوكل الطيور هو أجل توكل لأن الطير لا يتكلم ببعضه على بعض ، ولكن هذا الإنسان لنفس نظامه تستبد طائفة منه بالثروة وتترك الباقي فيقل العلم والصناعة . فلذلك ترى هذا الإنسان ناقصاً نقصاً فاحشاً محزناً مؤلماً . فاجتهاد جميع الأفراد كاجتهاد الطيور يرفع الإنسانية رفعة لاحد لها . هنالك تزول الزكاة كما ورد في الحديث إذ لا محتاج فان الرزق موجود في كل مكان بل ربما كانت هناك منابع للرزق غير مانع عنه تحقيق معنى الحديث . إن هذا الزمان زمان انتقال وهو بعض ما يفتح الله للناس من رحماته

- (١) لقد زاد الطيران بسرعة فصار (٣٠٠) ميل في الساعة للطيارة في الجو
- (٢) وهذا سيجعل القفر عامراً فسكان استراليا انتقلوا فجأة بالطيارة من أوائل القرن التاسع عشر إلى العشرين أي من السير على المركبات والخياد إلى ركوب الطيارات إذ تمكنوا بالطيارات من قطع مسافة (٥٠٠) ميل فوق القارات التي بين مدينتي برث ودربي في استراليا و٤٨٠ ميلاً من اديليد إلى ملبورن . و٥٠٠ ميل من ملبورن إلى سدني و٥٠٠ ميل من سدني إلى بريسين
- (٣) بعض المستأجرين الأراضي هناك وهو شيخ بلغ السبعين قطع مسافة (١٢٠٠) ميل في يوم واحد وكان يقطعها قبلاً في ستة أسابيع على جواده

#### ﴿ مصادر القوة ﴾

يقول الاستاذ (صدى) البجائية في أشعة (الراديو) وغيره من مصادر القوة والضوء . إن مصادر القوة التي يعتمد عليها أبناء هذا العصر قريبة الزوال

- (١) لقد استخدم أهل (النروج) الضباب الصناعي لوقاية الحاصلات من الصقيع . وذلك بتغطيتها بالبخار الساخن

- (٢) الاستاذ (لوسيان دانيال) ولد نباتاً ينتج طماطم فوق سطح الأرض وبطاطس تحت سطحها في (مدينة رين) بفرنسا

وقد تبدأ بعض علماء الفسيولوجيا والكيمياء بأنه يأتي يوم يتخذ الإنسان غذاءه من نفس القوة الحيوية المخبوءة في الجوهر الفردي لأن قوته مستمدة من قوة الشمس وذلك بأن يوصل بدنه بآلة كهربائية خاصة تتصل بتلك الجواهر الفردة بحال خاصة فيمتلئ جسمه بما يحويه ويغنيه وهذا رأى (المستر ولز) والعلماء اليوم كلهم يقولون : « إن كل قوة في الأرض إنما هي من الشمس » فكل القوى في أرضنا مستمدة منها لذلك يقولون وجوههم وهمهم نحوها

هذه أماني العلماء في المستقبل وهذه منتهى أبحاثهم . كل ذلك تفسير للحديث : « ترزقون كما يرزق الطير الخ » وحديث الصدقات إذ لا تجد من يأخذها . وهذا يدل على أن أرضنا ستكون فيها أيام سعادة لأجيال قادمة . هذا هو المقصود من أنه ﷺ رحمة للعالمين وأنه آخر الأنبياء والمرسلين



واياك أن يصدك عن هذا أن المسلمين جهل . فهو لاء الجهال سيثبون وثبة واحدة تهترأ لها الأرض . وهذه لوثة ليست للحرب وإنما هي للحكمة والعلم وسيعرفون آراء الأمم ويقرؤون لأن هذا مما فتح الله من الرحمت (١) - رأى المسيو البرت أودن في كتابه أصل الرجال العظام

إذ ذكر الذين اشتهروا بالأدب الفرنسي شعرا ونثرا في خمسة القرون الماضية فأثبت أن تسعة أدباء من كل مائة أديب اشتهروا من أولئك الفقراء ، والفقراء في فرنسا (٩٧) في المائة ، فطبقة الغنية القليلة هي التي أنجبت النابغين فيها في خمسة القرون الماضية ، وطبقة الأشراف في فرنسا وهي جزء من مائة منها أنجبت (٢٥) في المائة من النابغين في الأدب الفرنسي في القرون الخمسة المذكورة ، والوضعية لم تنجب سوى (٣) في المائة ، وروايات الأشراف هي التي أحدثت الانقلاب في فرنسا

(٢) ويعرف المسلمون رأى (السرفرنس غلتن) العالم الانكليزي الذي بحث في مدة (٢٥) سنة فوجد في كل (٤٠٠٠) شخص من العاقمة ينبغ واحد في القضاء . أما القضاة الذين هم أبناء قضاة فيكون واحد من ثمانية يشتهر الشهرة عينها

(٣) ويعرفون أيضا رأى الاستاذ (امبرتوسا فيوتي) الذي بحث في تلاميذه بميلان فرتبهم هكذا :

(١) أبناء أصحاب المهن الحرة	٥١٨٩
(٢) أبناء الطبقة التجارية العليا	٥٠٨٨
(٣) الطبقة التجارية العادية	٤٧٢٢
(٤) الخدم	٤٤٨٤
(٥) الصناع	٤١٨٧

فقد امتحن قوة ذكائهم فوجد هذه النتيجة

(٤) ويعرفون رأى عالين من علماء السيكولوجيا في تلاميذ مدرسة في بروكسل ببلاد البلجيكي ولا يؤمها إلا أبناء الأغنياء فوجدوا ذكاءهم يفوق المتوسط لمن في سنهم . وقد ظهر لهما في امتحان أولاد الأغنياء الذين لا يزيد سنهم على (٩) سنوات في إحدى المدارس فوجدوا أنهم مثل أولاد الفقراء في العاشرة ذكاء (٥) ويعرفون رأى (العالم السيكولوجي سيريل) إذ وضع أسئلة فوجد الأولاد الذين يعيشون في أرقعة (لفربول) القدرة يستغرقون (١٢٣) ثانية في الإجابة وأبناء التجار يستغرقون (٩١) ثانية وأبناء الأساندة والمطارنة (٧٤) ثانية

(٦) ويعرفون رأى الاستاذ (لوس ترمين) الأمريكي إذ يقول : « إن التفوق في الذكاء يزيد (٥) أضعاف في أبناء الطبقة العالية والاجتماعية عن أبناء الطبقة الواطئة

(٧) ويعرفون رأى الدكتور هفلك الس فيلسوف الانكليزي إذ بحث (١٠٣٠) نابغة من الانجائز رجالا ونساء سنة ١٩٠٤ فكانوا على هذه الصفة

الطبقة العالية	١٨٥	الجيش والأسطول	٦٨١
رجال الكنيسة	١٦٧	صفار الموظفين	٣٢٢
رجال القانون	٧١	التجار	١٨٨
رجال الطب	٣٦	الصناع	٩٢
المهن المختلفة	٧٦	الفلاحون	٦٠

(٨) ويعرفون رأى الدكتور (كاتل) رئيس « مجمع تقدم العلوم الأمريكي » إذ جمع سير (٩٥٠٠) رجل من رجال أمريكا المتفوقين في العلم فوجد أن أصحاب المهن يبلغون (٣٨) في المائة من المجموع وقد

أنجبوا (٤٣١) في المائة من النابغين و (٤١١) في المائة من المجموع يشتغلون بالزراعة أنجبوا (٢١٢) من النابغين و (٣٤١) من المائة من المجموع هم أهل الصناعة والتجارة أنجبوا (٣٥٧) في المائة من النابغين ، إذن ثلاثة في المائة من سكان أمريكا وهم أصحاب المهن الحرة أنجبوا نصف علماءها (٩) ويعرفون رأي الدكتور (اديون لفت كلارك) إذ بحث في أصل ٦٦٦ رجلا من رجال الكتابة والتأليف فوجد أن أصحاب المهن الحرة أنجبوا (٤٩٢) في المائة من الرجال الذين تناولهم البحث والمشتغلون بالتجارة أنجبوا ٢٢٧ والمشتغلون بالزراعة أنجبوا ٢٠٩ وغيرهم ٨٢.

(١٠) وسيعرفون رأي الدكتور (كلارك) إذ يقول : « النقر لا يخلق النبوغ ولا الغنى ولكن الغنى يساعد وهو أكبر معوان على اظهاره » والمستقبل يقول : « إن النبوغ لا يكون لغير المتعلم » والله أعلم بهذه آراء عشرة من رجال العلم في الأمم المختلفة المحيطة بنا ، أثبتوا أن القضية المشهورة عندنا معاشر المسلمين أن الفقر يدفع الى النبوغ قضية خاطئة ، نعم إن ذلك دافع للعمل ولكن يحتاج لمساعدة المال . وبعد هذا سيعلم المسلمون علما ليس بالظن أن ما هم عليه من سوء الحال ناجم من جهلهم بنظام ربهم إذ حرم على هذا الانسان أن يرقى إلا متحدا والمسلمون منع عنهم الرقي ، إن كل امرئ منهم لا يريد إلا نفسه أو أقربيه وهذا جهل محض ، فله يقول - اهدنا الصراط - ويقول - إياك نعبد وإياك نستعين - فليست أستعين بالله وحدي ولا أعبد وحدي ، والمسلم يقول في الصلاة أيضا ﴿ السلام عليك أيها النبي ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فهو يسلم على الأمة مرتين في ضمن الصلاة على نبينا ﷺ لأنه رمز لها كلها فالمسلم عليه مسلم على الأمة ضمنا لاتحاده معها ، والمصلي عليه مصلي عليها معه ، فهو يطلب من الله رحته وهي ظل له فكأنه طلب لها الرحمة معه . إذن الصلاة في معناها رمز للوحدة العامة الاسلامية ، فعلى قادة الأمم الاسلامية أن يجعلوا التعليم عاما ، وأن يبذلوا للصبيان كل ما يحتاجون اليه بحيث يكون أبناء الفقراء في ذلك كأبناء الأغنياء تقريبا وهناك يظهر النبوغ وترتقي بلاد الاسلام

فلما سمع صاحبي ذلك قال : إن هذا الموضوع جليل ولكن أراك أدخلت معنى قوله تعالى - إذا زلزلت الأرض زلزالها - في ضمن هذا المقال ، هل تريد بهذا القول أن قوله تعالى - إذا زلزلت الأرض زلزالها - يرجع الى هذه الحركة العامة ؟ هل هذه زلزلة ؟ وهل اخراج الأرض أبقاها هو ما تراه من علوم الآثار الخ وهل قراءة أخبار الأمم على أحجارها مثلا مثل القوانين التي كتبها جوراني

كل ذلك تفسير للآية ، وهل أعمال الناس في الكشف الحديث والجذب في العمل يرجع لقوله - أشتاتا - وهل قوله - ابروا أعمالهم - معناه أن كل امرئ يعمل ويعطى الرزق غالبا من عمله ولا يتشكل إلا على ربه وأن عمله له سواء أ كان قليلا أو كثيرا . قلت : هل أخذت هذا من كلامي ؟ قال نعم . قلت : اعلم أن السورة واردة في القيامة ولكنها منطبقة انطباقا تاما على أحوال عصرنا فلما أن نقول هذا كناية ؟ ولا جرم أن الكناية تشمل المعنيين معا : المعنى الآخري ، والمعنى الديني ، وما الآخرة إلا صدى الدنيا والأمر سهل في هذا . وإذا كان العذاب في الآخرة فهو في الدنيا ، وقد قررنا هذا في مواضع كثيرة من هذا التفسير

يقول الله في أول ﴿ سورة فاطر ﴾ - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - ثم ظهر أن هذا العصر هو عصر الخروج . فاستبان للناس أن الفرنجة قد استخرجوا من بلاد اليمن أخبارا كثيرة من أحجارها التي رسموها وهكذا أتى بنفس هذه الجملة في أول ﴿ سورة الحديد ﴾ للإشارة الى أن معدن الحديد مما يخرج من الأرض . فإذا قل ان الأرض زلزلت وكان المعنى أن ذلك يوم القيامة فليس هناك مانع أن يكون رمز الحال العالم الآن من الحركة العلمية والحربية التي زلزلت لها الأرض زلزلة بالحرب والأعمال العظيمة . وهما هي ذه الكوز العلمية والعملية قد أخرجت . وما هم أولاء الناس شرقا وغربا يتساءلون قائلين : الى أين نحن سائر ون



ولاجيب ! ولكن الجواب ظاهر في الآية . ذلك أن كل امرئ سيقوم بعمله الخاص ويكون الناس كالطير تغدو خفاصا وتروح بطانا . فهأى هذه الطيارات أخذت ترتقي ، وفي هذا اليوم وهو ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩ م بقيت الطيارات الأمريكية ستة أيام في الجوّ ولم تنزل من خلالها على الأرض ، ومعنى هذا أن الطيران سبرتقى وبعم قريبا ويكون للناس شأن آخر فتعمر الأرض التي لازرع فيها وتقوم حكومات توزع الأرض التي لامالك لها على العاطلين من الأمم ، وهناك يتكل الناس على ربهم فلا تحارب بينهم ، وأيضا لا يأكل القوي مال الضعيف ولا يتخرب الناس مالا بل تكون الأرض كلها أشبه بدار واحدة لأسرة واحدة . وهذه الطيارات مقدمة لذلك العمل وبها يصبح الناس كالطير وذلك من عجائب النبوة ومدهشاتها ، وهذا المقام واضح في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ والمجد لله رب العالمين . انتهى ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩

### ﴿ آيتان في الكشف الحديث ﴾

( الآية الأولى . كشف الحيوانات الذرية )

من آيات الله التي ظهرت بعد ذلك كشف الحيوانات الذرية (المكروبات) . وقد تقدّم في سورة ابراهيم ذكر كشف علوم كثيرة في تفسير قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - ذكرتها في بيان تذكيري للمسلمين بأيام الله

أنا أكتب هذا اليوم أعني يوم ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٨ فأقول : « إن الناس قبل ٢٥٠ سنة لم يكونوا يعلمون شيئا عن الحيوان فاتفق أن رجلا اسمه (ليونهوك) من دلفت بهولنדה لايعرف علما من العلوم ولا لغة من اللغات الأجنبية ، قد جعل أوقات فراغه في صنع العدسات إذ سمع أن الانسان اذا صنع عدسة كبيرة من الزجاج يقدر أن يرى بها الأشياء ، فأخذ يطحن الزجاج ويصبه ليخرج العدسة المطلوبة وبقى في هذه التساية عشرين سنة فصنع مئات ومئات منها لتحسينها حتى استطاع أن يصنع عدسة تقية مضبوطة ولكنها لدقتها أمكنه أن يرى منها الأشياء الصغيرة في أحجام كبيرة على غاية الوضوح فأخذ ينظر كل شئ بها مثل الشعر والنسيج وقطع من الجلد وزبان النحل ورؤس الذباب فكان ذلك تفكها له وسرورا لما في ذلك من الغرابة والسرور والبهجة . واستمرّ يفعل ذلك الى أن اتفق له ذات يوم أن يكون أول كاشف لأعجب وأعظم العلوم الطبيعية وهو ذلك العالم الكبير الذي لا يحصى عدده ولا يعرف أمدّه

( الآية الثانية )

### ﴿ حيوانات شتى في الماء الصافي ﴾

ذلك انه وضع نقطة من الماء النقي تحت العدسة فلما نظرها أخذته الدهشة فسمعتة ابنته وهو يناديها « تعالى أسرعى ، تعالى انظري الحيوانات الصغيرة في الماء الذي نشربه ، انها تعوم ، هأى ذه تجرى وتلعب ويجرى بعضها وراء بعض ، ما أعجبها ، انها أصغر بألاف المرات من أى حيوان نراه بالعين المجردة . انظري انظري هذه الحيوانات التي أكتشفها ،

فهذا الكشف انتقل من حال الى حال وعرفه الناس وعظم قدره وظلّ يجاهد طول حياته ، وأحدث بهذه المعلومات ضجة كبيرة ، ولقد قبض الله بعد وفاته هذا العلم قسيسا ايطاليا اسمه (سبالانزاني) فزاد هذا العلم درجته وتقدّم به خطوة إذ برهن أن هذه المخلوقات ليست توجد هكذا بفتة بل هي تناسل كما يتناسل الحيوان المعروف . انتهى الكلام على الفصل الأول فيما فتح الله به على الناس باستخراج ما في العناصر الأرضية والمجد لله رب العالمين

## ﴿ الفصل الثانى ﴾

( فيما فتح الله به على الناس بكشف خيرات كانت خافية عليهم فظهرت لهم )

نذكر فى هذا الفصل احدى عشر موضوعا وفيما يلى بيانها :

- ﴿ أولا ﴾ ثروة القطب الشمالى
- ﴿ ثانيا ﴾ ارض كشفت فى دائرة القطب الجنوبى
- ﴿ ثالثا ﴾ مانا كاه من نور الشمس وتتداوى به ؟ والكلام على المنسوجات الكيماوية
- ﴿ رابعا ﴾ أعجوبة مدهشة فى البناء
- ﴿ خامسا ﴾ ما نستخرجه من الألماس
- ﴿ سادسا ﴾ من أحدث الاختراعات وعجائب العلم الجليد السخن وصنع الورق من حطب الذرة
- ﴿ سابعا ﴾ الغاز الطبيعى
- ﴿ ثامنا ﴾ ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس . وساعة تشتغل بنفسها أمدًا طويلا
- ﴿ تاسعا ﴾ عجائب العلم الحديث التسع
- ﴿ عاشرا ﴾ أغرب غرائب أمريكا
- ﴿ حادى عشر ﴾ الأطفال ذوو العقول الجبارة

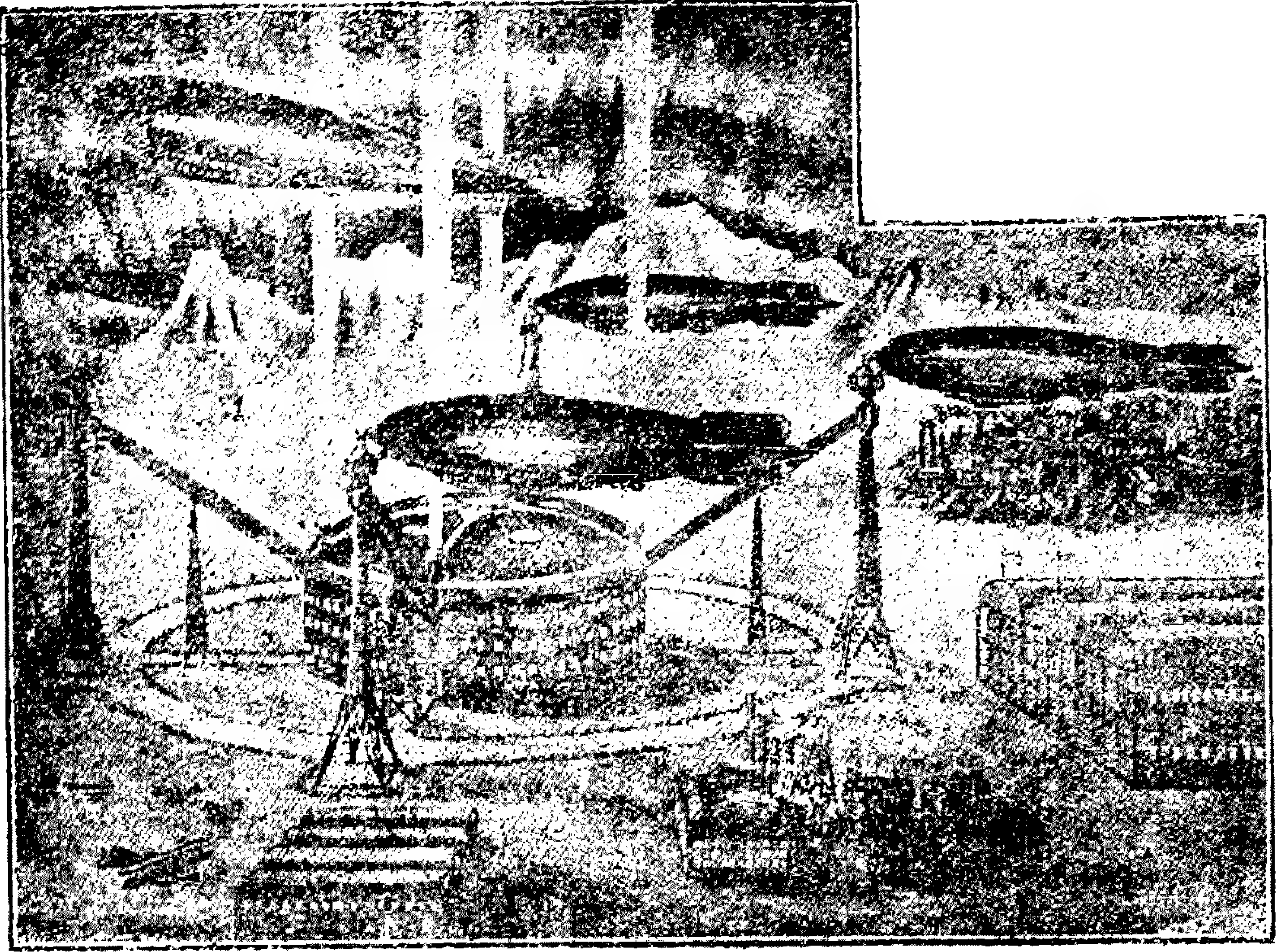
### أولا - ﴿ ثروة القطب الشمالى ﴾

جاء فى جريدة كوكب الشرق بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ م مانصه :

يقول المكتشف ستفانسون « إن فى القطب الشمالى مناجم من الفحم والبتروى والحديد والنحاس . واذا كانت هذه المناجم لم تكتشف وتستغل للآن فان علاماتها كلها واضحة . اما النباتات فكثيرة وخصوصا تلك الغابات المؤلفة من الاشجار المخروطة . وفى القطب الشمالى من النباتات الزهرة ٧٦٢ نباتا وأقدر أنواع الحيوان التى تستطيع المعيشة فى برودة القطب هو الرنة الغزال المعروف . وتقدر مصلحة الزراعة فى الولايات المتحدة ان فى الاسكا وحدها من الاعشاب ما يكفى أربعة ملايين رنة . ويعيش فى القطب غزال المسك ويمكن تدجينه بسهولة ، وستجعل الطيارات للقطب الشمالى مركزا عظيما تحط فيه وتقلع منه فى اسفارها بين أوروبا وأمريكا وآسيا ، انتهى . وسترى فى الرسم التالى ما يحقق ذلك ( انظر شكل ١ ) فى الصفحة التالية



( القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية )



( شكل ١ - رسم محطة الطيارات والبلونات فى القطب الشمالى كما تخيلها أحد المهندسين )

ثانيا - ﴿ الأرض فى دائرة القطب الجنوبى ﴾

جاء فى جريدة المقطم بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٩ م  
مات أشهر رواد القطب الجنوبى فقضى امندصن الغروجى وسكوت الانسكايزى وغيرهما من أولئك الابطال  
الذين ازدروا المخاطر وتجشموا أعظم المشاق لشق الحجاب الذى كان يحجب دائرة القطب الجنوبى عن عيون  
البشر فكان لهم ما أرادوا . ولوعاشوا إلى اليوم لأبصروا دول العالم تتسابق لامتلاك تلك القارة التى كانوا  
يعتقدون بوجودها ولو انها لم تكن الغرض الأكبر والأول من رحلاتهم . فقد وصفت التلغرافات الخصوصية  
والتلغرافات العمومية أمس ماهو واقع من المنافسة بين الاميركيين والبريطانيين والاستراليين على رفع الرايات  
على بلدان هذه القارة القطبية الذى تقول بعثة بيرد الاميركية انها اكتشفت . منها بالطيارات مامساحتها أربعون  
ألف ميل مربع . وقد سبق أن عينت حكومة استراليا بعثات برئاسة المسترموسون . هذا الذى ورد ذكره  
فى التلغرافات أمس لايفعال فى دائرة القطب الجنوبى ودرس طبيعة أرضها وبحارها وجوؤها لما لذلك كله من  
العلاقة الجوية بالبلدان التى تتلوها شمالا ولما يرجى أن يجنى منها من الفوائد المادية كصيد الحيتان واستخراج  
بعض المواد . فهل تصبح تلك الجهات مسكنا للبشر متى غصت الأرض بسكانها ولم يعد فى القارات المجهولة مجال  
لخلق جديد . هذا ما يحتمل أن يكون إلا اذا مكن العلم البشر قبل ذلك من التماس مقام لهم فى العوالم  
الأخرى المجاورة لعالمهم كالمرجح من السيارات اه



### ثالثا - كيف تأكل نور الشمس وتداوى به ؟ والكلام على المنسوجات الكيميائية

ظهر في حوانيت البدالين الامريكيين منذ بضعة أسابيع غذاء جديد للفطور من القطناني (١) (مشبع بضوء الشمس الصناعي الذي ينبعث من مصابيح كهربائية قوية) فكان هذا الغذاء أول مادة صحية مشمسة تشميسا صناعيا عرضت في الاسواق . وسوف تعقبها أنواع شتى على عمر الزمن . ويعتبر الغذاء المتقدم ذكره باكورة ثمار الاستنباط العلمى الذى استنبطه الاسناد هارى ستينبوك من أساتذة مدرسة ويسكونزين الجامعة بامريكا (متوخيا به وقاية الانسان من فتك الامراض . وقد كان فى وسع المخترع استثنائه بطريقته العلمية هذه فتدبر عليه الملايين من الجنيهات بيد أنه استصوب ألا يرضى بها على الخلق ، فنزل عنها مدفوعا بعوامل الشفقة على الانسانية المعذبة بالأوصاب . وماعتم ذلك العالم أن أطاق اللثام عن استنباطه هذا المدهش . وخواه « أن الغذاء المشبع بضياء الشمس خير وراق من الكساح (داء العظام الرهيب) وانه يرجو نجحها أيضا فى منع التدرن وفقر الدم ، حتى خشى عاقبة وقوف التجار ولاسيما من لاخلق لهم على كنهه اختراعه فيتخذونه ذريعة لابتزاز المال من خلق الله) فهرع الى معمله الخاص بالتحليل الكيماوى فخطم ما كان يحويه من المصابيح الشمسية القوية وأعاد الفران البيضاء التى أتاح له اختراعه الجليل . الى أقفاصها . ثم عمد الى ديوان تسجيل المخترعات طالبا إعطاءه رخصة باختراعه ليحتكره . ولما أن ظفر بأربه ذاك ، نزل عن اختراعه العظيم المشار اليه ورخصته أيضا وكل ما يتعلق به لجامعة ويسكونزين . وعلم كبار صناع الاغذية بالاخترع المتقدم ذكره فقصدوا الى العلامة ستينبوك مستوضحين . فلم يسعه الا الايعاز اليهم بالتوجه الى أمناء الجامعة السابقة الذكر ليتلقوا منهم الاجابة عما يرغبون . وهناك علم وفد التجار بانه لا يحظر عليهم الانتفاع باختراع التشميس الصناعى السالف الذكر . بشرط ألا يزيدوا أثمان المأكولات عما هي عليه . من أجله (فقبلت هذه الشروط طائفة من الشركات المشهورة ومنها شركة كبيرة تدفع الآن سنويا عشرة آلاف جنيه لأمين صندوق الجامعة فى مقابلة الاباحة لها بالتجارة بالمواد الغذائية المشمسة بالطرق الصناعية . وكل ما استغلته الجامعة حتى الآن من الاختراع الذى نحن بصددده هي «القطناني المشمسة» التى يعرضها التجار المشار اليهم للبيع وسيعقبها باقى الغلات فى القريب العاجل . هذا ولابد من ادراك العلماء ذات يوم كنه تأثيرضياء الشمس ولاسيما الأشعة التى فوق البنفسجى . التى يولدها الدكتور ستينبوك وغيره من العلماء بالطرق الصناعية أى بالمصابيح الشمسية . فى حياة الجنس البشرى .

وكان أهالى بلاد يبرو القدماء وطوائف الزور واستر بن القديمة وخلفاؤهم عبدة النار فى الهند وغيرها من القبائل القديمة والشيخ الدينية تعتقد اعتقادا راسخا (بأن الشمس مصدر الحياة) فأيدت المباحث الحديثة تلك الاعتقادات الدينية العتيقة . وطالما أطلقنا اسم (اللفح الصحى) على تلويح البشرة من التعرض للشمس وما علمنا الا من عهد حديث أن ذلك نتيجة تأثير الاشعة الخفية التى فوق البنفسجى . فى الجلد (ثم تحققنا كون هذه الاشعة تمد الجسم بخصائص منعشة) أطلق عليها اسم (فيتامين) وانا اذا لم ندخل هذا الفيتامين فى أجسامنا مع طعامنا ونحصل عليه فى أبداننا من طريق الجلد ما استطعنا التمتع بسلامة الصحة ولا هناءة المعيشة زمنا طويلا . والنساء أسبق من الرجال الى تطبيق هذا الرأى العلمى على حياتهن ( كما أثبت ذلك الدكتور (افرايم ملفورد) رئيس الجامعة الطبية فى نيوجرسى) أمام مجمع الأطباء من عهد حديث . ولا يخفى أنهم أطول أعمارا من الرجال وأشد مقاومة للأمراض وألين عطفة تجاه الاجتهاد . ويعزو الدكتور ملفورد

(١) القطناني (بفتح القاف وتشديد الياء) الحبوب التى تطبخ وذلك مثل العدس والفول واللوبياء والحبص

والارز والسمسم



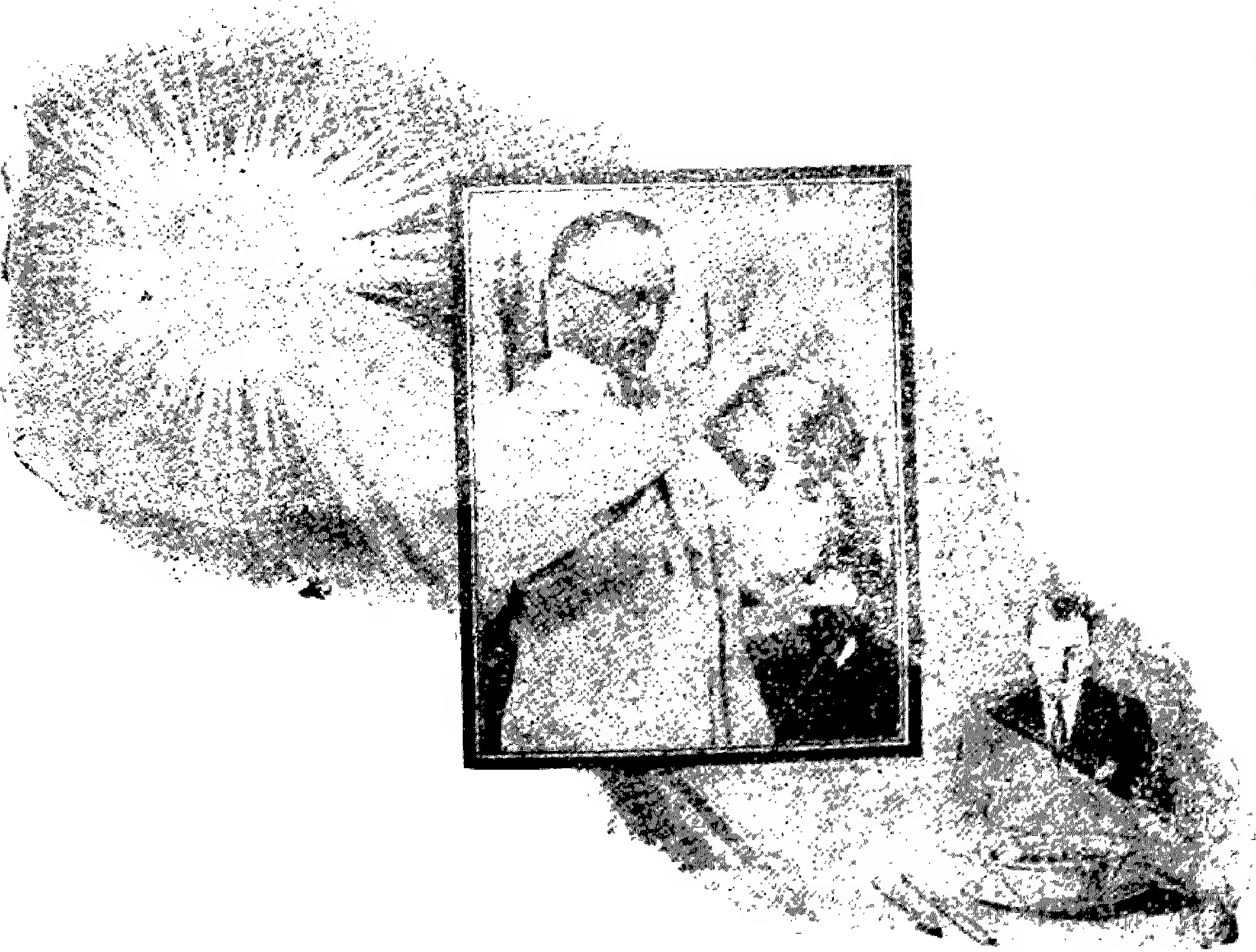
السبب الى الازياء الحديثة (المودة) التي تحتم على النساء لبس ملابس أقصر من اللازم وأقل من الواجب (وهن بذلك يعرضن أنفسهن للأشعة التي فوق البنفسجي) بينما الرجال مازالوا مصرين على تغطية أبدانهم من قبة الرأس الى أخمص القدم بالثياب الصفيقة القائمة (يقول المؤلف هذا رأى وللدن موقف آخر)

اذن يخلص مما تقدم (أنه كلما اشتد بياض اللباس وتضاعفت مسام نسيجه ، سهل اختراق الأشعة التي فوق البنفسجي اياه كما أثبت ذلك مباحث مصلحة المقاييس في الولايات المتحدة بأمريكا . أما المنسوجات المصبوغة والتي اصفر لونها قليلا لقدمها فتها تكاد تمنع اختراق الأشعة للجلد منعاً باتاً . ومما جاء في هذا الموضوع في تقرير قدمه الدكتور (سيل هاريس) من أطباء مدينة برمنجهام في ولاية ألاباما بأمريكا الى المجمع الطبي الأمريكي قوله . اننا نحفر قبورنا بأسناننا بلبننا الأطعمة المحتوية على الفيتامين ، وباقبالنا على الأغذية المكونة من السكر والنشاء . اذ كل ما يعترى الانسان من ضعف مقاومة الأمراض المعدية التي تصيب الانف والزور والمعدة والامعاء انما ينجم عن التغذي بخبز مصنوع من الدقيق الناصع البياض ، والبطاطس البيضاء والارز المبيض واللحوم الهزيلة والقهوة المشبعة بالسكر ، والنقل المحلى بالسكر ، والمشروبات الحلوة «والمربات ونحوها» وقد عزا زيادة أمراض المعدة الى كثرة استهلاك السكر والأطعمة الحلوة فقال . كان الفرد في الولايات المتحدة مثلاً منذ خمسين سنة يستهلك في السنة ٣٦ رطلاً من السكر فأصبح معدل مقطوعيته الآن ما تقرب الى ستة أرطال في السنة . وما الاصابة بالنوازل والتهاب الرئة والتدرن والتهاب الزائدة الدودية وقرح المعدة وداء الصفراء النتيجة انعدام الفيتامين في غذاء الأشخاص الملازمين للحياة الجلوسية في أمريكا وغيرها فاذا استطاع المرء أكل طعامه نيئاً ، هان عليه الحصول على ما يعوزه من الفيتامين (لان الآلة البشرية يتسنى لها أداء وظائفها على خير ما يرام اذا اقتصر الشخص على أكل ما يصيده أو يحصل عليه بعرق الجبين) لأن ذلك يقتضي اجهاد العضلات وتعرضها لضياء الشمس كي تحصل على الغذاء المشبع بالفيتامين لتعرضه هو أيضاً لضوء الشمس . واذا كان أسلوب الحياة هذا لا يتفق ومدنيتنا الصناعية الحاضرة ، فخير بنا الاكثار من أكل المواد الدهنية والجوز والأثمار والخضراوات ولبس أخف مانطقه من الثياب ، والمشي في ضياء الشمس بقدر ما تسمح به حالنا ثم الوثوق بحسن المصير

وبينما كان الاستاذ «ستينبوك» يغذي الفئران البيضاء بالحبوب في معمله الكيماوي المظلم كان زملاؤه من العلماء في أمريكا وأوروبا يجربون حصر ضوء الشمس في قناني لاتتفاع الملا به فقد جاءت الانباء من معامل التحليل الكيماوي في انكلترا وألمانيا بأنه قد استنبطت مادة اذا عرضت لضوء الشمس أو للضوء الذي فوق البنفسجي أصبحت دواء ناجعاً يفوق زيت كبد الحوت «البالكلاه» المعروف باسم زيت السمك (ألوفامرات) ويقال ان كل ست أواق منها تعادل طناً من زيت السمك من جهة الفائدة العلاجية . وقد سماها العلماء «ارجوستيرول» وهي تتركب من الخيرة وتشبع بضوء الشمس . وتوجد منها مقادير ضئيلة في بدن كل جسم صحيح . فاذا انعدمت من أي جسم أمكن تجديدها بمحقة دقيقة من الارجوستيرول «لا يمكن قياسها لصغرها» . وبلغ من شدة مفعول هاتيك المادة أن الحقنة الواحدة منها اذا زادت على المتوسط بضع حبات أعقبت الموت الزؤام أشد من الزرنيخ . أما طريقة الاهتداء الى المادة السحرية المتقدمة وصفها ، فأمرطريف بدأ بتجارب باشرها العلماء قصد تحسين طعم زيت السمك لكيلا يعقيه (١) من يوصف له ليستطب به . وقد اسفرت التجارب الأولى التي تحرى بها العلماء تحسين طعم ذلك الزيت بنقته مما يشوبه من الشوائب ، من ضياع فائدته الطبية . فكانت هذه النتيجة أول دليل على أن رواسب زيت السمك هي العنصر الشافي الفعال فيه . وقد واصل الاستاذ «جورج بارجر» المدرس بجامعة ادنبره البحث في هذا الموضوع فاستدل



أن الفائدة الطبية لزيت السمك كلها محصورة في مادة الأرجوستيرول . وهذه توجد ككثفل في المواد الدهنية . ثم هذا حقوة الدكتور « أدلف وندوس » الخبير الألماني بجامعة جوتينجن فأثبت أنه بتعريض مادة الأرجوستيرول لضياء الشمس أو للنور الذي ينبعث من مصابيح الأشعة التي فوق البنفسجي ، يمكن استغلال مادة ذات قوة شافية مثل قوة زيت كبد السمك ( القد ) سهلة الهضم جدا حتى على أضعف معدة . وقد نال الدكتور أدولف من أجل هذا الاستنباط جائزة نوبل في الكيمياء لسنة ١٩٢٨ وقيمتها أكثر من ٨٠٠٠ جنيه ويستفاد مما تقدم أن فائدة زيت السمك في العلاج متوقعة على رواسب المشار إليها ومصدر قوتها (الرواسب) ضوء الشمس الذي يرشح من الماء إلى السمك العائم في البحار ، فإذا ما لمس ضوء الشمس مادة الأرجوستيرول حوّلها إلى فيتامين من الطبقة الرابعة وهو الفيتامين الدالي (نسبة إلى حرف الدال في الأبجدية) ونغني بها عنصرا من العناصر الخفية الضرورية في الغذاء التي يعتقد العلماء الآن أن فوائدها الصحية إنما هي امتصاصها ضوء الشمس وادّخارها إياه ، والفيتامين الدالي هذا هو النوع الشافي للكساح ويتولد في الجسم البشري بطريقة عجيبة لم يوفق العلماء للوقوف على حقيقتها إلا من زمن قريب وتبيان ذلك : أن مادة الأرجوستيرول المدخلة في الجسم البشري تنطرق منه إلى البشرة حيث تنقسم بضوء الشمس ويمتصها الجسم ثانية مشفوعة بالفيتامين المنعش . وبما أنها تساعد في هذه العملية . يشير الأطباء بالاحتراس عند الشمس بضوء الشمس الصناعي المتولد من المصابيح . هذا ماجاء في مجلة مصر الحديثة والله أعلم . ( انظر شكل ٢ ) و ( شكل ٣ )



(شكل ٢ - الأستاذ هاري ستينبوك من أساتذة جامعة ويسكونزين الذي كشف حقيقة كون الغذاء المشمس بضياء الشمس يساعد على منع الادواء ، والذي أسدى إلى الجنس البشري حبو باغذائية صحيحة)



### رابعاً - ﴿عجوبة مدهشة في فن البناء﴾

( كنيسة تنقل بذاتها من مكان الى آخر )

جاء في « مجلة الجديد » مانصه : « كثيراً ما يقال أن أمريكا بلاد العجائب وانها في هذه الحادثة بالذات تعمل أعجب ما عرفناه عنها ، فقد نقلت الأخبار الأخيرة أن بعض كبار المهندسين في الولايات المتحدة نجحوا نجاحاً مدهشاً في نقل كنيسة السيدة العذراء بشيكاغو من مكانها الى مكان آخر وهي التي ترى في هذه الصورة (انظر شكل ٤) فقد نقلت بذاتها من أحد جانبي الطريق الى الجانب الآخر ، وهذه هي أول مرة يستطيع الأمريكيان فيها أن ينقلوا بناء كبيراً بهذه الضخامة لأن ما حصل قبل ذلك لم يكن إلا في أبنية صغيرة ، وقد استخدم في نقلها أربع ونشات كبيرة ومائتا رجل وخمسمائة ألف قدم من أسلاك الصاب السميكة وثلاثة آلاف عجلة وأربعة آلاف آلة رافعة وخمسمائة ألف قدم من الخشب ، وبديهي أن هذه العجوبة الهندسية العظيمة قوبلت بمزيد الدهش في جميع أنحاء العالم » انظر صورتها



( شكل ٤ - رسم كنيسة تنقل بذاتها من مكانها الى مكان آخر )

### خامساً - ﴿الكلام على استخراج الألماس﴾

جاء في مجلة « اللطائف المصورة » مانصه : « اشتهرت مدينة (امستردام) في هولندا بتخصص أهلها في فن تنظيف الألماس وتنقيته فإن معظم ما يستخرج من هذا المعدن الثمين في ولايات افريقيا الجنوبية يرسل بالحالة التي استخرج فيها الى مدينة امستردام هذه حيث يقوم الأخصائيون هناك بعملية تنظيفه وتنقيته واختيار الصالح منه ووزنه ثم يعيدونه الى أصحابه نظيفاً نقياً ، وفي امستردام معامل عديدة يشتغل فيها ألوف من الكيماويين والصياغ وتعدّ منبع ثروة البلاد ، والألماس عند وصوله الى المعامل ينظف من التراب والمعادن الأخرى التي تكون قد اصقت به وذلك بواسطة آلات أعدت لهذا الغرض . ثم يشتغل أناس من الأخصائيين بفرز ما تنظفه الآلات فتوضع القطع النقية الى جهة والتي فيها عطب أو تشوب نقاوتها شائبة الى جهة أخرى . وبعد ذلك يعتمد فوج آخر من الأخصائيين الى وزن هذه القطع جميعها بدقة فائقة نظراً الى قيمة الألماس وعاقبته . والأشكال الثلاثة الآتية (شكل ٥) و (شكل ٦) و (٧) تمثل الأدوار الثلاثة المهمة التي يمر بها الألماس قبل وصوله الى التجار والمشتريين وهذه صورتهم في الصفحات التالية





تنظيف الألماس

( شكل ٥ - منظر عام للآلات التي يجلس اليها العمال المنوط بهم تنظيف الألماس من الأتربة والمعادن الغريبة . والآلات لا تقوم بالعمل كله بل إن العامل يستعمل يديه وحدة نظره . ويرى في الصورة أحد المفتشين الذين يسهرون على العمل ويراقبون العمال )





(فرز الألماس)

( شكل ٦ - عملية قطع الألماس واختيار الصالح منها من الطالخ . ويقوم بهذه العملية رجل لا يستخدم إلا يديه وملقطا صغيرا يتناول به القطع الواحدة بعد الأخرى )





( شكل ٧ - منظر الاختصاصى الذى عهد اليه بوزن قطع الألماس بعد تنظيفها وفرزها . وعمله هذا أدق من الأعمال الأخرى إذ ان على نتيجته يتوقف تحديد ثمن الألماس وعرضه للبيع )



## سادسا - من أحدث الاختراعات والفوائد العلمية

(ومجائب العلم . الجليد السخن وصنع الورق من ورق الذرة)

استنبط الاستاذ (برسى) و (بردجان) أحد معلمي مدرسة هارفرد الجامعة بأمريكا جهازا يستطيع به أحداث ضغط صناعى يقدر بـ ٦٠٠٠٠٠ رطل على ماساحته بوصة مربعة واحدة ، وتسهلا لإدراك كنه هذا الضغط الذى يعتبر أشد ضغط أدركه المخترعون حتى الآن نقول انه يعادل فى الوقت نفسه ضغط الماء فى قعر المحيط على عمق ٢٥٠ ميلا ، ثم ان ضغط صرح من الصروح الفولاذية فى (نيويورك) التى أطلق عليها اسم (ناطحات السحاب) لعظم ارتفاعها وثقلها لا يعادل بعض ثقل الضغط الذى يتولد من الجهاز المشار اليه وبه يتحول الفولاذ الى مادة لينة يمكن تمديدها ويتحول شمع البرافين الى مادة أصلب من فولاذ الآلات ويصبح الصمغ المرن قاسيا جامدا بحيث تصنع منه مقاطع للفولاذ ، وبهذا الجهاز يجمد الزئبق تحت ضغط مقداره ٢٠٠٠٠٠ رطل مع انه يتجمد عادة عند درجة ٠ ، تحت الصفر وأسفل منها . ومع كل هذا يقول العارفون إن الجهاز فى حد ذاته غير معتد التركيب اذا قيس بغيره من الأجهزة العلمية فهو بمثابة طلبة هواء عادية تولد الضغط المطلوب . ولذلك يؤتى بالمواد المراد ضغطها وتوضع فى تجويف صغير يحوى فى قطعة صلبة من الفولاذ ثخنها خمس بوصات ثم يغطى التجويف بسداد صغير من الفولاذ أيضا يمتد بتأثير الضغط فى محتويات التجويف والهواء من الإفلات . وقد حدث فى أثناء التجربة أن انفجر التجويف فانفجرت شظاياه فى لوح خشب صنوبرى صلب الى عمق ست بوصات فى ظهر الجهاز . وفى تجربة أخرى استخرج البيض من ماء جليد سخن بتعريضه لضغط مائة ألف رطل فظهر انه مسلوق سلقا جامدا

### ( حطب الذرة وصنع ورق الصحف )

من أحدث الوسائل التى استنبطها العلماء لارتفاع بالمواد الزراعية المهمة والفضلات الحقلية العاطلة تحويل حطب الذرة بالطرق الكيميائية الى عجينة لصنع الورق اللازم لطبع الكتب والمجلات والجرائد . وقد جرت ذلك أول مرة رؤساء تحرير الصحف فى مدينة دنفيل بولاية ايلينوا إحدى الولايات المتحدة بأمريكا كي يستوثقوا من صلاحيته للطباعة . فاستبانوا أن هذا الورق سيفاخر الأصناف التى تصنع من عجينة الخشب . ويمارس الباحثون الآن تجارب أخرى ينفون بها الوقوف على مبلغ ما تتكلفه عمليات انتاج المقادير الكبيرة منه وهل ستفضى الى قصد بعض نفقات الطبع أولا

هذا وقد اتضح أن ورق الطباعة المصنوع من عجينة حطب الذرة أشبه بورق عجينة الخشب بل إن ذلك أمتن قواما من هذا وأنصح لونا وأسهل تشربا للداد . وكان أول كتاب تم طبعه من هذا النوع الجديد مؤلفا موضوعه مطابق للبحث نفسه وهو المجلد الأول فى المنافع الصناعية للحاصلات الزراعية المهمة لمؤلفه الاستاذ (جورج م . روميل) الذى انتدبه حديثا وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة لبحث مسألة الارتفاع بالمواد الزراعية التى لا يعبأ بها الزراع أولا ينجون منها أرباها تذكر اه

### سابعا - الغاز الطبيعى

الفحم الحجري الذى نشعله فى بيوتنا ونطبخ عليه طعامنا يصنعه الانسان بحرق الأخشاب مطمورة بالقرب فتحترق احتراقا بطيئا يزبل منها الأبخرة والغازات ويبقى فيها المادة الخشبية على ما هو معروف ولكن الفحم الحجري الذى نوقده فى المعامل والبواخر صنعته الطبيعة فى العصور الجيولوجية وخرنته فى جوف الأرض فوجدناه غنيمة باردة ، وكان يمكن أن يكون من المنافع العمومية التى لا يمكن لها كالهواء ونور الشمس لولا ما ينفق على استخراجها ونقله من مكان الى آخر

والغاز الذي تنار به هذه المدينة (مصر) وغيرها من المدن الكبيرة يستخرج من الفحم الحجري باستقطاره منه استقطارا . ثم ينقى مما يخالطه من الشوائب ويوزع على الشوارع والبيوت بالأنابيب المعدنية كما توزع المياه واستقطاره وتنقيته وتوزيعه تقتضى نفقة كبيرة فتضاف الى ثمن الفحم الحجري ورأس المال وتفرض على المستصحبين به ، ولكن الفحم الذي يستقطر الغاز منه لا يضيع سدى بل يبقى نافعا للوقود وهو المعروف بالكوك ، والشوائب التي تستخرج عند تنقية الغاز يستخرج منها أكثر أنواع الصباغ المعروفة الآن من ذلك ثلاثون لونا من الألوان الحمراء وستة عشر من الألوان الزرقاء وستة عشر من الصفراء واثنى عشر من البرتقالية وتسعة من البنفسجية وسبعة من الخضراء عدا ألوانا أخرى من السمراء والسوداء . وقد يزيد ثمن الشوائب على نفقات استخراج الغاز وتنقيته فيستخرج لأجل استخراجها منه فقط ولولم ينتفع به للإضاءة . وفي جوف الأرض غاز طبيعي كما فيها فحم طبيعي . وهذا الغاز الطبيعي كان معروفا في بلاد الصين منذ سنين كثيرة . وكان الصينيون يثقبون الأرض ثقبوا ضيقة ويستخرجون الغاز منها ويوقدونه لتبخير المياه الملحة واستخراج الملح منها . وعندهم آبار له عمقها ألف متر . وقد عرف في أمريكا منذ أكثر من مئة عام ولكن لم يسع أهلها في استخراج واستخدمه للوقود والاستصباح إلا خمسين سنة في أواخر القرن الماضي في ربيع سنة ١٨٨٤ ألف بعضهم شركة تجارية في مدينة فندي بولاية أوهايو من ولايات أمريكا لتثقب الأرض وتستخرج الغاز الطبيعي منها وكان عدد أهالي تلك المدينة حينئذ (٤٥٠٠) نفس ولم تشرع الشركة في عملها حتى شهرا أكتوبر من تلك السنة فتثبت بئرا عمقها (١٠٩٣) قدما ووضعت فيها أنبوبا وأشعلت الغاز المنبعث من الأنبوب فامتد لهب في الهواء ثلاثين قدما ، وكان هذا اللهب يرى على مسافة ثلاثين ميلا من كل ناحية ، وقدروا الغاز المنبعث من هذه البئر يوميا بمائتين وخمسين ألف قدم مكعبة فتقاطر الناس لرؤيتها من كل فج . وسنة ١٨٨٥ تثبت بئر عمقها ١١٤٤ قدما فانبعث الغاز منها انبعاثا لم يعهد له مثيل فيسمع صوت خروجه منها عن ثلاثة أميال و يرى لهب على مسافة أربعين ميلا من كل ناحية ويقدرّون مقدار الغاز المنبعث يوميا من هذه البئر بأثنى عشر مليونا من الأقدام المكعبة . ومن ثم أخذ سكان المدينة يزدادون بكثرة النازحين اليها فبلغوا ستة آلاف نفس في غرة سنة ١٨٨٦ وعشرة آلاف نفس في ربيع سنة ١٨٨٧ ونحو ١٨ ألف في أواخر تلك السنة واتسعت مساحة المدينة وغلا ثمن أراضيها وأنشئت فيها معامل للزجاج والحديد والآجر والكلس ونحو ذلك مما يقتضى وقودا كثيرا لأن أصحاب الغاز الطبيعي أجروه في أنابيب الى المعامل وأوقدوه فيها بدل الفحم وأجروه أيضا الى بيوت السكان فاستعملوه للطبخ والاستدفاء . واقتدت مدن كثيرة بمدينة فندي في كل ولاية أوهايو وانديانا ويقدرّون الآن انه ينبعث من مدينة فندي كل يوم ستون مليونا من الأقدام المكعبة من الغاز ومن غيرها من المدن المجاورة أربعون مليونا . وأكثر هذا الغاز يستخدم في الأعمال النافعة بدل الوقود على ما تقدم . وكانوا في أول الأمر يحرقونه عند أفواه الآبار فيذهب ضياعا . أما الآن فقد اقتصدوا فيه مخافة أن ينفد . وحالما شاع أمر الغاز الطبيعي أخذ الناس يتفلسفون في أصله وما يؤل اليه استخراج من الأرض فقال بعضهم « إن الأرض محبوبة وجوفها مملوء بهذا الغاز وهو علة تعلقها في الجوف فاستخراجه منها شديد الخطر لأنها اذا فرغت منه تصدعت وتحطمت ووقعت من مكانها في السماء » وهو من أسخف الأقوال التي طرقت المسامع وقال غيره « إن الغاز ليس مائلا جوف الأرض كلها بل بعض الأجزاء وانه يخشى أن تمتد النار الخارجية الى مصدره الذي تحت ولاية أوهايو وانديانا فيشتعل دفعة واحدة وينسف الأرض نسفا فتصير كل تلك البلاد واديا عميقا فتجري اليه مياه (بحيرة اري) فيصير بحيرة كبيرة . وطلب من الحكومة الأميركية أن تنظر في هذا الأمر وتمنع استخراج الغاز من الأرض ، وهو أيضا من السخافة بمكان

وقال آخر : انه تفحص أحوال الغاز الطبيعي بالتلفون والترمومتر فوجد أن درجة حرارة الأرض ٣٥٠٠



على عمق ميل تحت مدينة فندلي وأن تحت المدينة مباشرة تجويفا كبيرا مملوءا بالغاز الطبيعي وتحت الغاز طبقة من الصخور سمكها نحو ميل وتحت هذه نار متقدة تذيب الصخور بشدة حرارتها ولا بد من أن تذوب تلك الطبقة الصخرية فتصل النار إلى الغاز فيلتهب دفعة واحدة فيذسف الأرض التي فوقه بما عليها وكل هذه الآراء من الخرافات التي لا يؤيدها العلم لأن الغاز لا يشتعل ما لم يتحد جانب منه بجانب من أكسوجين الهواء فن لم يمتزج بالهواء فلا خوف من اشتعاله اهـ

### «ثامنا» ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس

وساعة تشتغل من نفسها أمدا طويلا

جاء في إحدى المجلات العلمية ما نصه : « اخترع (المستر جورج فوتشر) من (لوس انجليس) بالولايات المتحدة ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس والأرض في أى وقت في مدة ست سنوات ، وهي تسير حسب النتيجة العبرية القديمة أى باعتبار السنة القمرية وإضافة ما تنقصه عن السنة الشمسية وهو سبعة أيام وكسر في نهاية كل أربع سنوات لتكوين سنة كبيسة ذات ثلاثة عشر شهرا اهـ  
« واخترع أحد المهندسين في (بيرن) بسويسرا ساعة عجيبة تشتغل بنفسها أى بدون أن يملأ زئبقها كالساعات العادية وتمكث كذلك ١٠.٠٠٠ سنة وهي مبنية على استنساخ تغيرات درجة الحرارة والضغط الجوى ،  
(انظر شكل ٨)



( شكل ٨ - رسم ساعة تشتغل من نفسها ١٠.٠٠٠ سنة )

## ويلحق بهذا عجيتان . العجيبة الأولى — ( اكتشاف الطائرات في الجو )

تمكن المستر (بيرد) المشتغل في أبحاث الرؤية من بعد من إيجاد أشعة يمكنها أن تعين مكان أى طائرة على أية مسافة ، وسيعرض هذا الاختراع قريباً فيحضر جهازه ويضعه فوق عمارة ويرسل منه أشعة مرئية ويصوبها نحو الطائرات المحلقة فوقه . فانها مهما بعدت فلاشعة تكون متصلة بها ولولم تكن مرئية للناس وتصورها على الشريط مع بيان مقدار بعدها . ثم بعد ذلك يخرج من نفس الجهاز أشعة غير مرئية ويقوم بما فعله في الأول فتنتطع على الشريط صور مماثلة للأولى بالضبط ، وعلى ذلك يمكن الجزم بأنه أصبح في الامكان اكتشاف الطائرات مهما اختلفت وبعدت في الجو فلا يمكن استخدامها على غرة في غارة حربية كما كانت تفعل الطائرات الألمانية في الحرب الكبرى

### ﴿ العجيبة الثانية ﴾

قد اخترعت فونفرافات لتعليم اللغات بالألفاظ والصور فليس على من يريد تعلم أى لغة إلا شراء أحد هذه الفونفرافات والاسطوانة الخاصة بهذه اللغة ، فاذا دارت الاسطوانة دار معها أيضاً شريط مصور، فكل كلمة تنطق بها الاسطوانة يبينها الدليل على الشريط ، وبذلك يستطيع أن يتعلم أى لغة بدون حاجة الى مدرس ويمكنه أن يعيد الاسطوانة كما يشاء حسب استعداده . وهذه ميزة لا يمكن أن توجد في تدريس الأساتذة اهـ

## تاسعا — ﴿ عجائب العالم الحديث ﴾

أول ما يلفت النظر في عجائب العالم الحديث أنها من نوع آخر يختلف كل الاختلاف عن العجائب القديمة وان تكن أعلى منها قدراً وأعظم نفعا لجميع الجنس البشرى . فهي انتصارات للعلوم لم توجد بالرق والاستعداد وسلمت الانسان زمام القوى الطبيعية يسخرها لنفعه كيفما أراد . وقد يكون ذبوعها وانتشارها في جميع الانحاء العملية في أصقاع الأرض وجعلها طوع كل يد مما سبب عدم حدوث الروعة والدهشة من أجلها في النفوس . ولكن لا ريب في أنها غيرت حياة الانسان على هذا الكوكب في وقتنا الحاضر تغيرا كلياً لم تشهده الأمم الماضية حتى عهد قريب . وقد استشارت مجلة العلوم الامريكية أكبر العلماء عن آرائهم في أعظم عجائب العالم الحديث وقد وصلت عدة مئات من الرسائل من مشاهير العلماء في كل أمة . فأسفر تلخيصها وحصر ما فيها عن نحو خمسين عجيبة تعد من أكبر انتصارات العلوم في جميع مناحي الحياة العملية والهيئة الاجتماعية . وقد استوجب هذا أن يستشير رئيس تحرير مجلة العلوم الامريكية الدكتور «ستراتون» رئيس معهد الفنون في «ماساشوسيت» بالولايات المتحدة كي يختار له من بينها سبع عجائب فقط محاراة للصيغة اللفظية التي يعبر بها عن عجائب العالم القديم . فلما قابله في مكتبه حيث يشرف على مئات من الشبان العاكفين على الابحاث والتجارب العلمية كي ينقلوا الى يد الانسان مدهشات القوى الطبيعية أحاطه بمهمته فلم يك من الدكتور «ستراتون» إلا أن قابله بالدهشة وأجابه متجباً «سبع لا غير» كيف يكون ذلك ؟ أيخيل اليك أنه يمكن أن نجعل عجائب الوقت الحاضر سبعا فقط هذا مستحيل بل المعقول أن نقول انه يوجد في الوقت الحاضر ٧٧٧ عجيبة . وأخذ يسرد له قوائم مطولة على ترتيب حروف الأبجدية عن عجائب هذا العصر فذكر الآلات الزراعية والطائرات والسيارات والكبارى . الخ . ولما كانت أعمال الدكتور (ستراتون) لا تسمح له الا بالقليل من الوقت . أمهله رئيس التحرير حتى يفكر في خلونه في انتقاء أعجب العجائب ، وقصارى القول أنه عاد اليه في الموعد المحدد فوجد الاجابة مطبوعة بالآلة الكاتبة على قرطاس من الورق كإلى :-

(١) استكشاف البكتريا واستثمارها فيما ينفع الناس

(٢) تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة ومعرفة الشعاع



(٣) تقدم علم الكهرباء واستثماره القوة الكهربائية في إيجاد الضوء والحركة

(٤) الاحتراق الداخلي في الآلات

(٥) طريقة البناء الحديث المعروفة بالاسمنت المسلح

(٦) التعدين الحديث

(٧) طرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن أو فساد

(٨) الطيارات والرحلات الجوية

(٩) تقدم صناعة الآلات الميكانيكية وأنه من المفيد أن نبين بكل إيجاز ما أجمله في هذه الفقرات التسع .

فإن العجوبة الأولى وهي استكشاف البكتريا لا ريب في أنها من أكبر انتصارات علم الكيمياء في العصر الحاضر فقد لبث الناس طوال الاجيال الخالية . لا يدركون شيئا عن فعل الكائنات الذرية التي منها ما يقدم للإنسان أكبر الخدمات ومنها ما يلحق به أشد الأمراض ويهدد حياته بالأخطار المريعة كما كان يحصل في الطوائع وغيرها من الأمراض الويلة الفاتكة . حتى إذا جاء العالم العظيم « باستير » باستكشافاته في هذه العوالم الذرية التي لا تحصى والتي بالرغم من تدخلها كل التدخل في حياتنا نفعا وضرا فليست تراها العين المجردة ولكنها الآن أصبحت معروفة في كل مكان فالمعروف من أنواع « البكتريا » المفيدة يزيد على ٢٠٠٠ نوع وتوجد في العالم مئات من المعامل الكبيرة لدراسة حياتها وميزاتها وقد درست كذلك أنواع كثيرة من الميكروبات أو الجراثيم التي تسبب الأمراض وعرفت طرق مقاومتها والقضاء عليها ولذلك لم تصبح انسانية كما كانت في القرن السابق عرضة لأن تحصد أبناءها الأوبئة والطوائع بل صار لكل مرض ينشأ عن هذه الجراثيم الدواء الفعال الذي يقفه عند حد ان لم يستأصله بالكلية ونشأ من ذلك استعمال المطهرات في كل شئ وعلى الأخص المياه في المدن المزدهجة بالسكان ، ولذلك يلاحظ ازدياد السكان في كل الأقطار الآخذة بأصول الحضارة وقد ذكر الدكتور ستراتون في العجوبة الثانية : تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة ومعرفة التشعع . فإن دراسة التركيب الذري للمادة قد أدت الى انتصارات كيمائية وطبيعية تركّز عليها كل الأعمال الصناعية وغيرها في الوقت الحاضر . وإن أكبر هذه الانتصارات من غير شك هو اكتشاف الراديوم في سنة ١٨٩٨ بواسطة الطبيب الفرنسي ( بيير وكوري ) و « مدام كوري » زوجته . وليس من أحد يجادل ما يقوم به الراديوم الآن من المعجزات التي لم يكن يتصور العقل حدوثها . على أن الراديوم لم يزل حديث العهد وينظر له من الانتصارات العظيمة في المستقبل ما لا يمكن أن يذكر في جانبها ما عرف الآن من مزاياه ومبلغ قوته

وأما العجوبة الثالثة وهي : تقدم علوم الكهرباء بحيث أصبحت من القوى النافعة الآن في المصانع والدور والبيئات الاجتماعية فظاهرة لكل ذي عينين . فإنه يرى الكهرباء في الطرقات في شكل أضواء زاهية لامعة حسبما يراد من القوة ، ويراه في المصانع قوة محرّكة لقوم بما لا يمكن أن يقوم به الآلاف من الناس ، ويراه كذلك مستخدمة في وسائل المواصلات والقل مثل التلفراف والتليفون والسكك الحديدية والتلغراف اللاسلكي والتليفون اللاسلكي والرؤيا من بعد الخ . وإن كل واحد من هذه الاختراعات العظيمة يعدّ عجيوبة لا تقدر ولا ريب أن اختراع طريقة الاحتراق الداخلي في الآلات أحدث فوق أديم الأرض كثيرا من التغيير في أحوال المجتمع الانساني حيث سهلت المواصلات بعد أن كانت في العصور الماضية عقدة العقدة . فهذه هي السيارات وإن تكن حديثة العهد ولكنها أصبحت الآن في كل مكان ويعرف كل انسان ما تقوم من الخدمات النافعة . ويوجد منها في الولايات المتحدة وحدها . . . . ٢٣ سيارة أي بنسبة سيارة واحدة لكل ستة أشخاص ويمكن أيضا تقدير ما يستفيدة الانسان في هذه العجوبة اذا فكر في الآلات المختلفة التي تسير بالاحتراق الداخلي لرى الأراضي أو الاضاءة أو لادارة المصانع المختلفة فهذا ما شاهد في كل مكان

وأما الأعجوبة الخامسة فهي : الطرق الحديثة في البناء المعروفة بالاسمنت المسلح حيث يستخدم فيها المعدن والأسفلت في وقت واحد . وقد لا يعد البعض « الاسمنت المسلح » بين العجائب ولكنه إذا رأى كيف تبنى ناطحات السحاب في أمريكا وغـبرها من البلاد . لا يسهه إلا أن يقر بفضل هذه الأعجوبة التي يمكن أن يتم بواسطتها من البناء في بضعة أشهر ما كان يستغرق فيه بناء الأهرام عدة سنوات وأن حداثق بابل المعلقة التي لا ترتفع أكثر من ٤٠٠ قدم لا يمكن أن تعد أعجوبة إذا قورنت بأي برج من الابراج الحديثة المبنية بالاسمنت والحديد ولا سيما إذا عرفنا أن القدماء كانوا يبذون بالطين وأكثر ما استعمله قدماء المصريين الجبس ، والرومان المواد البركانية مع الجير . وكان اختراع الاسمنت في سنة ١٨٢٥ ومن ذلك العهد تطور فن البناء وظهرت العمائر الضخمة ذات العشرات من الطبقات (٦) وقد كانت انتصارات التعدين من أول الامور المحققة لكثير من مناحي التقدم العمراني والصناعي حيث يجد كل صاحب صنعة أو عمل نوع المعدن الاكمل الذي يمكن أن يكون أعظم من سواه في العمل الذي يتعهد به ، أو الآلة التي يصنعها (٧) وان طرق حفظ الأغذية من التعفن والفساد لها قيمتها الكبرى لأن الاغذية من أول العوامل الحيوية اللازمة لوجود الانسان . وقد كانت تحصل الجماعات في الأزمنة القديمة ويهلك بسببها مالا يحصى من الأمم . بينما توجد بلاد تزيد حاصلاتها على ما تستهلكه فتطرح للتعفن والفساد بدون أن تستثمر في انقاذ الهالكين في الجماعات . وصارت الحركة التجارية الآن في جميع أنحاء العالم تستثمر حاصلات كل قطر من الاقطار ولولا طرق حفظ الأغذية لما أمكن أن يتم ذلك (٨) وبدي هي أن من يعد عجائب العالم لابد أن يذكر الطائرات وتقدمها العظيم كما هو مشاهد للعيان فقد أصبحت تتم بها الرحلات بين جميع أقطار الكرة الأرضية وهي تستخدم الآن في نقل البريد والمسافرين ولها في إبان الحرب أروع الأعمال التي تكسب الجيوش الفوز والنصر . وذلك لأنها أول طرق المواصلات المحررة من القيود المكانية فهي تسبح في الهواء أين تشاء (وأما الأعجوبة التاسعة) وهي : تقدم الآلات فانه يدخل تحتها مالا يعد من الآلات التي تقوم بأعظم الخدمات للمجتمع الانساني في أقل مدة من الزمن مع أنها كانت تتم في العهود الماضية بمواصلة الجهود الشاقة في مئات الامثال لهذه المدة ومنها الآلات الزراعية المستخدمة في الحرث والحصاد ودرس القمح ومنها آلات الخياطة والكتابة والحساب والطباعة ويكاد لا يقوم الانسان الآن بأي عمل من الأعمال بدون أن يستثمر فيه الآلات وقد تكون قوته باستخدام آلة واحدة تعادل قوة عشرات المئات من أمثاله : فهل بعد كل ما استعرضناه من المدهشات يمكن أن يقال أن عجائب العالم الحديث لها عدد أو نهاية . انتهى

أليس هذا وغيره سر من أسرار الفتح الرباني الذي فتحه الله للناس من رحمته وكلمات فتح فتوحا جديدا للانسانية على يد كاشف كشفه قامت في وجهه العقبات من حسد الحاسدين ومكر الماكرين . ولكن الله يقول . كلا . لا ممسك لرحمتي . فليكشف المسلم غوامض مخلوقاتي واذا قام في وجهه الحاسدون فليعلم انه لا ممسك لرحمتي التي أظهرها لعبادي على يد واحد منهم . فأنا أنصر كل مجدد لنفع الناس طرّا . فليعلم شبان المسلمين قراء هذا التفسير وليشمروا عن ساعد الجد وليدلووا دلوهم في الدلاء مع العاملين لنفع الانسانية كلها وأنا أساعده وأنجحه . فاذا سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين فهذه كلمتنا لعبادنا الذين ألهمتهم أن يكشفوا عجائب رحمتي في العناصر والمادة

ولاريب أن من مقدمات النهضة الاسلامية في الأرض هذا التفسير والله هو الذي فتح هذه الرحمة للمسلمين فلامسك لها . ويلخلق بهذا أربع فوائد

أولها - ﴿ قياس سرعة البرق الصاعق ﴾

توصل العلم الى قياس سرعة البرق بعد جهاد كثير من العلماء ولا سيما الاستاذ (بوز) الطبيب الانكليزي الشهير الذي مكث سنا وعشرين سنة يقوم بتجارب واختبارات عديدة في هذا الشأن حتى توصل الى اختراع



جهاز دقيق يحقق هذه الغاية بكل سهولة . وهذا الجهاز عبارة عن آلة فوتوغرافية شديدة التأثير ذات عدستين تتحركان بسرعة كبيرة . وقد وجد أن البرق الصاعق يتم تكوينه في ٧٠٠٠ و . من الثانية وأن أى جزء منه لا يمكن أكثر من جزء من (٣٥٠٠) جزء من الثانية

ثانيها - هل يحصل البرق الصاعق من الأرض أم من السماء ؟

كان العلماء يذهبون الى رأيين متناقضين في ذلك فمنهم من يقول بأن البرق الصاعق يسقط من السحاب الى الأرض ، ومنهم من يقول بوثوبه من الأرض . وقد أثبت الأستاذ (بوز) أن البرق الصاعق ينشأ من الطرفين أى من الأرض والسحاب في وقت واحد تقريبا ، ويتم ما بين طرفيه في الجو في نحو جزء من (٧٠٠٠) جزء من الثانية . وذلك لأن الفوتوغرافية التي صنعها كانت ترسم بعدستها طرفي هذا البرق في صورتين ، و بقياس الوقت اللازم لرسميهما بواسطة أجهزة دقيقة تمكن من أن يعرف الوقت اللازم لتكوين البرق الصاعق وسرعته

ثالثها - من أين تأتي القوة ؟

تأتي كل القوة التي في العالم إلا جزءا قليلا منها من الشمس فالت الرياح والأمواج والشلالات والأنهار والزيت والبتروول والفحم توجد فيها قوة الشمس أوهى قائمة عليها ، وأن قوة الجزر والمد التي تنسب للقمر هي في الحقيقة مستمدة بواسطة من الشمس

رابعها - مصدر قوة الانسان

ويستمد قلب الانسان وأعضاؤه وعضلاته القوة من الشمس في الحقيقة لأنها ليست ناشئة إلا من هضم السكر والنشا وهما مستخرجان من النباتات ، ومن الثابت أن النباتات لا تبني أنسجتها إلا بتأثير أشعة الشمس انتهى ما أردته من المجلة المذكورة والله أعلم

### عاشرا - ( أغرب غرائب أمريكا )

جاء في مجلة « كل شيء » مانصه :

المستر وليمسون رجل أمريكي يعيش بنقل الصور الملونة للأسماك وسائر أنواع الحيوان ، وكان أبوه قبطانا قد اخترع زورقا يغوص تحت الماء وله أنبوبة تتصل الى أعلى لتجديد الهواء ، وكان غرضه من هذا الزورق استنقاذ السفن الراسية ، ولهذا الزورق عين كبيرة من البلور الصافي يبلغ قطرها ثلاثة أقدام فيمكن الانسان أن يرى الأشياء والحيوان تحت الماء بها ، وقد مات القبطان ولم يستعمل الزورق للغرض الذي بنى من أجله وإنما استعمله ابنه المستر وليمسون في تصوير الحيوان ، وقد مضى عليه (١٦) سنة وهو في هذا العمل

ولما تزوج أخذ زوجته الى الزورق وقضى معها شهر العسل عند جزر باهاما حيث اشتغل بنقل الصور . وباهاما من جزر الهند الغربية ، والماء عند عمق (٢٥) قدما يشبه النهار عند ما نعيم السماء ، ولكن لعين الزورق مصابيح كهربائية تشع ضوءا باهرا في الماء فيمكن نقل الصور كما تنقل على سطح اليابسة في النور العادي وهذا اذا كان الماء هادئا ، أما اذا حدثت زوبعة وهاجت الأمواج بلغ الهياج فعر البحر فعندئذ يرتفع الطين الراسب ويكثر صفاء الماء كما يرتفع الغبار عند ما تهيج الريح على اليابسة

ويعيش الآن المستر وليمسون مع زوجته في هذا الزورق فيغوصان به في النهار ويصعدان الى السطح في المساء . وقد يظن القارئ أن هذه المعيشة تسم الانسان وخصوصا الزوجة ولكن المستر وليمسون تصف هذه المعيشة بأنها ليست خالية من الملاحى بل تقول انها أحيانا كثيرة تجذبها المناظر فتبقى ساعات لا تدرى بانقضاء الوقت لفرط ما ترى من غرائب الطبيعة وجالها تحت الماء . أما هذه المناظر فهي أعشاب البحر

المختلفة التي تشبه المروج والمراعى وهى فى الواقع كذلك فان السمك وسائر الحيوان يسير بينها ويتخللها بأكل منها أو يختفى فى ثناياها كما يفعل الحيوان فوق اليابسة . ومن المناظر الجميلة حقول المرجان بألوانها الزاهية المختلفة وفى ملاحظة حركات الأسماك وأخلاقها ما يجعل الانسان يقضى الساعات وهو لا يسأم . والأسماك تختلف فى المزاج والقوة والأخلاق . فقد ترى السمكة الصغيرة الخفيفة تعتمد الى سمكة كبيرة فتهاجمها وتضربها ثم تفر منها . وأحيانا تأتى سمكة فترى عين الزورق البلورية فتأخذ فى التحكك بها ومسحها بأطراف فمها . وأحيانا تجرح البلور فيحتاج المستر ولجسون الى صقله بضع ساعات لكي يعيد اليه صفاءه . ويقول المستر ولجسون ان اختباراته تدل على أن سوء الظن بالقرش خير من حسن الظن به فهذه السمكة شريرة وقد رأى قروشاً تتشاجر فيمزق أحدها الآخر تمزيقا مروعا . والقرش فى البحر كالنمر على اليابسة يحب الافتراس والقتل ولا ينفك عن ذلك وهو يأكل الرمة ولكنه يحب الأحياء من الناس ويأكلهم . والمستر (ولجسون) يزود السينما توغرافات بأفلام عن الحياة تحت البحر كما يزود المدارس والمتاحف بصور فريدة للتاريخ الطبيعى اهـ

### حادى عشر - الكلام على عالم الطفولة ﴿

( مدهشات عالم الطفولة )

أولاً - الأطفال ذوو العقول الجبارة

يوجد الآن فى (سلوفاكيا) طفل فى الخامسة من عمره حير العقول فى مقدرته فى الحساب حيث يجب على العمليات التى تستوجب من الحاسب أن يجريها بالقلم على القرطاس فى بعض ثوان . ولقد أحضر فى محفل كبير وسأله الأطباء لفحص قواه المدهشة . كم يوما مضى منذ ميلاد المسيح ؟ فأجاب هذا الطفل الجواب الصحيح بغير توقف . وما كان يعطى تاريخ ميلاد أى شخص من الحاضرين حتى يجب بدون تردد عن مقدار مامرته عليه من الأيام والدقائق منذ ولادته غير ناس لحساب السنوات الكبيسة التى تتخلل عمره ورأس هذا الطفل كبيرة للغاية حتى انه لا يمكنه أن يلبس أكبر قبعة عادية . وظهرت أخيراً فى الولايات المتحدة طفلة فى الثامنة من عمرها تجيد التكلم بثمانى لغات وألفت ثلاثة كتب وعدة مقالات وقصائد ، ولما كان سنها ثلاث سنوات كانت تكتب على الآلة الكاتبة وتكلم بالاسبرانتو والفرنسية وان تكن اللغة الانكليزية لغتها الأصلية ، ولما بلغت الخامسة من عمرها أخذت تقول الشعر

### ﴿ الأعجوبة الحققة ﴾

ظهر فى صحيفة من صحف لندن منذ قرن من الزمان ما يأتى :

جوتنجن فى ٢٠ مايو : انتظم فى سلك الدراسة فى جامعتنا منذ ثمانية شهور طالب فى منتصف السنة العاشرة وهو من عجائب المخلوقات ، واسم هذا العالم الصغير (شارلس ويت) ويعرف عنه انه لما بلغ الثامنة من عمره كان يجيد الى جانب لغته الأصلية وهى الألمانية اللغات الآتية : اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية والانكليزية والايطالية ، وهو قوى فيها الى درجة الكمال كتابة وحديثاً ، ويستطيع أن يترجم بكل سهولة من (فيرجيل) و (هومر)

### ﴿ طفل دائرة معارف ﴾

وأغرب من هذا الغلام طفل اسمه (هنرى كرستيان هينكن لوبك) فانه لما بلغ الشهر العاشر من عمره كان يستطيع أن ينطق كل كلمة فى قاموس اللغة الألمانية مع ما هو معروف عن صعوبتها فى النطق عن أية لغة من اللغات الحية ، وما أتم سنة حتى كان ملماً بأشهر الحوادث فى تاريخ العالم . ولما بلغ من العمر سنتين كان على علم تام بكل تواريخ التوراة وقصصها وأنبياؤها ورجالها . ولما كان فى الثالثة كان يجيب بمنتهى الدقة على



كل سؤال في جغرافية الكرة الأرضية جميعها وتاريخ العالم القديم وعند ما بلغ الرابعة كان يشتبك في مجادلات حادة مع شيوخ الأساتذة في أربع لغات ولكن العمر لم يمهله حتى يتم السادسة

ثانيا - ﴿ أغرب طفل في العالم ﴾

وهو الطفل البلجيكي النابغة الذي تحدث عنه الصحف الأوروبية والأمريكية وتعدّه أعظم أمجوبة في عالم الطفولة فهو لم يتجاوز السنة الثانية من عمره ولكنه على الرغم من ذلك يعدّ من أكبر الرياضيين وأصحاب المواهب الخارقة للعادة في علم الحساب وهو يستطيع أن يضرب عددا مكونا من خمسة أرقام في عدد آخر من خمسة أرقام في ذهنه أي بدون كتابة وينطق بحاصل الضرب بسرعة وبدون تردد ولم يحصل انه أخطأ في ذلك مرة اه

ثالثا - ﴿ صبي في الثانية عشرة ينال بطولة مصارعة الثيران ﴾

لك أن تسميه شجاعا أو أن تصفه بما شئت غير ذلك من صفات البطولة وإنما المهم هو أن في جمهورية (بيرو) صبيا لا يتجاوز عمره الثانية عشرة قد اشتهر على الرغم من نحول جسمه بمصارعة الثيران والتغلب عليها وكان الكثيرون يظنون في هذه الشهرة شيئا من المبالغة ولكن حفلة كبرى لمصارعة الثيران أقيمت في (ليما بيرو) وحضرها ألوف من الجاهل وكثير من مندوبي الصحف فبرهنت على أن شجاعة المصارع الصبي واسمه (رافاليتوميحاس) ليست كاذبة ولا مبالغ فيها فإن هذا البطل الصغير لم يصارع ثورا واحدا بل صارع ثورين فنجما من ضرباتهما وكان له عليهما الفوز والغلبة

﴿ رابعا ﴾ وهو ماجاء في جريدة الاهرام في يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

﴿ عبقرية الأُمى الفتى « ترك » ﴾

أشرنا منذ أسابيع في الاهرام الى عبقرية الفتى الأُمى المسمى (ترك) والى قدرته الحسابية ومواهبه الخارقة للعادة . وعلى أثر صدق هذه السمعة استدعاها حضرة صاحب العزة مدير مصلحة المساحة وامتحن قدرته وكتب الى وزارة المالية يطلب اليها تعليم الفتى ترك على حساب خزينة الدولة حتى اذا أتم الدراسة عمل في خدمة الحكومة على مقتضى ما توهمه اليه كفايته وظروفه إذ ذاك . وقد وافقت وزارة المالية على هذا الطلب طبقا لما أشرنا اليه من قبل

ومما هو جدير بالذكر أن نشير الى بعض المسائل التي امتحن فيها الفتى المذكور ، فقد طلب اليه أن يذكر حاصل الضرب بين الرقمين ٦٤٥٣٢١٥٤ و ٣٤٧٨ فأجاب الاجابة الصحيحة بعد أربع دقائق . وطلب اليه معرفة خارج القسمة للعدد ١٧٦ ر ٢٨ ر ٨٦٣ ر ٥١٦ ر ٢٨ ر ٥٨٦٤ على ٥٨٦٤ فأجاب اجابة صحيحة بعد عشر دقائق . وذكر لهذا الفتى أيضا أن المملكة المصرية تشتمل على ٩٩٦٣٢٧ كيلومترا وأن الكيلومتر الواحد يساوى ٢٣٨ فداناً وأن المطلوب معرفة المساحة بالأسهم فأجاب بعد خمس دقائق بأن الرقم المطلوب البحث عنه هو ١٣٦ ر ٥٨٤ ر ٧٥ ر ٧٧٦ وشرح له الجذر التربيعي والجذر التكعيبي ففهمه للحال واستخرج الجذور التربيعية والتكعيبية

وهذا الفتى المذكور من « ششت الأنعام » بمديرية البحيرة . وبهذه المناسبة أشارت مصلحة المساحة الى من حفظ التاريخ أسماءهم من أمثال الفتى المصرى حيث ذكر اسم (جورج يبرور) وكان من عظماء المهندسين في العالم والمرجع الهام في أعمال السكة الحديدية ، وقد ولد في انكلترا سنة ١٨٠٦ وكان ذكاؤه باديا في جميع أدوار حياته . وقد خلق في فن الهندسة وعين رئيسا لمعهد المهندسين المدنيين وهناك أشخاص آخرون مثل (جوهان واز) الألماني فترجوا أن يكون للفتى المصرى حظ هؤلاء العظماء . انتهى المقام الأول

## ﴿ المقام الثاني ﴾

ما عسك من الرجاء فلا يفتح للناس رجة بهم مثل ما ورد في الأخبار

﴿ أولا ﴾ يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٩ م ﴿ وثانيا ﴾ يوم ٢٢ منه أيضا من البرد في أوروبا ﴿ وثالثا ﴾ مثل ما جاء في يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩ م من ثورة الطبيعة في سوريا ﴿ ورابعا ﴾ مثل ما جاء في مجلة الحديد ، بعنوان « ٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار خسائر الحديد في العالم في كل شتاء » وفيما يلي بيانها

### أولا - ﴿ البرد في أوروبا ﴾

لندن في ١٣ فبراير - بلغ البرد اليوم في بريطانيا العظمى كلها درجة تذكري يبرد القطب الشمالي ومن المنتظر أن يشتد . وقد عرقلت المواصلات بالسكك الحديدية وعلى جميع الطرق في بريطانيا العظمى واليابس الأوروبي إلى حد عظيم ووردت الأنباء بوفاة كثيرين على أثر البرد - روتر

باريس في ١٢ فبراير - يشتد البرد في جميع أنحاء أوروبا ولا سيما في فرنسا وقد صار السفر بطيئا في سكك الحديد وفي الطرق الأخرى وأصبح العمل في المناجم صعبا ولا سيما في تشكوسلوفاكيا وألقت الذئاب الجائعة الرعب في بعض جهات البلقان وتجمد نهر الدانوب في القسم الذي يجتاز تشكوسلوفاكيا . وهبطت الحرارة إلى ١٤ درجة تحت الصفر في باريس وإلى ٢٣ درجة في رنس و ٢٠ درجة في ستراسبورغ - هافس

لندن في ١٢ فبراير - ان البرد القارس الذي اشتد في أوروبا أفضى إلى فواجع كثيرة فقد جاء في تلفراف من وارسو خبر وفيات كثيرة بالبرد وان حراس الغابات عثروا على زمرة من « الفجر » تتألف من ٣٤ شخصا رجالا ونساء وأولادا نزلوا في غاب على مقربة من لوبلن وماتوا بردا

وجاء في تلفرافات برلين أن ثلاثين سفينة محصورة بالجد في جهة بحر البلطيك الغربية وليس في بعض هذه السفن طعام وقد أصيب بعضها بعطاب شديد بحيث لا تستطيع السفر وان الطرادات الألمانية المهمة بالاقاذ يعوقها الجد وتمت طيارات الحكومة السفن المحصورة بالجد بالطعام - روتر

صوفيا في ١٢ فبراير - من انباء فارما وبورغاس البرقية ان الموانئ البلغارية على البحر الاسود محصورة بالجد ومقفلة في وجه السفن ويمتد الجد على مسافة بعيدة من الشاطئ وهو سميك جدا بحيث يسهل التزحلق عليه على طول الشاطئ ولم يسبق لهذا البرد من نظير من سنة ١٨٤٩ وقد ازداد صعوبة النقل بسكك الحديد ويخشون من وقوع أزمة طعام في بلغاريا - روتر

ثانيا - ما جاء بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٩ بالعنوان المتقدم

اثنينا في ٢٢ فبراير - لاتزال رداءة الجو الشديدة مستمرة وقد اكتسحت عاصفة ثلج اقليم أثينا - هافس لندن في ٢٢ فبراير - بينما الثلج يذوب في بريطانيا العظمى يشتد البرد في غيرها من البلدان الأوروبية فقد جاء في برقية من أثينا أن عاصفة ثلج شديدة اكتسحت بلاد اليونان وان انحاء كثيرة في الاريا ف تهددها المجاعة من جراء انقطاع المواصلات وقد اكتب حتى الآن بمبلغ ٣٥٠.٠٠٠.٠٠٠ دارجة اعانة لمنكوبي الفيضان في جنوب بلاد اليونان ومن جلتها مليون من بنك اليونان الوطني ونصف مليون من المسيو فزيلوس . ويؤخذ من برقيات صوفيا أن البرد عاد وأن حرارة الجو هبطت إلى ٢٥ درجة تحت الصفر في بعض الأماكن وسقط ثلج أسود في روستجق و يظن أنه ممزوج بغبار البراكين

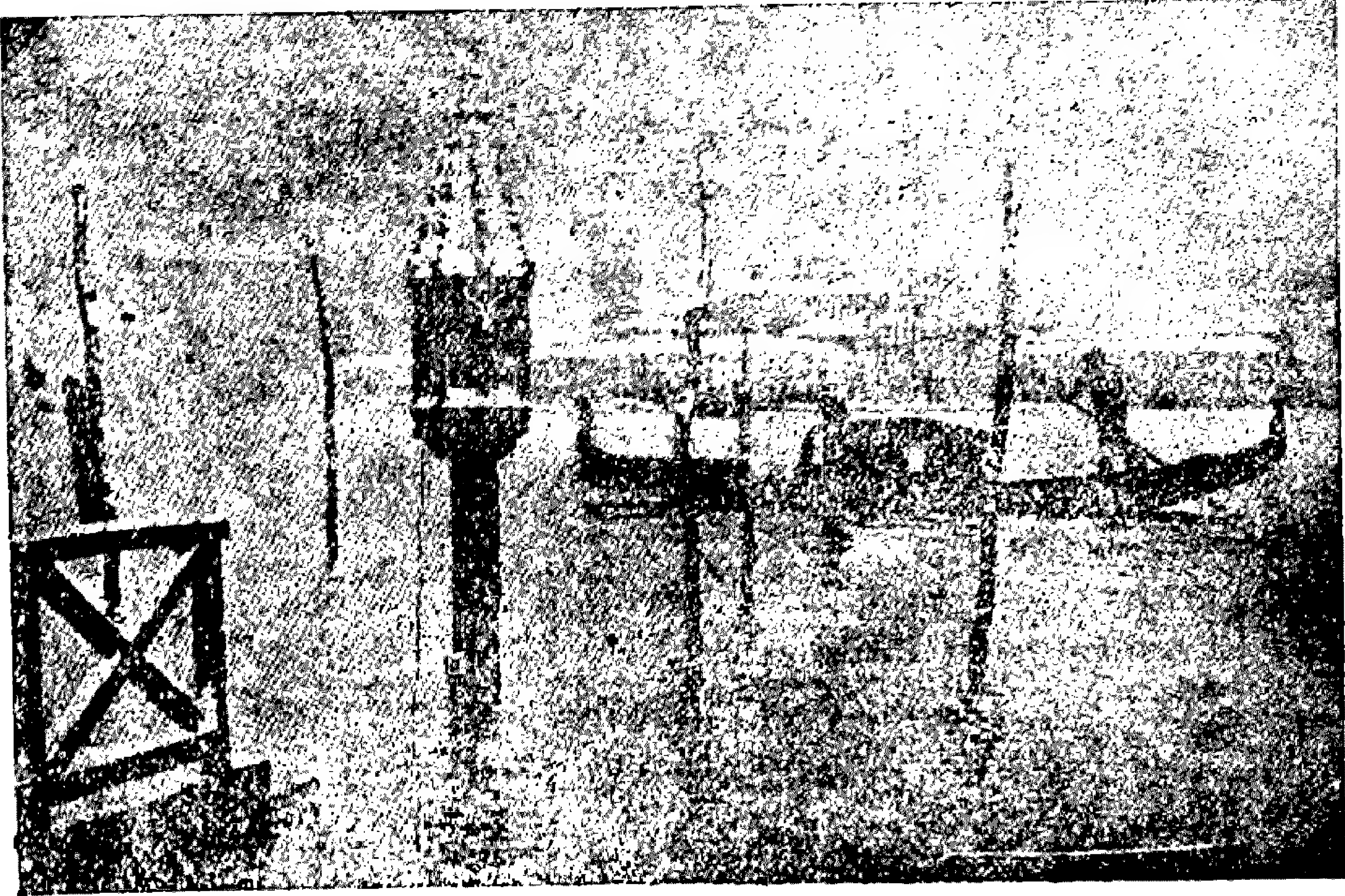
رومية في ٢٢ فبراير - يعوق البرد المشتد في ايطاليا حركة سكك الحديد فقد وصل اكسبرس الشرق إلى ميلانو متأخرا ١٤ ساعة عن ميعاده - هافس

بوداست في ٢٢ فبراير عاد البرد القارس بشدة عظيمة وبلغ الدرجة الخامسة والاربعين تحت الصفر هنا









( شكل ٩ - إحدى كنائس مدينة البندقية في إيطاليا تحت الجليد )

انتهى المقال العام في آية - مايفتح الله للناس - الخ

( لطيفة في قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا - )

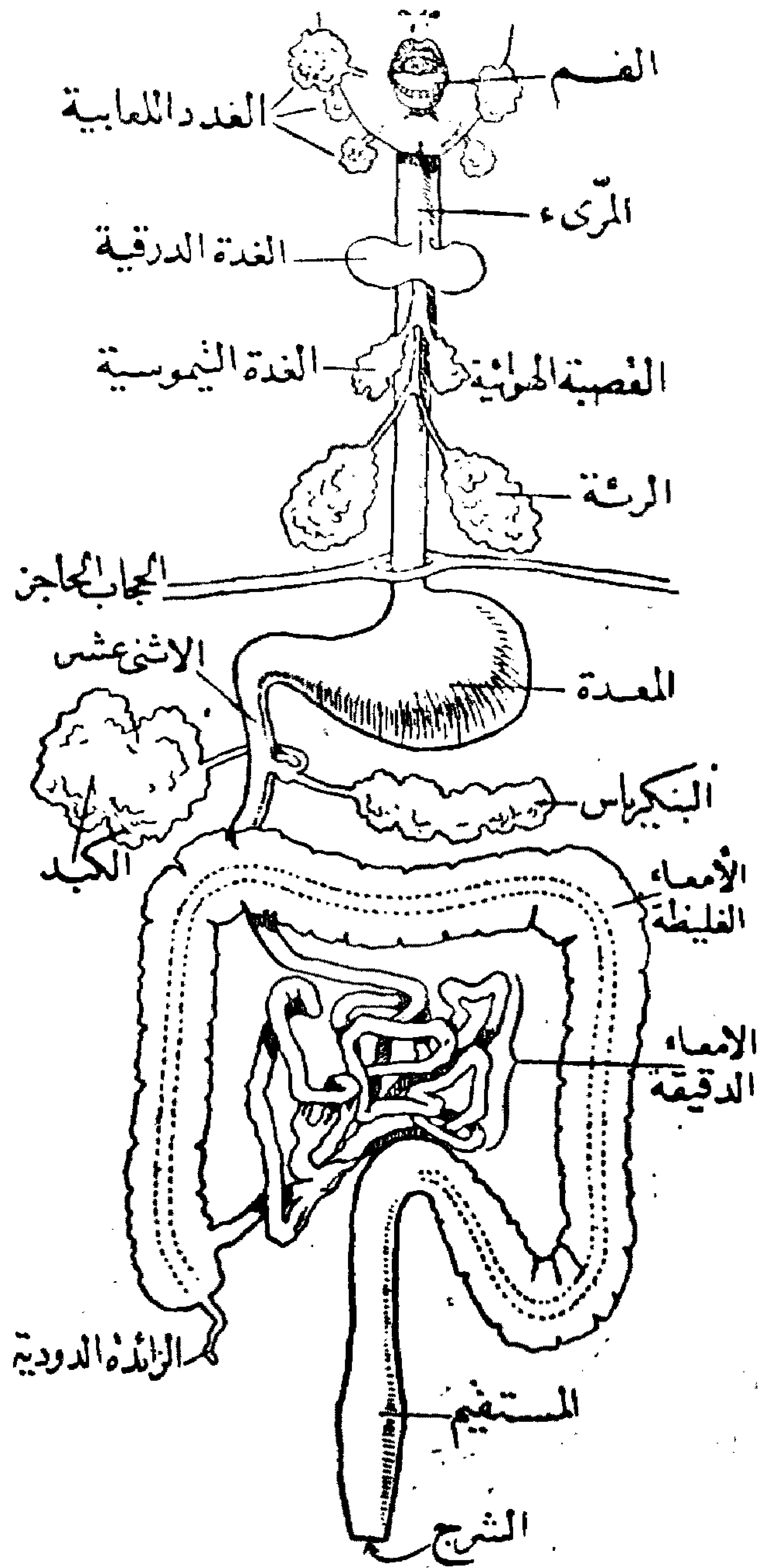
( كتب قبل الفجر ليلة ٣٠ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ )

اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم وبهجة الحكمة والهداية للفهم والانعاش ، اللهم إن أعظم نعمك علينا هو العلم ، العالم الذي نعيش فيه مادة والمادة لا تثبات لها بل هي شبكة نسجتها لتأيد الحواس الخمس لتصيد بها جواهر العلوم في ظلمات بحر الحياة اللجج ، فويل ثم ويل لمن مرت عليه السنون تتلوها السنون وهو في غفلة وهو من المعرضين ، لولم يكن هذا العالم في غاية الابداع والجمال لكانت هموم هذه الحياة وأسقامها عبثا اذا لم تكن الآلام والأسقام موقظات للعقل أن يفكروا فيما خلقوا فيه من الجمال لظل جميع الخلق محجوبين مبعدين عن بهجة ذلك الجمال البارع والحسن والنور والعرفان

أكتب هذا الآن وبين يدي كتاب « الطبيعة وعجائبها البديعة » فهذه هوذا الجهاز الهضمي (شكل ١٠

في الصفحة التالية)



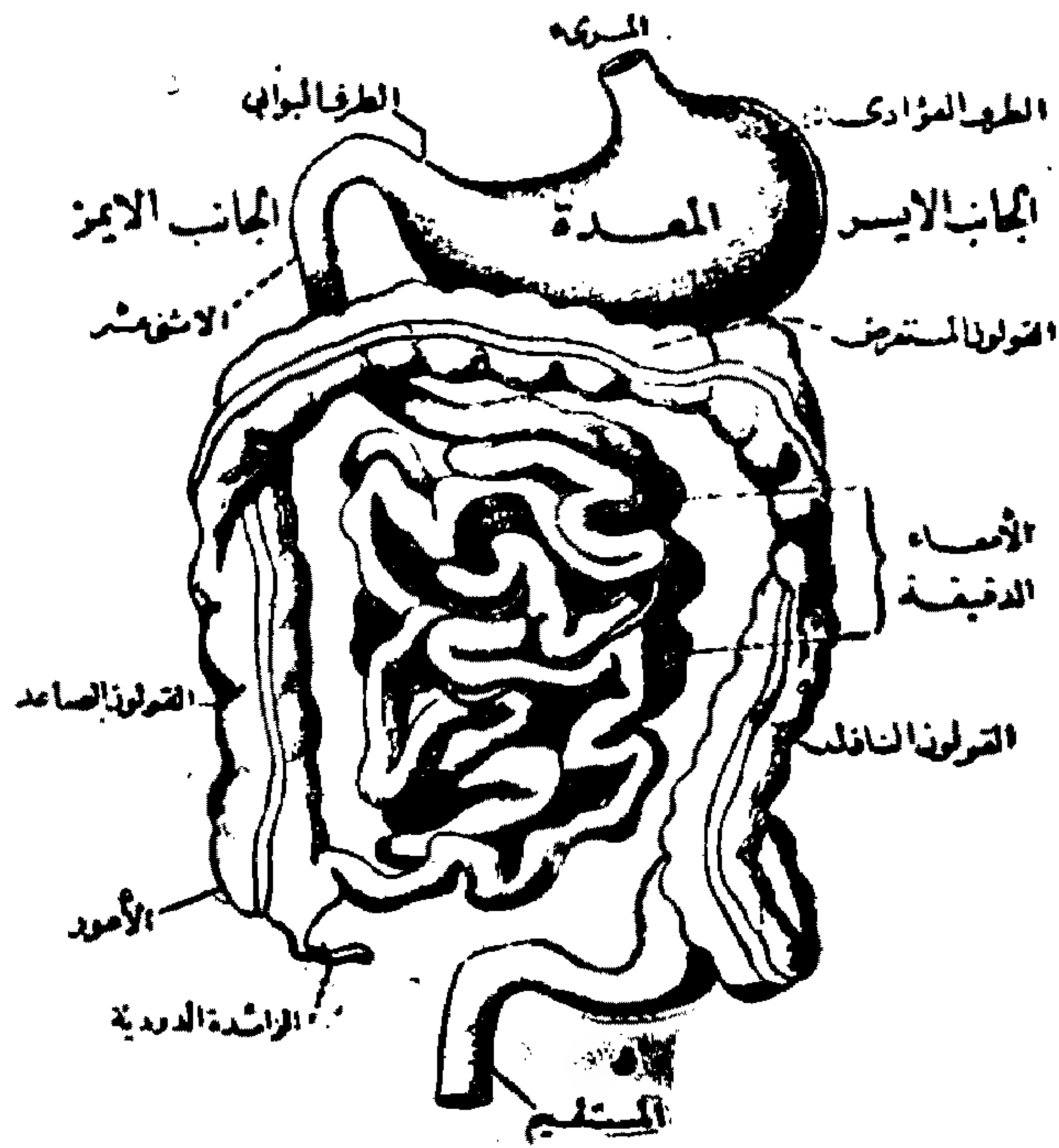


( شكل ١٠ - الجهاز الهضمي )

أنظرا إليه وفكر فيه . أليس هذا هو المخلوق من النطفة المخلوقة من تراب ، هاهو ذا التراب فانظر كيف خلق منه نبات وحيوان فانسان فأكل هذا نباتا وحيوانا فاجتمعت العناصر فكان منها أمثال هذه القناة الهضمية هذه يراها العالم والجاهل فتظهر تارة بهيئة حقيرة لقذارتها أو هيئة مشتهة اذا طبخت وكان الناظر جائعا وهي في نظر الجزار سلعة تقصد لثمنها ، أما الحكيم المفكر فانها في نظره لوح يقرؤه وكتاب يفهمه وتبصرة وذكرى ، فأول ما يصادفه بعد الفم وما فيه من الاثنتين والثلاثين سنا (الغدة اللعابية) فينظر فيرى هناك ثلاثة أزواج من الغدد كلها تفرز اللعاب الجارى في قنوات ، وذلك اللعاب سائل شفاف غير حصى بل هو قلووى

وهذه الثلاث موزعات في الفم . فالزوج الأول منها يسمى (الكفى) وهو أعلى . والثاني تحت الفك الأسفل والثالث تحت اللسان ، وهذا اللعاب فيه مواد مخاطية وخيرة اسمها (تيالين) لها تأثير على أمثال القمح والبطاطس والأرز وكل مادة نشوية فتحولها الى مادة سكرية ذائبة ، وهذا اللعاب مرطب للأطعمة مسهل لابتلاعها مانع من تأثير المواد الحامضية على الأسنان لأنه قلوئى

ثم ينظر فيرى البلعوم وهو القسم الأعلى من القناة الهضمية الذى يلي الفم . ثم يرى المريء وهو أنبوبة عضلية ضيقة تلى البلعوم طولها (٢٥) سنتيمترا أو (١٢) قيراطا وهذا يمتد في العنق والصدر ويخترق الحاجز ويتصل بالمعدة وله غشاء يفرز سائلا مخاطيا يسهل مرور الأطعمة . ثم المعدة الموضوعة على هيئة (قربة الموسيقى) طولها أيضا (٢٥) سنتيمترا كطول الاثنا عشرى الآتى ذكره لأنه اثنا عشر قيراطا ، ولها غشاء مخاطي أيضا يجمع يفرز العصير المعدى وفيه خمسة أنواع من المواد الهاضمة وهى المنفحة والمواد المخاطية والأملاح المختلفة وحض الكلوريدريك والبيسين والطرف الأعلى فى اليسار يسمى الطرف القوادى والطرف الأيمن وهو الأسفل يسمى (البوآنى) والأول متصل بالمريء والثانى متصل بالامعاء الدقاق . وبعد ذلك يرى الاثنا عشرى ثم تكون الكبد على اليمين وغدة البنكرياس على اليسار والاثنا عشرى هو أول الامعاء الدقاق وبعده الصائم واللفائفى من تلك الامعاء وهما اللذان تراهما فى هذا الرسم (شكل ١١) فى داخل الامعاء الغلاظ والطعام يمر فى هذه كلها بالترتيب حتى يصل الى الامعاء الغلاظ فيبتدى بالاعور جهة اليمين فالقولون الصاعد فالقولون المستعرض فالقولون النازل فالمستقيم فالإست (انظر شكل ١١)



( شكل ١١ - منظر عام للقناة الهضمية حسب وضعها الطبيعى )

وهنا يتفكر العاقل فى هذه الغدد ومأمعها ، فيرى أن الطحال والبنكرياس يفرزان مواد هاضمة لتلك المواد كما تفرز غيرها الغدد التى فى الفم وفى المعدة والامعاء . إن التى فى الفم ذوات المجارى الست تفرز مواد قلوية تؤثر فى المواد النشوية كما تقدم فتجعلها سكرية وعلى الآكل أن يمضغ الطعام ببطء ليتمكن الخيرة المسماة بالتياين التى فى لعاب الفم أن تؤثر فيه فتذيب تلك المواد . فاذا وصل الطعام الى المعدة تلقاه العصير المعدى فأذاب بعض المواد التى لم تذب بخميرة وبعضها الآخر بخميرة أخرى فترى المواد الزلالية فى اللبن تصير كالجبين

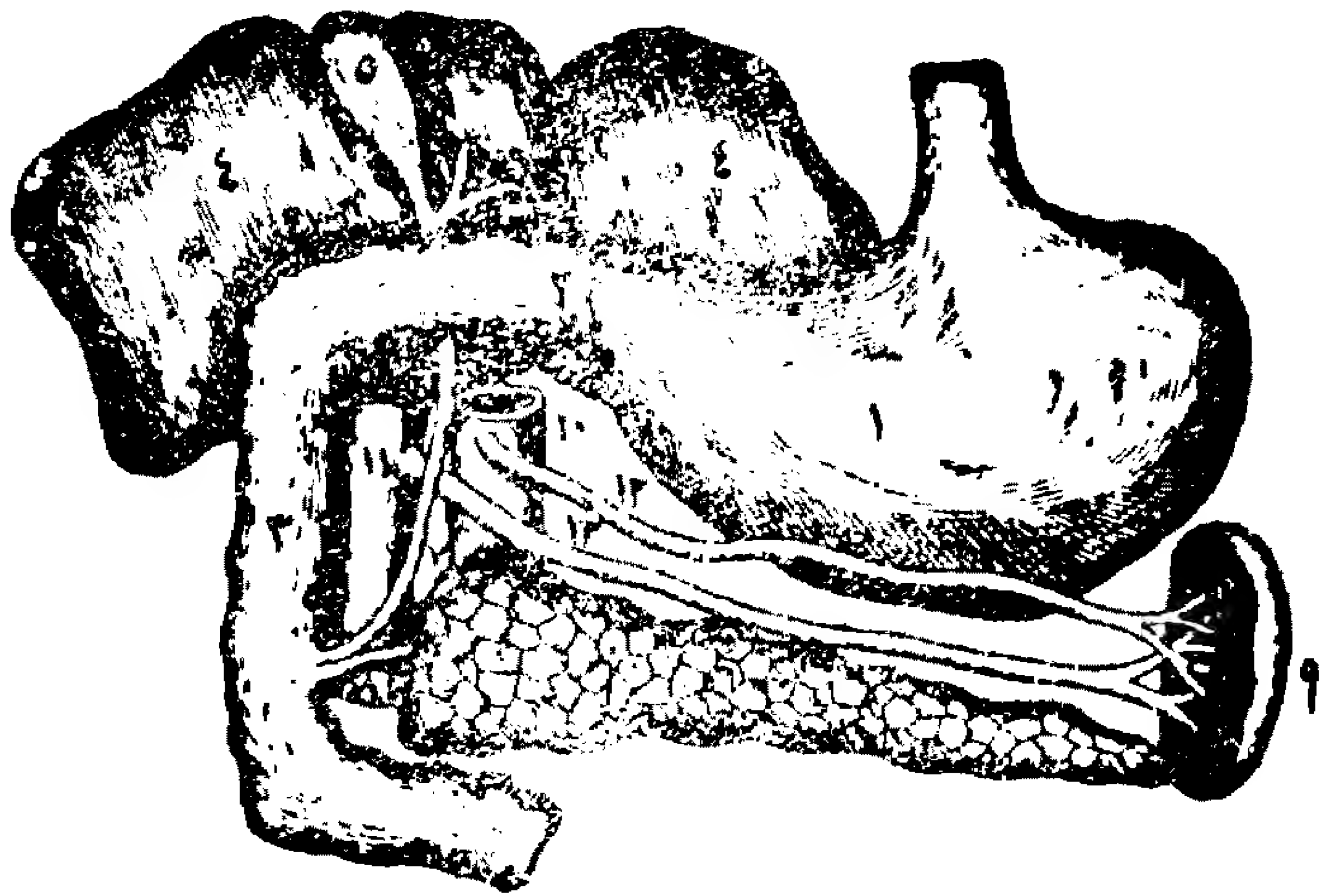


بواسطة خيرة اسمها (المنفحين) ولا جرم أن وسط المعدة حصى بخلاف وسط الفم فهو قلوى ولكل منهما خفاثر تناسبه ولا عمل لخبرة إلا في مكانها الخاص

ثم انه لا بد في فهم حقائق بقية هذا الموضوع من معرفة ماهى الأذية اللازمة للإنسان انها :  
 (١) مواد عضوية غير آزوتية أى ليس فيها عنصر الآزوت الذى هو جزء من الهواء الجوى وهذه إما مواد كبروايدراتيه مثل النشادر والسكر . وإما مواد دهنية كأنواع الزيت والسمن والشحم  
 (٢) ومواد عضوية آزوتية وهذه تستهلك في أنسجة الجسم . وهذه مثل (البروتين) كزلال البيض والجلاتين المستخرج من العظام المغلية والمادة الجبينية في اللبن ومادة (الميسين) التى في اللحم وهكذا يكون (البروتين) في المواد النباتية لاسيما في بذور البقول مثل الفول والبسلة والعدس . وفي الحبوب كالأقمح والذرة  
 (٣) ومواد غير عضوية وهى الماء والمواد المعدنية والماء ثلثا الجسم والمواد المعدنية منها :

(أ) كربونات الجير وهى في العظام والأسنان  
 (ب) وفوسفات الجير وهى في العظام أيضا وتكون نصف وزنها تقريبا وان فوسفات الجير وكربوناته داخلات بمقادير كافية في الأغذية النباتية والحيوانية

(ج) وملح الطعام  
 (د) وأملاح أخرى بمقادير قليلة تدخل في الجسم من الغذاء . اذا عرفت هذا فان الحكيم المفكر الذى تكلمنا عنه ينظر في سير الطعام أثناء سيره (انظر شكل ١٢)



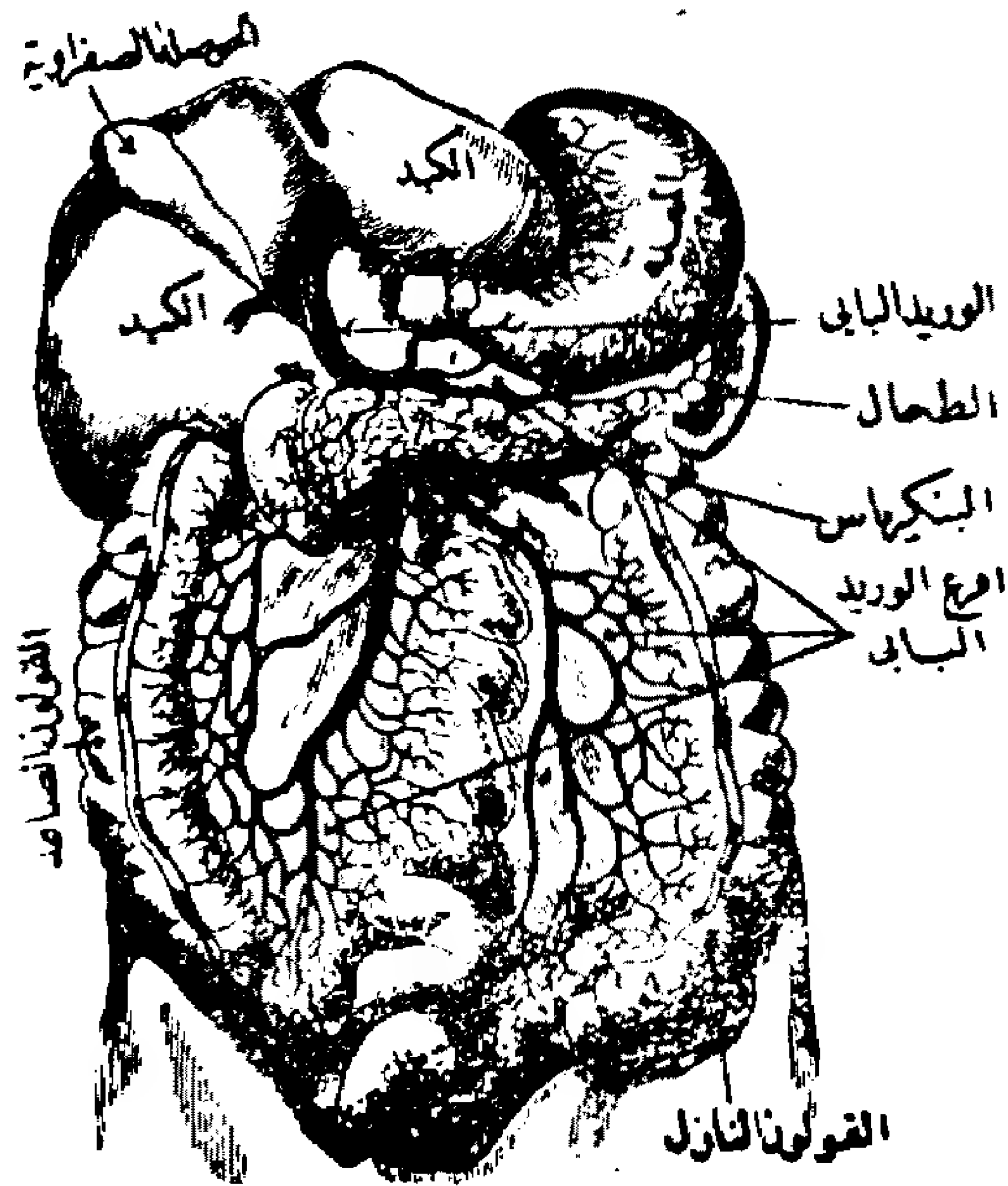
( شكل ١٢ - المعدة والاثنا عشرى والكبد والطحال والبنكرياس (١) المعدة (٢) البواب (٣) الاثنا عشرى (٤) السطح السفلى للكبد (٥) الحوصلة الصفراوية (٦) غدة البنكرياس (٧) القناة الصفراوية (٨) القناة البنكرياسية (٩) الطحال (١٠) الأورطة (١١) الوريد البابى (١٢) الشريان الطحالى (١٣) الوريد الطحالى )

فيري أن هناك القناة الصفراوية (نمرة ٧) في هذا الشكل توصل الصفراء المطبوخة في الكبد الاثنا عشرى ومثلها القناة البنكرياسية الآتية من البنكرياس (نمرة ٨) في الشكل فإذا نرى هاتين العصارتين تصبان في مكان واحد وتمتزجان بمادة الكيموس الآتى من المعدة ذى القوام الغليظ . وهذا الكيموس يمر بالامعاء فتقبله عصارة أخرى تفرزها الامعاء نفسها . فهذه العصارات الثلاث تذيب من المواد مالم يذب من قبل وينقلب بسببها الكيموس الى كيوس ذى قوام سائل لبنى . وهنا استعداد الطعام لأن يرتقى درجة أخرى فتمتصه الخلايا التى في الامعاء الدقيقة ويمر الباقى الى الامعاء الغليظة ولا يزال الامتصاص مستمرا هناك أيضا وما فضل

عالم يمتص أولم يصلح للامتصاص يخرج بالتبرز . وهنا يرى هذا الحكيم أن القناة الهضمية فيها مصانع لتجهيز أنواع الهواضم . فأما في الفم فاللعاب وفيه خثاثر تذيب المواد النشوية كالسكر والنشاء ومابقى في المعدة وفي الأمعاء بالعصارة البنكرياسية والمعوية والصفراوية

هنالك يرى ذلك الحكيم درجة جديدة للطعام ، فنه أولا كان نباتا وحيوانا وماء ومعادن ثم أصبح في الفم ذائبا بالللعاب أو كيموسا في المعدة بأنواع من الهواضم ثم انتقل الى الأمعاء فسلطت عليه العصارات الثلاث المتقدمة من البنكرياس والصفراء والأمعاء فصار كيلوسا ثم ارتقى فتقبلته شبكة دقيقة من الأوعية الدموية تحت الغشاء المخاطي بعد أن تمرّ بذلك الغشاء المبطن للأمعاء . وهذه الشبكة تسلمها الى الدورة الدموية والدورة التنفسية

ههنا ينظر في الدورة الدموية فاذا يرى ؟ يرى هذا الرسم ( انظر شكل ١٣ ) وهذه الدورة تقدم شرحها مرارا وتكرارا في هذا التفسير ولكن هذه الصورة البديعة لم يتقدم لها نظير من حيث وضوحها ( شكل ١٣ )

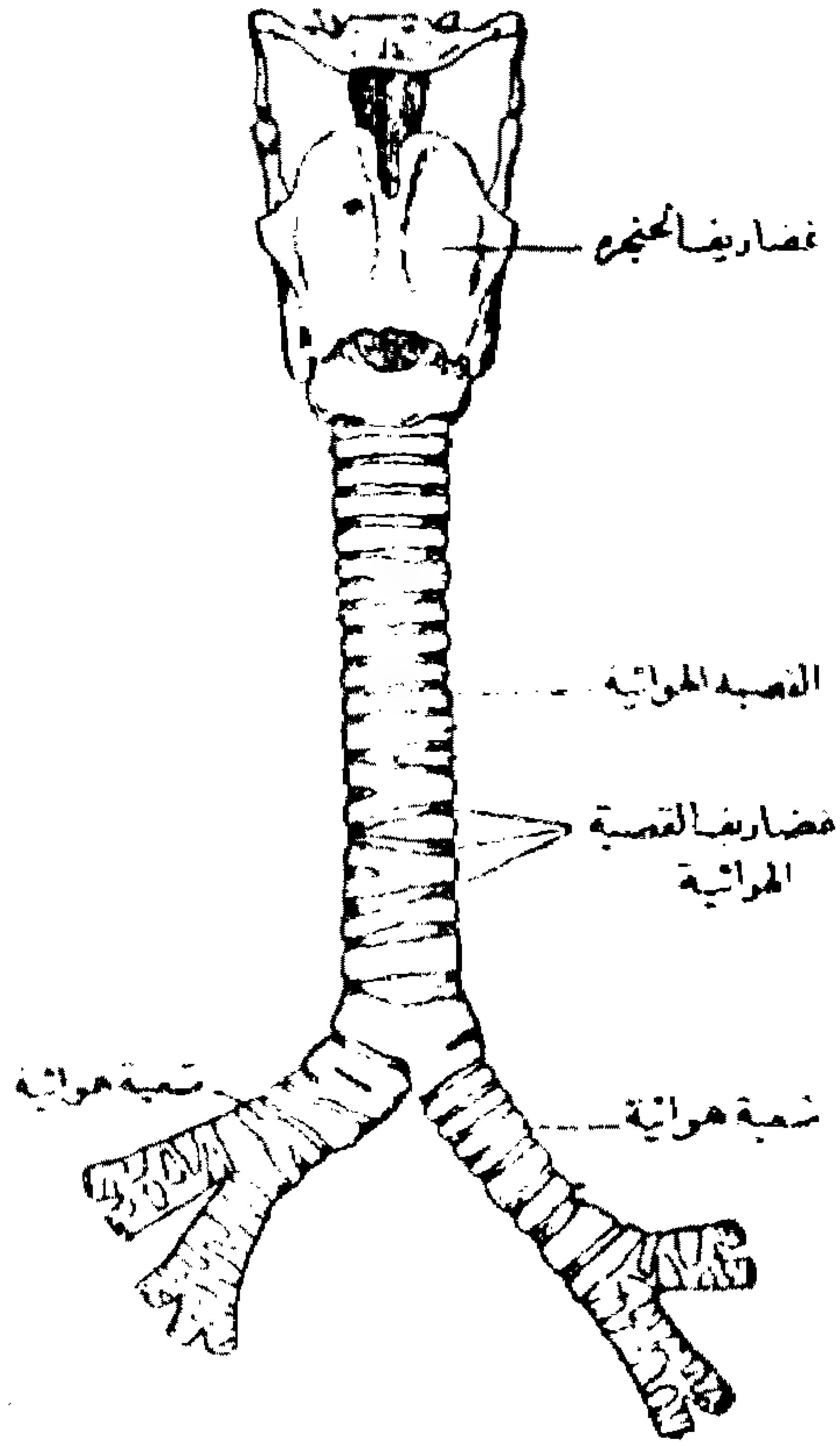


( شكل ١٣ - الوريد البابي والفروع الرئيسية التي يتكوّن منها )

وهناك يرى الدم الشرياني في يسار الصورة والوريدى في يمينها والأول يتدفق في الاروطى الخارج من البطن الأيسر وقد تفرّع الى فرعين : أعلى وأسفل لتغذية الجسم كله أعلاه وأسفله فهو أشبه بنوع الانسان حينما يكون جاهلا فاذا تعلم صار كالمواد المهضومة ثم يرقى فيصير نافعا لمجموع الأمة كما صار الدم غذاء للجسم فأما بقية المواد التي لم تهضم أو هضمت ولم تمتص فقد خرجت بالتبرز فهي أشبه باولئك الذين ركبوا في المدارس لأنهم لم يجيبوا في الامتحان أو كأهل النار الذين لم يصلحوا السكنى الجنة لأنهم في الدنيا لم تتوافر فيهم صفات الكمال حتى يصلحوا لمعاشرة أهل الجنة الذين هم علماء وحكماء . ويرى الدورة اللفاوية العليا والسفلى . والوريد البابي . والوريد الكبدى الأعلى المتصلين بالكبد وهما مملوآن بالدم الوريدى ثم يبحث فيرى الدم الشرياني متى انصل بأجزاء الجسم تحوّل الى دم وريدى فيعرف انه قد اسودّ بسبب المواد الفعمية التي خالطته بسبب التفاعل الكيميائى ثم يرى ذلك الدم الوريدى أخذ يرجع ثانيا فأخذ يصبّ في الأذين الأيمن ثم ينزل منه الى البطن الأيمن ومن البطن الأيمن يخرج هذا الدم في طريقه جاريا في فروع الشريان الرئوى



متصلا بفروع الشعب الهوائية وهناك يبحث عن هذه العجائب كيف تكونت فبرى القصبة الهوائية (انظر شكل ١٤)



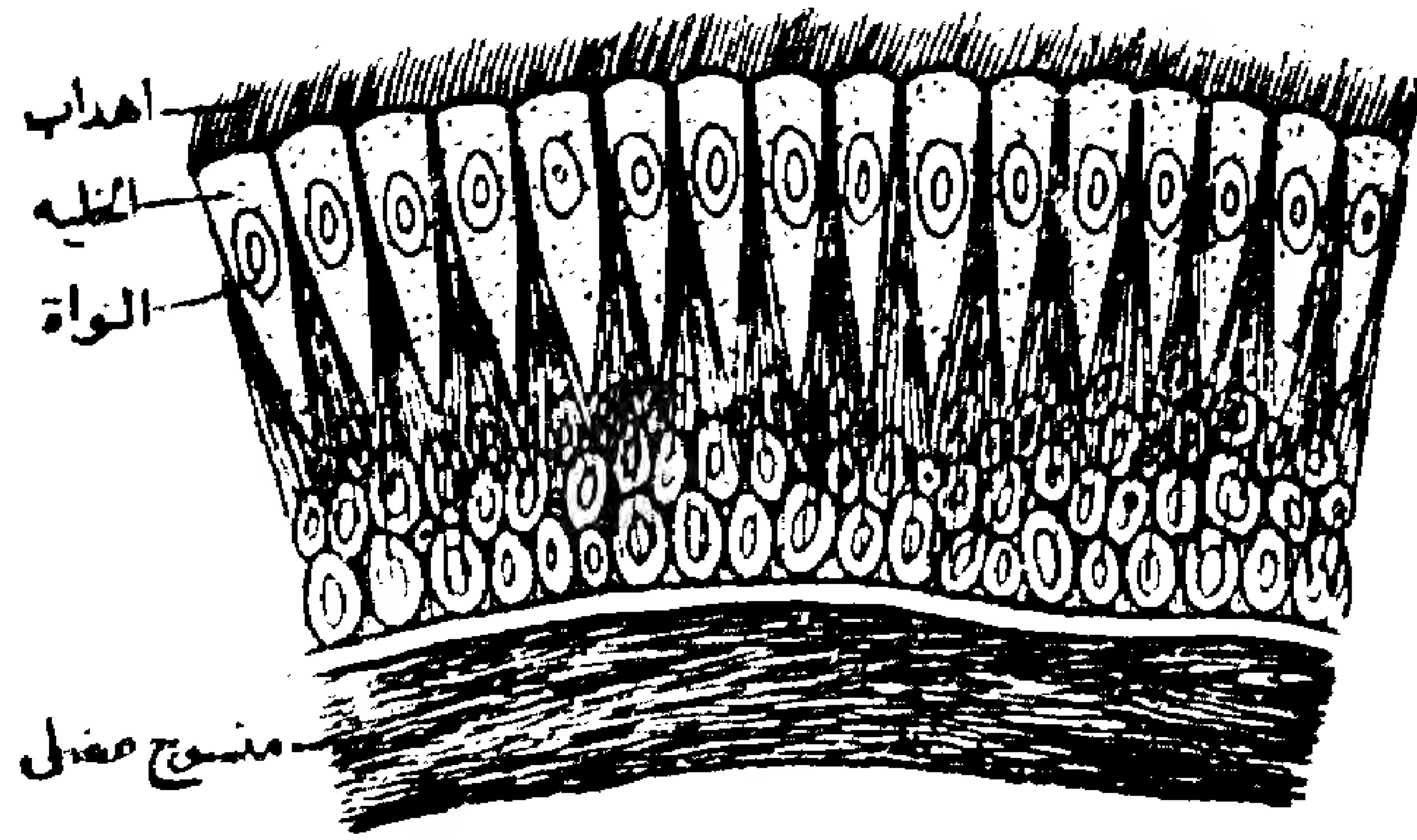
( شكل ١٤ - القصبة الهوائية وفروعها )

وهذه القصبة الهوائية تكون منها شعبتان هوائيتان وهاتان الشعبتان يخرج منهما ما يشابه الأشجار ويسمونه بالحوصلات الهوائية (انظر شكل ١٥)



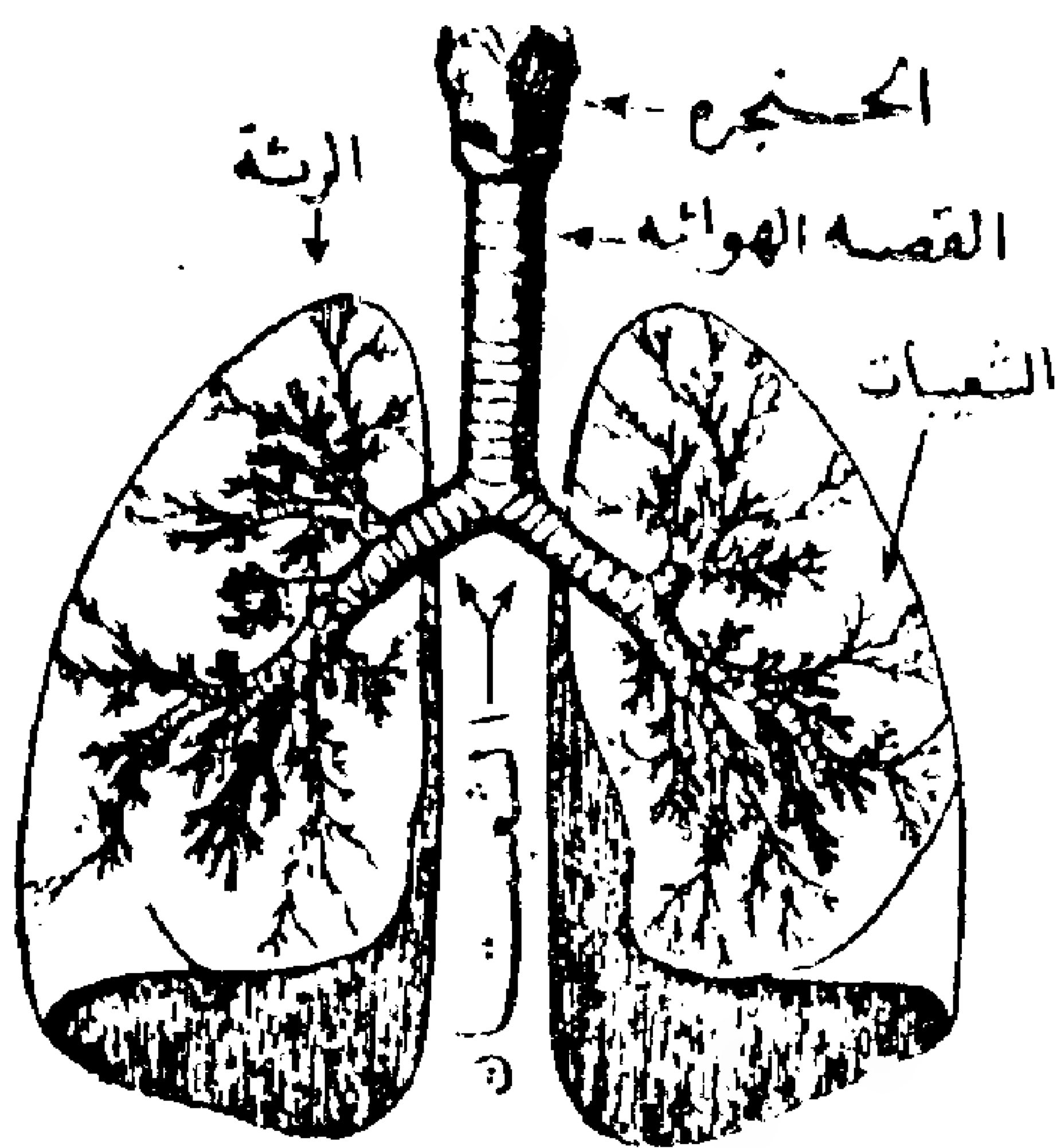
( شكل ١٥ - الحوصلات الهوائية )

وعند تأمله في القصبة الهوائية يجد فيها عجا ! يرى نسيجاً هديبياً مبطناً للقصبة ( انظر شكل ١٦ )



( شكل ١٦ - النسيج الهدبي المبطن للقصبة الهوائية )

فيقول : « ما عمل هذا النسيج ؟ إن فيه لأهداباً وخلايا ومنسوجاً عضلياً ، ثم يهتدى أخيراً إلى أن هذه الأهداب أشبه بالسكناسين والزبالين لأنها دائماً ليلاً ونهاراً تتحرك من الداخل إلى الخارج ، لماذا هذا ؟ لتطرد الغبار الداخل مع النفس في القصبة الهوائية ، فهذه الأهداب حواظ وخفراء تطرد الأجانب لئلا تفسد المملكة الرئوية الخادمة للمملكة الدموية ، فالقلب يرسل جنوده الدموية المنهكة القوى المتعبة فتأتي إلى الرئة فيقابلها الخدام والحفظة فينظفونهم ويحملون ماخالطهم من الأدران ويرمون به في الخارج فضلاً عن إمداد هؤلاء الجنود بالغذاء وهناك يسافرون إلى الجسم كرة أخرى ويفعلون ما فعلوه سابقاً ، وفي أثناء سيرهم يتقابلون مع جنود أخرى يأتون إليهم من الغذاء المهضوم النقي الذي تمتصه الشبكة الدموية في الأمعاء ليكون عوضاً عن الدم الذي تمثل بالجسم ، فيقول ذلك الحكيم إذ ذاك : « كيف يفهم المسلمون آية - وكل شيء فصلناه تفصيلاً - إلا بهذا وأمثاله ، أو آية - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - أو آية - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً - الخ ، ( انظر شكل ١٧ )

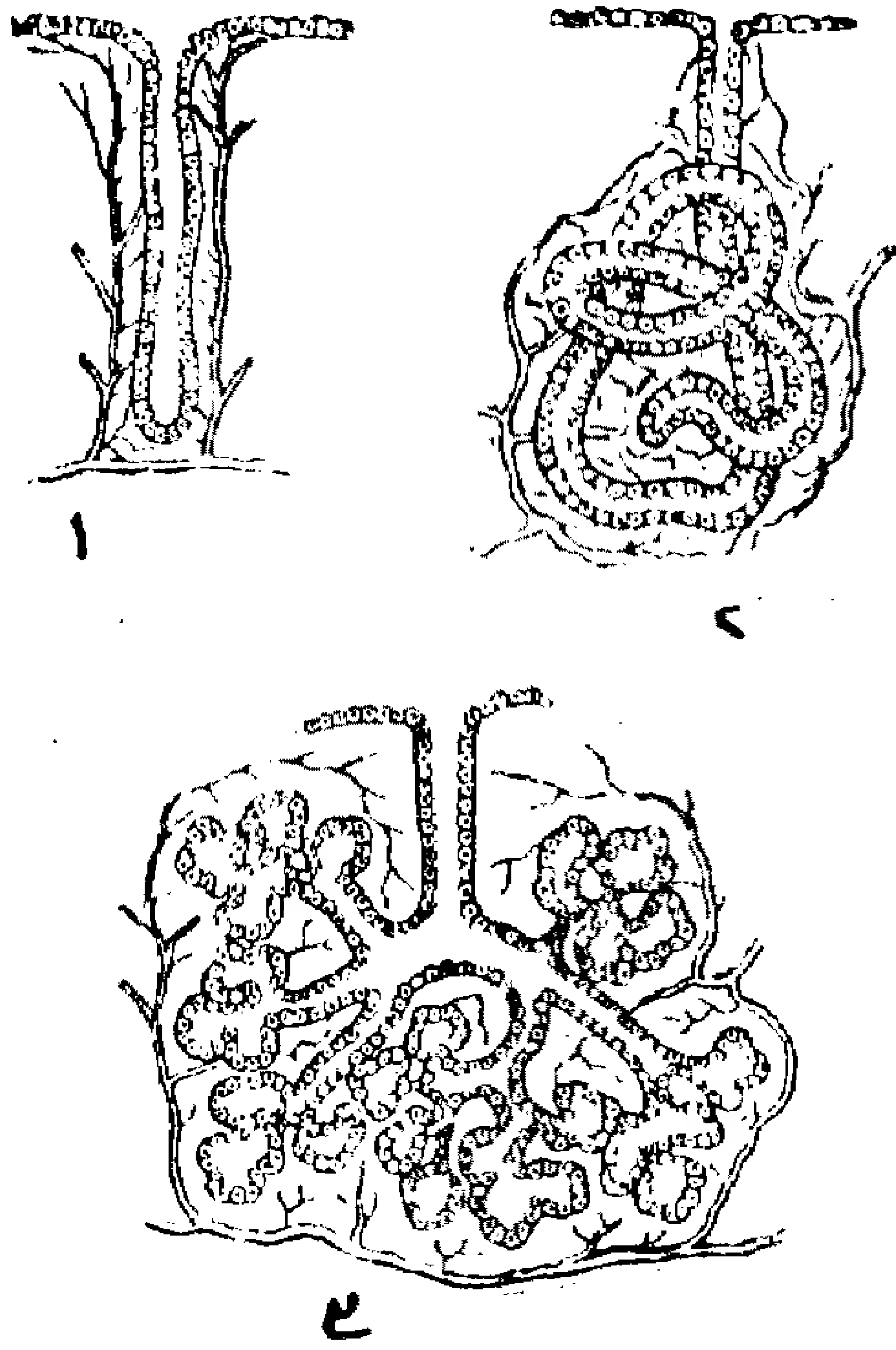


( شكل ١٧ - الرئتان وتفرّع القصبة الهوائية فيهما )

ثم يقول : « هاتان شعبتان هوائيتان قد تشعبتا في الرئة وهناك قابلاً الأوردة والشرايين ، هنالك يهوله الأمر ويزيد عجبه إذ يرى ما يشبه الأشجار التي في الحدائق قد نبتت من القصبة الهوائية وأخرى



امتدت من القلب وتقابل الأعلى والأدنى من فروع ودرجات مماثل أدناها أعلاها حتى يمكن الاقتباس والافتقار والأعمال الكيميائية ، وهناك ينظر ذلك الحكيم نظرة أعلى فيقول : وما هذه الغدد التي أراها على أنواع مختلفة فمنها البسيطة والأنبوية والعنقودية ، ( شكل ١٨ )



( شكل ١٨ - رسم يبين للغدد )

( ١ ) غدة بسيطة ( ٢ ) غدة أنبوية ( ٣ ) غدة عنقودية

فإذا يرى بعد البحث ؟ يرى أن هذا الدم الذي لم ينله الجسم إلا بعد مشاق ومشاق وتعب ونصب ومصانع تحضر مواد في الفم وفي المعدة والأمعاء والكبد والبنكرياس لا يزال هو بحاجة إلى اصلاح . إن هذا الدم عيب لا حيلة له ولا قدرة على اصلاح هذا الجسم بمفرده ، وكما أن الأغذية لم تصدر إلا بعد مواد صنعت في مصانع خاصة ، هكذا هذا الدم لا يصلح لعمارة هذا الجسم إلا بعد أن يقوى ويؤيد بمواد نافعة تؤهله لهذه الأعمال العظيمة وإيجاد هذا الخلق الجديد . إن الدم منه تصنع جميع العظام والأعضاء والحواس ( ١ ) فيرى أولاً أن أعضاء التناسل ونمو الشعر والعظام لا بد لها كلها من عمل آخر حتى يتم لأن الدم بمفرده لا يصنع ذلك . هنالك يجد أولاً الغدة الصنوبرية وهي قدر حجم الحصة موضوعة بين المخيخ والنصفين الكرويين للمخ وهذه الغدة إذا صارت ضخمة فإن الإنسان يبلغ السن المعتادة ويخوشعره قبل أوانه وعظامه الطويلة تنمو بطريقة غير منظمة . إذن هذه الغدة أشبه بالمهندسين من نوع الإنسان أو الصناع الماهرين فإذا اختلفت صارت أشبه بالصانع الجاهل الذي يعمل بلا نظام

( ٢ ) ويرى ثانياً الغدة النخامية وهي جسم بمقدار حجم الترمسة وهو متصل بأسفل المخ وله فصان أمامي كبير وخلي صغير في تجويف بالقص الأمامي ، فلتص الأمامي الكبير من الغدة النخامية يفرز مادة نافعة في تكوين العظام كالغدد السابقة ، فإذا زاد نشاط هذا القص زمن الشباب فإن الجسم يزيد طوله طويلاً فاحشاً حتى يصل بصاحبه إلى طول العملاقة ، إذن هذا أيضاً مهندس آخر كالسابق أو صانع ماهر فإذا أسرع في عمله قبل أوانه فهو صانع غير ماهر وتعليمه قليل ، فأما إذا زاد نشاط هذه الغدة بعد تقدم السن فإنه ينشأ مرض

يسمى (ا كروميجاليا) وهو كبر الأطراف إذ تصير بعض عظام الجسم أكثر ضخامة لاسيما الفك السفلي والأيدى والأقدام

هذه أعمال الفص الأمامي ، أما الفص الخلفي فن له تأثيرا على أعضاء التناسل وله صلة بضغط الدم ودقات القلب و بعض العضلات التي ليست ارادية و بافراز اللبن . إذن الغدة الترمسية والغدة النخامية بنفسها أعمالهما يتم بعضها بعضا تقريبا

(٣) ثم يجد الحكيم ثالثا أن في العين مادة ملحية سائلة فيجب ويقول : « من أين أتى هذا الماء وملحه ؟ » فيبحث فيرى هناك غدة في حجم اللوزة موضوعة في جهة العين الخارجة فهي تفرز سائلا ملحيا يحفظ سطح العين نظيفا ، ثم يقول : « إن هذا عجب » هاأنا إذا اطلعت في سورة الفرقان عند آية - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - وفي سورة العنكبوت على صورة الجهاز الذي فيه السم الذي تقذفه النحلة والعنكبوت على ماشاءات والجهاز الذي فيه غزل العنكبوت ، فهذان الجهازان جعلتا مناسبتين للحاجة فأحدهما فيه السم للدفاع والثاني فيه الغزل للاقتناص وغيره ، وههنا هذه الغدة قد جعلت لمصلحة العين فجعل فيها سائل ملحي (٤) ثم ينظر أيضا فيرى الغدة الدرقية (غدة ١) في الشكل المتقدم وهذه الغدة واضحة في الرسم أمامك وهي جسم لين في الجهة الأمامية من العنق تحت الحنجرة قائمتها تكوين العظام وعمل الاحتراق في الجسم ولها علاقة بالغدة التناسلية ، وإذا زاد افرازها جف الجلد ونحل الجسم و بطؤ الكلام وضاق النفس واضطربت التغذية ، وإذا انعدمت الغدة في سن الطفولة ظهر نقص عظيم في النمو في الجسم والعقل أو ووقوف تام لهما

(٥) ثم ينظر خامسا فيرى غدة محاورة لهذه تسمى (الغدة جارة الدرقية) وهذه إذا عطلت حصل التشنج عند الأطفال والشلل مع الرعشة وأن تصير العظام هشّة سهلة الكسر ، وإذا أزيلت هذه الغدة كثرت في الجسم التشنجات العضلية وقلت تغذية الشعور والأظافر وقد يصير في العين ماء أزرق

(٦) ثم ينظر سادسا فيرى غدة التيموس الموضحة فيما تقدم في (شكل ١) بعد الغدة الدرقية فيقول : « فيألت شعري ما عمل هذه أيضا ، ها هي ذه واضحة بأعلى المنطقة الصدرية تحت الفص وبعد البحث يراها لا تبلغ أشدها إلا في السنة الثانية من عمر الطفل وابتدى خودها واضمحلالها عقب سن البلوغ ثم تختفي تقريبا . فهذه تؤثر في نمو الأطفال وتكوين أعضائهم التناسلية ، وإذا اختفت قبل أوان اختفائها يحصل اضطراب في الجسم لاسيما في تكوين الأعضاء التناسلية

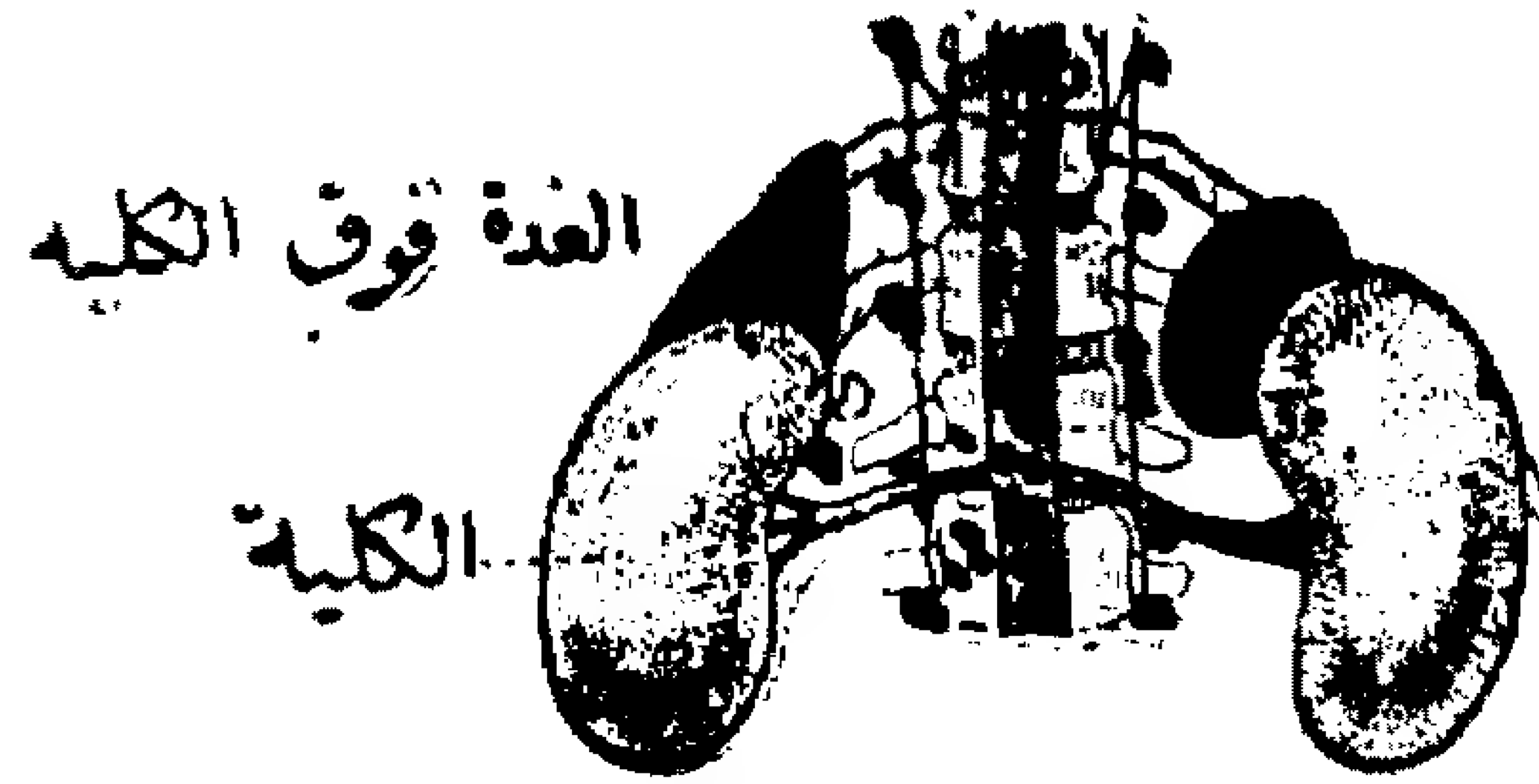
(٧) ثم ينظر سابعا فيرى غدة البنكرياس المرسومة في (شكل ١) أيضا المقابلة للكبد فإذا يرى أن فيها غددا أخرى غير الغدة المتقدم ذكرها لأنها فيما مضى أفرزت مادة ذهبت الى الامعاء ولكن الغدة الأخرى هنا في البنكرياس تذهب الى الدم مباشرة . فإذا تصنع ياترى ؟ انها تعرف بالانسولين . إن (الانسولين) يساعد الكبد في تحويل المادة المسماة (جلوكوز) الى مادة ألطف يسمونها (جليكوجين) فالمادة الأولى سكر وهذا السكر لا تقدر خلايا الجسم على احتاله وادخاله في تكوينها . فإذا لم يساعد الانسولين الكبد على ذلك التحويل بقيت تلك المادة السكرية عالّة على الجسم فلا يحصل للجسم من التخلص منها بواسطة الكلتيين في البول بدون أن ينتفع الجسم بها فيحصل ضعف تدريجي وأعراض أخرى وهذا هو مرض البول السكري . إذن هذه الغدة جعلت في الجسم لمنع البول السكري المعروف . والكبد وهو مقابل للبنكرياس في الجسم أكبر غدة فيه هوفي أعلى الفراغ البطني وهوالى الجهة اليمنى أقرب وهونحو ثلاثة أربال وربع في الانسان البالغ تقريبا وسطحه العلوي محتب والسفلي مقعر وهو يفرز الصفراء المتقدم ذكرها وتخزن في الحوصلة الصفراوية وهذه الصفراء :

(١) تساعد عصارة البنكرياس في تجزئة السكريات الدهنية ويكون هناك مستحلب



(ب) وتلين الامعاء فتساعد على الحركة الدورية في القولون والمستقيم وتمنع التعفن في الأغذية التي تزيد في الامعاء

(٨) ثم ينظر ثامنا فيرى غدتين فوق الكليتين (شكل ١٩) وهاتان الغدتان اذا اعتدلتا في افرازهما اعتدل النشاط الطبيعي في الشرايين والعضلات الارادية وغير الارادية واذا قل نشاطهما حصل مرض في الجسم يسمى مرض (اديسون) ذلك أن الجلد يلون بلون آخر هو اللون (البرنزي) ويكون هناك ضعف وقئ وانهاك يصحى ينتهي هذا كله بملوت ، واذا نزع هاتان الغدتان يحدث الموت في مدة قصيرة وهذه صورتها



( شكل ١٩ - الغدتان فوق الكلى )

(٩) ثم ينظر ثامنا فيرى الغدد التناسلية وهما الخصيتان في الذكر والمبيضان في الأنثى ، فالحيوانات المنوية تخلق في الخصيتين والبويضات في المبيضين وهذا ما هو إلا افراز كالافراز الخارجى في الغدد الأخرى وهذه الغدد افرازات أخرى بها يمتاز الذكر من الأنثى في مظهرهما ، فاذا رأينا شعر الشارب واللحية والشعر المنتشر على الجسم وخشونة الصوت وظهور بروزات عظام الجسم واضحة في الرجل ورأينا ذلك كله في الأنثى على خلاف ذلك وهى تزيد بنمو الغدتين الثدييتين واستطالة شعر الرأس وازدياد المواد الدهنية المتخزنة تحت الجلد فتخفى زوايا العظام البارزة . أقول : اذا رأينا ذلك كله عرفنا انه يوجد سبب ما تفرزه الخصيتان والمبيضان من المواد لتكوين ذلك كله فضلا عن تكوين الحيوانات المنوية والبويضات لظهور النسل . وللخصيتين والمبيضين آثار فوق ما تقدم إذ هما بما يفرز منهما يوقظان الوظائف الحيوية في الجسم لاسيما ما كان له علاقة بالتناسل

(١٠) ثم ينظر فيرى في الجلد غددا عرقية منتشرة تحت الطبقة الجلدية وهى أنابيب طويلة تفرز السائل العرق

(١١) ثم ينظر فيرى غددا دهنية وهى في العادة بجانب الشعر وهى تفرز مواد دهنية لها ثلاث وظائف حفظ الشعر لنا وتغطية الجلد بطبقة دهنية تحميه من المؤثرات الخارجية ومنع تشعع الحرارة من الجلد بكثرة (١٢) ثم يرى غدتين في الانسان بأعلى الجزء الأمامي من الصدر وظيفتهما في المرأة افراز اللبن لارضاع الأطفال اه

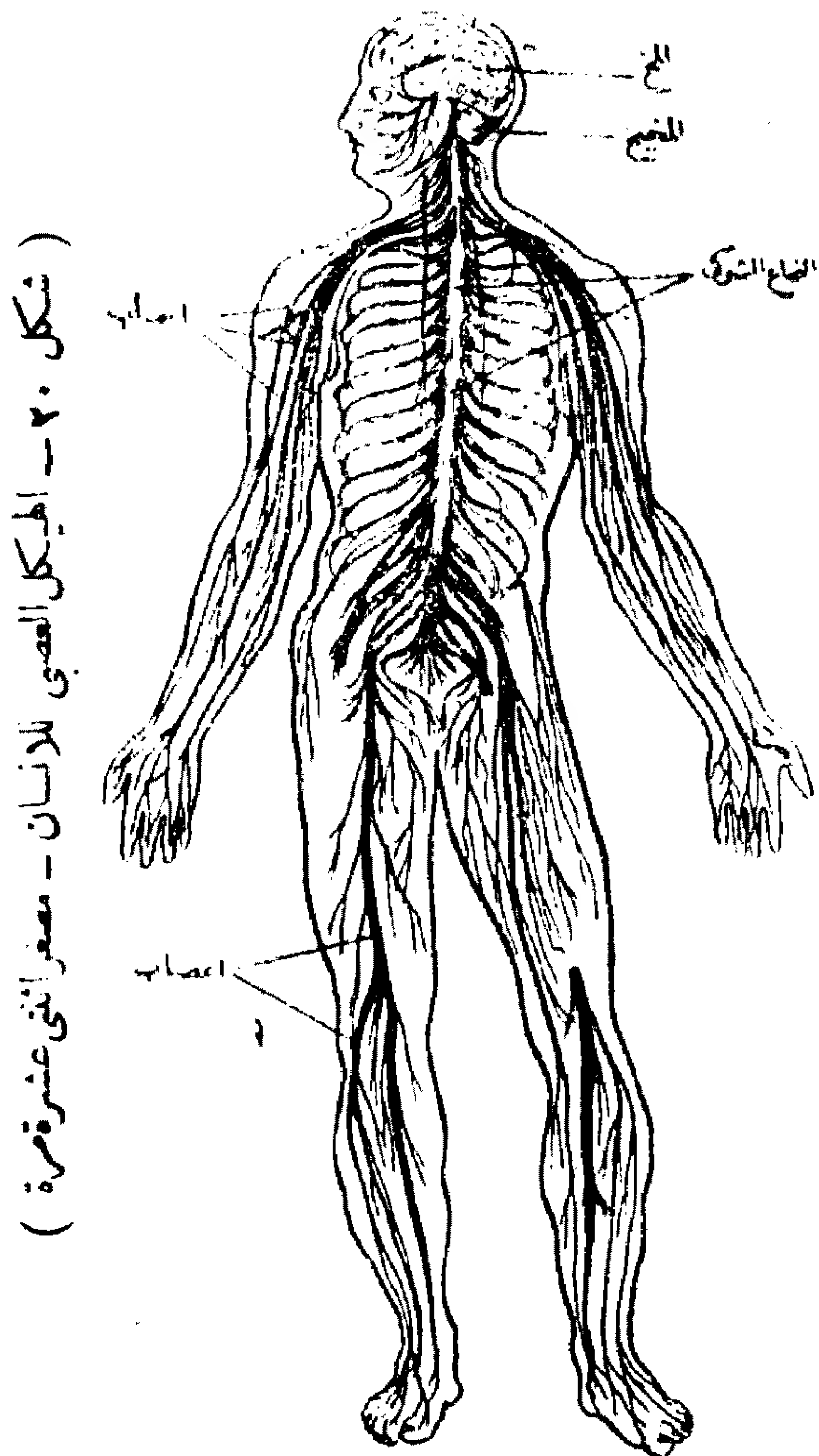
إن الحكيم حينما يطلع على هذا يقول هذا من العجب ، غذاء مختلف الأشكال حل في الأجسام هضمه الحيوان وصبت عليه مواد مختلفات في القم والمعدة والامعاء وخف واطف وارتقى فصار دما فدار الدم في الجسم وأخذت تهذب به عصارات وعصارات وتقابله في سيره ، وهناك مصانع تصنع فيها تلك العصارات ، فمنها ما يمنع القشنج ، ومنها ما يحفظ اللون المعتاد ، ومنها ما يحفظ أعضاء النسل ، ومنها ما يحفظ الهيكل العظمى منظما جيلا معتمدا وهكذا . وأخيرا منها ما جعل لمنفعة الجيل المقبل ، إذن الحيوان والانسان مخلوقان عجيبان دراستهما عند الحكيم روح وريحان وهما عند الجاهل مخلوقان للعذاب - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين -

فهذا الحكيم حين يرى هذه العجائب يشفق لصانعها ويحنّ الى لقائه وتسكاد روحه تفارق جسمه من شدة الولهع بذلك الصانع لولا لطفه به إذ يلقي عليه العقلة والشهوات فتلهيه عن هذا الجمال فيعيش محبوسا في هذا الهيكل الى أن يرجع الى موجد هذا النظام البديع

﴿ نظرة عامة في أعصاب الحس - وأعصاب الحركة لذلك الحكيم ﴾

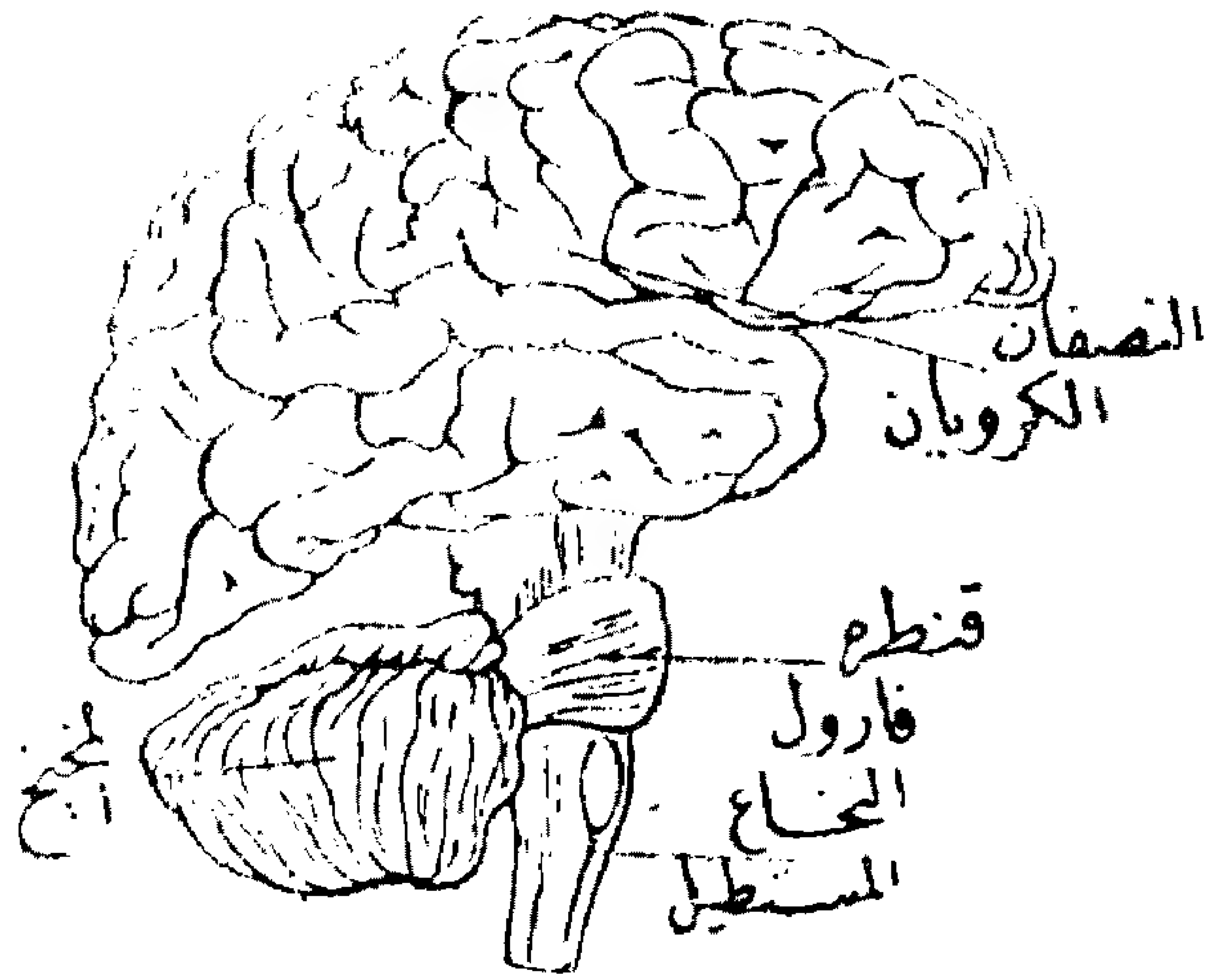
ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى ويقتبع سير الدم فيقول إن الدم الان قد تحوّل الى هذه العظام وهذه العضلات وهذه العروق وهذه الأعصاب وهذا الشعر فلا ينظر

إن الناس يشناقون الى صعود الجوّ بالطيارات والى قراءة علم السموس والأفكار بل يودّون الصعود الى تلك العوالم ، ولكن لماذا حبسني الله الذي وضعني في هذا الجسم وألقاني فيه الى أمد معلوم ؟ فيظهر لي اني حبست فيه لأدرسه ، واذا عجزت عن دراسة جسمي فأنا عن دراسة العوالم العلوية التي أشتاق اليها أعجز وعن فهم ما فوق ذلك أشدّ عجزا ، إذن انظر في هذا الهيكل الذي كان أصله هذا الدم الذي كان غذاء والغذاء كان نباتا وحيوانا ومعادن . ولقد درست هذه العوالم من قبل لأنها مقدمات لحياي فلم يبق إلا أن أدرس نفس جسمي لأنه نتيجة ذلك كله ، ولقد وجدت الأم تبدأ بما حولها أولا ثم تنظر في أجسامها ثانيا لأن ما حولنا أسهل فهما من أجسامنا فضلا عن انه مقدّمة لها والله يقول - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون - فقدم ما في الأرض لأنه أسهل وأيضاً أنا محتاج اليه في حياي وحياة أمتي ، إذن ينظر فيرى عوالم أخرى وهي عوالم الحس والحركة ( انظر شكل ٢٠ )





وهذه الصورة لا تكرر فيها مع صور الانسان المتقدمة في (سورة المؤمنون) وغيرها لأن هذه للأعصاب وتلك للأعضاء والعضلات ونحوها ، وههنا ينظر الحكيم فيجب من عالم جديد . ماهو هذا العالم ؟ هو عالم لاهوتيات ولاحيوان ولا معدن ولا هو كيموس أو كيوس ذو قوام لني ولا هو دم ولا هو لحم وعظم بل هو عالم يقرب من العالم الروحي وعالم الأثير وعالم الملائكة لأن هذه الأعصاب خارجات من المخ والنخاع الشوكي . أما المخ ففيه أولاً نصفان كرويان أكبرهما تسعة أعشاره تقريباً وهما قسمان : أيمن وأيسر . وهذان النصفان هما مركز الحسّ والشعور والذكاء والفكر والذاكرة والإرادة . ثانياً فيه المخيخ وهو الجزء الصغير الحجم الظاهر في الرسم وهو منظم للحركات العنسية ويربطها وحفظ توازن الجسم لأنه متى اختلّ هو اختلّ نظام توازن حركات الجسم فليس له إلا التنظيم . ولكن مصدر الحركات هما النصفان المتقدمان . وثالثاً النخاع المستطيل وهو ٢ سنتيمترا ونصف ويوصل قنطرة فارول بالحبل الشوكي . وهذا النخاع المستطيل يحكم وينظم حركات التنفس والقلب والبلع وينظم إفراز العرق وحجم الأوعية الدموية وهكذا وفيه تجميع التيارات العصبية الصادرة من المخ الى الحبل الشوكي الآتي ذكره والتيارات الواردة من الحبل الشوكي الى المخ . وإذا أصيب النخاع المستطيل بضرر ما ظهرت أعراض خفارة . ورابعاً (قنطرة فارول) التي هي ألياف متصلة من أعلى بالمخ والمخيخ ومن أسفل بالنخاع المستطيل وهي موصلة التيارات العصبية المتبادلة بين الحبل الشوكي والمخيخ وهذه الأربعة هي المخ (انظر شكل ٢١)



( شكل ٢١ - المخ )

أما الحبل الشوكي فهو يمتد من النخاع المستطيل الى أسفل . يمتد داخل القناة الشوكية في العمود الفقري ويبلغ طوله (٤٥) سنتيمتراً تقريباً وقطره ثمانية مليمترات . وهو ينقل الاشارات بين المخ وأطراف الجسم وبالعكس وهو مركز منظم للحركات القلبية الآتية

ههنا يعرف ذلك الحكيم أن المخ والنخاع الشوكي هما الجهاز العصبي المركزي . ثم ينظر في المخ نظرة أخرى فماذا يرى ؟ يرى هناك اثني عشر زوجاً من الأعصاب تخرج منه موزعات في المنطقة الرأسية وما حولها لأن المخ أشبه بقصر الملك والملك معه الآلة التلفونية والتلغرافية فيصدر أوامره بتلك الأزواج العصبية الى أعضاء الحس كالعين والأذن والفم واللسان . فيقول للعين يا عين أبصري والموصل عصبها وللأذن اسمعي والموصل عصبها وعنده هو جهاز الآلة التلفونية أو التلغرافية (البرقية) وبعض الأعصاب أيضاً محرك فهو يأمر العين مثلاً بالنظر فتجبره فيصدر أمراً أسرع من البرق الى أعضاء الحركة بواسطة أعصاب الحركة وهكذا

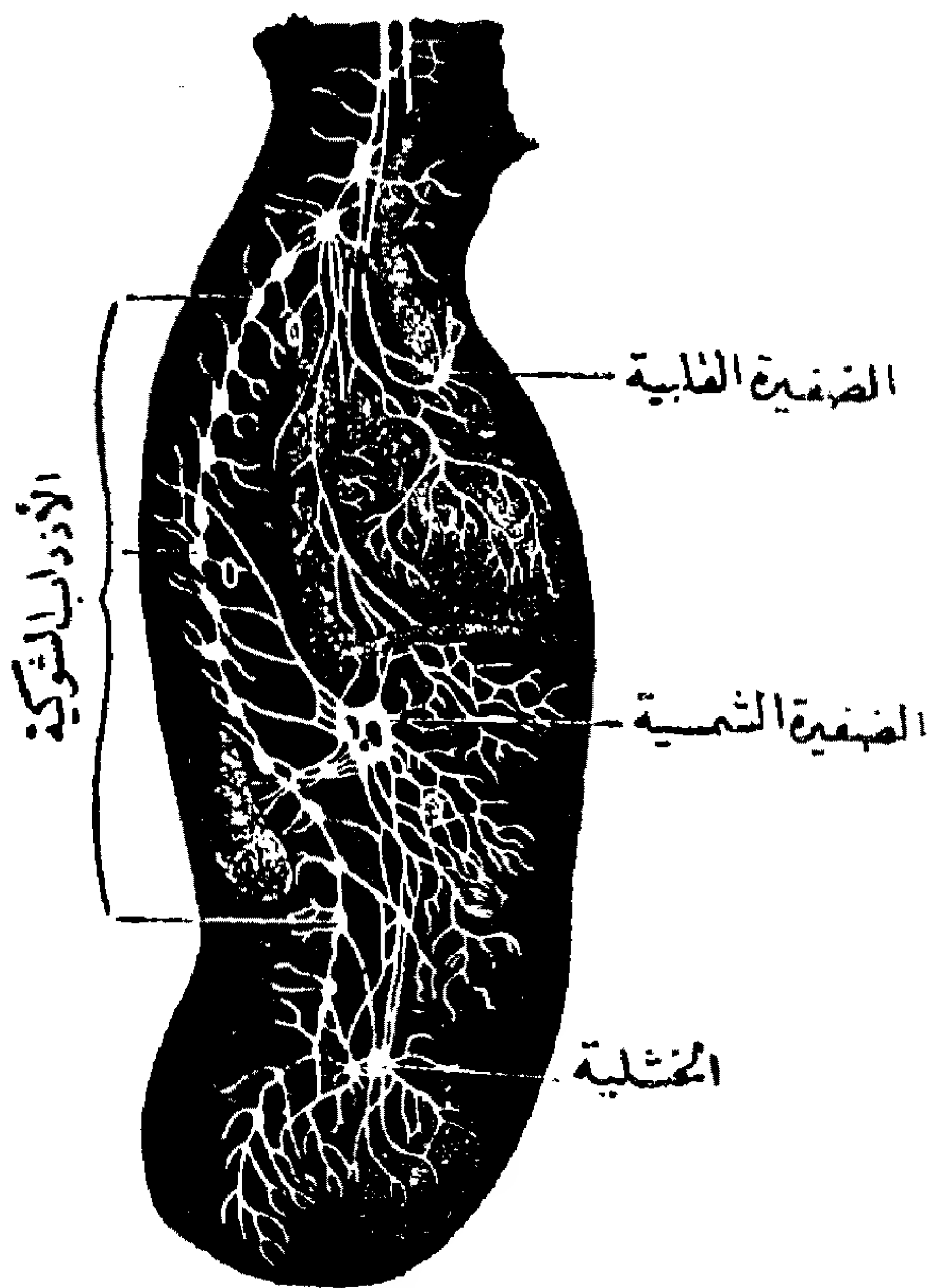
ثم بعد ذلك ينظر نظرة أخرى في الحبل الشوكي فيجد أمراً عجيباً مدهشاً . يجد هناك ثقباً موضوعاً بين الفقرات يمر بها أعصاب متقابلة من الجانب الأيمن والأيسر وتمر من تلك الثقوب ، وعدد تلك الأعصاب ٣١

زوجاً موزعاً في جانبي الجسم بالتساوي وكل عصب من تلك الأعصاب الشوكية عند خروجه من الحبل الشوكي له جذران أحدهما أمامي مركب من ألياف محركة ، والآخر خلفي مركب من ألياف حساسة وبه اتفاح صغير هو عقدة عصبية ويتحد الجذران بعد مسافة قليلة ويكونان عصبا واحداً يتفرع إلى فروع منشرة في الجلد والعضلات الإرادية

ثم ينظر ذلك الحكيم فيرى أن الاثنى عشر زوجاً الخارجة من المخ والاحدى والثلاثين زوجاً الخارجة من الحبل الشوكي لاسطان لها إلا على الأعضاء الإرادية كاليدن والرجلين

أما الغدد اللعابية مثلاً في الفم وهكذا القلب والأوعية الدموية وأجزاء القناة الهضمية المشروحة سابقاً والمثانة وأعضاء التناسل والغدد العرقية وهكذا ، فهذه كلها لاسطان للجهاز العصبي المركزي عليها الذي يتفرع منه الأعصاب المتقدمة البالغة (٤٣) زوجاً يسمونها الجهاز العصبي الطرفي ، فما الذي يؤثر إذن في الأعضاء التي ليست تحت إرادتنا ، وبعد البحث يجد هناك جهازاً آخر غير الجهاز العصبي المركزي وما هو ذا ؟ هو عقد على جانبي السلسلة الفقرية ممتدة من أول العنق إلى الحوض يسمونها الأذراب ، ومن هذه العقد تخرج أعصاب تتوزع في الغدد اللعابية والرئتين وهكذا إلى آخر ما تقدم أي في الأعضاء التي لاسطان لنا عليها ، وهنا يدهش الحكيم ويقول : « يا سبحان الله . نظام محكم وآداب جمة . إن الذي لنا سلطان عليه كانت له عناية خاصة فكان نفس المخ ونفس الحبل الشوكي قائمين بتدبيره وتدبير الحبل الشوكي متجه إلى الأطراف وتدبير المخ متجه إلى الحواس التي بالقرب منه . فالأعلى يدبر الأعلى والأسفل يدبر الأسفل

أما هذه العقد الشوكية فلها تدبير منزلي وتسمى هذه العقد وما تفرع منها (بالجهاز العصبي الاشتراكي) السمباثوى وهذه صورته (انظر شكل ٢٢)



( شكل ٢٢ - الجهاز العصبي الاشتراكي )



فهنا يقول ذلك الحكيم : ماهذه المجائب ؟ جهاز للحس بالامور التي تحت ارادتنا وجهاز للحس بالامور التي ليست تحت ارادتنا . ثم ان الزوج الواحد من الثلاثة والأربعين زوجا عصبيا الخارجات من المخ والحبل الشوكي فيه عصب للحس وعصب للحركة . ففى أحس الانسان بشئ من الخارج مثلا انتقل الخبر حالا فى عصب الحس فوصل الخبر إما الى المخ ان كان من أعصاب المخ أو الى الحبل الشوكي إن كان من أعصاب الحبل الشوكي ومنه ينتقل الى المخ وهناك يأمر المخ حالا عصب الحركة فيوصلها حالا الى ظاهر الجسم فيبعد العضو عن الخطر أسرع من البرق

ثم يقول حينئذ ذلك الحكيم : إن الجهاز العصبي عبارة عن عالم مباشر لعوالم حية . فهذا العالم أرقى من عالم الغذاء ومن عالم التنفس . هو عالم يشبه عالم الملائكة . فنقول إذن : هذا هو درس الوجود بأكمله لأن هذا الجسم هو لوجي الذي أقرؤد واقد قرأته فى هذا التفسير بصور مختلفة وكلها أمور عظيمة مدهشة ثم يقول : بهذا عرفت « من عرف نفسه عرف ربه » وهنا ينظر نظرة أخرى فيقول : إن الانسان قد يكون نائما فيؤذبه برغوث فلا يحس به ولكن العضو نفسه يتحرك . فما الذى حركه ؟ القوة الحافظة فى الدماغ نائمة وبعد البحث والدرس الطويل يفهم أن هناك حركة تسمى الحركة العكسية إذ يجد أن النخاع الشوكي اذا قطع من موضع معين فان جميع الحركات الارادية والحسية فى الأعضاء التى تنفرع فيها الأعصاب الخارجة من النخاع الشوكي أسفل هذا تقف أى انه يحصل هناك تخدير وشلل . إذن النخاع الشوكي هو الواسطة فى نقل التيارات العصبية الحركية والحسية كما تقدم . ولكن اذا قرصنا هذا العضو الفائق الاحساس أو المشاغل الذى لأصله بينه وبين المخ أو هيجهناه فانا نجد عضلاته تنقبض فجأة وليس للإرادة عليه أدنى تأثير . فهذه هى المسماة بالحركة المنعكسة ، فالتيار الاحساسى ينقلب فى النخاع الشوكي الى تيار حركى يرجع فى بعض الأعصاب المحركة وهى تنبه العضلات المتفرعة فتدعوها الى الانقباض

وإذن ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : « هنا أدب جم فى دراسة هذا الجسم ، فهنا ملك سكن فى قصره وهو المخ فدير أشرف ما فيه وهى الخواس كالسمع والبصر باثني عشر زوجا وأرسل من قبيله حكاما آخرين قد ظهروا فى الحبل الشوكي ، وهؤلاء الحكماء نواب عنه يتلقون الأخبار بواسطة الاحد والثلاثين زوجا من الأعصاب ويوصلونها الى المخ وهو الأمر الناهى ومن دون ذلك طائفة لها نظام آخر وهى طائفة الجهاز ( السمبائوى ) وهى العقد العصبية المصفوفة على جانبي العمود الفقرى كما تقدم فهذه أشبه بعمال الزراعة والتجارة والصناعة أى أعمال الدولة الداخلة فأما الملك وأعوانه فلهم نظام أعلى وأعمال أهم وأعظم ، ثم يقول الحكيم : « إن هذا الملك الذى استوى على عرشه له أعوان ثلاثة هى :

(١) الحس المشترك الذى يجمع كل ما أدركته الخواس ومعه القوة الخيلة التى تحلل وتركب وتصور صوراً لانهاية لها مما اقتبسته من الخواس

(٢) القوة المفكرة التى لها السلطان على المعانى المعقولة والأفكار السامية والقضايا المنطقية ومعرفة الأسرار

(٣) والقوة الدائكة التى تتذكر ما عرفناه عندنا من الصور والقضايا العقلية

فالخيلة بها جميع العلوم الجميلة من الرسم والتصوير والشعر الخ والمفكرة تعرف نظام الطبيعة ونظام الجسم وتبحث عن وجود الله والعوالم العلوية ، والدائكة بها علوم المواليد الثلاثة والفلك والرياضيات وتاريخ الناس فهذه كلها تحضرها الدائكة إذ تتذكر ما مضى بحسب درجاته

فهؤلاء الثلاثة أعوان للنفس . ولها أيضا ترجمان يترجم جميع ما ذكر وهو اللسان . ولها وزير هى اليد فهى تفعل كل ما يطلبه النفس وتبرزه للخارج كما أبرزه اللسان بصورة كلمات وهى صور فى الهواء يسمعها السامعون فيفهمون

ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : « إن الحركة العكسية التي لاتصل الى المخ أشبه بتدبير الشخص نفسه في عالم الانسان . فكما أن العضو المشلول أو العضو السليم في حال نومنا يفعل أفعالا عكسية لالعلاقة لها بالمخ هكذا الفرد في الأمة مسؤول عن تدبير نفسه هو وهذا هو علم تهذيب النفس الذي ألف له ابن مسكويه كتابه . ويرى أن الجهاز السمبائي الذي يحكم في الأعضاء التي ليست تحت ارادتنا أشبه بنظام سياسة المنزل والجهاز المركزي وفروعه أشبه بنظام المدينة . انتهى والحمد لله رب العالمين

هذا هو ما فتح الله به في تفسير قوله تعالى : « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » ولولا علمه ما نظمت هذه الأعضاء ولا الأعصاب ولا المخ ولا العقل ولا العلوم ولا نظامها . وأن الى ربك المنتهى - كتب بعد ظهر يوم الاثنين اليوم الثاني من شهر شوال سنة ١٣٤٨ هـ

### ( تذييل للمقال المتقدم )

بعد ما كتبت ما تقدمت للصلاة ثم للرياضة فخطرتلى ما يأتي :

ذلك ان الحكيم الذي يتفكر في هذا الموضوع ويرى هذه المناظر والمعاني يتعجب فوق ما تقدم ويقول : « يا سبحان الله . علم التشريح الآن وعلوم المواليد الثلاثة اليوم أصبحت بسبب التصوير الشمسي واضحة ظاهرة فنحن الآن في هذا التفسير لم نحتاج الى انسان لشرح ولا حيوان بل كفانا أن ننظر الصور . فيا سبحان الله . إن الله ذم أقواما فقال - ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - وألزم الناس الحجة عليهم ومقلدهم وعالمهم فقال - واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا - فهؤلاء الشهداء ليسوا سواسية فمنهم من شهد بالحق وهو الذي قيل فيه - إلامن شهد بالحق وهم يعلمون - ، ومنهم من شهد وهو غافل لأنه غير مستعد وان كان أعلم الناس بعلم التشريح فهذا يكون علم التشريح عنده أشبه بمزرعة الزارع يحتمل لتنظيف الأرض من الحشائش ويسقي الزرع ولكنه لا يدري من أسرار النبات شيئا ، كذلك هذا يحتمل في حفظ الأعضاء ومداواتها وتغذيتها ولكنه غافل عن أسرارها وعجائبيها التي يعرفها الأذكاء من قراء هذا التفسير وان كانوا هم أقل منه علما بالتشريح كما يعرف عالم النبات تركيبه وعجائبه وان كان لا يعرف طرق الري ولا أحوال الزراعة ، ومنهم من هو مستعد للفهم ولكنه مقلد ، والى هاتين الطائفتين قال تعالى بعد ما تقدم - أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين - وهذا لمن في استعدادهم نقص - أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم - وهؤلاء المقلدون والفریق الأول هم الذين شهدوا بالحق إذ أشهدهم الله ، فهؤلاء قالوا بلى وهم يشاهدون نظام أنفسهم والآخرون لا يشهدون بالحق لأنهم مقلدون أو غافلون ، والفریق الأول هو المذكور في قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فإله يشهد أنه منفرد باللوهية قائم بالنظام والعدل والملائكة استمدوا الشهادة منه وعلماء الأرض استمدوا من الملائكة فهم يشهدون بالحق ، ومن الشهداء بالحق قراء هذا التفسير بشرط أن يكونوا أذكاء فهؤلاء هم الموقنون بما شهدوا لأنهم يشاهدون عجائب الخلق بأنفسهم ويفهمونها ، وهذه الطائفة الشاهدة هي المقصودة من هذه الدنيا ، فهم بمشاهدة هذه العجائب يرشحون الى الدخول في عوالم الطيف ويكونون - عند ملك مقتدر - لأنهم أولاء في هذه الدنيا يؤدون الخدمة الواجبة لهذا النوع الانساني وهم في نفوسهم قد درسوا عجائبيها فكملت لهم القوتان العلمية والعملية ، وما الحياة إلا علم وعمل كما أن الأعصاب للحس والحركة ، فالحسن راجع للعلم ، والحركة راجعة للعمل ، فزوج العصب الواحد نظامه كنظام الوجود كله

ثم ينظر هذا الحكيم نظرة أخرى فيقول يا عجبا : إنا نقرأ النحو والصرف والبلاغة ونلاحظها في الانشاء



فإذا أخذنا نكتب المقالات ونؤلف الكتب نجد أننا غير مفكرين في تلك العلوم اللفظية الثلاثة بل هي أصبحت عندنا غريزة وهذه الغريزة جعلناها شبكة نصطاد بها معاني أخرى ، هكذا نرى هذا الجسم الانساني قد اشتمل على الدائرة الغذائية والدائرة التنفسية والدورة الدموية ، وهذه الدوائر الثلاث عندنا أصبحت كدوائر النحور والصرف وعلوم البلاغة نستعملها ولا نفكر فيها ونطلب بها غيرها ، فهذه الدوائر في أجسامنا تحت اشراف أرواحنا وفي ادارتها ولكننا غير مفكرين فيها ولذلك رأينا لها نظاما خاصا وهو النظام (السمبائي) وهذه طلبنا بها غيرها وهي المعاني العقلية التي تقتنصها بالحواس المستعملة للأعصاب التي تقدم شرحها

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول : « إن قوله تعالى - والله خلقكم من تراب - يتضمن العناصر والعناصر تبلغ فوق الثمانين وهي مادة راجعة في جوهرها الى الحركات والأضواء المتقدم شرحها في (سورة النور) عند آية - الله نور السموات والأرض - في بحث قطرة الماء هناك فان المواد ترجع كلها الى أضواء والأضواء متحركات فتقسم دوائر وهمية والدوائر الوهمية باختلاف وتنوع حركاتها تظهر انها مواد فيكون الحيوان والنبات وهكذا لما وصلت هذه المواد الى جسم الحيوان أخذت ترتقي مرة ثانية من غذاء الى دم الى حركة وحس في الأعصاب والمخ والعقل ، فأولها حركة مع احساس بعقل عام منظم لها في السكون وانتهت هنا الى حركات وعقل خاص في جسم الانسان الواحد ، وهذا أشبه بمثال صغير لآية - كما بدأنا أول خلق نعيده - ولقوله تعالى - يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه -

فهاهي ذه المادة أصلها الحركات والأنوار فرجعت في النهاية الى الحس والحركة في المخ والحبل الشوكي والعقل والقوى في الدماغ - وأن الى ربك المنتهى -

ثم ينظر ذلك الحكيم أيضا فيقول : « نظام هذا الجسم بديع كابداع السموات فانا نجد وضع كل عضو في موضعه ، وهذه طبقات الجسم منظمات أعلاها المخ تحكم فيه القوة العاقلة والقلب في الصدر والمعدة والأمعاء أسفل من الجميع ، فهذه مراتب متقنة ، هكذا نرى نظام الشمس مع سياراتها وأقمارها كل منها في مركزه الخاص ، وهكذا حركاتها السنوية والشهرية والحسوف والكسوف لها أوقات محدّدة ، كل هذا تقدم في هذا التفسير .

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول : « يا عجبا . ما لي أرى هذا الانسان جاهلا . وكيف يغفل عن نظام جسمه ؟ هذا الجسم متقن لم يترك فيه غدة إلا لها عمل . فهذه الغدد الدهنية والغدد العرقية والغدد اللعابية والدرقية والليموسية والنخامية والبنكرياسية والكبد والصفراء وأمثالها والاثنيان للرجل والمبيض للمرأة فهذه كلها لها أعمال فلامعطل في الجسم . أما هذا الانسان الجهول فانه متى أعطى ملكا مال الى الراحة وأكل أموال الناس بالباطل فيحصل البطر والبطالة فيموت الشعب . وهذا هو الذي حصل في دولة الرومان ودولة العرب ودولة الترك وأخيرا دولة انكلترا . هذه الدولة التي عاشت بفضل مستعمراتها في الهند وأستراليا وكندا وأرلندا وغيرها فألف الشعب الانكالي على الأمم وكثير العاطلون وعددهم في هذا الشهر وهو فبراير سنة ١٩٣٠ فوق ألف ألف وخمسمائة ألف انسان . فهذه ليست سنة نظام طبيعة الجسم لأن طبيعته أن لا يترك عضوا بلا عمل والله يقول - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا لعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - ويقول - وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو - إذن الناس ماداموا مخالفين لسنة الله فانهم معدّون . هو لا يلعب ولا يخلق شيئا باطلا وهم يلعبون بتعطيل القوى والمنافع . والدول الأوروبية اليوم تعطيل قوى الأمم التي تحتل بلادها فيقتص منها الله بحلول الخلل في نظامها وكثرة الثورات وظهور الاشتراكيين والفوضويين ، وليس من اللعب واللهو الأعمال الرياضية بل هي لتقوية الجسم . إذن هي من أعمال الجد فليست باطلة انما الباطل هو تضييع المنفعة من قوى الأمم الغالبة بالانكسال على أعمال الأمم المغلوبة وتعطيل قوى هؤلاء المغلوبين

التي بها يرتقون عن طبقة العمال ولهذا ذل تعالى - ولكن أكثرهم لا يعلمون - فعدم علم الناس وجهلهم غشى على عقولهم فلم يفهموا هذا الوجود فظنوا أن الراحة هي نهاية السعادة فخاب فآلمهم وضل سعيهم في الحياة الدنيا وجهلوا نظام النحل وأنه يقتل الذكور إذا حلت الملكة من ذكور أخرى من خلية غيرها . فاذن لاداعي لبقاء هؤلاء الذكور في الخلية بلا عمل فيقتل النحل هؤلاء الذكور . وهذه هي سنة هذا الكون . إذن لا يسعد الناس فوق هذه الأرض إلا إذا اختص كل امرئ وكل جماعة وكل دولة بما هم أهل له كأعضاء الجسم وأعصابه وعضلاته وحواسه . هذا ما خطر لي بعد الرياضة البدنية وكتب ليلة الثلاثاء الثالث من شهر شوال سنة ١٣٤٨ هـ والحمد لله رب العالمين

## مسامرة في نظام الانسان وجماله

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله « أما بعد » فاني أكتب هذا قبيل الفجر يوم الأربعاء (٩) ابريل سنة ١٩٣٠ وهي مسامرة بيني وبين بعض العلماء . ذلك ان بعضهم لما اطلع على هذه الصور الجيلة التي أودعها الله في الانسان . قال : هذا نظام حسن بديع ولكن حدثني رعاك الله كيف أكثر من ذكر هذه المسائل . وكيف لمحت في أكثر كتبك بأن هذا هو الجمال وأنه يثير في القلوب نائرة الحب والعشق للبداع . فلقد تكرر هذا في هذا التفسير . نحن لانريد أن نكون مقلدين في أمثال هذا بل نود أن يكون القول مطابقا لما في النفوس فإن أكثر الصوفية وبعض العلماء نسمةهم يذكرون هذا وهي شغفنة أعرفها من أخزم . وهذا ضرب مثل ومعناه أن هذه عادة هؤلاء . فقلت : أنا لم أكثر من هذه المجاب اعتباطا بل أنا أكتبها وأعلم أن تكرارها وترادها يحدث في بلاد الاسلام ارتقاء واسعادا للروح وللجسم معا بإشراق القلوب بالحكمة وبالاسراع في ارتقاء هذه الأمم الانسانية لاسيما الاسلامية ، فأما انه باعث على العشق والحب فأنا أبينه الآن فأقول :

إن الله خلق في علمنا صورا جيلة وجعل نظام هذا الانسان وقبلة الحيوان على الزوجين الذكر والأنثى وأبدع في خلقهما ما يشاء أن يبدع ، وفتح باب النقش والتصوير والابداع في الوجوه البهجة وجعل الأعلى منها قليلا أي جعل الجمال الأكمل في وجوه الناس قليلا ليكون قبلة الأنظار ويرتسم في القلوب لأن القليل يحفظ والكثير لا يوجب اتجاه النظر ويصبح معتادا عند الناس فلا يبهج لهم بالا ، فهذه الوجوه الجيلة الممتازة نموذج لأعلى الجمال الانساني وهذا يدعو العاقل للتفكير في هذا الأسلوب فيقول : لم خلق التناسب والجمال ، وهذا السؤال جوابه ظاهر وهو التواء والتحاب والانتناس لاسيما بين الذكور والاناث ، ثم ينظر فيرى أن هذا الجمال بعد قليل ينسى ويحل محله جمال النفوس بالنزوية والحفاظة على الأطفال في المنازل ، ويرى هذا الجمال يأخذ في الضعف . والرجة والرأفة بالأطفال تأخذان في الزيادة ، فمرى وجهى الأبوين يأخذان في التقوى والتجعيد والتقطيب ويرحل ذلك الجمال الظاهر ويحل محله الجمال الباطن ، فمرى أن هذين الهرمين أخذتا يعانقان أبناءهما وبناتهما بدل معانقة أحدهما الآخر ، ونرى هذه الترتية تهوى الى هذين الشيخين حبا في عطفهما لا غراما بجمالهما الظاهري . هنالك نعرف أن هنا جمالا مخبوا في هذه الدنيا فلنبحث فيه عسى أن ندركه فلماذا نرى ؟ نرى مدارس وعلماء وحكام ، وكلما كان الحكيم أغزر علما كانت القلوب اليه أميل ولحبه أسرع ، فبعد أن كان الصبي مغرما بهذين الهرمين في صباه نجد غرامه تحوّل الى الاستاذين والمعلمين لأنه رأى كمالا وجمالا أرقى ونفوسا أسعد وأشرف ، فرجة هذين الهرمين تعطيه الطعام والشراب والكساء لجسمه ، ولكن روحه بفطرتها تعلم أن مغذيات الروح أشرف من مغذيات الأجسام ، فهو يسمع من أفواه المعلمين



ما يسعد روحه وقد تعلم من الأبوين دروس الحب لهما ووازنت نفسه بين الدرسين ، فهنا أخذ يسمع العلوم اللسانية والطبيعية والرياضية ، فكما كان يحب أمه لتغذية جسمه هكذا أخذ يحب معلمه لتغذية روحه ، وبعد أن كان يلهج بذكر الأم والأب أخذ يلهج بذكر المعلم وأخذ الحب يرتقي قليلا قليلا . ويكون الحب للمعلم على مقدار ما تعلم منه فان رآه في النحو عالما أحبه بمقدار ذلك العلم وان رآه في علم الفلك بارعا ازداد حبه له وهكذا كلما شارك أستاذه في علم ازدادت نفسه حبا لاستاذه وهناك يرتقي في المعرفة ويتبعها الارتقاء في الحب . والحب هو السعادة في هذا العالم ولا يزال يرتقي حتى يفكر في عالم هو معلم العلماء وهو الله تعالى . قال : فاضرب لى مثلا لهذا الحب على شريطة أن يكون ذلك في موضوعنا . فقلت نعم . تصور أنا ناسا جلسوا وأخذوا يتحدثون في الألفاظ والحاجة فقال قائل منهم : أنا أطلب معرفة رقيقين عديدين اذا ضما الى عدد آخر مركب من هذين الرقيقين أنفسهما معكوسات ترتيبهما ما يكون مجموع العددين المذكورين (٥٥) واذا طرح أحد الرقيقين من الآخر كان الفرق بينهما (٣) فما هما العددان ؟ فهنا شغل أفهام السامعين في هذا اللغز إذ هم ملزمون أن يكون العددان مجموعهما (٥٥) مع انه يشترط شرطان : أن يعكس ترتيب وضعهما . وأن يكون فرق ما بينهما عدد (٣) ولا جرم أن هذا يدعو الجالسين أن يجربوا عدة مرات وهيات أن يتم لهم ذلك بالحدس والتخمين . فنتى جاء رجل وكان يحسن علم الجبر فانه يفعل هكذا في حال ما اذا كان العددان (١١٠) والفرق بينهما (٦)

$$\text{س زائد } ١٠ \text{ ص زائد ص زائد } ١٠ \text{ س} = ١١٠$$

$$\text{أوس زائد ص} = ١٠$$

$$\text{س} - \text{ص} = ٦$$

$$٢ \text{ س} = ١٦$$

$$\text{س} = ٨$$

$$\text{إذن ص} = ٢$$

فيكون أحد الرقيقين ٨ والآخر ٢ أى ٢٨ و ٨٢ ومجموعهما ١١٠ والفرق بين الرقيقين ٦ واذا جعل مجموع العددين (٥٥) والفرق بين الرقيقين (٣) مثلا كما تقدم حدث عندنا ٢ س = ١٠ زائد ٣ = ٨ أوس = ٤ إذن ص = ١ فيكون العددان ١٤ و ٤١ والفرق بين الرقيقين ٣ ومجموعهما ٥٥ فنتى قال هذه ذلك العالم للمتناظرين وحل هذه المسألة فرح به الجالسون وأحلوه الحل اللائق به وأحبوه وأقبلوا عليه ، فاذا سمعوا منه حل المسائل في الهندسة والفقه والنحو والصرف والبلاغة والسياسة أخذ بمجامع قلوبهم على مقدار علمه وهذا ينسب المتسامرين حب سواه . واذا سأل سائل فقال : رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص لشراؤها منه فسألوه عن ثمنها فذكره لهم فقال أكبرهم لأوسطهم إن أعطيتني ثلاثة أخماس مامعك من الدنانير صارمى ثمن الفرس وقال الأوسط للأصغر : إن أعطيتني أربعة أسباع مامعك من الدنانير صارمى ثمن الفرس ، وقال الأصغر للأكبر : إن أعطيتني خمسة ثمان مامعك من الدنانير صارمى ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس ديناراً ، ولم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنانير

فكم يكون سرورك حينما تحل المسألة حلا عجيبا فتقول (س) رمز للا أكبر و (ص) رمز للأوسط و (ع) رمز للأصغر . ثم تقول س يساوى ص زائد  $\frac{٣}{٤}$  ص و ص يساوى  $\frac{٤}{٥}$  ع زائد ع و ع يساوى  $\frac{٥}{٨}$  س زائد س والثن كله يساوى ٣ في ٤ في ٥ زائد ٥ في ٧ في ٨ يساوى ٣٤٠

وس يساوى (٢ في ٧) زائد (٣ في ٤) وكلاهما يساوى ٢٦ و ٢٦ في ٨ يساوى (٢٠٨) هو مامع الأكبر فلنطرح ٢٠٨ من ٣٤٠ بصير  $\frac{٣}{٤}$  مامع الأوسط وهو ١٣٢ و ١٣٢ زائد  $\frac{٣}{٤}$  في ١٣٢ يساوى ٨٨ و ٨٨ زائد ١٣٢ يساوى ٢٢٠ وهو مامع الأوسط . وذلك أن ٨٨ هي خمسان أضفناهما الى ١٣٢ وهى ثلاثة أخماس

أما مامع الأصغر فننا نعرفه بطرح ٢٢٠ من ٣٤٠ فيكون الباقي ١٢٠ وهذا هو  $\frac{1}{3}$  مامع الأصغر فإزدنا عليه  $\frac{1}{3}$  منه يكون هو مامعه  $\frac{1}{3}$  في ١٢٠ يساوى ٩٠ و٩٠ زائد ١٢٠ يساوى ٢١٠ فالذى مع الأصغر ٢١٠ إذن الذى مع الأكبر ٢٠٨ ومع الأوسط ٢٢٠ ومع الأصغر ٢١٠

أقول : انك اذا أجبت السائل بهذا الجواب بعد هذا الجهد فى هذه المسألة الجبرية فانك تجد فى نفسك سرورا وبهجة وهى مسألة مادية جزئية ثمن فرس فما بالك اذا رأيت نفسك قد أشرفت على هذه العوالم كلها وأخذت تحل مشكلاتها وتعرف مخبائنها . إنك إذن تكون أرفر سعادة وأكثر لذة

وهاك حديثى مع المرحوم الشيخ محمد عسكر وهو كان مدرسا بالخديوية قبل ولادتى ثم اجتمعت به وهو هرم ولم أره من قبل جلست معه يومين بلياليهما وحوله شبان ذورجال وثروة وعلم . فقلت له : أيها الاستاذ لماذا أرى قلبى يميل لك مع ان حولنا الجمال البديع . فقال : لأنك لا ترى الجمال الحقيقى إلا فى أنا . وهذا الجواب حقيقى منطبق على كل عالم أخذ الناس عنه علوما . إذن فالرجع الى ابداع أجسامنا ولننظر هذا الجسم الانسانى ولنقصر الكلام عليه .

فقال صاحبي : ولكنك مثلت بمثال من علم الجبر . وهل كل قرءاء التفسير يعرفون الجبر ؟ كلا . فقلت هذه الحروف والاشارات الجبرية لا بد منها لحل المسألة ووضعها لا يضر . ذلك لتحدث عند من لم يقرأ هذا العلم شوقا اليه وهو قد عرف النتيجة . واذا أدرك أن هذه المسألة تشرح صدر المتسامرين وتجعل فى قلوبهم حبا لمن حلها واعظاما فهناك يقيس النظام العام على النظام الخاص . فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت : العقلاء يدركون الفرح والحب والاعظام لمن حل هذه المسألة . فقال : حقا ذلك : فقلت : فاذا عرفوا أن أجسامنا وتغذيتها ما هى إلا لغز يحتاج الى أضعاف أضعاف هذا الحل ثم أدركوا حل لغزه دهشوا وأغرما بمن حل ذلك اللغز . إن هذا النوع الانسانى أمره عجب . هو نفسه لغز ولا يدرك ذلك . ومتى درس علوما كثيرة رجع فوجد نفس هذا الجسم كله علوما فيقرؤه فيحجب من ملأه بالعلم الرموز فيه . ألم تر أن الانسان يدهش اذا قرأ فى ﴿سورة يونس﴾ نظام الهرم بمصر وأن أبعاده ومقاييسه لها نسبة الى مدار الأرض حول الشمس من حيث مقياس أربع جهاته ونسبة أخرى من حيث ارتفاعه الى بعد الشمس عن الأرض ونسب أخرى كثيرة الى مكاييل المصريين وموازينهم

إن قلب الانسان يدهش ويحس باعظام لذلك الحكيم المصرى الذى فكّر فى أن يجعل نسباً بين مقاييس الهرم وبين الكيلة والأردب والرطل والدرهم والوقية والنّذان والقيراط والسهم والذراع البلدى والمعمارى وهكذا مدار الشمس وبعدها عن الأرض ، فهو إذن يكون أكثر دهشا اذا عرف نسبة هذا الجسم الانسانى الى المخلوقات حوله ، ولكن لغز الانسان فى كل يوم يحتاج الى حلّ جديد لأن حله الى الآن لم يتم . قل أوضح ما تقول . فقلت أذكر لك بعض أمثلة يقولها العلماء فى الطب حديثا : « إن أكل الهندباء (اسمه فى مصر جعضيض) وأكل البصل ينفع السكبد . وأكل البقدونس وكشك الماز والفجل ينفع لمرض الكلا ومرض يسمى (الرجيح) ينفع الطماطم والليمون . وللجلد الجزر وللشجاعة البرتقال والليمون ، وهكذا بحث العلماء فى الأغذية وقالوا انها اذا نظمت لاحتياج الانسان الى دواء . وقد وجدوا الجسم يحتاج الى المواد الزلالية كاللحم والبيض والى المواد الدهنية والشحمية والمواد النشوية وهكذا الماء والملح

فانظر الى مواد حيوانية وأخرى نباتية وأخرى معدنية لا بد منها فى نظام أجسامنا الانسانية كأجسام الحيوان واذا نقص منها واحد حصل لنا مرض بقدره كما يضعف النبات بنقص عنصر من مغذياته . ولكن هذه المواد من المواليد الثلاثة ومن الماء أكثرها غليظ . فكيف السبيل الى انتظام هذه الأجزاء وتصويرها عينا ورجلا ويدا وأذنا . فلنحل هذه المسألة . هنالك قال الله لنا : أنا أخلق سنا لا تقطع ونابا للتمزيق وضرسا



للطحن ومجموعها (٣٢) سنا مقسمة على تلك المواد . وبعد ذلك يحتاج الطعام الى الاذابة فكيف السبيل لذلك ؟ فترى ثلاثة أزواج أنهر في الفم : تحت اللدين . وتحت اللسان . وتحت الشفة السفلى وهذه الأنهر الست يختص عملها بالمواد النشوية وما بقي منها يحوله عصير آخر في الامعاء الى مادة سكرية والمواد الشحمية تحوّلها الصفراء والبنكرياس في القناة الهضمية الى مادة كالصابون ليتمكن امتصاصها والمواد الزلالية تحوّل في المعدة بعصيرها . أما الماء والملح فلا يتحوّلان الى شيء . فهنا (٣٢) و (٦) منابع في الفم والصفراء والبنكرياس والعصارات المعدية والمعوية وهكذا فهي تبلغ نحو (٤٣) كل هؤلاء صناع يصنعون في الطعام داخل أجسامنا ليتهيأ للامتصاص ودخول الدم . وهذا كله يضاف اليه فعل نفس المعدة انقباضا وانقباضا . فهناك يتحوّل الطعام الى سائل سنجاني اللون يقبل الامتصاص . ألا يجب الناس أن يكون الفم للنشوي والمعدة للزلالي كالبيض واللحم بعد البنكرياس والامعاء لما بقي من المادة النشوية المهضومة في الفم ولانعام تحويل المواد الدسمة بعد البنكرياس والصفراء

ولوانا تركنا كل المواد الزيتية ونحوها لاعترانا مرض كما اتفق لي مرارا . فاني منذ عشرين سنة اقتصرت على الخضر وظننت أن ذلك كاف ونسيت الدهن فأصبح الدم كثير الماء لأنه فقد المادة اللقوية التي يحدتها الدهن فابتليت بالرعاف . ولكن الأطباء ليس لهم عمل إلا المداواة . وقابلني طبيب حاذق وقد نظر في جسمي من الداخل فوجد بقعا ملونة فقال لا تخف هذا مرض لا يعدي ولكنه يدل على نقص في التغذية . إذن نقص التغذية بالمواد الدهنية التي لم أحفل بها (لأنى قرأت في الكتب أن الاكتفاء بالخضر نافع) كان سببا لمرضين خروج الدم من الأنف بكثرة وتلويين الجلد ببقع غير حسنة . وبقيت كذلك لاعلم لي بهذا النظام حتى قرأت حديثا كتبيا في التغذية فصرت آكل الزيت والفاكهة والخبز مع السن والردة فزال المرض إذ زالت البقع من جلدي ولم يرجع لي الرعاف مرة أخرى منذ أكثر من سنتين بل أنا لم أتعاط دواء بعد ذلك

الله أكبر . إذن أنت يا الله جعلت أجسامنا لغزا وأمرتنا بحله وقلت لنا : « يا عبادي اسمعوا . أنتم تحلون مسائل الجبر والحساب والفلك . ولكن أجسامكم نظامها معقد وإذا أخطأتم في حل مشكلاتها كان الهلاك كما يحصل الخطأ في حل المسائل الحسابية اذا حصل خطأ في الحساب

انظروا الى ما حولكم ، إن جسمكم مشتق منه ، فهو من الماء ومن الملح ومن النبات ومن الحيوان ومن الهواء ولا مرض يحل بكم إلا بسبب نقص أو جهل في مقادير الطعام أو الشراب ، هناك يجد الحكماء في نفوسهم سرورا لاحد له وحبا عظيما للمبدع الذي خلق المرض فينا ليحدث عندنا فكرة في نظام طعامنا ويفتح باب العلم ، فهنا يكون (أمران) صحة أجسامنا بنظام الطعام وأهم منه اسعاد النفس بأدراك ذلك الحكيم الذي أنقذ ذلك النظام

إن قراء هذا التفسير المدركين للمجائب المذكورة فيه يرون في نفوسهم حبا وعشقا مفرطين لصانع العالم وهناك تكون سعادة تزداد بازدياد العلم ، وهذه مبدأ سعادات أخرى في هذه الدنيا ثم في الآخرة وتكون هناك أشرف من سعادة الجنة الحسية بما لاحد له

إن قراء هذا التفسير يكون الأذكىاء منهم سعداء في الدنيا وفي الآخرة ، اللهم إنك بما صنعت في أجسامنا من الاحكام والابداع وتقسيم المصانع التي أبدعتها في القناة الهضمية على الطعام الذي وزعته على مناطق الأرض تدهشنا . لماذا تدهشنا ؟ تدهشنا لأننا نرى أرزا ودقيقا ناعما مثلا يتجاذبهما لعاب المعدة والامعاء ونرى زيتا وشحما وهكذا خوارج من النبات والحيوان قد تجاذبها الامعاء والصفراء والبنكرياس ونرى بيضا ولحما وأمثالا يتجاذبها البنكرياس والمعدة . ههنا مناطق أرضية وبيت فيها النبات والحيوان ومناطق في القناة الهضمية وزعت عليها ماريته في تلك المناطق الأرضية . فيعجبا مناطق في أجسامنا مقسمات

على نواتج المناطق الأرضية كما قسمت المناطق السماوية والأرضية على مناطق المنح . فللحساب مناطق في الدماغ وبقية العلوم الرياضية والطبيعية وهكذا . فعارف العوالم كلها موزعات على مناطق الدماغ المقسمات تقسيما منتظما على مقتضى العلوم . فيارياه : قسمت قناة الهضم وقسمت الدماغ وأعددتهمما لاقسام مناطق المخلوقات صورا ذهنية وصورا جسمية وقلت : - وفي أنفسكم أفلا تبصرون -

فياويل من مات وهو جاهل بهذا النظام عاجز عن ادراك هذا الجلال . جوع نحس به يدعونا الى تعاطي الطعام فنزرع ونحصد ونصطاد ونأكل فتتلقاه مناطق الهضم بالآلات ومناطق العقل بتصوراته . حكم أبدعت وآيات نظمت . إذن نحن خلقنا للعلم والافنا هذا الأحكام والجمال . جسم صغير ثمانية أشبار بشبرى يمثل ماحولنا ﴿تمثيلين﴾ تمثيلا جسميا . وتمثيلا عقليا . ثم تمثيلا متوسطا بواسطة اللسان إذ هو معبر عن كل ما تقدم . فهنا عقل وههنا جسم وههنا لسان كل منها يمثل العالم بالتمثيل الجسمي والصور الهوائية بالحروف والصور الذهنية المعقولة والعالم كله متصل بهذا الجسم وشؤونه

### ﴿ مشاهدات لطيفة في بلدة المرج ﴾

قد قلت سابقا في هذا التفسير اني أقوم كثيرا الى جهة المرج للملاحظة أرض هناك زراعية ففي يوم الأربعاء (٩) ابريل سنة ١٩٣٠ قبيل طبع هذه السورة توجهت اليها فرأيت جنديا راكبا جوادا يقود فلاحا ويرمح بحصانه فيسلمه الى جندي آخر وهكذا رجلا وراء رجل والناس يهربون من الجند . وهذا منظر غريب يقل نظيره فسألت ف قيل انهم يجمعونهم لمطاردة الجراد لأنه الآن في الجبل الأصفر وهو قريب من قرية المرج وقد قرأت في هذه الأيام في الجرائد في نفس الشهر أن الجراد هجم على مصر من الشرق والجنوب وأنه خطر داهم وانهم جمعوا من مركز بليس (٦٠) زكية من الجراد وهم يستعملون المواد الملتببة في إبادةه وجمعوا الجند والفلاحين للتعاون على ذلك وأهل فلسطين قد طاردوه قبل أهل مصر . وهكذا تقول جريدة الاهرام يوم الخميس ١٠ ابريل سنة ١٩٣٠ مانصه : « من الطرق المتبعة في بلاد الجزائر لمقاتلة الجراد أن تلقح جرادة أو بعض جرادات بمكروب (كاويرا الجراد) وتطلق مع الأسراب فتلقحها بهذا المكروب الذي ينتشر في الجراد انتشارا سريعا ويقضى عليه ، وقد أنبئنا أن الجراد في (سيناء) أصيب بهذا الداء ، اه

إذن الجراد له مرض قتال ووباء عام كوباء الانسان العام . ومعنى هذا أننا نحن يجب علينا أن نتعلم نظام الجراد وحياة الجراد وقاتل الجراد حتى نخترس منه ، وعلينا أيضا أن نوحّد صفوف المصريين لمحاربهه و صفوف الأمم التي حولنا لمحاربهه أي على الأمم كلها أن تتحد في درء خطر الجراد ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان هذا الانسان لا كحل له إلا باتحاد جميع الأمم المعروفة على درء المفسد ، إذن الانسان اليوم ناقص نقصا فاحشا لأن أهل السياسة وعظماء الأمم لا يزالون أطفالا ، أو كالأطفال لأن مصر لو كانت في حرب مع فلسطين لأكل الجراد قوت البلدين ، فهنا ﴿أمران﴾ اتحاد الأمم للأعمال العظيمة ، ودراسة كل حشرة وكل نبات وكل حيوان

أما بعد فهذا كله تفسير للآية التي نحن بصدددها ، فهذا كله راجع لما نحن فيه من خلق الانسان من نقطة ، وهذه النقطة أمشاج وانه ابتلى وجعل سميعا وبصيرا ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان الجوع مبدأ لهذا كله الجوع طلب الطعام ، والطعام موزع على سطح الأرض ، وفي الأرض آفات كالجراد . ولا يتم طعامنا إلا بإزالة المهلكات لزرعنا . إذن نحن لم نخرج عن موضوع الآية وكأن هذه الدنيا كلها تطبيق على دروس جسمنا كما ان آيات القرآن حقا وصدقا تستتبع جميع العلوم فكأن أجسامنا علم الفلسفة الذي يجمع العلوم أو كالقرآن الذي يأمر بها وتحويها ~~بعض~~ جهه كآية - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وأي علم يخرج



عنهما . وقبل أن أختتم هذه اللطيفة لا محيص لي من الإعجاب بخلق الجراد وخلق آفته . إن الذي خلقنا وخلق الجراد وخلق الشمس قال : لا بد للجراد من آفة تناسبه وهي حيوانات ذرية تهلكه وعلى الإنسان أن يدرس الصغائر والكبائر من هذه الدنيا ويتحدد على المنافع وتكون النتيجة السعادة العلمية في الدنيا ، وما هذه العوالم كلها إلا كمدار الصور المتحركة (السببا) وهي التي حدثت في زماننا إذ يرسمون الصور على الشريط بالتعاقب صورة وراء صورة ثم يحفظونه وبعد ذلك يضعونه في مكان مظلم ويضيئون الأنوار الكهر بائية فتلقى على ذلك الشريط أشعتها فتبرز الصور على ما أمامها واضحة جليلة كأنها أجسام حقيقية بحروب وسماء وأرض وسفن وحرب وضرب وسرقة واهلاك وتدمير واصلاح ، فهذا يفرح الناس بما هو خير وما هو شر لأنها كلها ترجع الى الخلق والمهارة والدقة والابداع ، وكل ذاك تحبه النفوس ، فأنا لما كنت في المرح وشاهدت الجندي يقود الفلاح وسمعت بمطاردة الجراد لم أر هذا في نظري إلا انه تمثيل لرواية ونشخيص لحكمة عالية تنزل لنا بهذه الصور ولكن هذه المناظر أحكم وأبدع ولن يعقل انها كذلك إلا قليل فأما الكثير فانهم لا يفرحون إلا بالصور المنقولة عن هذه الصور الحقيقية أو ما تركب منها ، فدور الصور ظل لهذه المظاهر الحقيقية والحقيقة أوضح من ظلها

فيأيها المسلمون : هل يجبكم هكذا أن تعيشوا عالة على الأمم وأتم خير أمة أخرجت للناس أتضيعون قواكم العقلية بالكسل وتذرون منافع أرضكم بالجهل ، لا لا ، لأيها المسلمون ، أنا ناصح لكم أمين فلا تناموا بعد الآن . شمروا ووجدوا واقرأوا كل علم . فوالله لا سعادة في الدنيا إلا بما ذكرته لكم ولا سعادة في الآخرة إلا به . ومن ادعى من صفار العلماء أو صفار العقول أن ديننا لا يطلب هذا كله وأن الجراد ووباء الجراد والنمل ودراسة كل شيء لا موجب له وأن الإنسان تكفيه ظواهر العبادة فقولوا له : اسمع ما فله الغزالي في الاحياء بالحرف الواحد تحت عنوان « بيان السبب في زيادة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا » وهذا نصه

« وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرأس على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الامور الإلهية على الرأس وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا . فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به » الى آخره

وقد نقلت هذه العبارة بتمامها في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند ذكر الجنة وملخص ما بقى منها أن الناس يموتون على ما عاشوا عليه وعلمهم يصحبهم وينقلب الى مشاهدة ونعيم الجنة على قدر الحب في الدنيا والحب بقدر المعرفة والمعرفة هي أصل السعادات كلها . ولا جرم أن ما ذكرناه من الجراد ووباء الجراد والقناة الهضمية وتوزيع الطعام عليها كلها موجبات للحب ولسعادة الدنيا معا . فقرء هذا التفسير أي أذكياؤهم يعطون ﴿ جنتين ﴾ الجنة في الدنيا بحب العلم والبحث ويترتب عليه إسهاد الأمم . وجنة في الآخرة بسعادة مشاهدة ذلك الحكيم الذي أبدع هذه النفوس وصورها . وإياك أن تظن أن بعض ما ذكرت في هذا المقام يخرج عن معنى آيتنا التي نحن بصدد تفسيرها - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - فهو بعلمه دبر الجوع ليحملنا على طلب العلم ونزرع ونأكل وندرس الدنيا كلها ومنها الجراد مثلا ونخرج من الدنيا وقد شهدنا مناظر جميلة تحببنا في لقائه . إذن أنت أيها الذكي من الآن سعيد في الدنيا سعيد في الآخرة . انتهى صباح يوم الجمعة ١١ ابريل سنة ١٩٣٠

﴿ لطيفة في قوله تعالى - وما يستوى البحران - الى قوله - لعلمكم تشكرون - ﴾

( وفيها فصلان )

﴿ الفصل الأول ﴾ في بعض عجائب البحر

﴿ الفصل الثاني ﴾ في الفلك المواخر في البحر

﴿ الفصل الأول في بعض عجائب البحر ﴾

إن هذا المقام تقدم منه كثير في أجزاء هذا التفسير . ولكن لأخلى هذا المقام من شذرات تسر القارئ وتشرح صدور المفكرين ، تباركت يا الله في جلال أعمالك وبديع أفعالك وأظهر لك لنا من المحاسن والبدائع ما يأخذ بالآبائنا ويهيئ عقولنا للارتقاء الى عوالم أعلى وأعلى

ما أبهر بحارك ، وما أعجبها ، تحار عقولنا في جلالها وعظمتها ولا نقف في تلك الحيرة عند حد :

(١) أتقف عند دوامها واتساعها وأمواجها وبطشها وعظمتها المذكورة بعظمة مبدعها ؟ أم تقف عند ما ترى من حياة تتخلل سائر تلك الطبقات تحت الأمواج كأنها جعلت طلاس تستعصى علينا دراستها ما لم نجد في تحصيلها لنذكر سرها فنعرف من الحيتان أنواعا مثلاً مثل (الكشالوت) ذلك الذي يطوف في البحار طولاً وعرضاً وهو يجول كما تجول الأسود في البر وله أنياب محدات يسطوبها على ضعاف الحيوانات البحرية وإذا أصيب بأي جرح من الانسان في السفينة فما أشد اندفاعه ومناصرة عشيرته له واجتماعهم على تلك السفينة فلا تزال تلك الجوع تحيط بها وتصارعها حتى تصرعها انتقاماً لما أصيب به أحدها من جراح بل إن حوتاً منها واحداً هاجم مركباً أمريكياً ولم يزل يهجم عليها حتى حطمها وأنزلها في دركات المياه وبش الفوار

(٢) إن عقولنا لا تقف عند هذا الحد فإن (الروكال) أقوى منه وأضخم ، أليس طوله يبلغ ١٢٠

قدماً على ما قيل وإن كان فيه مبالغة

(٣) وإذا أردنا التفكير في أعماق المحيط ألفينا السمك في عمق (٢٧٥٠) قامة في تلك الأماكن التي لا نور فيها ، وكيف يصل لها النور ، وهل انور الشمس سريان أبعد من ٢٠٠ قامة ؟ مثلاً قامة فقط وبعدها ظلام حالك ، ففي تلك الأرجاء السحيقة البالغة ٢٥٥٠ قامة بعد انتهاء نور الشمس تعيش أحياء بغير ضوء شمس . وكيف تعيش بلا شمس ؟ أتكون حياة بلا شمس ؟ هذا عجب ! ولكننا إذا فكرنا في أمرها بعد ما كشف منها رأينا ما هو أبدع وأعجب . رأينا أن النور والظلمة خاضعتان لأمر السمكة فلها عضو يشع منه النور متى أرادت فإن احتاجت الى فريسة أو قوت أضأت المكان بشمسها الصغيرة وإذا أحست بمفاجيء لها من أعدائها أطفأت شمسها وغابت في لجج البحر . وقد يجعل ذلك النور إرهاباً للعدو واضعافاً لبصره فيكون سلاحاً ضوئياً يهزم به العدو الذي به يغشى بصره . وبعض تلك الأسماك في قاع البحر لماع براق (فسفوري) وبعضها فضي اللون وهناك لطافة وجمال وحسن وبهاء . وأعمق البحار كأعلى الجبال انخفاضاً وارتفاعاً

(٤) وهناك الجزر المرجانية ومنها جزيرة سيلان بالقرب من الهند والجزر البركانية والجزر المرجانية وقد شرحنا كثيراً منها فيما مضى في هذا التفسير . انما الأمر العجيب هنا أن نقول : أليس من العجيب أن نجد (الأرض) المذكورة في ﴿ سورة سبأ ﴾ وتقدم شرح أعمالها وانها وهي عمياء قد بنت في الأراضي القفراء مدناً أهلة بسكان منها لا حصر لعددتها تديرها ملكة عظيمة القدر حجمها بمقدار راحة اليد ومعها زوجها الرسوم معها في ﴿ سورة سبأ ﴾ فهذه الحيوانات الضئيلة قد رفعت بنيانها في اليابسة فبلغ في العلو (٦) أمتار بل ثمانية واتسعت مدنها فكانت أميالا واعتاصت في هدمها على الانسان فلم يهدمها إلا بالديناميت فهكذا هنا نجد جزائر في البحر وما بناها إلا هذه المخاوقات الضعيفة المسميات بالمرجان . تباركت يا الله جزائر في البحر



عظيمة في المحيط الهندي والمحيط الهادي (الباسفيكي) يذبحها حيوان صغير وتكون فيما بعد مزارع ومروجاً واسعاً تكسوها أشجار (الشكولاته) المرسومة فيما تقدم في هذا التفسير ، أليس من العجيب أن تكون بعض الحشرات البرية وبعض الحيوانات البحرية قد اتحدت على أحداث ما يعجز عن فعله الناس في الأرض وهل للناس من قدرة على أن يحدثوا في البحار جزائر . كلا . انهم لو قدروا على ذلك ما حارب بعضهم بعضاً على أرض من اليابسة ، فلوانهم قدروا على ذلك لصرفوا تلك القوى التي أضعافوها في أعداد آلات الحرب الجهنمية على إيجاد جزائر كجزائر المرجان المعروفة بما يسمونه (بلكاديف وملاديف) أي بحيرة الجزائر أي (١٠٠٠٠٠) جزيرة و (١٠٠٠) جزيرة . فلو قدر الإنسان على الجزائر كما يحدثه المرجان لفعل أكثر منه ولأحدث أراضى في المحيط وقارات فسعد وأسعد ولكنه جهول يظن عقله آخر ما وصل اليه الابداع ولم يفطن الى أن هذه الغريزة المرجانية والغريزة التي في حشرة الأرض المشروحة في ﴿ سورة سبأ ﴾ كما قدمنا قد أبدعت ابداعاً لم يصله هذا الإنسان المسكين الذي يفرح بما عنده من العلم وهو لا يزال في أول حروف هجائية - إن الإنسان اظلم كقار - إنه كان ظلوماً جهولاً -

أما ظلمه فانه الى الآن لا يزال يفخر بأنه يعيش على نهب المال من أخيه الإنسان ، وأما جهله فهذه هو ذا ظاهر في انه لم يصل الى علم حشرة الأرض في نظام المدن والبنية ولا الى علم حيوان المرجان الباني في المحيط جزائر وجزائر ، أليس هذا هو الابداع والاتقان والجمال (انظر صورة المرجان في أول سورة النحل في المجلد الثامن وفي آخر سورة الفرقان في المجلد الثاني عشر) انتهى الفصل الأول

### ( الفصل الثاني في الفلك المواخر في البحر )

يقول الله : - وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - فأولاً نرى الفلك مواخر وثانياً نبتغي من فضل الله . وثالثاً نشكر الله على ذلك الفضل . فههنا ثلاث جواهر ﴿ الجوهرة الأولى فيما نراه من الفلك المواخر في البحر ﴾

أما الجاهل فلا يدرك من هذا القول في القرآن إلا لفظه واعرابه وصرفه و بلاغته ، فهذا حد الجاهل وكثير من العلماء المتأخرين في الأمم الإسلامية ، أما الحكيم المفكر فانه ينظر بعقل أحكم ونظراً ثم فيقول : نحن رأينا الفلك في البحر مواخر ، فأى فرق بينها وبين سيرة الإنسان في الأرض وركوب الدواب وركوب القطارات الحديدية ، نسمع الله يقول لنا بعد ذلك - ولتبتغوا من فضله - إِمَّ أتي بهذه الجلة بعد رؤيتنا الفلك مواخر مع انه يقول : - والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - ولم يقل - لتبتغوا من فضله - وان كان الجميع من نعم الله وتسهيل أمور الحياة علينا . ههنا يرجع الحكيم الى العلوم التي أبرزها الله في الأرض فإذا يرى ؟ يرى أن قوة الحصان الواحد تجر على الطريق العادي نحو (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف رطل بسرعة ثلاثة أقدام في الثانية وتجرجر على شريط السكة الحديدية نحو (٣٠٠٠) ألف رطل للمسافة نفسها والوقت نفسه أي ان شريط السكة الحديدية يكسبنا في القل عشرة أمثال ما نكسبه من السير في الأرض المعتادة

فإذا جعلت نفس هذه القوة فوق سطح الماء فأنها تجر في الزمن نفسه والمسافة عينها (٢٠٠٠٠) رطل إذن الماء أ كسبنا تسهيلاً فوق سهولة السكة الحديدية نحو (٧) مرات تقريباً وفوق ما نناله في سيرنا المعتاد على اليابسة نحو (٧٠) مرة ، عجب : ان الماء يسهل لنا النقل بنفسه عظيمة جداً لم تصل اليها دوابنا ولا طرقنا الحديدية . إذن البحر نعمة في النقل تعلو على نعمة القطارات في سكة الحديد وعلى الطرق المعبدة (بتشديد الباء) في الأرض . هذا معنى قوله - وترى الفلك مواخر فيه -

فأما العامة وصغار العلماء فلا يرون بأبصارهم من السفن إلا كما يسمعون بأذانهم من القرآن مناظر سطحية

والفاظا مقروءة . فالفرقان في ذلك أشبه بمن يرى أمواج البحر ويظن أن البحر ماء خامل لا حياة فيه بل الحياة الدنيا كلها عند أكثر هذا الانسان حياة كالأمواج لأجل أنها فيها ولا بهاء . فلاجال في الحياة الدنيا إلا بدراستها ولا بهجة في ماء البحر إلا بتعلم علومه التي عرفها الناس . ولا فائدة يعقلها الانسان من منظر السفن الماخرات في البحر إلا بدراسة القوى وموازينها كالذي ذكرناه هنا وهناك فقط يفهم لم ذكر الله - ولتبتغوا من فضله - بعد ذكر السفن الماخرات في البحر

ان للماء قوة تدفع الاجسام العائمة عليها الى أعلى فيخف ثقلها ويحس الانسان بذلك وهو في البحر فانك اذا استحممت في البحر كشواطئ الاسكندرية وهناك زجاج مكسور تحت الماء وأنواع من الادوات الحادة فانك لاتألم بما يصيبك من هذه الادوات الحادة لان الماء سيرفعك رفعا يحفظك من الضغط على أمثال الزجاج فلا يصيبك الجراح . ذلك سر رفع الماء لأجسامنا فتخف وهذه النظرية معروفة في جميع الدوائر العلمية ولها تدابير لا محل لذكرها وهي المعروفة بنظرية (ارشميدس) فهذه النظرية سر من أسرار الله الذي وضعها في الماء وبه جرت سفننا فكانت أسرع نفعا من دوابنا ومن قطراتنا لذلك عقبه بقوله

﴿ الجوهرة الثانية - ولتبتغوا من فضله - ﴾

هنا نبتغي من فضل الله لاننا وجدنا طرقا سهلة معبدات عبدها (بتشديد الباء) الله لنا قبل أن يخلق أبانا آدم . لذلك نبتغي من فضله والمسلمون هم المخاطبون بالقرآن أكثر من غيرهم . فيارب هل الابتغاء من فضلك بالسفن الماخرات قاصر أكثره على غير المسلمين أم المسلمون من عبادك وهم أيضا يبتغون من فضلك بالطرق البحرية المذلات ولا يقتصرون على الطرق الارضية التي تقل عن البحار (٧٠) مرة من سهولة النقل . أيها المسلمون البحار بحار ربكم وهو الذي سهلها لكم ولغيركم . لم لا يبتغون من فضل ربكم في بحاره ولو أنكم جاريتم الامم في السير في البحر لشرتم فضائل الدين في الامم بالعلم والاقناع فترك الناس أصنامهم وأوثانهم ونحفتهم عن الانسانية جهالتها المتراكمة واياكم ان تظنوا ان سير السفن في البحر أمر سهل أو ان الابتغاء من فضل الله بالتجارة بمعاونة السفن أمر يسير . ان هنا عالما آخر وهو عالم الأثير . ذلك العالم البديع الذي هو ألطف من الهواء . عالم يتدخل في الماء وفي الهواء وفي الارض وفي الاجسام الحيوانية وفي السماء وفي الكواكب وفي الارض هو عالم لطيف ينفذ في كل شئ . هذا العالم أيضا يسعد الانسان بأسراع المواصلات فيه يكون البريد البرقي (التلغراف) بقسميه أي الذي له سلك والذي ولا سلك له وهذا لا بد منه لسير السفن في البحار الله أكبر أصبح الانسان بهذا وكأنه جسم واحد اللهم انك أنت جعلت العوالم كلها كأنها جسم واحد فأرضك مع شمسك وقرك وسياراتك ومجراتك كلها كأنها جسم واحد هكذا هذا الانسان الجهول المسكين يظهر لما أنك تكاد تجعله جسما واحدا فهل يتنحى المسلمون عن هذه الموهبة بالجهالة . هل يتنحى المسلمون عن استخدام القوة الكهربائية التي يبعثها الناس في الفضاء فتلقفها السفن في عرض البحار فتنجو من المخاطر وذلك بنعمة الاثير التي جعلها الله محيطه بنا . فهي أعم وأرقى من الماء والهواء . واذا شئت شرحت لهذا الموضوع فاقرا ما نقلته من كتاب الجغرافيا التجارية والاقتصاديه والجغرافيا البشرية تأليف (محمد بك حدى) ناظر مدرسة المحاسبة والتجارة وهذا نصه

### ﴿ البرق السلكي البري والبحري والبرق غير السلكي ﴾

انتشرت الأسلاك البرية في الفضاء ومدت البحرية في مياه البحار والمحيطات فاتصلت أطراف المعمورة برا وبحرا وأصبح العالم كله وكأنه قطر واحد فهانت المناجاة في قليل من السويعات وانتظمت عقود التجارة الدولية وشاعت أخبارها في الآفاق بالسرعة بسبب سهولة نجاز البيع والشراء والأخذ والعطاء فيما ينفع الناس



واشتبكت المصالح الدولية بشباك أوتادها في كل المدن العظمى وفي الموانئ الكبرى وفي جميع جزر البحار  
الحسنة الموقع الجغرافي مما يسهل على الطالب تعيينه من الخريطة  
( البرق غير السلكي )

نطيل الكلام في هذا وحده لأن له الآن المكان الأول في جميع أرجاء العالم الراقى في قضاء الشؤون  
التجارية وفضله على البرق السلكي بريا كان أو بحريا واضح جلي لأن انشائي معدود الخطوط محدود الجهات  
بواسطة الأسلاك أما الأول فتعم اشارته الأرض قاصيها ودانيها على حسب قوة الدفعة الكهربية التي تبعث  
بها من أعلى الفضاء هذا فضلا عن إغاثة السفن في عرض البحار إذا ما حلت بها الأخطار فتتداركها السفن  
الأخرى المجاورة لها وتنشلها من ورطتها وفي ذلك من تأمين الأنفس والتجارة ما يرجع بالفائدة العظمى الى  
هذا النوع من البرق ولهذا نراه قد شاع ذكره واستعماله حتى لم تخل منه طريق تجارية ولا بلد رئيسية  
ولا السفن البخارية وبعض الشراعية فقد أصبح لها أثنا وعدة من ألزم العدد وإذا قد عم استعماله الآفاق  
رأينا عدم الحاجة الى سرد أشهر الموانئ والمدن التي تستخدمه فقد لا يخلو منه الآن موقع ذو شأن في  
التجارة الدولية والسياسة الخارجية وإذا كان ينقص جهة فهي عاملة حتما على انشائه فيها في القريب العاجل  
وبمصر عدد البروق غير السلكية أشهرها في الاسكندرية وأبي زعبل «وهي قرية من أعمال القليوبية»  
وأنشأت وزارة المواصلات حديثا محط «البرق غير السلكي في الاسكندرية» تسهيلا للمخابرات التجارية  
بين هذا البلد والخارج لاسيما بين السفن المسافرة في البحر والبر الاسكندرية فأقامت ساريتي البرق المذكور  
على شاطئ البحر في رأس التين وجعلت ارتفاع السارية ١٣٠ قدما فأصبح للمحط من القوة الأثرية ما يحمل  
الأنباء منه واليه مسافة ستمائة ميل بحيث يستطيع أن يلتقط الأنباء من البواخر السابحة في البحر الأبيض المتوسط  
كله ومن تغور هذا البحر وما حوالها من الأماكن ولا شك في أن الدوائر التجارية في الاسكندرية وبقية  
مدن القطر الكبرى لتغبط بهذا العمل النافع

وجهاز «البرق في أبي زعبل» تابع للحكومة الانجليزية رأسا وهو من أكبر عدد العالم التي من نوعه  
وهو عبارة عن (١) آلة ميكانيكية ضخمة تولد الكهربية تسمى المولد «الدينامو» تتولد فيها الحرارة الشديدة  
بواسطة (٢) آلة بخارية في بناء آخر كبير مجاور للأول وعلى مسافة بعيدة منهما (٣) أعمدة عدة يبلغ عددها  
نحو خمسين عامودا مقامة على أرض مرتفعة جدا وقد يبلغ طول الواحد منها نحو عشرين ومائة متر ويربط  
في أعلى كل عامود بطريقة فنية أسلاك تمتد على جوانبه حتى تصل الى نهايته ثم تسير تحت الأرض حتى تتصل  
بالمولد وهناك حجرة للبرق المنوط به العمل ولديه آلة ذات مفتاح متصل بالمولد فإذا ضرب على المفتاح انفتح  
فم المولد وقذف موجة كهربية ذات صوت شديد قاصف فقسيل هذه وما يتلوها من الموجات الأخرى مارة  
بالأسلاك القائمة على الأعمدة قاصدة أعاليها حتى تخرج من أطرافها الى الفضاء الواسع فتنتشر في جوف السماء بسرعة  
عظيمة تحاكي البرق الطبيعي وأمثال هذه الأسلاك موضوعة في فرنسا على برج إيفل وفي البواخر على رؤوس  
السواري . والموجات الكهربية التي يقذفها المولد من شاطئ تنشر في الجو كما سبق وصفه وتدور حول الأرض  
مارة فوق الجبال والبحار من غير أن يعترضها شيء وقد يبلغ ما تقطعه الموجة الواحدة في الجو ثلثمائة ألف كيلو  
متر في الثانية أو أكثر من ذلك

والمصطلح عليه في إشارات البرق أن حرف الألف مثلا يساوي نقطة وشرطة والباء شرطة وثلاث نقط والباء  
شرطة واحدة وهكذا . والفرق بين الشرطة والنقطة أن الأولى يرسلها المبرق على المفتاح بقوة تساوي ضعف القوة  
التي يرسل بها الثانية وعلى هذا القياس يرسل موجاته متتابعة في الجو فتقبلها كافة الأسلاك المهيأة على المرتفعات  
الشاهقة في الممالك الأخرى سواء في ذلك البر والبحر ثم يتلقاها المبرقون بواسطة «سماعة» أشبه شيء بسماعة

المسرة «التليفون» فيدونون الكلام بواسطة سماعتهم الموجات تطلق طويلا أو قصيرا (شرطة أو نقطة) كما هو مألوف في البرق العادي

والموجات الكهر بائية تشبه في انتشارها الموجات الصوتية فعلى قدر قوة الباعث تكون قوة الموجة وترددها في الهواء وإذن تختلف قوى البرق غير السلكي باختلاف حجم المولد وعدد الأعمدة فعدة الاسكندرية مثلا لها مولد أصغر من مولد أبي زعبل وليس بها إلا عمودان اثنان على حين أن للآخرى خمسين عمودا ومن ذلك يكون نطاق المراسلات بواسطة الاول ضيقا بينما يتراسل الثاني مع جميع أطراف الارض وتتكلف الأعمدة نفقات عظيمة فقد بلغ ما أنفق على الواحد منها مليون جنيه

ويستطيع المبرق عند وضع السماعة على أذنه أن يأخذ أى الاشارات التى تنبأدها الممالك الأخرى بعضها مع بعض ولديه طريقة فنية لتمييز الموجات ومعرفة ما يخصه منها وما لا يخصه فليبرق غير السلكي والحالة هذه لا يؤمن على سر إلا ما كان مرسل بالارقام السرية

واقدر اتصل أحيانا مع الموجات الكهر بائية أصوات الزوابع والرياح من كندا أو روسيا أو جبال فرنسا أو أى جهة كانت فيشعر بها المبرق ويسمعها كما هي وقد تضعف هذه الرياح أصوات الموجات على أن اختلاطها بها لا يمنع فهم إشارتها على الاطلاق ولكل محطة برفية علامة خاصة لمناداتها بها فعند ما تنصل الموجات الكهر بائية بين بلدين يمكن للمبرقين مبادلة الكلام بواسطة تلك العلامات

وفي ساعات معينة من الليل يستعد عمال جميع البروق غير السلكية لتلقى إشارات « روتر وهافس » دون الاشارات الأخرى ولا يستطيع العامل بأبى زعبل مثلا أن يراجع لندن في كلمة فاتته ولهذا السبب يوجد دائما في مثل هذه الاحوال عاملان لتلقى الاشارة الواحدة حتى اذا ترك أحدهما كلمة تداركها الثاني هذا ولا يزال البرق غير السلكي آخذا في التقدم من الدقة والاتقان بما سيضاعف نفعه وفوائده انتهى ما أردته من كتاب الجغرافية التجارية الاقتصادية

\*\*\*

أيها المسلمون : هانحن أولاء خلقنا في الأرض يحيط بنا الهواء فاستعملناه في الحروف الهجائية وذلك بالفطرة ولكن العلم الآن أرانا الأثير فاستعملناه بحروف واصطلاحات وكلام الشرقى الغربى وأصبح الصينى يكلم المصرى والألماني به . أليس بهذا وأمثاله نبتنى من فضل الله وهذا هو سر التعبير بالفضل في هذا المقام . ولما كانت هذه النعم قبولها واستعمالها شكر وتركها كفر بالنعمة أعقبه بذكر

### ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾

وهى - لعلمكم تشكرون - فياليت شعري كيف يكون شكر هذه النعم ، نعم الماء المسهل للنقل ونعم الهواء المسير للسفن ، ونعم البخار كذلك ونعم السكر بآء ونعم الأثير الذى يربط الناس بعضهم ببعض ويكون به التواصل والتخاطب ، لا شكر لهذه النعم إلا بتعلمها أولا ثم العمل بها ثانيا

فلا شكر للنعمة إلا بعد العلم بها ومن علم عمل وهناك يحسن في نفسه بحب وغرام بمبدع تلك النعم فيفرح بها وينطق اللسان بالحمد والاركان للعمل فينفع المسلم الناس كما يفرح بنعم ربه ، فهناك ﴿نتيجتان اثنتان﴾ حب الله بفهم هذه النعم ونفع عباده باظهارها . وهل الشكر غير هذا ؟ إن قراء هذا التفسيرهم الشاكرون والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٣٠



### ( تذكرة من عجائب البحر )

إن من أجل مأسطرتة الدهور . وأبدع ما أظهرته العلوم . مسألة الحياة في أعماق البحار التي ذكرناها هنا لقد كان العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر يحكمون حكماً لا ريب فيه ولا جدال . أنه لا أثر للحياة تحت عمق أربع مائة متر في البحار الملحة مستدلين بأن الضوء لا يصل إلى هذا العمق . وإلى أن الضغط على أجسام المخلوقات هناك يكون عشرات أضعاف الضغط الجوي . وإن الحياة هناك مستحيلة قطعاً تحت ذلك الضغط . فصار من البديهي الوجود لأحياء في ذلك العمق . وهذا البرهان ظاهر واضح حق من كل الوجوه . ولكن ظهر خطأ هذا البرهان لما ظهرت الابحاث البحرية بعد ذلك وتكاثرت وصادوا حيوانات على أبعاد مختلفات بآلات صيد خاصة تدل على العمق الذي أخذ منه ذلك الصيد من سمك وقشريات ونجميات من عمق سبعة آلاف متر أو أكثر كما تقدم هنا : ووجد العلماء الضغط الواقع على أجسام تلك الحيوانات ( ٧٠٠ ) سبعمائة ضغط جوي . لأن ذلك الضغط يساوي نحو عشرة أمتار من الماء فوق الأرض كما هو معروف في العلوم الطبيعية . وفوق ذلك وجدوا هذه الحيوانات محمية بدرع صلبة تجعل أعضائها الداخلية في مأمن من العطب : بل إن أغلب هذه الحيوانات طرية الملمس . شأنها شأن نظائرها في المياه السطحية . وعقول العلماء حائرة أمام هذه الحقائق الظاهرة . وما هذا الذي اختفى في هذه الحيوانات حتى تحملت ذلك الضغط العظيم

هذا وإذا نظرنا النظر عن الحيوان في البحث إلى نفس الماء الذي هو مسكن الحيوان رأينا أمراً عجيباً . رأينا أن السننيمتر المكعب من الماء يحتوي على ( ٣٠ ) ألف مليون مليون جزيء . وإن متوسط سرعة الجزيء الواحد نحو ٣ كيلو متر في الدقيقة الواحدة أو نصف كيلو متر في الثانية الواحدة . وإن وزن ذلك الجزيء لا يتعدى ثلاثة أجزاء من مائة ألف مليون مليون مليون جزء من الجرام ولكن هذا الجزيء الواحد مركب من ذرتين من ذرات الأندروجين وذرة من ذرات الأكسوجين والحركة المستمرة المشار إليها الملازمة للذرات هنا أشبه بحركات جماعات النحل تصطدم الواحدة بالأخرى اصطداماً دائماً . وعلى مقدار ذلك الاضطراب تكون درجة الحرارة زيادة ونقصاً . وبسبب هذه الحركات المستمرة والاصطدام يكون الضغط من الماء على الأبناء الذي هو فيه أو المكن من البحر الذي هو فيه . والفضل في معرفة ذلك يرجع إلى ( كلارك مكسول ) العالم الاسكتلندي من علماء القرن الماضي . ولكن كيف تركيب الأكسوجين المذكور مع الأودرجين مثلاً في الماء . وكيف تتكونت العناصر الأخرى مع بعضها في جزيئات الأجسام الأخرى . هذا أمر عجز عنه العلماء في كل عصر من العصور

ثم إن هذه الجزيئات المائية أي التي يتركب منها الماء ونظائرها مما يتركب منه كل موجود في العالم المادي ليست هي أصغر ما عرفه الناس اليوم بل كل جزيء منها مركب من شئ أصغر منه جداً بمقدار ( ١٨٥٠ ) مرة وهذا الشئ يسمونه ( الكترونات ) وما هذا الاكترون الا شعاع ضوئي وهذا الشعاع الضوئي الدقيق تركيب منه كل ذرة والذرات تتركب منها المخلوقات

أذن ماء البحر وحيوانه وكل مادة نراها مركبات كلها من مواد نوريه . اختلفت مظاهرها باختلاف حركاتها وهل هذا إلا قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - أي منورهما . أذن لا ظلام فالعالم كله نور . ماء البحر نور . الأرض نور . الجبال نور ولكن اختلفت المظاهر باختلاف الحركات وتنوعها وإن شئت المزيد . فارجع إلى آية - الله نور السموات والأرض - وادرس قطرة الماء هناك وافرح بنعمة العلم لتعلم أن العالم كله نور لا غير ولكن خفي علينا أمره في هذه الحياة لنتعلم ولا سبيل لتعليمنا بغير ذلك . ومن لهم قدم صدق في

هذا الموضوع (مدام كورى) وزوجها (المسيو كورى) المكتشفان عنصر الراديوم الذى هو أنشط العناصر كلها شعاعا وقد وجداه ثلاثة أنواع من الشعاع ، فيها أشعة إيجابية ، ومنها أشعة سلبية ، ومنها أشعة قصيرة الموجات جدا والأشعة السلبية هى التى قدر وزنها بما تقدم وهى داخله فى تركيب جميع لذرات الله أكبر عجباً أصبحنا نجيب من حيوان تحت ضغط ماء يفوق سبعمائة ضعف الهواء الجوى الضاغط علينا ونعجب أكثر وأكثر من ضوء صغير جدا دقيق التركيب منه ذرات وباتحاده تكون هذه المواد . ان حياتنا عبارة عن مسرح نشاهد فيها الأعاجيب فن ضوء يتنوع حوتا وذئبا وحجرا وشجرا وماء ومن حيوان صغير طرى اللحم يتحمل ضغطا قويا لا نقدر نحن على تحمله ولا الفيل ولا الجمل تبارك الله رب العالمين . هذه بعض عجائب البحار وربك يخلق ما يشاء ويختار . فهل يحببكم هذا أيها المسلمون أن تاملوا وتقوم امرأة وزوجها ( كالمدام كورى والمسيو كورى ) فيبحثان عن الأشعة وعن الذرات وعن الاضواء ونحن وأبنائنا ونساؤنا عائلة عليهم اللهم انك أنت ربنا وربهم فأنتم علينا بنور العلم واشرح صدورنا وألهم الامم الاسلامية عشق العلم انك أنت السميع العليم اه صباح يوم الخميس ٨ مايو سنة ١٩٣٠

واذ فرغنا من الكلام على آية - وما يستوى البحرين - الخ فلنغض القول فى آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ فنقول :

( لطيفة فى قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ )

لقد جاء فى ( سورة الكهف ) عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - الخ ما جاء فى كتاب « علوم للجميع » باللغة الانجليزية مترجما أن هناك علما حديثا يسمى ( علم الألوان ) وهذا العلم يقول المؤلف إن علماء أهل الأرض الآن أطفال فيه ولكن الذى عرفوه منه فعلا يستبين منه للناس أن الألوان موضوعة فى هذه الأرض لمقاصد صادقة وليست انفاقا ولا مصادفة وذكرت لك هناك ما أوردوه فى هذا المقام من الألوان المختلفة البديعة مرسومة مشروحة مبينة أسبابها وأن ضوء الشمس هو الذى يرسمها ويخططها وكلما كان الحيوان أكثر تعرضا للشمس كان أقرب الى السواد وكلما ابتعدت أجزاؤه عن ضوءها واختبأت كانت ملونة بلون من الألوان الأخرى كالجرة والصفرة . وترى هناك أيضا أن هذه الأحوال العارضة التى ظهرت فى أمثال ( أبى دقيق الطاووسى ) وفى ( جزار الحبشة ) المرسومين هناك قد حيرت العلماء إذ وجدوا أن البياض فى ظهر جزار الحبشة المصاحب للسواد فى ظهره وفى جوانبه يحتاج الى علة غير علة إلحاح الشمس على ظهر الجمار لأنها توجب السواد التام ، أما البياض فهو أمر آخر لا يتفق مع إلحاح الشمس عليه وهكذا تلك الألوان البهجة الزاهية فى أبى دقيق الطاووسى المتزنة اتزاناً تاماً ، الهندسية الشكل البديعة النظام فأنها جاءت بسبب مواد ألصقت بأجنحة تلك الحشرة ووضعت بنظام مدروس وهذه على ( قسمين ) قسم جاء اللون فيه حادثاً من انحباس الهواء فى أوعية خاصة منتظمة فنعكس ضوء الشمس عن ذلك الهواء المنحبس وقسم آخر جاء اللون فيه عن انعكاس الأشعة الضوئية عن ذرات منتظمات رتبت ووضعت فى صفوف منتظمات فظهر بها اللون بهجا جيلا . انظره هناك

ثم أرجع معى هنا وقل معى : سبحانك اللهم وبحمدك . أرىتنا الجليل . ذلك لأنك جليل . وضعت لنا قاعدة ياربنا وقلت لنا فيها كلما كانت الشمس أكثر إلحاحا على الجسم كان أقرب الى السواد . وكلما كانت أقل إلحاحا عليه كان أبعد عن السواد وتحلى بلون من الألوان السبعة . ثم اننا رأيناك أوتت الثالج بالبياض لبرودته وأوتت عروق الشجر الضاربة فى الأرض بلون البياض : لماذا ؟ لأنها لم تلاق حرارة الشمس ولم تزل الألوان إلا فيما برز للشمس من أجزاء النبات . فهنا نحن أولاء رأيناك بأثنته أخذت تتفنن وتبدع الابداع كله وتضع ذرات على أجنحة الحشرات وتلصقها وتمهندسها وتظهرها للشمس فبهيرنا لونها ونجد أفانين وأفانين من الجمال . ولو



انك أبقيت حال هذه الحشرة مثلا بلا ابتداع مثل هذا لم تر هذه الأفانين والصور الجميلة . والحق يقال ان العالم الذي خلقتنا فيه كله جمال . ورأيناك لم تقتصر على ذرات تلصقها بالأجنحة بل أبدعت في الأجنحة ابتداعا آخر وحبست الهواء فيها وعرضتها للشمس فأخذت أمواج الهواء تلقى أشعتها على أعيننا داخله في قرينتها متخاللة بلورتها (بتشديد اللام) أى عدستها مرسومة على شبكيتها جارية في أعصابنا الى مخنا ، فهناك يظهر لنا الجمال والكمال والبهاء

سبحانك اللهم : أبدعت ورقشت وزيفت ، ولما كان ابتداعك في الصور واتقانك لهندستها يراها الجاهل فلا يابه لها (وذلك لأن الانسان لا يابه ولا يهتم ولا يحب ولا يطرب ولا يفرح لما ألقاه وعرفه من إبان صغره وممعه ان شبابه إذ يطلع على هذه الأشياء وهو طفل ثم يشب ويكون فتى وكهلا فشيخا فهرما وهو في ذلك كله لا يرى في هذا الجمال إلا انه أمر عادي لا يستحق التفكير)

ألهمت طوائف من كل أمة من الأمم قديما وحديثا أن يصبغوا ويزينوا وينقشوا ويأثروا بأفانين الصور وأحسن الأشكال وبدائع الجمال وروائع الزينة ومباهج الأصباغ . وأقدم هذه الطوائف التي عثرنا عليها قدماء المصريين الذين زينوا مبانيهم بنقوش غريبة وصور بديعة حارفيها الناظرون وتحير في أمرها النقاشون والمهندسون ، وانما ألهمت الأولين والآخرين ذلك لتفتح العقول لهذا الجمال والابتداع الذي نسوه بايلافهم وجهلوه بتكرار مشاهدته وسقوط اعتباره من القلوب ، فهناك هنالك الحكمة ، استبان للناس الجمال والبهاء والحكمة . والحكمة لا تعطى إلا للفكرين . والمفكرون لا يعرفون الجمال والحكمة إلا بالتحليل ومعرفة المقادير والأجزاء الداخلة في تركيب الأجسام والأصباغ

ما الناس سوى قوم عرفوا \* وسواهم همج الهمج  
فلائين الآن لأذكاء الأم كيف كانت الأصباغ عند قدماء المصريين فأقول :

أصباغ النقوش المصرية

قال الشاعر المصري شوقي بك :

غاب من حولها الزمان وشابت \* وشباب الفنون مازال غضا  
رب نقش كأنما نقض الصا \* نع منه اليدين بالأمس نقضا  
ودهان كلامع الزيت مرّت \* أعصر بالسراج والزيت وضا

يقول علماء عصرنا ان قدماء المصريين تفتنوا تفتنا أدهشهم . فهما هي ذه هياكلهم العجيبة ومبانيهم الفاخرة وأصباغهم التي مرّت عليها العصور والدهور وهي كما نقض الصانع عندها يده الآن فلننظر نظرة فيما كشفه القوم الآن لما حللوا تلك الأصباغ ومتى عرفنا بعض ذلك معرفة تامة رجعنا الى صنع الله تعالى فعرّفنا تلك العظمة وسعدنا بالجمال الذي ندركه ونفرح به في هذا الوجود . هنالك يشوقنا جمال هذا العالم ونحسّ بالمسرة والبهاء

لقد كان قدماء المصريين يمزجون الصبغ الأحمر بالأصفر فيكون منهما صبغ يرتقلى اللون وهذا اللون عثروا عليه في مدفن (نفرمت) الذي كان من رجال بلاط الملك (سنفرو) أحد ملوك الدولة الرابعة التي كانت تحكم مصر منذ ستة آلاف سنة وذلك قبل (خوفو) الذي بنى الهرم الأكبر من اهرام الجيزة وهذه النقوش عميقة على هذا القبر وقد ملئت بهذا الطلاء . وكان عندهم طلاء آخر أشدّ صفرة وأبهى وأجل لونا . وطلاء آخر أخضر خضرة طبيعية وهو من الحجر المسكى الأخضر . وطلاء أزرق من الحجر الملاكى الأزرق وكلاهما من مركبات النحاس . وههنا أن أن أذكر لك طلاءهم الأزرق الذي كان كثير الشيوع عندهم فهو كان صناعيا لا طبيعيا . وكانوا يصنعونه قبل المسيح بألفين وخمسمائة سنة . وما هوذا ؟ هو نوع من

الزجاج . وكيف صنعوه ؟ صنعوه من الرمل والجير والسكاس والقلبي ومعدن النحاس . حرقت هذه معا فكان منها فتكون منها زجاج أزرق . وقد حللوا قطعة منها تحليلا كيمائيا فوجد فيها جزآن في المائة من (أكسيد النحاس) وثمانية وثمانون جزءا من السلكا رجزء من الصودا وثمانية أجزاء من الجير وقليل من أكسيد الحديد ، وإذا كان حجر النحاس من جزئين الى خمسة في المائة كان الطلاء أزرق صافيا ، وإذا كان حجر النحاس من (٢٥) جزءا الى (٣٠) كان لون الطلاء أزرق قائما أو بنفسجيا ، وإذا كان أكثر صار لونه أسود وإذا قلّ القلي كثيرا فالحاصل مادة رملية لا قوام لها ، وإذا أكثر كثيرا فالحاصل جسم صلب لا يحك منه الطلاء المطلوب

ولقد جاء في (المقتطف) في يوليو سنة ١٩٢١ م مانصه : « ولذا كان عليهم أن يزنوا العناصر كلها ويعلموا مقاديرها تماما ومن ثم استعمل الميزان في الأعمال الكيميائية » وأنا الآن أكتفي بهذا المثال فان المدار على فهم ما نكتب لعل كثرة المعلومات

هاهم أولاء قدماء المصريين منذ خمسة آلاف سنة نظروا في الأحجار فاستعملوها ولقنوا بها مصنوعاتهم ثم انهم ألهموا أن يقلدوا ما وجدوه في الطبيعة وهذا التقليد لا يكون سهلا بل صرت عليهم قرون ودهور وهم يجربون ، فاهتدوا الى البرتقالي بمزج الأحمر بالأصفر ووزنوا النحاس والسلكا وهو الرمل والصودا والجير وأكسيد الحديد فكان منها زجاج أزرق ، فاعجبوا يا الله ، نحاس وحديد ورمل وجير وصودا بامتزاجها يكون اللون الأزرق ولكن بمقادير محددة ولكن النحاس هو المقياس فن قلّ كانت الزرقة وان أكثر كانت البنفسجية أشد منها ثم يصير أسود

هذا المثال يرينا (أميرين) الأول : ان هذه الأصباغ التي نراها في النبات والحيوان مخلوقة في الطبيعة أمامنا مرجعها مزيج موزون بموازين لاختلت لاختلت الألوان ولذهب الجلال - والسماة رفعها ووضع الميزان - يا عجب . هذا هو الميزان . هذا هو ميزان علماء الكيمياء الذي وزنوا به الحديد والنحاس والرمل والجير والصودا الخ حتى حصلوا على زجاج أزرق . يا سبحان الله . إذن الله وزن هذه المواد وأمثالها حتى أبدع لنا أزهار الورد والقطن وأزهار أشجار الفواكه والرياحين ، حينئذ هذه البساتين والرياح الناضرات التي نراها ذات بهجة تسر الناظرين قد وزنت المقادير الداخلة في تركيب هياتها حتى ازيفت للناظرين . إذن الزينة بالوزن ، إذن الله وضع الميزان في كل مكان ، وضعه في كل شجر وحجر وجبل ، وفي كل شمس وقمر ، إذن ميزان الله يعلو السموات والأرض . إذن فهمنا قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - وقوله - قائما بالقسط - حال من الله فهو واحد قائم بالعدل . فهذا هو العدل وهو الوزن الحق والوزن الحق هو الذي به ظهرت هذه الألوان وبهرت وسررت الناظرين . لو أن اللون البنفسجي في البنفسج الطبيعي زادت مادته النحاسية عن (٣٠) في المائة لم يكن بنفسجيا بل كان أسود ولو كان أقل كثيرا لكان أزرق صافيا

هذا هو الوزن في عمل الله ولم نعرف جلاله إلا بدراسة الألوان . فبالدرس أدركنا معنى - ووضع الميزان - ومعنى القيام بالقسط ومعنى القول المشهور « أسست السموات والأرض على العدل » ولو اختل الوزن في عناصر هذه المواد لم تكن تلك الألوان واختل النظام وذهب الجلال الذي أبدع الله عيونا لترسمه على شبكتيها وتوصله الى عقولنا لنظرا في ذلك الجليل الذي زين الأرض والسماة للناظرين وقل - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - . ثم هو ألهم عباده أن يقلدوه وهاهم أولاء قدماء المصريين قلدوه في الصنعة وقلده جميع أهل الأرض في زماننا ماعدا أكثر المسلمين ولما قلدوه وزنوا وزنه ، فهو قد وزن في مصنوعاته وهم وزنوا في مصنوعاتهم تبيانا لقوله تعالى - ووضع الميزان \* ألا تظفوا في الميزان \* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا



الميزان - . يقول تعالى : وضعت الميزان ووزنت كل ماؤن وكل ماؤن وكل متحرك وكل ساكن لأجل أن لا تزيدوا في ميزانكم ولا تنقصوا بل تعدلون وتزنون بالقسط في مصنوعاتكم لئلا تختل وتقيموا العدل في أعمالكم بميزان لئلا يختل نظام مدينتكم ، فالعدل في وزن المصنوعات يجعلها جميلة والعدل في التضايا ووزنها بالقسط وزنا علميا قانونيا يحفظ دولكم ومدنكم ويجعلكم في الأرض سعداء ، ولا جرم أن الصناعات واجبة وجوبا كفائيا كما قدمناه في أكثر مواضع هذا التفسير وأن التقصير فيها يورث الذلة في الدنيا والعذاب في الآخرة ، فيا حسرة على أمم الاسلام تلك الأمم التي أورثها الله أرض الأمم البائدة ، وقد دفن تحت أرجلهم صناعات قدماء المصريين والآشوريين والبابليين وأم خلث من قبلهم ، فلما زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وظهرت كنوزها وتحذت الأحجار دهش نوع الانسان وقال : ماذا في الأرض ؟ ولقد صدر الناس أشتاتا كل يسعى لعمل يجد فيه ، وقد جنت كل أمة وكل فرد ثمرات ما عملوا في هذه الحياة الدنيا ، والآخرة على مقتضى الأعمال في الحياة من خير ومن شر

كل هذا والمسلمون لم يحركوا ساكنا وأكثرتهم نائمون وعلماء أصول الفقه ينادونهم أن شكر المنعم واجب ولا جد إلا بعد معرفة النعمة ونعم الله ملأت السهل والوعر ! فالحكم تجهلونها ولا تعرفونها ، وتكفرونها ولا تشكرونها ! ولا شكر ولا جد إلا بزاولة النعم وتقبلها وفهمها ، فان نظرتم فوقكم رأيتم الطيارات مخلقات من فوق رؤسكم وان نظرتم تحتكم ألفتيم صناعات الأمم الذين من قبلكم ولم تبلغوا معشار عزهم وان نظرتم في الامم التي معكم في أرضكم هذه ألفتيموهم سبقوكم في الصناعات أجيالا وأجيالا

أما أن المسلمين أن يتعلموا صناعات الأمم ويدرسوها - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وسعدون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى صباح يوم الأحد ٢٠ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ جوهرتان في آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ ﴾

(الجوهرة الأولى) في صور الأصباغ والزينة والجمال في المصنوعات الإلهية تفسيرا للآية

(الجوهرة الثانية) فيما جاء في علم الألوان حديثا ونحوه

﴿ الجوهرة الأولى في صور الأصباغ والزينة والجمال في المصنوعات ﴾

وذلك إما في النبات . وإما في الحيوان . أما الذي في النبات فاقراءه في سور كثيرة أقربها ما جاء في سورة السجدة من صور النباتات العجيبة ، وأزيد الآن ما جاء في المجلات المشهورة (كلصور) و (الجديد) و (كل شئ) وهكذا وهاك نص ما جاء فيها :

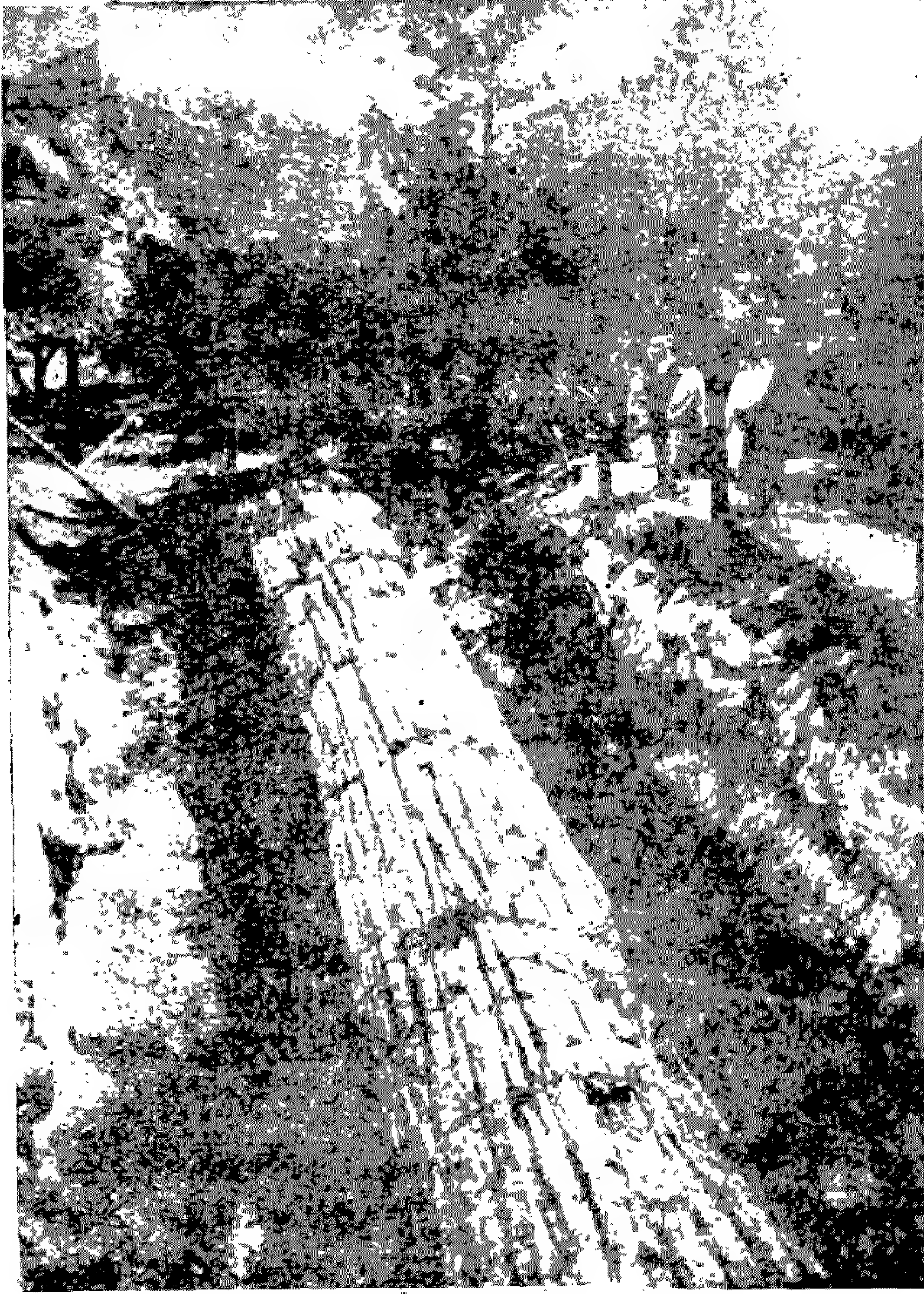
﴿ أشجار غريبة ﴾

يرى القارئ في الأشكال الأربعة الآتية (شكل ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) مجموعة من الصور عن الأشجار العجيبة وهي وان كانت أقل بكثير مما تصوره رواة القصص الخيالية فهي على كل حال غير مألوقة لدى القارئ المتواضع الذي لا يجمع به الخيال الى مثل ذلك (انظر شكل ٢٣ في الصفحة التالية)



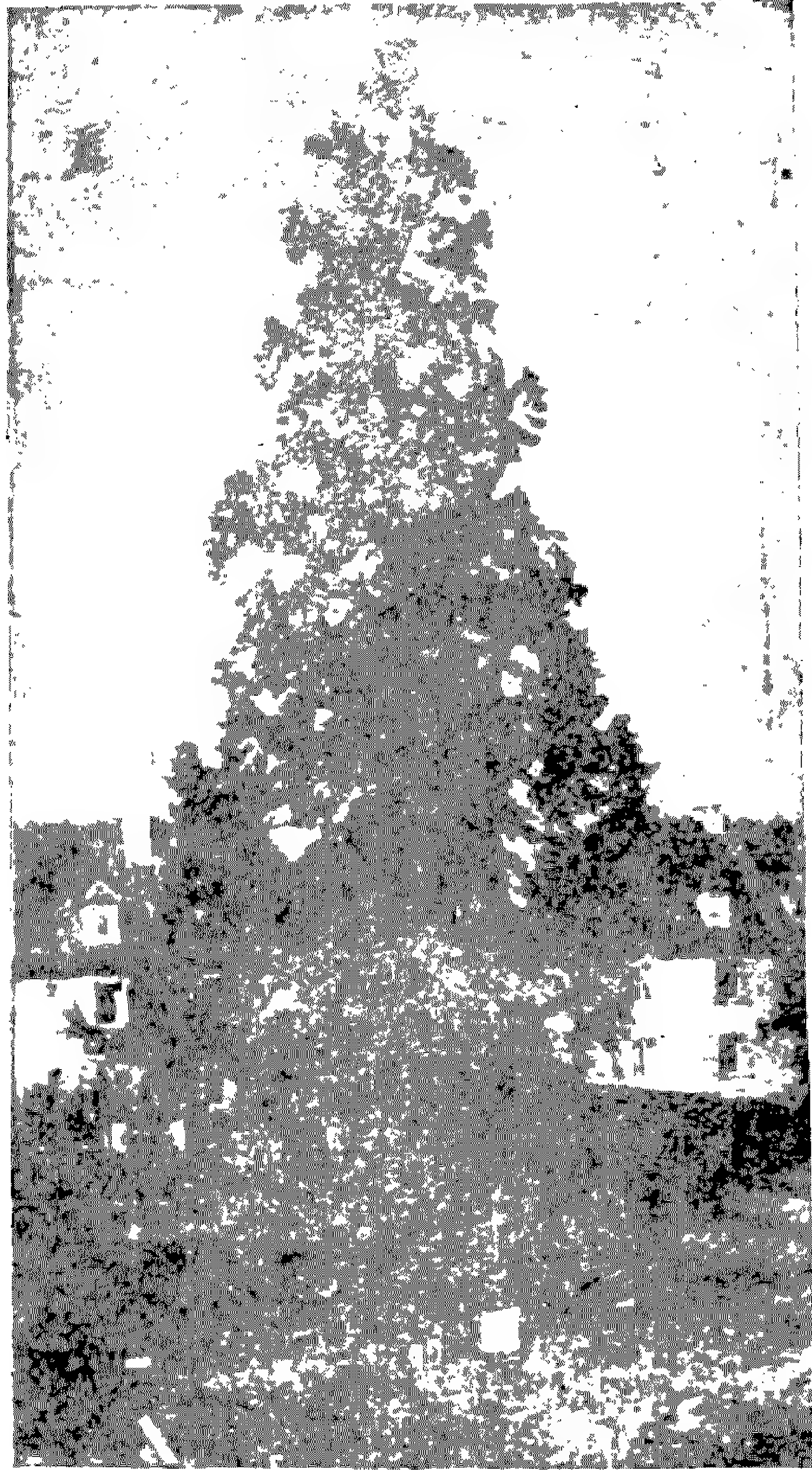
( شكل ٢٣ - رسم شجرة ذات جدائل )  
 ( شجرة جديدة من نوع (يوشوا) الياباني في جنوب كاليفورنيا فروعها عديدة ملتفة كأنها الجداول المضفرة )





( شكل ٢٤ - شجرة عجيبة في ( حديقة سونوما ) بشمال كاليفورنيا وهي من أضخم الأشجار في العالم وأكبرها حجما . يبلغ طولها عشرين مترا ، وقد أحيطت بسياج يحدّد خلفه السائحون لمشاهدة هذه الشجرة الهائلة )





( شكل ٢٥ - ناطحة السحاب : رسم شجرة هائلة من ناطحات السحاب (إذا جاز لنا أن نستعير  
هذا الوصف للأشجار) في برلين بألمانيا ، يزيد ارتفاعها عن ٢٥ مترا وعمرها تسعون سنة )





( شكل ٢٦ - شجرة الفيل )

( رسم شجرة عجيبة في الحديقة الوطنية في دنفر بالولايات المتحدة وكأنها رأس فيل رفع خرطومها )

### ﴿ الجوهرة الثانية فيما جاء في علم الحيوان حديثاً ﴾

وأما الذي في علم الحيوان فقد ملئ به هذا التفسير، وأزيد الآن عليه (أولاً) صوراً بهجة في حيوانات تطير من ذوات الأربع، وثانياً صوراً لأنواع ريش الطيور غريبة بديعة. وثالثاً صوراً لأنواع عجيبة من حيوان البحار. ورابعاً عجائب العلاقة الزوجية بين الطيور

### أولاً - ﴿ الحيوانات التي تطير من ذوات الأربع ﴾

يوجد الآن في الكرة الأرضية أكثر من نصف مليون نوع من الحيوانات المختلفة واسكن حيوان منها طريقته الخاصة في إيجاد ما يأكله والفرار من عدوه حتى لا يفترسه وليس يوجد مصدر للغذاء في العالم لم تطرقه الحيوانات. ولا وسيلة للحصول عليه لم تجربها. وكذلك لم تدع الحيوانات أية طريقة من طرق الخداع للافتراس أو النجاة بالحياة وكلها في نضال مستمر وعداء لانهاية له. يأكل كبيرها الصغير وقويها الضعيف ويخاطبها الساذج. فهن من أجل القوت في حرب عوان وخدع دائمة. فالحيوان الواحد في وقت واحد طالب ومطلوب. فإذا كان يجيد الهجوم على فريسته فلا بد له من أن يجيد طرق الفرار من أعدائه الكثيرة ومن وسائل النجاة التي منحها الله لبعض أنواع الحيوان الطيران في الهواء فيستطيع الحيوان الذي يطير أن يتخلص من عدوه الذي لا يستطيع الطيران. وتنقسم الحيوانات التي تطير على وجه العموم إلى قسمين (أولهما) الحيوانات التي تطير بخفقان الأجنحة إلى أعلى وأسفل بقوة عضلية ميكانيكية مثل الحشرات والطيور والوطاريط (وثانيهما) الحيوانات التي يكون طيرانها مثل قفزات كبيرة تختلف في الطول

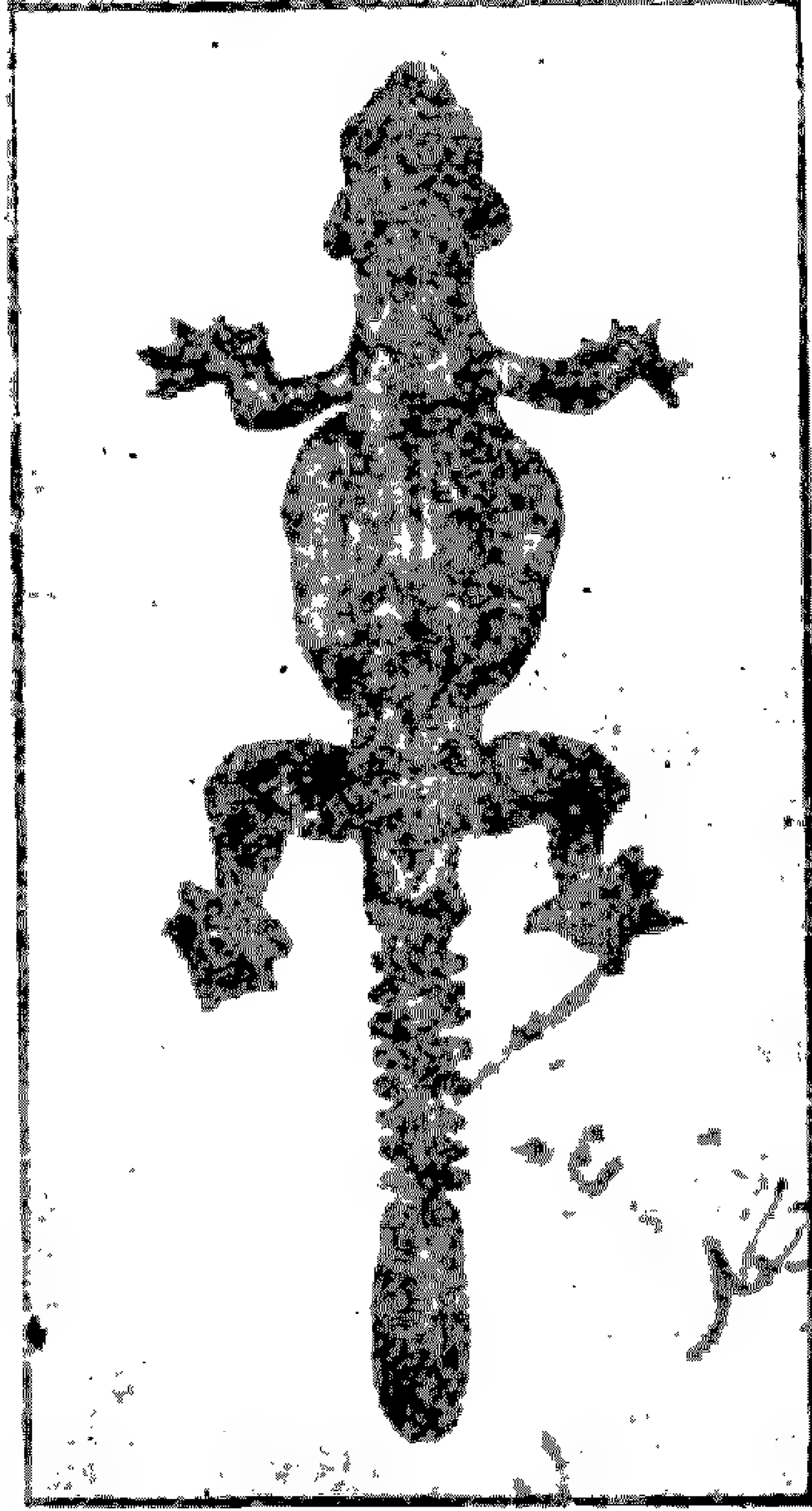


حسب القوة الدافعة وحسب حجم أجنحتها الغشائية أو الجلدية مثل أنواع السمك الطيار والسحالي الطائرة والسنجاب الطائر

يريد علماء التاريخ الطبيعى إذا قولا الحيوانات الفقرية ذوات الأربع الحيوانات التى لها سلسلة فقرية سوى الأسماك وتسير على أربعة أعضاء بمثابة اليدين والرجلين فى الإنسان ويكون كل اثنين منها متشابهين تماما فى التركيب والشكل . وتعرف هذه الحيوانات بأنها أرضية أى انها تنقل على وجه الأرض بتحريك هذه الأعضاء الأربعة وقد صار بعض هذه الحيوانات بحريا مثل الحيوانات البحرية الزاحفة والحيتان وانقرضت أعضاؤها وصارت زعانف طويلة تستعمل للتجديف فى الماء . واستطاع جانب من الحيوانات ذوات الأربع أن ينال قوة الطيران فى الهواء مثل الطيور والوطايط فتغيرت فيها الأعضاء الأمامية وصارت أجنحة تخفق بها فى الهواء . وانه لمن المفيد أن نقارن بين عظام جناح الطائر وجناح الوطايط وزعنفة الحوت وذراع الإنسان انرى تقارب الشبه فى تركيبها وكيف تحولت عن أشكالها الأصلية لتقوم بالوظائف التى تؤديها فى الحياة حسب عاداتها المختلفة . ففي المنطقة الحارة فى آسيا نحو عشرين نوعا من السحالي الطائرة . ويرى فى السحلية منها على جانبي الجسم غشاء رقيق يتصل بالأضلاع يطوى ويفتح مثل الشمسية . وان من يتأمل حياة هذه السحالي يجد أن هذا التركيب الغريب نشأ عندها من النظام المعتاد فى حياتها . فان هذه الحيوانات تعيش فى الأشجار وتسير بكل سرعة فوق الفروع باحثة عما تقتات به من الحشرات وتكون أجنحتها فى أثناء ذلك مطوية . فاذا أرادت السحلية الانتقال من فرع الى فرع أو من شجرة الى شجرة نشرت جناحيها المطويين ووثبت فى الهواء دون أن تخشى السقوط . وأما الحيوانات الثديية التى تطير أو تقفز فى الهواء فلواحد منها قطعتان كبيرتان من الجلد على جانبي الجسم تعرفان بالجناحين الغشائيتين أو بأسفل الصدر كما فى بعض أنواع الفالنجر وهو حيوان من نوع (الكابجرو) وأصغر نوع منه القار . ويمكن الفالنجران يعيش على الدوام فوق الأشجار بدون أن يضطر الى النزول الى الأرض فيثب فى الهواء ناشرا غشاءه لينقل من غصن الى غصن ومن شجرة الى أخرى . وهناك أنواع كبيرة من الفالنجر تشبه السنجاب ويستطيع الواحد منها أن يمرق بغشائه فى الهواء مجتازا فوق نهر عرضه ٤٠ يارده

وأما السنجاب الطائر فليس من أنواع الفالنجر ولكنه من فصيلة الحيوانات القارضة وهو يعيش كذلك فوق الأشجار ويمرّق فى الهواء بغشائه الجلدى نحو خمسين يارده ، وفى الهند نوع من السنجاب الطائر يمرق فى الهواء ثمانين يارده ، وفى بلاد الملايو حيوان اسمه (الكوجو) وهو لا يتصل بأى نوع من أنواع الحيوانات ، ويرى بعض العلماء انه يقرب من فصيلة الوطايط ، ويقرب حجمه من حجم القط ولكن أرجله صغيرة دقيقة وينتهى بمخالب معقوفة ، وغشاؤه الجلدى يمرق به فى الهواء يغطى جميع جسمه ويتدلى من جميع نواحيه وهو يعيش كالأنواع السابقة فى الأشجار ويمكنه أن يمرق فى الهواء مسافة قدرها سبعون يارده ، وفى جزائر الفيليبين نوع صغير من هذا الحيوان ويعرف القراء كيف تطير الوطايط بأجنحتها الجلدية الخالية من الريش ، وان من يتأمل جناح الوطايط يجد مكوّنا من غشاء رقيق يتصل بالساق وتخلله عظام هى أصابع العضو الامامى . ويوجد أنواع كبيرة من الوطايط تعرف بوطايط الفواكه . ويبلغ طول أجنحة بعضها خمسة أقدام وتسمى وطايط الفواكه فى الهند والملايو وأستراليا بالشعالب الطائرة لأن لها آذانا صغيرة ووجوها كوجوه الشعالب . وهى تمام انتهى (انظر شكل ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فى الصفحة التالية)

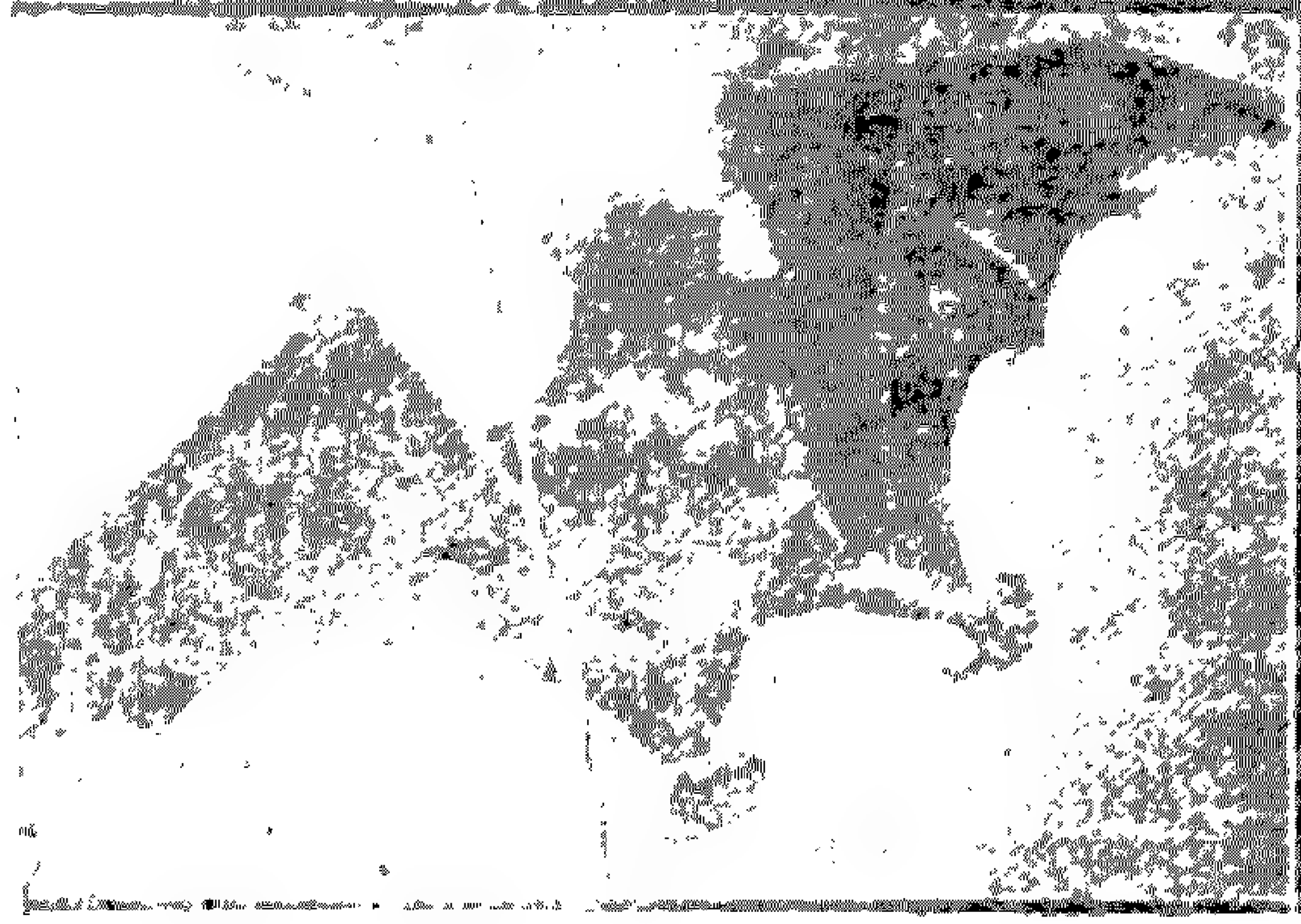




( شکل ۲۷ )



( شکل ۲۸ - الوطایط أثناء نومها رهی تحمل صغارها )



( شكل ٢٩ - وطواط طول جناحيه خمسة أقدام ويسمى بالشعلب الطائر )

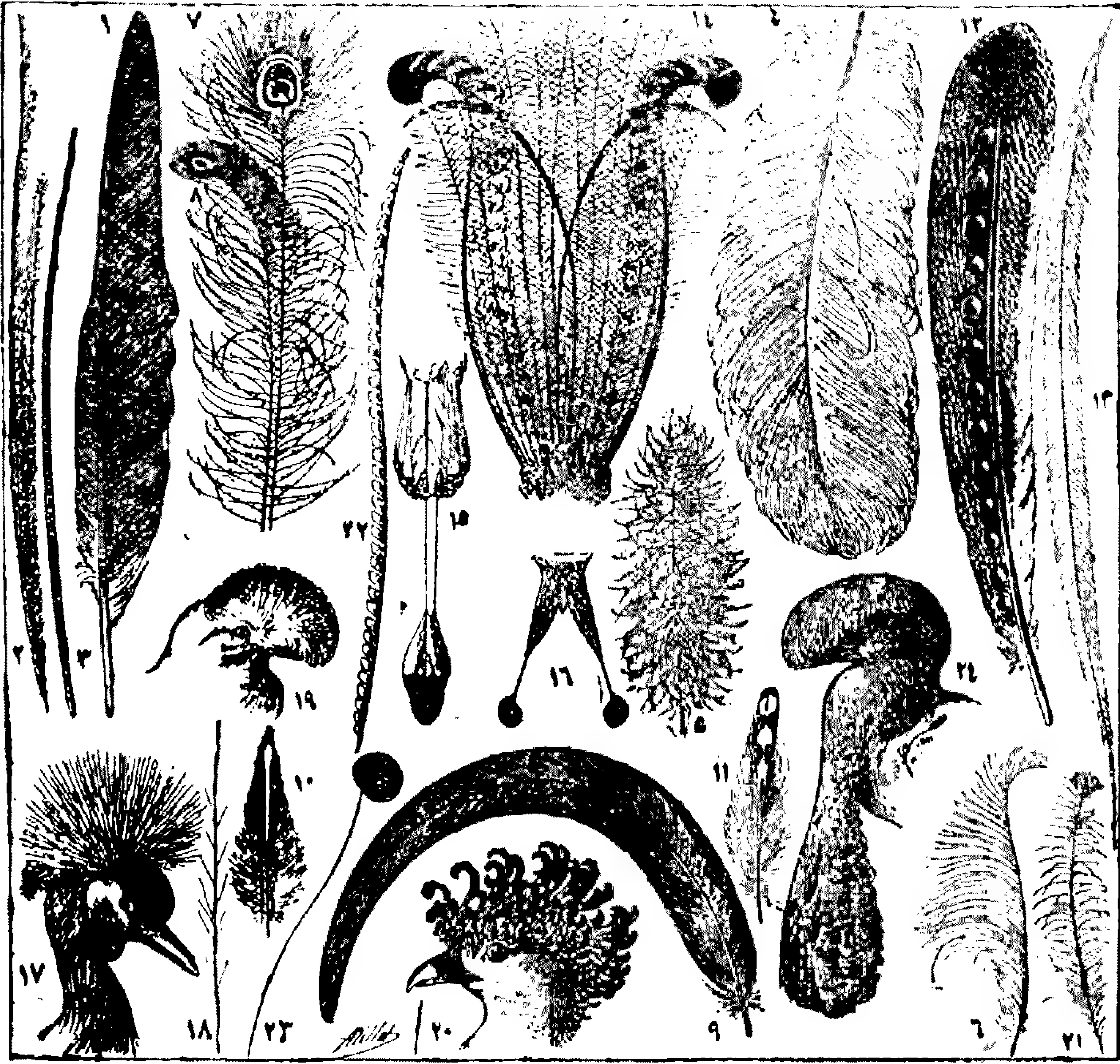
### ثانيا - ريش الطيور البديع

جاء في مجلة « كل شئ » مانصه :

بعض الطيور زاهى اللون متناسق الريش تتماوج الألوان وتترقق الأصباغ المختلفة عليه حتى لقد فتن الانسان بجمالها وصار يصيد الطير لكي يحصل على ريشه ويتزين به . والاوروبيات مولعات بريش الطيور يضعنه في قبعاتهن حتى صار جلب الريش تجارة واسعة النطاق يشتغل فيها الصيادون من مختلف البلدان . وكان أكبر فخاى هذا الصيد أنواع (أبى قردان) المختلفة فقد كان الصيادون للاحاحيم على صيدها يبيدونها لولا أن تدخلت الحكومات ووضعت الشرع المختلفة لحمايتها بعض الشئ

وذكر الطير هي التي تتزين بالريش الباهر الزاهى . أما الاناث فتبقى عادة فى سداجتها وهذا ظاهر فى الدجاج فان الديك يتزين دون الأنثى وهو وقت مغازلة الأنثى يزيّف ويتطوس كأنه يشمر بجمال ريشه أو كأنه يدرك أو يتوهم أن الأنثى تعجب به وهذا هو الشأن فى معظم الطيور وخاصة تلك التى تقتات بالأثمار . أما جوارح الطير كالعقاب والصقر فلا يزهو لونها لأن زهوته تتم عليها فتدل فرستها فتحذرها . وقل مثل ذلك فى أناث الطيور جميعها فانها ساذجة لازينة لها . لأنها لاحتياجها الى الحضانة تخشى أن ترى وهي تحضن بيضها فيهمج عليها خصمها ويقا تلها أو يأكل بيضها فمن مصلحتها ودواعى بقائها أن تخفى لا أن تظهر . ولكن الذكر ليس فى حاجة الى ذلك ( انظر شكل ٣٠ فى الصفحة التالية )





( شكل ٣٠ - رسم ريش الطيور البديع )

الريش عند مختلف الطيور : (١) العقاب (٢) الكاسوار (٣) نوع آخر من الكاسوار (٤) النعامة (٥) اللقلق الهندي (٦) أبو قردان (٧) الطاووس (٨) الطاووس أيضا (٩) و (١٠) و (١١) من ريش الديكة (١٢) الارغوس (١٣) عصفور الجنة (١٤) طائر القيثارة (١٥) الموموت (١٦) العصفور الطنان (١٧) نوع من أبي قردان (١٨) و (١٩) و (٢٠) و (٢١) ريش آخر من أبي قردان أيضا في بلدان مختلفة (٢٢) الابريدفور (٢٣) المانوكود (٢٤) الكيفالو بتر

### ثالثا - حيوانات قاع البحار

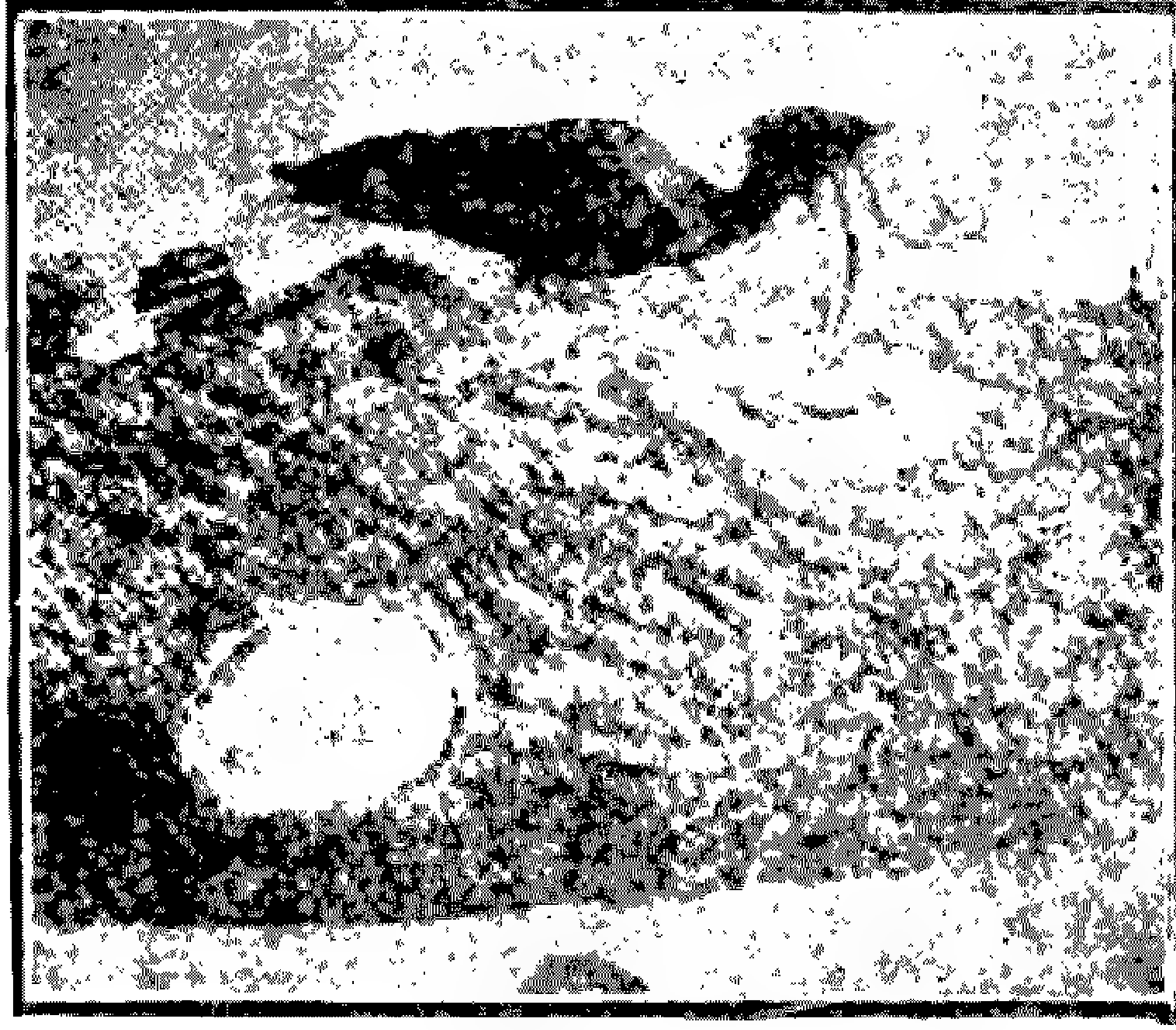
في قعر البحر أو المحيط حيث يبلغ ارتفاع الماء الذي فوقه نحو ميل أو أكثر تعيش أنواع من الحيوان عجيبة فان أجسامها مؤلفة بحيث تتحمل ضغط الماء الشديد لأنها تعيش وكأنها تحمل مدى حياتها عمودا من الماء ارتفاعه ميل ، ولها لذلك لا تستطيع أكله لأنه جاس لا يمتص ، ثم هي لأنها تعيش في ظلام دامس كثيرا ما تستغنى عن عيونها ولها بدلا منها حساسات تشبه حساسات القطة تلمس بها الأشياء فتعرف الفريسة وتميز العدو ، وأحيانا يكون لها ضوء يشع ، فإذا كان لها عيان رآته واهتدت به ، ويرى القارئ في شكل ٣١ طائفة من هذه الحيوانات (انظر شكل ٣١ في الصفحة التالية)







الى آخر . يحمل اليها ما تحتاج اليه من الغذاء . فتظل الأنثى ساجدة الشجرة مدة البيض والحضانة وتربية الفراخ الى أن تطير ولكن الذكر يحفظ عهد الأمانة لها فلا يتركها ولا يهملها بل يخدم حاجاتها . وهذه العادة الراسخة التي يتصف بها النساف تؤدى الى سلامة الفراخ ووقايتها من السنجاب الذى هو أعظم خطر يتهدها . ومن القروء التي تكثر فى غابات المناطق الحارة . وهكذا نرى فى الحيوان من الوفاء والحرص على ذويه ما لا نراه فى كثير من بنى الانسان ( انظر شكل ٣٢ )



( شكل ٣٢ - ذكر النساف خارج باب العش ومنقاراً نشاء ممتد من الداخل يتناول منه الطعام )

### ﴿ جمال العلم وبهجة الحكمة ﴾

رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء . هاهى هذه الآيات اللاتى أوجبت الظرفى الأبيض والأحمر والأسود واختلاف الأوصاف والأحوال . ولما اطلع على هذا ذلك العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير قال : هنا أمران جديران بالذكر . أمر نباتى ، وأمر حيوانى . أما الأمر النباتى فهو الذرة التى أمكن أن يستخرج القوم من عيسدانه وورقه ورقاً للكتابة . وأما الأمر الثانى فهو الجراد الذى عمّ البلاد المصرية فى هذه الأيام والسورية والحجازية والنجدية والسودانية وكلاهما داخل فى الآية لأن الآية تشمل الحيوان والنبات . فقلت له : أما كون ورق الكتابة يستخرج من حطب الذرة فقد تقدم فى هذه السورة فى قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها - فهذا من الرحمت اللاتى أطلقها الله للناس فلم يمسه أحد ، فإذا تريد بعد ذلك . قال : أنا أريد أن تميظ اللثام عن ثمرات هذا الخير للارحم الاسلامية بأن تجعله موضوعاً اقتصادياً كما هو شأنك فى هذا التفسير إذ نراك تفتنر الفرص فى صغيرات الامور وكبيراتها فتتخذ منها سلاحاً لقتل الجهل واحياء العلم ، ولكنك لما كتبتها فيما تقدم رأيك لم تعلق عليها شيئاً ولم تحث المسلمين على اقتفاء آثار العاملين النافعين لأمتهم . فقلت : لقد أضرت فى قلبى بهذا السؤال نار الحسرة وأثرت فى نفسى نائرة الحزن والأسى على أمم مزقت كل ممزق كانت سراجاً للعالم مضيئاً وشمساً مشرقة فأقبل ليلها وأدبر نهارها وأصبحت فى حلك الظلام ، ذكرتنى بما قاله العلامة (سديو) المؤرخ الفرنسى فى (صحيفة ٢٦٨) فى النسخة المترجمة وهذا نصه : « وقد استعمل العرب بيت الابرة من ابتداء القرن الحادى عشر فى سفر البحر والبرّ ومخاريب الصلاة وصنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية فى سمرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية القطن بالحرير فصار القطن يستخرج منه الورق المسمى (الورق الدمشقى)

الذي ذكره المؤرخون ، وأنشئ في أسبانيا معامل من الأقمشة البالية وسابق أهل ولنطيه وقسطالونيه في هذه الصناعة أهل كزطيوه واستعمل ورق العرب في القرن الثالث عشر بقسطيله اتى شاع منها استعماله في فرنسا وإيطاليا وانكلترا وألمانيا ، ولكن ورق الكتب العربية المكتوبة بخط اليد يفوق ورق الفرنج لطافة ولعانا كما فاقه بما كان العرب تختاره من تزويقها بأبهج الألوان والأحبار والأزهار . وما أسلفناه هو كيفية ظهور تحكم العرب في جميع فروع تمدن أوروبا الحديث ومنه يعلم انه من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر كان عند العرب أوسع ماسمح به الدهر من الأدبيات وأن نتائج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم النفسية تشهد أنهم أساتذة أهل أوروبا في جميع الأشياء كاللواذ المختصة بتاريخ القرون المتوسطة وأخبار السياحات والأسفار وقواميس سيرالرجال المشهورين والصناعات العديدة المثال والأبنية الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم المهمة ، ولهذا كله وجب الاعتراف برفعة شأن هذه الأمة المحمدية ، الخ

وقد قال قبل ذلك بأسطر : « إن اختراع العرب الورق وبيت الابرة وبارود المدافع قد غيرا الحلة الأدبية والسياسية والعسكرية في جميع الدنيا » وقال : « ولا عبرة بما زعمه بعض الفرنج من انه سلب من العرب شرف ذلك الاختراع ونسبه للصين مدعيا انهم عرفوا ذلك منذ زمان قديم ، وأبطل ذلك بأن الطباعة لو كانت معروفة عند أهل الصين لنقلها عنهم العرب ، فأما بيت الابرة فليس من المعقول انهم عرفوه وهم لم يزالوا الى سنة ١٨٥٠ ميلادية يعتقدون أن القطب الجنوبي من الكرة الأرضية سعبرتلظي (ومعلوم أن الابرة تتجه للقطين) وهل عرفوا استعمال البارود استعمالا مختلف الأفانين الذي بقي أثره عند العرب المشهود لهم باستعماله أصنافا من القتل في حصارهم مكة سنة ٦٩٠ ميلادية وباستعمالهم في مصر في القرن الثالث عشر البارود المتخذ من ملح السبخات ليرى به نحو قتل ذات صوت كالرعد ، وذكر استعماله أيضا في معرض وصف البحرية التي عقدها ملك تونس مع أمير أشبيلية في القرن الحادى عشر كما استعمل في حصار جبل طارق سنة ١٣٠٨ ميلادية ، وحصار اسماعيل ملك غرناطة لمدينة (بائظه) سنة ١٣٢٤ وحصار طريفه (سنة ١٣٤٠) وحصار مدينة الجزيرة سنة ١٣٤٢ \* وحكى المؤرخ (فراراس) أن الرصاص رى بالبارود في تلك الحصارات فابتدأ نصارى اسبانيا من ذلك الوقت باستعماله » اهـ

هذه بعض ذكريات الماضي أيها الذكي التي أثرت أنت نائرتها في قلبي . ماذا أقول وقد عمّ الجهل وطمّ ولم يستيقظ كثير من المسلمين للجهالة الفاشية ولم تطلع الأجيال المتأخرة على أمثال هذه الأقوال التي يذكرها الفرنجة ، نعم قد حكم الترك أبناء العرب وتسمى ملوكهم بأسماء خلفاء الاسلام فنعموا العلم منعنا باننا فأظم ليل المسلمين لاسيا العرب قرونا وهذا زمان العز والعلم

هاأنذا ذكرت لك الورق وانهم أخذوه عن الصين ولم يكن له أصل إلا الحرير فاخترع المسلمون في زمن الصحابة والتابعين أى في العصر الأول أن يكون من القطن وارتقت الصناعة حتى صار من الخرق لبالية في اسبانيا ، ثم صارت أوروبا كلها تتعلم منهم ولم يصلوا بشهادة المؤرخ الفرنسى لحسن الورق العربى الجليل ، وهاهوذا يقول : « إن أوروبا عالة على الأمم الاسلامية العربية في صنع البارود وبيت الابرة والورق وبهذه الصناعات قلبت سياسة الأمم وآدابها وعسكريتها

إن الذى أذل الأمم الاسلامية عموما والعربية خصوصا ﴿ أمران أولهما سبب لثانيهما به الأمر الأول ﴾ الجهل ﴿ الثانى ﴾ التفرق : جهلاء متفرقون ، جمعهم الدين والعلم وقد نسوهم ففسهم الله فتفرقوا ولكن الله عز وجل يريد اليوم جمعهم بعد التفرق ، وهذا التفسير من مقدمات النهضة الاسلامية ، ومتى وصل علم هذا الكتاب وما فيه الى آذان أمراء العرب وملوكهم وبقية أمراء الاسلام وملوكهم دهشوا ويقولون فى أنفسهم لم يكن ليخطر ببال علماء الدين أن القرن الأول النبوى يحتوى على عجائب مثل اختراع صنع الورق



من القطن بدل الحرير . أكثر المسلمين يظنون أن العصور الثلاثة الأولى ليس فيها إلا الحديث والفقه فقد ظهر كذب هذا الرأي وأن الورق والبارود قد استعملتا في أوائل تلك القرون الثلاثة وهذان مع بيت الابرّة سبب للرفق الحاضر في فروع الحياة ، وسيقول ساسة المسلمين حين يقفون على هذا : « إذن نحن لسنا على نهج الصحابة رضوان الله عليهم لأننا حصرنا عقولنا في صغائر الأمور ونسينا ما تكنه عقولنا من الآراء السديدة والحزم الشديد والحكمة والاختراع ، فلماذا لا نفكر فيما لدينا من الزرع والشجر وكيف يكون القوم قد اتخذوا من حطب الذرة ورقا . أوّاه : لقد فعلوا ما فعل أجدادنا أيام النبوة . أجدادنا استغنوا عن الحرير الذي عرفوا من الصين انه منه يصنع الورق بالقطن . وهؤلاء الفرنجة قالوا بل نحن نستخرج الورق من الخشب بدل القطن الذي عرفناه من المسلمين بل نستخرجه أيضا من حطب الذرة . حطب الذرة الذي لا قيمة له أصبحت له قيمة شريفة اذا صار ورقا . إذن في حقولنا من الثروة ما لا حصر له . حطب متروك منبوذ جعل ورقا . وعيدان مبتذلة صارت ورقا . وكما في الأرض وفي الزرع من منافع جهلناها . فلنقدم على العلم ثم العمل ولنفكر » هذه هي التي يقولها أشرف المسلمين حين يقرؤون هذا القول ويوقنون انهم مقصرون وأن تقصير أهمهم انما جاء من الجهل والجهل هو آفة الانسانية الآن . انتهى الكلام على الأمر الأوّل

### ﴿ الأمر الثاني وهو الجراد ﴾

فقال صاحبي فأفص القول في الأمر الثاني وهو الجراد . فقلت له : أما الجراد فاني لم أطلع على أحواله كما اطلعت على الكلام في حطب الذرة . فاذا سمعت منك فيه قولاً أمكنني إذن أن أوجه الخطاب لأُمّ الاسلام ذا كرا ما يناسب المقام . فقال :

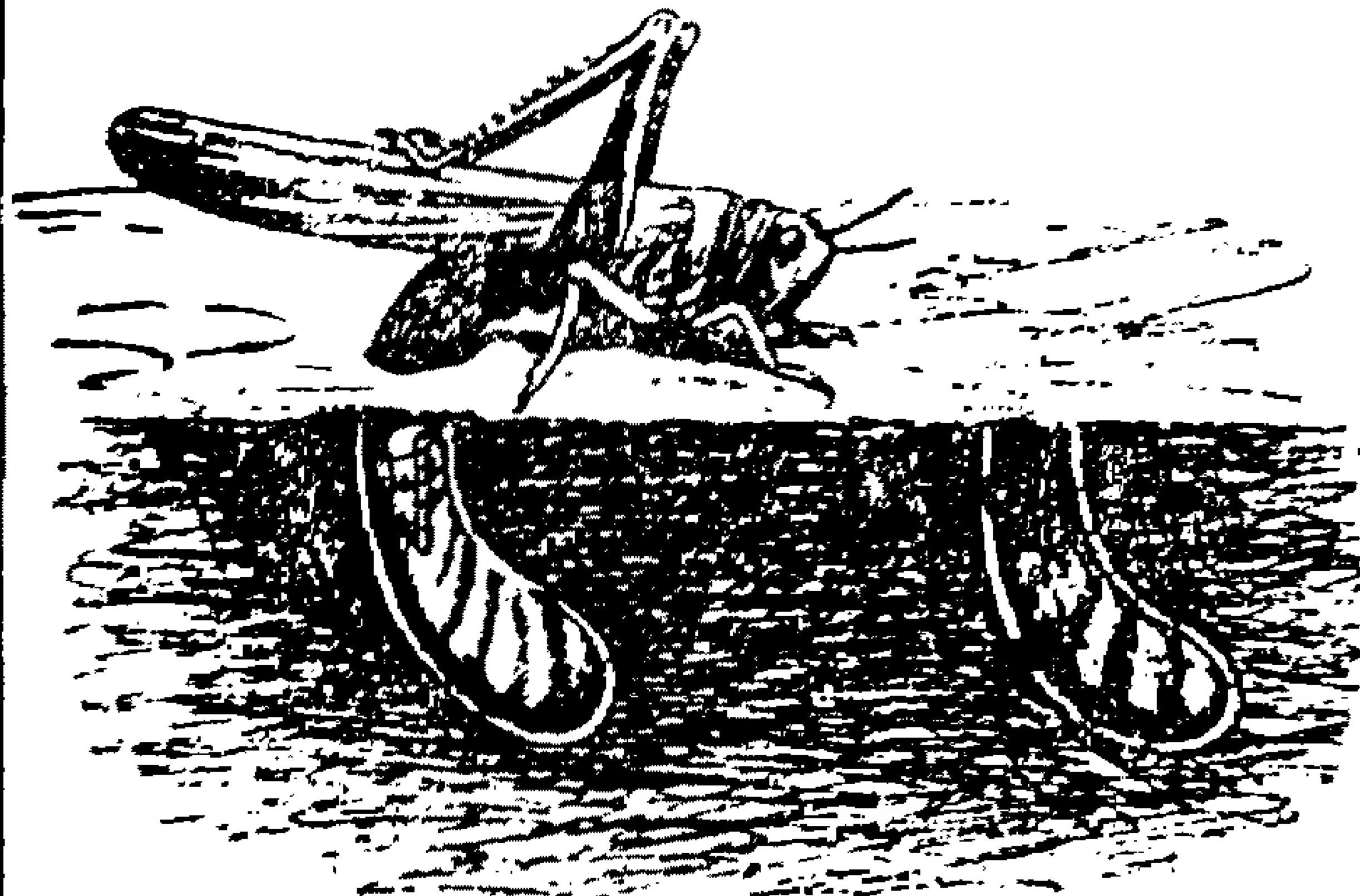
﴿ غارة الجراد الكبرى على مصر في شهر ابريل سنة ١٩٣٠ ﴾

جاء في مجلة « الدنيا المصورة » في ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ ما يأتي :

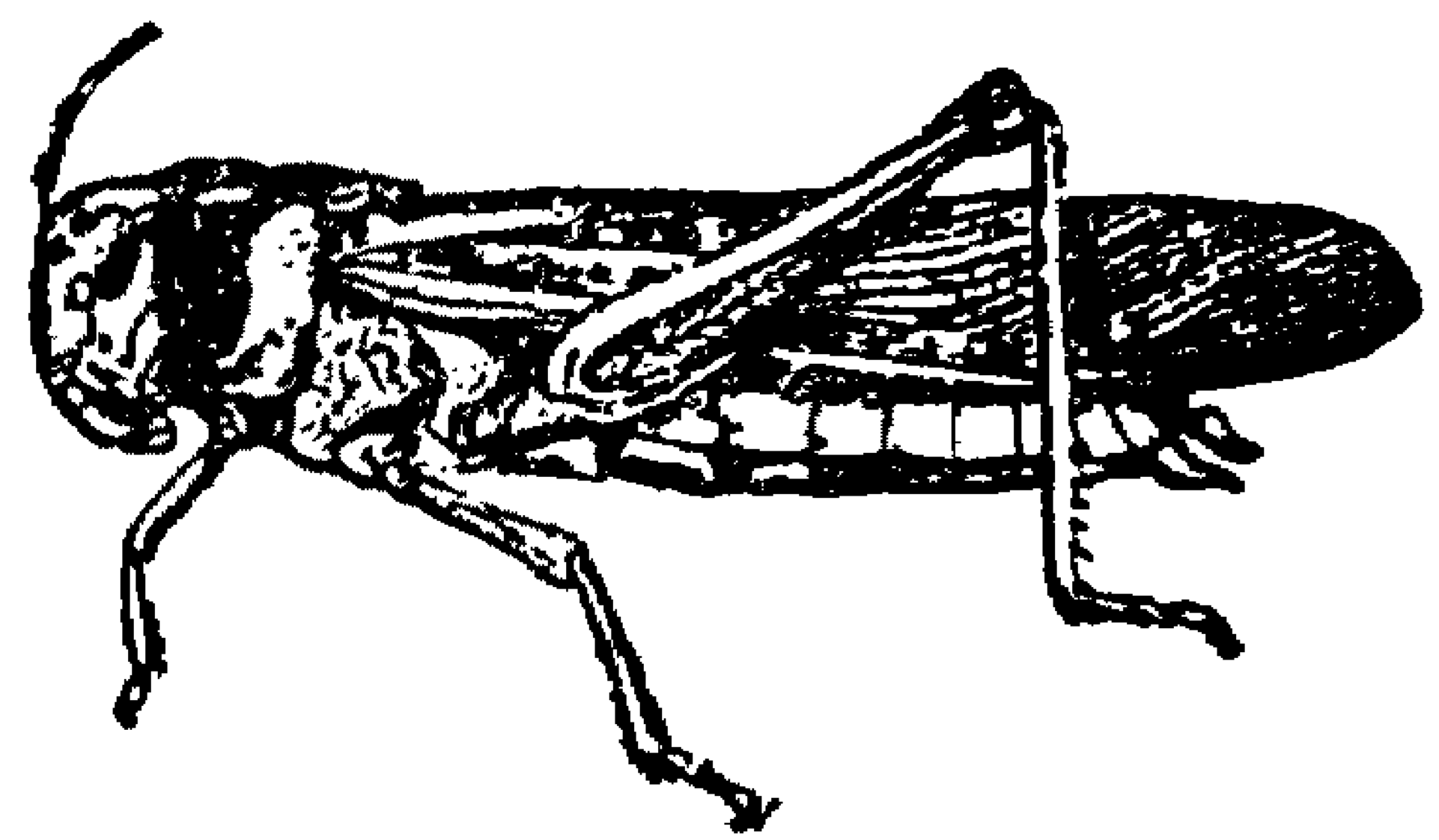
﴿ غزوات الجراد في مراکش . انظر شكل ٣٣ ﴾

انقضت جيوش الجراد فدمت المزارع والحقول في ممالك جة . فهي في مصر والأفغان وبلوخستان والعراق وسورية والحجاز واليمن والسودان والحبش وشمال افريقيا . وقد خرج الفلاحون من مراکش يلتقطون الجراد ويجمعونه في أكياس . وقد خرجوا أيضا مرة أخرى في وقت الفجر تحت ارشاد شيوخ القرية لمكافأة الجراد . ثم جاء ما ملخصه ان الجراد أنواع ونوع منه يسمى الجراد الراحل هو الذي يهجم على مصر وهو يؤكل في الهند مقلوا بالزيت ويأكله العرب في بلادهم وفي السودان يحفظونه ويحمصونه ويحفظونه فيكون طعاما . ويعتقدون انه يشفي بعض الأمراض . ويقال انه ينشأ في السودان والحبشة وبلاد العرب ونجد فيتناسل ويفقس ثم يرحل وفي رحلاته يسير (٦٠) كيلومترا في الساعة وله مواعيد محدّدة ، لجراد السودان الذي يغير على مصر يأتي لها في مارس ويرحل بعد أن يكون طاف ببلاد العرب ، وله بين كل عشر سنوات وخمس عشرة سنة غارة كبيرة رهيبه ، وآخر غاراته سنة ١٨٩٠ سنة ١٩٠٥ سنة ١٩١٥ ثم هذه السنة ١٩٣٠ م وقد جمع أهل مصر سنة ١٩١٥ م نحو (١٣) مليونا كيلوجراما من الجراد ونصف مليون ، ومن بيضه (٤٢٤) كيلوجراما من البيض وهو ٢٧ ألف مليون بيضة ونصف مليون والأشئ تضع بيضها بأن تمتد بطنها وتحني طرفه كأنها زاوية قائمة مع الأجنحة وتحفر حفرة تغرز فيها بطنها ( انظر شكل ٣٤ ) وتضع البيض كتلا كل كتلة أشبه بمنقود كل عنقود يكون ما بين (٨٠) و (١٢٠) بيضة . وقد تكون كتلتها (٥) أو (٦) ثم تسد الحفرة وتفرز عايبها مادة بيضاء كزلال البيض فتتجمد وتسد الثقب وبذلك تحفظ الفقس من الحشرات وغيرها . وطول البيضة (٨.٨) ملليمترا وعرضها (١.٨) ملليمترا وطول الكتلة (٤) سنتيمترا . والد كرينهش الأثني بعد وضعها فيكسر رأسها فيعض عليها . وبعد مدة من (٣) الى (٦)

أسابيع يفقس ويخرج الجراد الصغير المائل للخضرة ثم يسود بعد ساعات قليلة و يغير جلده خمس مرات كالأفاعي وفي كل مرة تخرج بحجم أكبر ثم تظهر الأجنحة وتكمل في مدة بين (٤٠) و (١٠٠) يوم فيكون أحر اللون شديد الخطر ومتى بلغ قلّ خطره ويهتم إذن بالتناسل . خطره وهو أحر اللون شديد فاذا كبر كان خطره في النسل . وقد هجم الجراد على مصر هذه السنة (١٩٣٠ م) من جهة السودان أولا ثم من جهة (طورسينا) ثانيا . وقد أرسلت بلادنا المصرية بعثة لتعرف مصدر الجراد فرأت تلك البعثة أنه ينشأ في جبل علي (بنشديد الباء) وفي وديانه في السودان . وقد عرفت أن هذا الجبل ووديانه هي أمتع حصون الجراد وهو أعظم منطقة للجراد وتناسله (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤)



( شكل ٣٤ - الجراد توضع البيض )



( شكل ٣٣ - الجراد )

فلما فرغ من كلامه قلت له : فإذا أقول لك ؟ ان هذه مما احتوته هذه الآية فان فيها الأجر والأخضر والأصفر . فقال أريد أوضح من ذلك . فقلت هي تدخل في قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم - . فقال : العموم هنا لا يكفي . فقلت : أليست من آيات الله تعالى - فقال : أنا أريد ما هو أوضح . فقلت : هي آيات مفصلات . فقال : مفصلات ! الآيات المفصلات هي آيات القرآن . فقلت : وآيات الأكوان . ألم يقل الله تعالى - وكل شيء فصلناه تفصيلا - . فقال : ولكن جعلك الجراد وحده آية مفصلة يعوزه دليل خاص . فأولا أذكر الدليل الخاص على انه آية مفصلة . وثانيا كيف كان آية مفصلة وما برهانه وما نتاجه التي ستظهر في بلاد الاسلام بسبب هذا التفسير . فقلت : أما كون الجراد آية مفصلة فهو ما قاله الله تعالى - فأرسلنا عليهم الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات - فالجهال يسمعون هذه الآيات وتمر عليهم وهم لا يعقلون . وأما حكماء هذه الأمة الذين سيأتون بعدنا فانهم يعلمون أن التفصيل سيظهره العلم الذي يلهمه الله لقلوب واعية اسلامية في مستقبل الزمان . فان حكماء هذه الامة اذا تدبروا أحوال الجراد الذي يصيب البلاد العربية خصوصا والاسلامية عموما يفهمون أن هذه آيات العلوم

(١) أولا للأحوال الاقتصادية

(٢) وثانيا للأحوال السياسية

(٣) وثالثا للإصلاحات الدينية

(٤) ورابعا لعروج النفوس الانسانية الى عالم القدس والجمال والفرح بالحكمة والبهاء والصفاء

فقال : لقد شرحت صدرى بهذا التفسير قبل أن تفصل تلك الآيات فان هذه العنوانات العظيمة لتدلى على علم وحكمة تؤخذ من هجوم الجراد على مصر في الأزمان القديمة والحديثة ، فاشرح لي الأمر الأول وهو الأحوال الاقتصادية . فقلت : لقد خلق الله هذا الانسان في الأرض ورباه وعلمه السياسة والاقتصاد ولكنه الى الآن لازال طفلا صغيرا وهذا الطفل تصيبه الكوارث والنوازل والمواقظات فهو يرتقي قليلا قليلا ولكنه



بطيء النمو ، هذا الجراد أرسله الله على أهل مصر بلادى فى قصة موسى وفرعون ليكون زجرا لفرعون إذ أذاق بنى اسرائيل عذاب الهون ، ولكن ليس القرآن لأجل بنى اسرائيل وحدهم ولا لموسى وإنما هولنا ، فالله يقول لنا : « هذا الجراد أرسلته عقابا للناس على سوء فعلهم » فلنبحث عن سوء أفعالنا فإنا نجده فى أمر واحد وهو الجهل ، وعلينا نحن المسلمين اليوم أن نستيقظ ونفهم . أن الله عز وجل هو الذى خلق النبات وخلق الحيوان . ومن الحيوان الجراد . وأعظم حصن للجراد جبل عليه (بتشديد الياء) فى السودان والوديان التى بجانبه . فى هذا الجبل يخلق الله الجراد ومنه يصدر الى البلاد الاسلامية كما تقدم . فلنبحث إذن فى هذه . أهى نعمة أم نعمة ؟ إن الله يقول : « فأرسلنا عليهم الطوفان - فهو بدأ بالطوفان وثنى بالجراد . فأى طوفان فى مصر ؟ هو طوفان النيل . فكما طغى النيل على مزارعنا فى مصر اتخذنا له جسورا وقناطر لحفظنا فانتفعنا به . إذن الطوفان الذى هو آية مفصلة أرسلها الله على أهل مصر قد عرفنا حقيقة أمره والانتفاع به فأصبحت بلادنا اليوم عامرة يسكنها (١٤) مليوناً بعد أن كانت نحو مليونين منذ قرن . ذلك بأننا فهمنا هذه الآية وهى طوفان النيل لحفظنا وانتفعنا بمائه فصار نعمة بعد أن كان نعمة . هذا هو تفصيل آية الطوفان فلنتبع الكلام على الطوفان بالكلام على الجراد وهو الآية الثانية المفصلة فنقول :

كما ان النيل يهلك الحرث والنسل اذا ترك وشأنه وينفع الناس اذا حوفظ عليه . هكذا يكون أمر الجراد . الجراد أهمه يخرج من (جبال عليه) فى السودان كما يخرج النيل . والنيل قد انتفعنا به . أفلا نفعل هكذا فى الجراد . إن الله يقول هو آية مفصلة . أما تفصيلها لفرعون وآله فأمره ظاهر . وأما تفصيله لنا فانه يحتاج الى حكمة وعلم فأقول :

كما ان الماء يحفظه يخرج الزرع ويدرك الضرع هكذا الجراد فيه منافع عظيمة اذا عرفنا قيمته فهذه هوذا إحصاءه سنة ١٩١٥ ميلادية ببلاد مصر . فهو كان نحو (١٣) مليوناً كيلوجراماً من نفس الجراد و (٤٢٤) كيلوجراماً من البيض . ولما شاع أمر الجراد فى مصر سنة ١٩٣٠ فى أثناء طبع هذا التفسير كتبت للحكومة المصرية فى جريدة الاهرام قائلاً : « أيتها الحكومة . لقد قرأت قريباً أن الجراد فى بعض الممالك قد أخذته شركة أورو باوية وعصرته واتخذت منه زيتاً وهذا الزيت كان خيراً من كل زيت فى الطيارات (أقول وكأن الله عز وجل لم يطلع من قبلنا على ذلك الزيت لأنهم لم يستأهلوا تلك النعمة . أما نحن اليوم فأهل لها) ثم قلت : وما بقى من جسم الجراد بعد العصر جعلوه علماً للبهائم ،

هذا ما كتبتته للحكومة المصرية . ثم لم تمض أيام على هذه الكتابة حتى جاء من بلاد البلجيك نبأ رسمى فى خطاب للحكومة المصرية يقال فيه : « الى أين تصدرين الجراد ، وإلى أين تصدرين بيض الجراد ؟ » وهذا الخطاب يراد منه أن تلك الشركة تريد أن تقوم بشراء ذلك الجراد وذلك البيض لتصنع ما صنع بالجراد الذى قرأت عنه فى بلاد جنوب افريقيا ، وقد أدرجته فى هذا التفسير سابقاً وكتبت به الحكومة المصرية كما قلت آنفاً كل هذا حصل فى هذه الأيام وحكومتنا المصرية لم تحرك ساكناً . والسبب فى ذلك أن البرلمان والحكومة مشغولان بمعاهدة الانجليز وبلاستقلال وبلاامور السياسية ، ولوانهم كانوا فى حال أحسن من هذه لقال قائلهم « إن أجسام الجراد البالغة (١٣) مليوناً من الكيلوجرامات لو أننا عصرناها زيتاً للطيارات واستخرجنا منها (٦) مليوناً من الكيلوجرامات زيتاً ، فإذا يكون ثمن ذلك كله ، فلو أن الكيلوا الواحد بقرش واحد لكان عندنا (٦) ملايين قرش وهى (٦٠٠.٠٠٠) جنيهه ، وليس من المعقول أن يكون هذا الثمن حقيقياً بعد المصاريف بل يكون أضعافاً مضاعفة ، فإذا أضفنا اليه ما بقى من جثمان الجراد وهو (٧) ملايين فانه لا ينقص عن نصف قيمة الزيت المذكور لأنه يكون علماً للبهائم يغنى عن الفول والبرسيم بل هو أجل وأحسن . إذن الجراد فى ظاهره نعمة وفى حقيقته نعمة . فالحكومة المصرية التى صرفت مائة ألف جنيه لاحتراق الجراد ومطاردته

وانلافه لو انها عصرته زيتا وجعلت جثمانه علفا لأخذت من ذلك أضعاف ماصرفته  
فأنا أذكر هذا إبقاظا للمسلمين بعدنا أن يفكروا في هذا ويبحثوا حقيقة ما قرأت أنا في الجرائد ، هل  
عصيره زيت للطيارات وهو خيرها من كل زيت ، وهل الجثمان الباقي بعد العصر خير علف للبهائم ، فليبحثوا  
وليفكروا وليعملوا هذا في مثل مصر من كل أمة لم تعتد أكل الجراد ، أما الأمم التي تأكله كبلاد العرب فالأمر  
فيه ظاهر ، هو نعمة حقا وصدقة ، نعمة ساقها الله لهم وهي ظاهرة واضحة ، فالناس يدفعهم حب حفظ الحياة  
الى الاتحاد على المقاومة كما يتحدون على حفظ جسور النيل ، وهذا الاتحاد يقوى عاطفة المودة بين الناس ويلهب  
الشعور العام بين الناس في الوطن الواحد وفي الأوطان المتجاورات . هذه هي الآية الأولى من آياته المفصلات  
وهي الاقتصادية

### ﴿ الآية الثانية من آيات الجراد وهي آية الأحوال السياسية ﴾

اعلم أن أبناء العرب في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام والعراق والموصل وهكذا في  
الصحراء الكبرى والسودان . كل هؤلاء يبلغون عشرات الملايين . فهذه أمة واحدة أصبحت أمما متفرقة  
لاراعى لها ولا أمير يجمعها ولا عالم يوقظها بل هو قوم مختلفون وطوائف متشاكسون . فأنا الى الله أشكو  
واليه أضرع أن يهدي هذه الأمم الى حال سعادتها . ويهديها الى رشدها . هذه الأمم هي أنفسها التي انتشرت  
في مبدأ الاسلام من أرض الحجاز ونجد واليمن فكانت في العراق شرقا والموصل وامتدت الى تخوم الصين  
والهند وأيضا بلاد الفرس وسمرقند وبخارى

هذا من جهة ومن جهة أخرى توغلت في السودان وفي جنوب أوروبا فتوطنت في الأندلس ثم ذهبت  
الى جنوب فرنسا في وقت ما كانت حكومتها واحدة ثم أخذت تنزق رويدا رويدا حتى انحلت عصبيتها  
وتفرقت وجهتها وذات أعقابها لأنهم جاعات لاجاعة واحدة وأمة واحدة . علم الله ذلك قبل أن  
يخلق السموات والأرض وأن هذه الأمة بما فيها من الفضائل النفسية والنخوة العربية والقوة الأدبية  
وانكار الذات والحرص على الكرامة والشرف وحسن الذكر والاباء والشهم والكرم وما أشبه ذلك ستنتشر  
في الأرض الدين وبها تنموج الأمم ويحصل لعملها آثار تظهر في جميع العالم قديمه وحديثه ، وأن الأمم ستنتج  
للتعليم العام في الصين واليابان وأمريكا وأستراليا . كل ذلك بما أحدثت هذه الأمة من الفتوحات في أول  
نهضتها وما نشرت من صناعة الورق وبيت الابرة والبارود كما تقدم قريبا في كلام الاستاذ (سديو الفرنسي)  
فأحدثت في الأرض نهجا جديدا في العسكرية والآداب والنظم

أقول : علم الله ذلك كله فأزل في القرآن (الم) في أول سورة آل همران تذكرة بآية - ألم تر الى  
الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - الخ التي ترجع الى أن اليهود أيام النبوة قوم اتكلوا على مجد آبائهم وشفاعات  
آبائهم وناموا فأذلم الله وجعل ملكهم للعرب كما تقدم وانحنا هناك ، وأن (الم) المذكورة في أول السورة  
تشير الى (الم) المذكورة في أول هذه القصة التي بها يتذكر أبناء العرب خصوصا والمسلمون هموما أن الانكال  
على مجد الآباء وشفاعتهم بلا عمل بلاهة وجهالة ، وهذه الجهالة كما انها انتزعت ملك اليهود منهم هكذا انتزعت  
ملك العرب منهم فتفرقوا ، ومتى قرأوا علوم الأمم المحيطة بهم وعرفوا بالتاريخ انهم أمة واحدة بل انهم هم من  
خير أمة أخرجت للناس وانهم لا يلبق بكرامتهم ولا بشرف أصلهم ولا بحقائق دينهم ولا بفضائل الرسول ﷺ  
أن يكونوا أجهل الأمم ممتازين بالتفرق والانحلال فلم يساروا أمة ما من أم الأرض ، فالصين ذات لغة واحدة لها  
حكومة واحدة ، وهكذا اليابان اتحدت نسبا ولغة فاتحدت سياسة ، ومثلها الانجليز والألماني والفرنسيون  
والإيطاليون ، فكل هؤلاء لهم لغة واحدة فكانوا أمة واحدة في السياسة ، فالعجب كل العجب أن يكون  
أبناء العرب مثلا من أقاصي السودان الى بلاد الموصل ومن جبل طارق الى حضرموت والعراق لا تكون لهم



حكومة واحدة مع اتحادهم ديناً ونسباً ولغةً واتصالهم في البلاد . كل هذا تقدم مفصلاً في سورة آل عمران أقول : اذا عرفوا ذلك وأدركوه في الكتب المنتشرة اليوم وفي هذا التفسير فانهم لاجرم يسعون للاتصال فيكونون أمة واحدة كما فعلت الممالك المتحدة لكل جماعة منهم رئيسهم الذي رضوه إما من سلالة اسنتب ملكها عندهم وهم بها راضون ، واما بطريق الانتخاب هيئة رئيس منتخب وهؤلاء الرؤساء ينتخبون من بينهم رئيساً كما فعلت الممالك المتحدة تماماً

هذا هو الذي تدعو اليه آية (الم) في أول (سورة آل عمران) خزنها الله في القرآن لتظهر آثارها في زماننا عند الحاجة اليها كما خزن الفحم الحجري في الأرض وأبرزه الآن لننتفع به . هذا ولم يقتصر وعظ هذه الأمم على الآيات المسموعة القرآنية بل أنزل لهم آيات نظروها بعيونهم وهي آيات هذا الجراد المفصلات ، إن الجراد كما تقدم من الآيات المفصلات ، فهو آية مفصلة في الاقتصاد كما تقدم وهو آيات مفصلات في السياسة ، أرسله الله على هذه الأمم وهو يهاجم مثلاً مصر تارة من بلاد السودان وتارة من طريق طور سيناء ، ويهاجم العراق والشام وهكذا . فهذه الآية واضحة ظاهرة مبينة فإن الجراد يهجم على بلاد العرب من مراكش الى العراق والموصل يذكر أبناء العرب مثلاً ويقول لهم : « أنا الجراد . أمتي أمة واحدة . فإذا هاجت بلادكم المرة بعد المرة ولكرة بعد الكرة وأنتم تقتلونني وتحاربونني وتطاردونني وتحرقون وتملكون مئات الملايين وملايين الملايين من جنودي فهل تفرقنا شيعاً ؟ وهل اختلت صفوفنا ؟ أفليست الجحافل الجراد التي هجمت على دياركم سنة ١٩١٥ هي مثل الجحافل والجيوش الجراد التي هجمت على بلادكم في سنة ١٩٣٠ وهكذا سأرجع لكم الكرة بعد الكرة تذكرة لكم بالاتحاد وستخجلون اذا قرأتم العلوم وتنورتم إذ تقولون يا ويلتنا أعجزنا أن نكون مثل هذا الجراد فتتحد مع اخواننا ونكون مملكة واحدة كما اتحدت أمة الجراد كما قال أحد ابني آدم - يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي - بل ان سوءة التفريق والتخادل في البلاد العربية الاسلامية أعرق في الفضيحة وأظهر في الخزي من جسم غراب وقع فوق الأرض ، فهذه أم وأم ربما تبلغ ثمانين مايونا تفرقت شذرمذرو لم تعقل ماعقله الجراد بغريزته إذ اجتمع وكون مملكة واحدة وقد جعله الله آية يقرؤها المسلمون في أمثال هذا التفسير فيرجعون بحمدكم ويكونون مملكة واحدة . وهذا آت بعد نشر العلوم في هذه الأقطار

### ﴿ تذكرة ﴾

آيات الله على ﴿ قسمين ﴾ آيات مسموعة ، وآيات منظورة ، والآيات المسموعة هي الكتب السماوية ، والآيات المنظورة هي هذه العوالم المشاهدة ، وللأول الإشارة بقوله تعالى - إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون - وللثاني الإشارة بقوله تعالى - ويريك آياته فأى آيات الله تنكرون - وبقوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وهي الآية التي نحن بصدد الكلام عليها . وبقوله - ولقد أرينا آياتنا كلها فكذب وأبى - وبقوله - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - وبقوله - ألم تر أننا نسوق الماء الى الأرض الجرز - الخ فهذه كلها آيات مشاهدة والآيات المشاهدة يحاسب عليها الناس اذا قصروا فيها لأنها في الحقيقة المقاصد الحقيقية للآيات المسموعة . ألم تر أن الله بعث غراباً يبحث في الأرض ليري ابن آدم كيف يواري سوءة أخيه . فالغراب إذن مبعوث لنا ليرينا . والجراد مبعوث لنا ليرينا ، وكل هذه آيات مفصلات لنا ، إن جميع الأمم في الأرض وجميع أنواع الحشرات والطيور والكواكب مبعوثات لنا مسخرات لتكون باعنا لنا على الفكر والبحث والنظر فننتفع بها في الحياة ونذكر به العقول . واذا كان الغراب علمنا صناعة دفن أمواتنا أفليس هذا معناه أن كل ماحولنا يعطينا دروساً من دروس الحياة . وهل أنزلها الله في القرآن

لمجرد التلاوة . كلا . ثم كلا . بل ان القرآن كتاب أنزله الله للناس مبارك ليذبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب  
إذن هذا القرآن نزل لفتح أبواب العلم على مصراعيه لأولى الألباب . فإذا وجدنا فروض الكفايات قدوجبت  
بمقتضى آية التوبة - فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة - الخ فليزدنا تأكيداً ذلك الوجوب بما نشاهد من  
آيات الحشرات والحيوانات المنظورة اللاتي تعطينا دروساً ودروساً والله هو الولي الجيد . وبهذا تم الكلام  
على الأمر الثاني من آيات الجراد المفصلات وهي الأحوال السياسية

### ﴿ الأمر الثالث وهو الكلام على الاصلاحات الدينية ﴾

إن أهل هذه الأرض قد أنزل الله لهم ديانات في أوقات مختلفة . وهذه الديانات متى تنزلت عليهم تؤل  
في آخر أمرها الى أحوال تلك الأمم وأخلاقهم وعوائدهم وهذا دين البوذية والبراهمة . هذا الدين حرم أكل  
الحيوان شفقة ورحة : وذلك نظرجزنى سطحي . إن أكل الحيوان هو عين الرحمة . إن من قرأ ما تقدم في سورة  
﴿ سبأ ﴾ من أن الأرض ( تلك الحشرة التي تبنى لها مدناً فوق الأرض وترفعها (٦) أمتاراً كثيراً وتوسع الى  
مدى أميال . وهذه المدن لا يقدر على هدمها الانسان إلا بالديناميت كما يفعل في الجبال اذا أراد أن يقطعها  
بالطرق الحديدية)

أقول : إن هذه الأرض لها في كل سنة وقت معلوم تصدرفيه من ذريبتها ذات الجناح آلاف الملايين تخرج  
كلها في ساعة معينة وتطير في الجو طلباً للتناسل ورغبة في ضوء الشمس ونعيم الهواء بعد الحبس في تلك المدن  
المظلمة مع آبائها وأمهاتها العمياء التي تدير مملكة شاسعة لها منافذ ومنافذ عليها حراس أشداء أقوياء من  
تلك الجنود العمى ذوات الأسلحة الفتاكة التي لا تدرك إلا بالناظير المعظمة . وهذه الذرية ذوات الأجنحة  
المذكورة الطائرات في الجو الفرحات بأنها ستتم بالتناسل والزواج وعليها حليتها من الأجنحة البهجة الجميلة  
الحريرية لا تلبث في الهواء إلا زمناً قليلاً ثم تقع على الأرض ، وهناك تتلقفها الأفاعي والكلاب والهرر وأنواع  
أخرى من الحيوان حتى الانسان فتصطاد وتؤكل ويحمصها الانسان ويجعلها مع السكروريا كلها

فهذه مخلوقات نظمت بحكمة وصدرت في زمن معلوم لحيوانات تأكلها . وهكذا نرى الاسود والنمور  
وسائر السباع ذوات الأنياب المحدثه والجوارح في السماء ذوات المناقير المتلوية المحدودة . كل هؤلاء وهؤلاء قد  
منعت من أكل النبات وأبيح لها أكل الحيوان . وهذه العصافير تأكل الدود وهي مأكولة لغيرها . وهكذا  
الحيات والعقارب تأكل الحشرات . وكذلك سمك البحر بعضه آكل وبعضه مأكول . بل الانسان والحيوان  
اذا هلكن خلقت أمم الدود في أجسامها دلالة على انه لا معطل في هذا الوجود . هكذا الجراد هنا يخرج من  
مواطنه في (جبل عالية) ووديانه ومن غيره ويغزو الأمم كرة بعد كرة فيكون غذاء لها ومتاعاً الى حين ، فذله  
كمثل حشرات الأرض اللاتي تخرج كل سنة في وقت معين والحيوانات تنتظرها طعاماً شهياً . فهكذا هذا  
الجراد يخرج في سنين معلومة كما تقدم وآكلوه منتظروه فلامعطل في الوجود . إذن أهل الديانات اذا لم  
يتفطنوا لعلوم هذه الكائنات فانهم يعيشون جاهلين ويموتون غافلين . فليس نظام هذه الدنيا مبني على  
مجرد الحواس بل هو يجري بقواعد صادقة ثابتة مبنية على العدل والحساب - لا تبديل لكلمات الله -  
والحمد لله رب العالمين . وبهذا تم الكلام على الحال الثالثة وهي اصلاح الديانات

### ﴿ الحال الرابعة . عروج النفس الانسانية الى عالم الجمال ﴾

وهذه منتهى ما ترقى اليه النفوس وتخرج اليه الأرواح . فان نفوسنا اذا فكرت في أمر الانسان والحيوان  
اعتراها الشك والوسواس وقالت : « هذه الدنيا بأسرها دار وبال وخسران » فأهل الديانات في شقاق  
والأمم في ضلال والحيوان آكل ومأكول وهذا الجراد يغزونا ونغزوه . وما هذه الدنيا إلا الوبال والخيال  
هذه آراء جميع العقلاء في هذا العالم الانساني إلا قليلاً منهم وهم المنكرون . أما العامة فهم لا حساب لهم



لأنهم آمنوا بظواهر الديانات وهؤلاء في طبقة خاصة يدخلون الجنة . فأما المفكرون فأكثرهم يتخبطون في دياجى الظلمات شاكون متحيرين . وليس يرقى منهم إلا أفراد قلائل . فهؤلاء يدرسون العلوم الرياضية والطبيعية ولهم عقول مفكرة وآراء محدودة وتكون آراؤهم متوجهة الى الكليات لا الى الجزئيات . ففي أمثال هذا المقام تكون عقولهم في بحافل الجراد المنتشرة الطاغية على بلاد مصر والشام غير مقصورة على آلام الناس من الجراد ولا على أكل الناس له بل يكون النظر متجها الى القاعدة العامة وهي ان هذه الأرض أشبه بشجرة والحيوانات والنباتات من فوقها أشبه بأوراق على أغصانها ، وتلك الأوراق تذبل وتحل محلها أوراق أخرى والنفسن باق الى أمد معلوم . فهذه هي حال الأرض وأحوال هذا العالم . مادة شكلت بأشكال مختلفة بنظام جميل مدهش . فالمادة كالشجرة والأشكال كالأوراق ووراءها قوة مدبرة منظمة حاسبة لكل مخلوق حسابه ونظامه . فهي تزوجه وترقيه وتسوقه الى حكمة من الحكم الكونية البديعة النظام . وهذه الطائفة التي لا أشك أن منها قراء هذا التفسير هي التي ترى ربها وتفوز فوزا عظيما بعد الموت وتكون في أعلى عليين وتفوق العباد (بتشديد الباء) الذين جعلوا جميع حياتهم فيها وهم خلوا من هذه العلوم الجميلة فالعباد هم الصالحون ولهم عند الله أجر عظيم . أما المفكرون بهذا المعنى فهم الصديقون وهؤلاء مقامهم بعد الأنبياء وهم في الدنيا هداة لأهل الأرض وفي الآخرة يرون ربهم ويفرحون به وهم مستبشرون . كتب يوم الأحد ١ يونيو سنة ١٩٣٠

### ﴿ بهجة هذه الآيات ﴾

( من قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها - الى قوله تعالى - كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور - )  
كيف يخشى الله من عباده العلماء ؟

اللهم إنا خلقنا في هذه الأرض ، ولم ندر من أين أقبلنا ، ولا نعرف متى نموت ، وإذا متنا لاندري الى أين ننقل ومع من نعيش ؟ وعلمنا في هذه الحياة علم ضئيل مع ان الحياة بحرلجى واسع الأكناف عظيم عميق فلاندري أوله ولا نعرف آخره . وغاية الأمر أننا نسمع في كتابك الكريم تقول لنا - بحبهم ويعبونه - وتقول - وهو الغفور الودود - وتقول - إن ربكم لرؤف رحيم -

فأنت تحب وترحم وتغفر وتود . هانحن أولاء نظرنا في هذه العوالم المحيطة بنا فألفيناها بحسب احساسنا جوامد وسوائل وغازا كاللحارة والماء والهواء ، ومن هذه تشكلت عوالم وعوالم انتفعنا بها ، ولكننا اذا أقفلنا أعيننا وفكرنا ونحن في حال الصفاء فأننا نحس أن هذه العوالم كأنها نور في خيالنا ونحس بأن وراءها قوة عالية تحمل هذه الأنوار المتلاثة التي نتخيلها أمانات توصلها اليها وهي الأرزاق والعواطف والعقول ، فأما الأرزاق فما هي إلا نتائج لأحوال خاصة لتلك الأنوار المتخيلة في عقولنا وماهى إلا العناصر التي أظهر العلم انها جميعها أنوار متراكمه متحركة أبدا ، فاذا تخيلنا العناصر المادية نورا في أنفسنا فهي في حقائقها نور جفا وان كان نورا متلبدا حتى أصبح مظهرا . وهذه الأنوار الحاملات لأمانات الأرزاق الواصلة اليها هي أيضا حاملات لعواطف وأخلاق تؤثر في حياتنا كلها . وهذه العواطف نراها واضحة ظاهرة مجسمة في رحمة الأم وفي عشق الفتى والفتاة . رحمة الأم والعشق والحب الشهوانيين في الشبان هما أشبه بأنوار البترول الذي نجعله سببا في اضاءة منازلنا وأشبه بالشمع الذي نوقده فيها أيضا . فاذا كان الشمع المتخذ من أقراص عسل النحل والبترول المستخرج من الأرض قد أضاء آلتنا منازلنا بعد غروب الشمس . فهكذا نرى الرحمة والحنان والعطف ثم الحب المنزلات من العام القدسي السارى في الأنوار التي عبرنا عنها بالمادة قد ظهرت في الأم بهيئة

رجة وفي الذكور والاناث من الانسان وغير الانسان بهيئة عشق ، البترول في الأرض وشمع العسل أيضا آلا في منازلنا والشمس أضأت العوالم كلها . ما أشبه ضوء الشمع ونور البترول برجة الأم وتحب الزوجين الذكر والأنثى . وقد جعلت لنا ضوء الشمس العام وانتشاره كضرب مثل لعموم رجتك وحبك وودك . إن البترول والشمع من المواد الأرضية والأرض من الشمس . ورجة الأم وحب الذكور للاناث في كل حيوان أثر من آثار الرجة العامة التي وضعها الله في الأرض نبراسا وهدى لنا بها نهتدى الى فهم رجتك وحبك وودك حتى اذا درسنا ذلك عشنا سعادة لاحت لها وأمنا أمنا لاخوف بعده

فهاك أيها الذكي شذرة من شذرات رجة تعالى العامة وموازينها برجة الأم وودّه وحبّه بمودات الناس وحبهم فنقول أولا : ليس الحب من الله والودّ والرجة كما نرى في حبنا نحن ورجتنا . إنا حبنا ورجتنا حيوانيان وحبّه ورجته هو قدسيان والله مقدّس عن المادة . فحبنا ورجتنا انفعال في أنفسنا وحبّه ورجته قدسيان لانعرفهما إلا بآثارهما في الآفاق وفي أنفسنا . ومن آثارهما حقو الأم وحب الذكور للاناث وغرامهم بهنّ وبالعكس . ولا ريب أن نتائج رجة الأم بولدها مواصلة الجذ والتشهير والسهر على راحة الذرية وجعل جسمها وآرائها وما لها وقفا على تلك الذرية من الشفقة والحنان كما يفعل ذلك نفسه العاشق ولكن على طريق الولوع بالوصال

ومن عجب أن نتائج رجة الأمهات وعشق الفتيان للفتيات إن هي إلا حفظ بقاء النوع الانساني مثلا . فتأتي رجة الأم الحرص على بقاء ولدها ، وتأتي العشق والغرام من أحد الصنفين للآخر انما هو إيجاد ذكور واناث يخلفان هذين المتعاشقين

الله أكبر : أصبحت نتائج الرجات ونتائج أنواع الغرام منصبة على بقاء الأشخاص وبقاء الأنواع . فانظر نظرة واعجب من علوم الأشعار التي أذاعها العشاق ، وأنواع المراثي التي يرثي بها الناس موتاهم وأحزان الأمهات والآباء على أبنائهم فكلاهما موجّهات الى تمنى بقاء هذا النوع الانساني ، فإذا يريد العاشق ؟ يريد الوصال ، وما نتائج الوصال إلا حصول ذرية ، وعلام تسهر المرأة اذا مرض ولدها ؟ تسهر على صحته مؤمنة أن يعيش ، إذن الحب والرجة منصبان وموجهان معا لغاية واحدة هي غاية حياة الأشخاص وحياة الأنواع فاذا سمعت جيلا يشب في بئنة ويقول :

وأول ما قاد المودة بيننا \* بوادي بغيض يابئين سباب

وقلت لها قولا وقالت بمثله \* لكل كلام يابئين جواب

وسمعه يقول :

واني لأرضى من بئنة بالذي \* لو أبصره الواشي لقرت بلابله

بلا وبالأستطيع وبالمنى \* وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة المجهلى وبالحول ينقضى \* وأواخره لانتلقى وأوائله \*

ثم علمت بعد ذلك أنه كلما كان الحب شريفا طاهرا كان أبعث على الأعمال الشريفة ورفعته الشأن وكبر النفس وارتقاها مراقى عالية في مدارج الرقي في الحياة . وبالعكس ذلك اذا تنزل للشهوات الحيوانية فانه ينطفي ولا يؤدى مقصوده ، وبالجملة حب الذكر والأنثى إما أن ينتج الذرية وهنالك ينقلب رجة للذرية فان انتهى بالشهوة نفسها وبمجرد المتعة فانه يكون حقيرا إذ به تسفل النفس وتذل وعاقبته وخيمة ، فأما اذا كان العفاف والشرف فتأججه تحصل في نفس العاشق فان همته تعلق . فتنتج الغرام إما علو في نفس العاشق اذا كان عفيفا ، وأما ذرية ينقلب الغرام الذي كان أولا رجة بها . وأما سقوط مروءة مع الدناءة والخسة اذا انتهى بالشهوة البهيمية وحدها فان الذم والعار في الدنيا يقتربان بالفاسقين



أقول : اذا سمعت ذلك فاعلم أن الحب على ( ثلاثة أقسام ) حب أدنى . وحب أوسط . وحب أعلى . وقد علمت مراتب الحب الأدنى وهو الحيوانى فان نتائجه الصحيحة ( اثنتان لاغير ) نتيجة ترفع نفس العاشق الى العلا . ونتيجة توجهه لاحداث الذرية . فأما الحب الأوسط فانه أعلى من الحب الأول وهو حب العلوم . وحب العلوم إما أن يكون موجها للعمل بحيث تكون مباحث العلوم لها نتائج راجعة للمجموع الانسانى كالعلوم الرياضية والطبيعية وعلوم الصناعات . فهذا كالعشق المؤدى الى ايجاد الذرية . وإما أن يكون موجها الى المباحث العامة كالتى فى هذا التفسير بحيث تكون العلوم كلها موجهاة لرفعة نفس النوع الانسانى من حيث بعث الهمم وارتقاء العزائم واحداث اليقين فى النفوس وتوجيهها الى المحبة العامة والاخوة والترغيب فى حوز المعالى . فهذا أشبه بالعشق مع العفة الذى أورش فى النفس انبعاثا الى المعالى ولكن الفرق بينهما أن ذلك انبعاث شخصى وهذا انبعاث عام لأنك علمت أن حب الذكور للامات حب أدنى وغاية الامر أن النفس الانسانية بما لها من السلطان والقوة حوائجها الى منفعة لها فأحدث لها هممة وعنقو نفس . أما حب العلوم فهو أوسط . فاذا جعل الانسان حب العلوم وسيلة لجمع المال له خاصة كان حبه أسفل طبقات الحب وكان ذلك أشبه بمن أحب ولا عفة عنده وانتهى حبه بالشهوة البهيمية كما انتهى حب صاحب العلم بالشهوة المالية

( مثال حب العلم الذى أثبتنا انه أعلى من سابقه )

ما جاء فى إحدى المجلات المصرية فى شهر مايو سنة ١٩٣٠ من نبأ بعثة علمية دولية تنسلق الجبال من كبار العلماء برئاسة الاستاذ ( ديرنفورث ) إذ أخذت هذه البعثة تنسلق جبال همالايا المسماة ( كانش جونغجا ) وهى الثانية فى الارتفاع بعد ( ايفرست ) وأهوال هؤلاء المنسلقين أعالى الجبال أشد من أهوال رواد القطب الجنوبى والشمالى لأن الجليد يغطى قمم الجبال بسمك ( ٨٠٠ ) قدم ، وهؤلاء المرتادون يعيشون فوق الجليد والرياح العابثة تعصف بهم ، وسلسلة جبال همالايا ارتفاعها ٢٠٠٠ ألفا ميل ، ومن قممها ما يرتفع ٢٤٠٠٠ قدم وتزيد ، وعدد القمم المذكورة ( ٧٥ ) قمة ، ولقد حاول العلماء الوصول الى أعالى تلك القمم فمجزوا ، وقد ذهب العالم ( دوجلاس فرشفيلد ) سنة ١٨٩٩ وقضى سبعة أسابيع فى دورته حوله ووصف المناظر التى رآها فقال انه لم يرفى حياته ما هو أجل ولا أبهى من مناظر ذلك الجبل الذى تكسوه قطنسوة من الجليد الأبيض الناصع الذى يشبه القطن النقى المنقوش ، ولقد ورد موارد الهلاك أثناء ذلك التساقى مرات كثيرة ولقد حاولت ثلاث بعثات الوصول الى تلك القمم فلم تصل ومات أكثرهم بالرياح العاصفة وبالثلوج التى تنقض عليهم فتهلكهم . أما البعثة الرابعة فهى فى طريقها عند كتابة هذه الأسطر فى هذا التفسير فى شهر مايو سنة ١٩٣٠ م

هذه هى الطبقة الوسطى فى الحب وهو حب العلوم . يا سبحان الله . نسمع مجنون لىلى يقول :

وانى اذا ماجئت لىلى أزورها  
بأرى الأرض تطوى لىلى ويدنو بعيدها

من الخفريات البيض وذ جليسها  
اذا ما انقضت أحداثها لوتعيدها

وزى العاشقين فى الدرجة الدنيا يقدمون أنفسهم للهلاك ويقدمون على الموت باطمئنان وراحة بال اذا حرموا من الخطوة بالمحسوب . وفى الدرجة الوسطى وهى درجة العلماء نراهم يقدمون أنفسهم للموت سراعا من أجل قمة جبل أو مناظر قطب . ولكن لما كان حب العلم أعلى كان عاما فى الشيوخ والشبان . وأما ما قبله فهو خاص بالشباب أيام حرارة الشهوة فاذا كبر قل :

قضيت سنون بالوصال وبالهناء  
فكأنها من قصرها أيام

ثم انقضت أيام هجر بعدها  
فكأنها من طولها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها  
فكأنها وكأنهم أحلام

هذا كلام الانسان إذ كبرت سنه وتذكر أيام شبابه . أما حب العلم فهو لا يختص بسن معينة بل يزيد بكثر السن . أما الدرجة الثالثة فهي العنايا وهذه خاصة بطبقة تمتاز عن سابقتيها . فانظر لأهل الدرجة الدنيا في العشق فانك ترى عشقها محصورا في محاسن انسان خاص وهذه لم تجعل إلا توطئة للدرجة الوسطى والوسطى مقدمة للدرجة العليا وهي درجة العلماء الذين يخشون الله . فإذا خشي العاشق في أدنى الدرجات هجر تلك الفتاة التي افتتن بجمالها . وإذا خشي علماء البعثة العلمية فتك الثلج بهم في (جبال همالايا) وهم يحبون أن يتسلقوها . فالعلماء المفكرون الدارسون مثل هذا الكتاب الناظرون لهذا العالم أشد لله خشية من خشية عاشق امرأة أن تهجره ومن خشية مفلس جيل أن يهلكه . إن خشية العاشق مقدرة بمقدار جمال المعشوق وعاقب قدره والناظرون للجبال والشجر والدواب والماء والزرع والثمار وما أشبه ذلك . المفكرون في عجائب هذه الدنيا عشقهم وغرامهم لاحد له وخشيتهم لمبدع هذا الوجود لاحد لها . فهو لاء ينظرون فيقولون : إن هذا الجسم الانساني قد أخذ من الأرض والماء والغذاء وشرا به . ومن الهواء اصلاح نفسه وحروف كلامه ووصول الروائح له ، ومن ضوء الشمس هدايته للسبل وتدفعه جسمه واصلاح أحواله . ومن مناظر السماء ودوران الأفلاك عدد أيامه وشهوره وحساب سنه . وقد وزعت حواسه على هذه العوالم . فللغذاء والشراب حاسة الذوق . وللمواد كلها من حيث الحرارة والبرودة والثقيل والخفة وهكذا حاسة اللمس وللروائح حاسة الشم وللأضواء حاسة البصر وللحواء حاسة السمع . إذن هو لم يذر مخلوقا حوله إلا وجد في نفسه استعدادا لتناوله تناول ماديا أو تناول معنويا

يقول الحكميم في نوع الانسان العوالم كلها متصلات بي فلا كواكب ولا سحب ولا هواء ولا رياح ولا شجر ولا حجر ولا نبات ولا حيوان إلا لها اتصال بي . وذلك طبعا يدعو الى التفكير فيها وهناك يبحث في الجبال الذي نقش فيها كما نظرجيل جبال بثينة وتوبة جبال ليلي وكثير جبال عزة فهماموا في ذلك الجبال الجزئي من العالم المادى وكما هام العالم (مالرى) والعالم (سومرفيل) والعالم (نورتن) بحب استطلاع جبال همالايا وطلعوا اليها سنة ١٩٢٤ م فلما نصبوا خيامهم ومكثوا أسبوعين على جبل جليدى هناك حتى هبت زو بعة اكتسحتهم واكتسحت خيامهم ، ولكن حب الاستطلاع غلب عليهم فقد رجعوا كرة أخرى وصمموا على أن يصلوا الى مقصودهم أو يموتوا فرجعوا في ٢٠ مايو من تلك السنة وانضم اليهم غيرهم ، ولكن البرد أهلك أربعة منهم فرجع الباقون كرة أخرى وطلع فوق القمة رجلان منهم فالتهمتهما سحابة قضت على حياتهما . كل ذلك نتائج حب العلم ، وحب العلم ضحايا أكثر عددا من ضحايا حب الذكور للاناث . إن حب الشرف والمجد وهو الحب الأوسط لاتعد ضحايا الغرام المعروف بالنسبة لفرائسه شيأ مذكورا . وأرق منه وأشرف وأعلى منزلة حب الجبال العالم في هذه الدنيا . ولهذا الحب طائفة أرق وأعلى من الطائفتين السابقتين ولذتها وسرورها أعلى من سرور الطائفتين قبلهما بما لاحد له ، فلئن أغرم (الدوق ابروزى) عم ملك ايطاليا المعاصر لنا الى ارتقاء جبال همالايا ، وكذلك العلامة (دوجلاس فرشفيلد) و(الدكتور بوير) وغيرهما وقالوا جميعا : إما هلكا وإما ملكا ، وكذلك غرام كثير بعزة وتوبة بليلى ليكون غرام هذه الطائفة غير محصور في مناظر الثلج في أعالي جبال همالايا ولا جبال امرأة خاصة بل غرامها بالنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والأنهار ، فهم يجدون الجمال في تركيب أجسامهم وتركيب الذرات وخطرات الرياح وهبوب النسائم وتمایل الأشجار ونغمات الحشرات وأصوات الطيور وضوء البرق وبهجة السحاب ورؤية الضباب وسير العلماء وفهم ذرات الكيمياء ونظام الحركات الكوكبية . فالأشجار والأحجار والأنوار والظلمات والنجوم والعلوم وكل دقيق وجليل من هذا الوجود أنواع من الجمال يذكر بمحبوب غائب لم تره عيونهم ولكن أدركته قلوبهم . فهو لاء اذا سمعوا بالهوى العذرى في الأمة العربية الذي ينتهى بموت العاشقين هناك قديما



أواهوى اليبابى الذى بلغنا خبره حديثا . وأن كثيرا من الشبان يرمون أنفسهم من أعلى حرمانهم من الاتصال بمعشوقتهم . وإذا سمعوا أيضا أن عشاق العالوم والكشف للقطب الشمالى أو الجنوبى قد رضوا بالموت طوعا لما شغف قلوبهم من الغرام الأوسط وهو الغرام بالاطلاع . فهؤلاء إذن يرون أنفسهم فى ساحة من الغرام لاحد لها لما يرون من جبال لانهاية له ، واذن يهون عليهم الموت فى سبيل حبيبهم لذات لم ترها عيونهم هى مصدر جمال عزة و بئينة و ليلي و جمال الثلج فى قم جبال همالايا الذى افتن العلماء به فهاموا وهلكوا وهم يكشفون عن ذلك المحبوب

إن هذه الطائفة ترجع كرة أخرى فتتظر فى أمر رجة الأم وحب الشبان فتتأججهما بذل كل ماتلك الأم وما يملك العاشق . ولكن الذى صنع العالم بذل مالا حد له . فأين المناسبة بين ثياب وطعام وشراب لطفل من أمه وبين هذه العوالم كلها المبذولات للانسان . وإذا كان ذلك لا يعرفه إلا العلماء ولا يعقله إلا هم فإن خشية الله عندهم أعلى من خشية العاشق لمعشوقه

وقصارى القول وحجاده أن فى الحيوان لاسما نوع الانسان مبدأ ونهاية . أما المبدأ فهو العشق والحب وبهذا تكون الذرية . وأما النهاية فهو أن ينقلب الحب الى رجة تلك الذرية والى الحب النافع الدائم بينهما . إن غرام الذكور بالاناث وحب الاناث للذكور لم يكن إلا الحكمة وهى حصول الولد . وهناك ينقلب غرام كل منهما بالآخر شيئا فشيئا الى حب و رجة . أما الحب فإن كلا منهما يحب الآخر للتعاون على أمر الحياة وهو أشرف من الحب الأول وهناك يذبل الجمال إذ لا منزلة له فهو كزهرات الرىاض يذبل اذا ظهرت الثمرات . وأما الرجة فهى أن كلا منهما يعطف على ولده عطفًا كليًا وينذل نفسه وماله فى إرضائه وهو فرح به قرب العين ، وهاتان العاطفتان ترتقيان عند الحكماء ، فالعشق والحب الحيوانى ينقلب عند الحكيم الى عشق العوالم كلها من حيث ادراك حقائقها ، فكما نسمع جيل بن منعم يقول :

وما زلت يا بن حتى لو اتى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا

ونسمع عمر بن أبى ربيعة المتوفى سنة ٩٣هـ يقول فى الثريا بنت على بن عبدالله بن الحارث وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل

أيها المنكح الثريا سهيلا \* عمرك الله كيف يلتقيان

هى شامية اذا ما استقلت \* وسهيل اذا استقل يمانى

ونسمع الخزومى يقول فى عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير :

ظعن الأمير بأحسن الخلق \* وغدا بليك مطلع الشرق

ونسمع مجنون ليلى كما يقال وينسب اليه يقول :

وأخرج من بين البيوت لعلنى \* أحدث عنك النفس بالليل خاليا

أقول : كما نسمع هؤلاء يقولون ذلك وأمثالهم كثير نسمع عددا أكثر منهم من الحكماء يؤلفون الكتب ويولعون بالبحث فى العوالم ويعشقون العلم عشقا مفرطا وكثير منهم مات وهو دائب فى بحثه ، ومنهم من يجد لذة فى مبعثه فيزيد فرحه فيموت من شدة الفرح ، وأكثر الكاشفين للباحث العلمية لم يكن ذلك الكشف إلا عن غرام وحب كما اتفق لكاشف أمريكا ( كريستوف كولومب ) فقد خاطر بنفسه وبرجاله وحاولوا أن يقذفوه فى البحر ولكن القدر نجاه بظهور أمارات تدل على العمران . إذن عشق العلم عند الحكماء لم يخرج عن كونه عشق الجمال ، فجمال وجه ليلي و بئينة وابنى عرفه الشاب بنظرات العين وجمال العوالم المحيطة بنا يعرف بالعين وبالعقل وبالسمع . وهناك يزداد العشق والغرام بازدياد المعرفة إذ لا غرام إلا بمعرفة . فهذا هو المبدأ عند الحكماء المقابل للمبدأ عند الشبان كما قدمنا . أما النهاية فهى (أمران) حب الله

تعالى ورجة المخلوقات . فكما نرى الزوجين انقلب غرامهما الى حب أحدهما للآخر ورجة للولد . هكذا هنا ينتج حب العلم ﴿ أمرين ﴾ حب الله تعالى حبا يليق بحمالة ، ورجة النوع الانساني . إذن قراءة أمثال هذا التفسير تنتج حب العلوم وحب العلوم ينتج ﴿ أمرين ﴾ حب الله تعالى على مقدار العلم بمصنوعاته ورجة النوع الانساني إذن كلما كثر علم العالم بالمعجائب في هذه العوالم ازداد حبا في ربه ورجة لعباده وسعد سعادته لاحد لها لأنه قد وصل الى اليقين . وهذا كله نتائج هذه الآية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر - الى قوله - إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور - إذا علمت ذلك وفهمته حق معرفته فهمت ما يقوله الامام الغزالي في الجزء الرابع من كتابه المسمى « إحياء علوم الدين » تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم ﴾

( وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة )

اعلم أن اللذات تابعة للأدراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبيعتها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ماركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للثأفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبيعتها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبيعتها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة الى مدرجاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسامى فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراك خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية ولتسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن تدم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبيعتها المعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يفتن به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمتع به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشرطنج على خسته لا يطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرنح الطبع اذا أشهى عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الشئ كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحرارة والحيطة كلذة العلم وسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملاكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجعله لذة وان جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فان علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في سياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فان اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس فان كان خيرا بباطن



أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيّب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشدّ وحبّه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فبهذا استبان أن الذّ المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكل والاشرف والاعظم فالعلم به الذّ العلوم لاحالة وأشرفها وأطيّبها . وليت شعري هل في الوجود شيء أجمل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزيناها ومبدئها ومعيدتها ومدبرها ومرتها وهل يتصور أن يكون حضرة في الملك والكمال والجلال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها ومعجائب أحوالها وصف الواصفين فإن كنت لانشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات والذّها وأطيّبها وأشهاها وأحرى ماتستشعر به النفوس عند الانصاف به كمالها وجلالها وأجدر مايعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين أن العلم لذيد وأن الذّ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدييره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فيدنى أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فإن اللذات مختلفة بالنوع أولا كمخالفة لذة الواقع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوّة كمخالفة لذة الشبق للمغتم من الجماع للذة الفاجر الشهوة ومخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل للفائق الجلال للذة النظر الى مادونه في الجلال وانما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فإن الخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها ألذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا لللس ولا للذوق . والمعاني الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوز ينج و بين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فإن كان الخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان على الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أيما كثيرة فأختياره للرياسة يدل على أنها ألذ عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة يعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعتة . فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الأمور الإلهية ألذ من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس مأخفي لهم من قرّة أعين وأنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لاحالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكور وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقق الخلق الذين يرأسهم له بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوباً بالسكودرات التي لا يتصور الخلق عنها وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قدرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين الى أسفل السافلين فانها خالية عن المزايدات والمكدرات متسعة للتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهايه لعرضها فلا يزال العارف بمطالعها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت

لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وانما الموت بغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن جنسها فأما أن يعدمها فلا - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولا ظن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر أن الشهيد يتنق في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فإذا جيع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يقبوا منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها جسمه وشخصه فهو من مطالعة جلال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوى السكال من لذات الخواص كلها وإن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا صبي ولا معتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لنزوى السكال مع لذة الرياسة ولكن يؤثران الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذائقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة كما أنه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنبر لأنه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف . ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأور الإلهية فقد استكشفوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات والتحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فانها أيضا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو النقي اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرجه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه الأشياء وأنه لالذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخي له أخبرني بأبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانتفاع عن الخلق فسكت وقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحبيته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام إذا رأيت الفتى مشغولا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عموما سواء ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يا كلان ويشربان قالت فانت قال علم الله قلبه رغبتني في الأكل والشرب فاعطاني المظر اليه وعن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملك كان عن يمينه وشماله يلقيمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة اقدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوف من ناره ولا شوق إلى جنته بل حباله فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لربعة ما حقيقة إيمانك قلت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حباله



وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما

أحبك حين حب الهوى \* وحبا لأنك أهل لذاكا  
فأما الذي هو حب الهوى \* فشغلي بذكرك عمن سواكا  
وأما الذي أنت أهل له \* فكشفك لي الحب حتى أراكا  
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي \* ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لأحسانه اليها وانعامه عليها بحفظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجلاله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقد تتجمل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية . ولذلك قال بعضهم إني قول يارب يا الله فأجد ذلك على قلبي أنقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اى يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا أو كفرا فقصده العارفين كلهم وصله واقاؤه فقط فهي قرّة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لم يفهم الاحب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأى معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي أهواء مفرقة \* فاستمجمعت مذراة العين أهوائى  
فصار يحسدني من كنت أحسده \* وصرت مولى الورى مذصرت مولائى  
تركت للناس دنياهم ودينهم \* شغلا بذكرك ياديني ودنيايى  
ولذلك قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره \* ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا الا اشارة لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنسكاح فان الجنة معدن تتمتع الحواس فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بهاستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلىها وأقواها كما قال تعالى - اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون إن تسخروا منافقا تسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

هذا ما أردت نقله من كتاب الاحياء ، واعلم أيديك الله أن حب الله وحب العلوم المذكورين في كلام الغزالي المذكور قد مهدت له الطرق في زماننا تمهيدا أتم من الأزمان السابقة فان المسلمين في العصور المتأخرة

كانت معارف جلال العالم محصورة عندهم في كتب قليلة غير موصحة ولا منضلة وشي كتب التوحيد وكتب الفلسفة . أما في زماننا فان الله عز وجل قد أوسع دائرة المعارف وبذلها للناس قطبة والمسلمون منهم فعلهم اليوم أن يغترفوا منها ، ولقد أخذ المؤمنون في ديار الاسلام يتفننون في فنون الحكمة ويعبدون طرقها وأجد الله إذ جعل لمن يقرؤن أمثال هذا التفسير مراقى وسلام يرتقون بها الى الأعمال الشريفة في الدنيا وفي حب الله تعالى وفرق ما بين النابغين في أمم الاسلام قبل اليوم وبينهم بعد زماننا أن النابغين في الأمم الاسلامية المتأخرة أكثرهم كان يجعل همه الانقطاع عن الناس كما يفعل البراهمة في الهند ، أما النابغون بعد الآن القارئون لأمثال هذا التفسير ، فيؤلاء يحدون أن الله يوجب عليهم الجذ والنشيم في حوز العلم بجميع أنواعه ، وسينبغ قوم في الكيمياء في معاملها ، وآخرون في رصد الكواكب وحسابها ، وآخرون في النبات والحيوان والحشرات وهكذا ، وآخرون في علم طبقات الأرض وتكون العلوم كلها موجهة ﴿ لغرضين اثنين ﴾ الغرض الأول ﴿ خدمة المجموع بها كما تحنو الأم على ولدها بالعطف والشفق والسهرة ﴾ والغرض الثاني ﴿ ازدياد الغرام بالعلم ونظام العالم مع حب الله والغرام بلفائه ، ومن يعيش يره ، والحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الأحد ( ١١ ) مايو سنة ١٩٣٠

### ﴿ بهجة علمية في الحب والغرام ﴾

لطالما خطر لي في هذه الآونة من المعاني الشائقة في الحب ، اننى رأيت أن الأم المحبة لولدها والعالم المحب لأتمته والمحسن المحب لمن أحسن اليهم . كل هؤلاء أكثر حبا للولد وللأمة ولين أحسنوا اليهم من الآخرين الى الأولين كما هو مبرهن عليه . فاذا رأينا الله عز وجل إحسانه ورأفته أعم وأعظم . أفلا يكون حبه لمخلوقاته أكمل وأعظم من حبهم له لاسيما انه يقول - يحبهم ويحبونه - مع ملاحظة الفرق بين الحبين إذ حبنا له حب حادث ناقص وحبه منزله مقدس له معان غير مانع عنها وعلى هذا يكون كل ألم وكل مرض وكل سوء وكل فقر لم توجه لنا إلا لاسعادنا وتكميلنا حتى نصلح للقاءه ونشاهد ذاته ، وأيضا لم نجد أبا ولا أما ولا مأكلا ولا أميرا له إحسان يوازي احسان الله لمخلوقاته ، واحسان الله للمخلوق لم يكن عن كراهة إذن هو عن ذلك الذي سميناه حبا منزها عن سمة الحوادث

أقول : فهذه المعاني التي كانت تحتاج في نفسى لم أجد لها تعبيرا يليق بها ولا كسوة جيدة تلبسها - حتى أظهرها في هذا التفسير ، أفلا أجد الله إذ رأت نفسى هذه المعاني بنصها وفصحها ظهرت على السنة قوم قبلنا فانظر واعجب أيها الدكي لما جاء في الاحياء في الحب وهذا نصه :

« أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لما تواشوقوا اليّ وتقطعت أوصالهم من محبتي ، ياد اود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين عليّ ا ياد اود أحوج ما يكون العبد اليّ اذا استغنى عني ، وأرحم ما أكون بعبدى اذا أدبر عني ، وأجل ما يكون عندي اذا رجع اليّ »

وقال أبو خالد الصفار : « اتى نبي من الأنبياء عابدا فقال له : انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه . أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق »

وقال عبد الله بن محمد : « سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهى باكية والدموع على خدتها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لا شترته شوقا الى الله تعالى وحبا للاقائه . قل فقلت لها أفعلى ثقة أنت من عمالك ؟ قالت لا ولكن لحي إياه وحسن ظنى به . أفتراه يعذبني وأنا أحبه ؟ »

ومن خطاب الله لداود عليه السلام : « ذكرى للذاكرين . وجنتي للطيعين . وزيارتي للمستقين . وأنا خاصة للمحبين »



ويقال « الشوق نار أشعلها الله في قلوب أوليائه حتى يحرق بها مافي قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات » انتهى

﴿ بهجة الجبال ليلة ١٤ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية ﴾

أكتب هذا صباح يوم الأربعاء من نفس هذا الشهر . هل لك أيها الدكي أن أحدثك عن الجبال والبهجة في المزارع النضرات والنخلات الباسقات في دجنات الظلمات . هل لك أن أريك كيف يكون العلم أثناء الرياضات وتشتق الحكمة من الحقول العطرات والجبال من جوانب الطرقات

ذلك انني كنت يوم الاثنين الماضي وهو آخر أيام التشريق الثلاثة في مزرعتنا بقرب القاهرة وهي قرية من بلدة المرج أنظر في أمر الزرع والحصاد والحساب بيني وبين المستأجرين للأرض ، وهكذا كانت هناك هجمات الجراد على البلاد فقابلني الموكلون بآباده وهم يجمعون الرجال والأطفال ليهلكوا ذلك الجراد من الأرض ويبدوا صفاره اللاتي خرجن من البيضات اللواتي دفنها الجراد في الأرض وقضيت معهم زمنا طويلا حتى اذا أرخى الليل سدوله قفلت راجعا الى بلدة المرج لأركب القطار وأتوجه للقاهرة ، فاكبت أقرب من بلدة المرج المذكورة حتى شاهدت منظرا بديعا جيلا لم أشعر بنظيره أمد الحياة ، وما هو ذلك المنظر ؟ هو نفسه الذي أشاهده منذ عشر سنين ، نعم هو نفسه ولكن هذا المنظر في هذه الليلة يمتاز بالظلام الساكن الهادي فوقفت والنخيل حولي من الجهات الأربع فرفعت طرفي الى السماء اذا أمامي ﴿ منظران مدهشان ﴾ منظر البدر شرقا ومنظر النجوم غربا . نظرت البدر بوجهه المشرق يطل من بين الجريد والخوص وعراجين النخلات وهو يفيض على الأرض أنهارا من الفضة الدائبة كأنه ملاءة تغطي جذوع النخل وعراجينه وتغني وجه الحقول بالبهجة اللامعة والأنوار الساطعة والجمال الباهر . وهناك في جهة الغرب كأن الكواكب قطع من الماس جيلات باهرات تنفذ أشعتها من خلال النخيل . فالبدر شرقا والنجوم غربا . ذهبن باي من الجمال والنضرة والرياح عابثات بالغصون والجريد والجذوع والزرع والحشائش ذات الغوير والترنح . وهناك سمعت غناء الحشرات في تلك الأرجاء . فهي إذن حانة جمعت بين رقص الزرع والأشجار وغناء الحشرات وألحان أعواد النخيل وأوراق الزرع والأغصان . وهناك خيل الى أن البدر (وقد علا في الأفق فوق تلك النخلات الباسقات) يخاطبني قائلا : « لقد أعجبك أيها الجوهرى منظرنا الجميل وآنسك ماترى من نور باهر وجمال ساحر . لقد مررت في هذا المكان قبلك رجال ورجال في قرون مضت وأتم خلت أيام الفراعنة القدماء ودولتي اليونان والرومان والأمويين والعباسيين والاشيدين والطولونيين وهكذا الى أيامكم هذه وقليل منهم المفكرون هأنت ذا اليوم حبست في الامور الجزئية والأعمال الزراعية والأحوال الاقتصادية والحيرة في أمر الجراد . فنظرنا الذي تراه يبشركم بالسعادة والبقاء . ألا ترى أن أعمالكم الجزئية المدنية من زراعية وتجارية وصناعية ليس لها مستقر ولا بقاء وحياتكم ذاهبة وأعمالكم كلها ستصبح في خبر كان . فالجاهل لا يعقل ما فوق ذلك أما الحكيم فانه يتذكر بمنظر الكواكب في سمائك . أنكم مخلوقون للدوام كما دمت أنا ودامت النجوم قرونا وقرونا فرأنا أجدادكم الأولون وهكذا أنتم لنا الليلة تنظرون . وما أنا أيها الجوهرى وما النجوم إلا ضرب أمثل للدوام الروحي فأرواحكم دائمة كما دامت أنوارى على توالى القرون والسنين وأشرقت في نفس هذه البقعة درأها من قبلكم وسيرأها من بعدكم . نحن تذكرة لكم بأمرين : جلال الله الدائم الباقي وان اعتزكم الحوادث المزجمات المهلكات . وبقاء أرواحكم على مدى الزمان »

إن هذه الخواطر كلها قد استغرقت عقلى وأثرت في نفسى وكأني غير واع لما حولي . وكنت أخشى أن يمر انسان فيكون سلامه على قاطعا للفكر فكان ذلك وسلم رجلا فرددت سلامه ولكن الفكر لم ينقطع بل ازداد وضوحا وكأني أقرأ في وجه البدر الذي فهمت من منظره هذه المعاني آيات أخرى . ذلك ان العباد في

الأم الإسلامية أشبه بذلك النجم الذي ظهر من خلال النخلات غربا والعالم الحكيم الذي درس العلوم أشبه بنفس هذا البدر والناس بينهما درجات

يعجبنا : إن ذوى العقول الكبيرة في الإسلام إذا قصرُوا أنفسهم على علم الفقه أو العبادة كانوا أشبه بهذا الكوكب يرى صغيرا جدا فإذا درس نظام هذا العالم كان كالبدر بل كحقيقة النجم لأنه كثيرا ما يكون أكبر من الشمس . إن المسلم إما قادر على العلم وإما قادر على منفعة الناس وإما عاجز . فالأول كالبدر إذا درس العلم والثاني ينفعهم في دولهم وأمورهم العامة . والثالث لجزءه يقتصر على العبادة وحدها . ومن الجهل والبلادة أن تكون العقول الكبيرة محصورة في العبادة اللفظية بل عليهم التوغل في العلوم ليكونوا بدورا لأمم الإسلام ولا فليكونوا نافعين بالأعمال ولا فليكونوا في المساجد وهذه آخر المنازل التي تشبه النجم وهو غير في نظر الإنسان . هذا آخر ما فهمته من مناظر البدر والنجوم والشجر والزرع والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى - أولم نعمركم ما يتذكرفيه من تذكر وجاءكم النذير - ﴾

( تذكرنى )

هأنذا أيها المسلمون قبل أن أفرق هذا العالم أكتب إليكم تذكرى ونذرى . أكثر هذا النوع الانساني لا يعيش فوق الستين ، وقليل منهم من يعيش الى السبعين ، والنادر من يجاوز ذلك الى المائة ، والشاذ جدا يجاوزها

نظرت في هذا العمر الانساني نظرة غير نظرة الأطباء . الأطباء في عصرنا يقولون : إن الانسان يستحق أن يعيش ( ٢٠٠ ) سنة ولكنه بجهله وشره وعدم انتظام شهواته قطع حياته قبل ذلك ، واستدلوا على ذلك بسكان البادية الذين يعيشون الى ( ١٥٠ ) وأكثر وأقل بلامرض ولاعطب وهم أقوياء الأبدان أهل صحة وقوة وجمال ، ويقولون : « إن الحيوان يعيش ثمانية أمثال مدة نموه والانسان ينمو الى ( ٢٥ ) سنة وهذه بضر بها في ( ٨ ) تساوى ( ٢٠٠ ) فإذا حافظ الانسان على صحته واستغنى عن العقاقير الطبية واكتفى بالماء كل البسيطة وتعرض للشمس وأكثر من الرياضات الجسمية وعاش عيشة خلوية فانه يعيش الى المائتين كما عاش كل حيوان ضعف مدة نموه ثمان مرات

هذا حكم الأطباء وقد ذكرته في ثنايا هذا التفسير ، وقد أجمعوا على أن ترك الشهوات والتعم والاكتفاء بأبسط الأطعمة خير ما ينفع في ذلك ، ويستحسنون أكل الذواكه فإن أمكن الاقتصار عليها فبها ونعمت والا استعان الانسان بالحبوب والخضر وامتنع عن أكل جميع التوابل ولا يشرب قهوة ولا خرا ولا شاي وهو الشاي المعروف ولا يدخن التبغ . ويستحسنون أن يستغنى بالقواكه عن السكر ويقلل من الملح ويأكل الخبز بلانخل . اقرأ هذا في سورة الشعراء عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - وفي طه عند ذكر آدم في آخر السورة وفي أول سورة الحجر عند قصة آدم وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى - ولا تسرفوا - وفي سورة البقرة عند آية - أن تبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - فستجد في بعضها ما قرره ابن خلدون في مقدمته من أن الذين اقتصروا على طعام الدرة والزيت لم يقر بهم الطاعون ، أما الذين أكلوا أنواع اللحوم والأدهان ونوعوا الألوان فان الطاعون بيدهم ويفنيهم إلا قليلا ، وقال ابن الأثير يتصفون بالصحة والذكاء والجمال والعلم والعبادة وحسن الخلق وصفاء العيش والشجاعة وأن الآخرين يتصفون بالمرض والبلادة وقبح الصورة والجهل وترك العبادة وسوء الخلق وكدر العيش والخبث

هذا كلام الأطباء فأرجع اليه . وانما ذكرته هنا لأذكرك بعلم الطب ولترجع فتدرس ذلك قياما بحق



جسمك ورقيا لأمتك واسعادا لك في حياتك اذا كنت مستعدا لها ومع هذا كله است الآن في مقام كلام الأطباء بل أنا في مقام آخر وهو انى أفسر آية - أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر - فأريد أن أبين لك ما يحتاج قلبي في هذه الحياة وما أعرفه من نذرها تذكرة لك وتنشيطا للمسلمين وذكرى لقوم يعلمون هذه هي تذكرتى في الحياة ، لقد نظرت في حياة الناس على الأرض فوجدت أكثر الآجال مناسبة لهذا العالم الأرضي ، فليقل الأطباء ماشاؤا ، وليقولوا إن الناس قد أساءوا في صحتهم واكثروا ألوان الطعام والشراب والتفانى في المهلكات واللذات اللاتى يمنع لذة الحياة ويحطن الانسان بالأسقام والعلل وتنغيص الحياة وقصر العمر فليقولوا ذلك ، ولكن هذا الانسان دلى مأبه من عوج رأياه يتعلم فى الأمم الراقية وينتهى تعليمه فيما بين العشرين والثلاثين غالبا فيجده حاز درجات التفوق فى العلم والفنون وأخذ بعد ذلك بفيض من علمه على أمته ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ رأينا مدة النمو التى ذكروها وهى (٢٥) سنة هى المدة التى ينمو فيها علمه فكأن نمو الجسد ونمو العلم فرسا رهان معا يبتدئان ومعا ينتهيان غالبا ، ثم بعقب تلك المدة اننا نراه يأخذ فى الأعمال ويؤلف الكتب وينشر العلوم بين الناس وليس لنا فى الحياة إلا علم أولا وعمل ثانيا ، فلعلم حصلناه فى سن النمو والعمل متصل به ، إذن هذا العمر مع قصره قد أدى الوظيفتين وظيفة العلم فى سن النمو ووظيفة العمل فى السن التى بعدها ، أما قوطم انه مستعد أن يعيش فوق ذلك فر بما يكون بعض ماقلوه حينما يرتقى الانسان عن هذه الحال ويعرف حقا أن سعادة الحياة ليست باللذات الحقةرة بل بالصحة والعافية والعلم والحكمة والمساعدة العامة ، تلك اللذات التى لا يعرفها إلا من نالها ، وهيهات أن يقدر على وصفها غيره من الناس الذين لم ينالوها

هذه تذكرتى فى أمر الحياة اجالا ، أما تذكرتى فيما أنذره الانسان فى هذه الحياة فهأناذا أحدثك عنه فانه أهم مما قبله فأقول :

إنى وجدت هذه الحياة ترجع الى ﴿ أربعة أشياء ﴾ (١) ألم (٢) وأمل (٣) وعمل (٤) وحب وغرام فالثلاثة الأولى مقدمات والرابعة هى نتيجة الحياة

### ﴿ الألم ﴾

أما الألم فهالك وصفه اجالا فقد ذكرته فى غير ماموضع ولكن أخصه لك تلخيصا فأقول : لا ألم فى هذا الوجود إلا لاسعادنا ، الحياة كماء النهر ولا سبيل لحفظ الماء إلا بالجسور هكذا هذه الحياة لاتمام لها ولا بقاء إلا بالآلام فألم الجوع به طلبنا الطعام فدامت الحياة ، ومثله ألم العطش فنلنا الرىء وألم الشبق فكانت الذرية وألم الفقر فنلنا المال وألم الذلة فنلنا العزة وألم الخمول فنلنا الظهور والمجد وألم الذم بوصفنا بالبخل فاتصفنا بالكرم وألم الذم بالخور والجبن فكسبنا الشجاعة وألم المرض فتداوينا فرجعت الصحة آلامنا كلها خلقت لاسعادنا ولاشقوة فى هذا الوجود إلا لنتيجة نافعة . واذا رضينا أن نقطع عضوا من أعضائنا خيفة أن يصاب بقية الجسم بما أصابه واستعملنا الحية فى أمراضنا طلبا للصحة فان النتيجة لذلك كله منافعنا . فاذا كانت هذه أفعالنا مع قصور علمنا فهكذا نتذكر أن كوارث هذه الدنيا على هذا النمط من خط وازلازل واهلاك بلاد واغراق سفن . فهذه كلها أشبه بقطع سلعة من الجسم وان كنا ندرك حكمة قطعها من جسمنا ولكننا نجيز عن ادراك الحكمة فى قطعها من الجسم العام كله بل علماء الاقتصاد أدركوا أن الزلازل بها تظهر تربة جديدة فيها خصب لانظيره فى التربة كما تقدم فى أول ﴿ سورة سبأ ﴾ فاقراء هناك عند آية - يعلم مايلج فى الأرض - الخ

ننظر فى أحوال هذه المخلوقات الحيوانية فنجد أربع لذات وأربعة آلام والآلام سابقات على اللذات (١) نرى لذة الماء كل والمشارب والملابس والمساكن سبقتها آلام العرى أوتوهمه وخوف البرد والحر

والفضيحة بين الناس . فالآلام هذا النوع من موارد الحياة سبب لطلب الطعام والشراب والملابس والمساكن فهنا ألم تبعه أمل ثم يكون الجَدُّ والتشمير في طلب هذه المطالب ثم تكون اللذة بها ، فهنا ألم تبعه أمل أوجب العمل لحصول المطالب وقد لازمه الشوق والغرام بالمطلوب

(٢) ثم نرى الناس والحيوان جميعا يسعون لاجتماع الذكر والأنثى ، فهناك ألم يتبعه أمل في الاجتماع فيكون العمل لطلب الشريك من ذلك النوع من الانسان أو غيره والحب هنا قوى متين والغرام لازم ، فاجتماع الصنفين الذكر والأنثى تزول آلام الشبق ، و بظهور الجمال والموافقة والأنس تزداد اللذة كما تزداد السعادة في أنواع الطعام والشراب بجمال المائدة وحسن الطهي وجمال الرونق ويتبع ذلك ما يرى في الزرع والأشجار من الجمال والبهجة والحسن والاشراق . كل ذلك ترغيب في المحافظة على النبات لينتم نضجه للجمال صاحب المطاعم في حقولها وفي إبان تعاطيها وهذا كله يزيد اللذة والانبساط والأنس

(٣) ثم نرى هنا درجة ثالثة أعلى من السابقتين وهي أن الأبوين اللذين تعاشقا لمنفعتهما الخاصة وفرحا باللدات والجمال فزالت آلام الشبق وحصلت على بهجة وأنس وموافقة فتعا الأعين بمحاسن المناظر والاسماع بعذب الألفاظ وحاسة الذوق بما يناسبها كما متعا الأعين بمنظر الزرع وبهجة الانتظام في مواعيدهما وما كاهما ومشاربهما ومتعا حاسة الذوق بألوان الطعام

أقول : إن هذين الأبوين اللذين ظنا في أول الاقتران انهما اقترنا لحصول لذتهما الشهوية لاغير وأن ما يتعاطيانه من الطعام والشراب والملابس لم يكن إلا لأجل بقائهما وخدمتهما ، نراهما بعد ذلك قد أخذتا يربان البنات والبنين وأن الجمال منهما قد ذهب وحل محله الضعف والنحول وأخذتا يضمحلان وانتقلت القبلات منهما الى أبنائهما وبناتهما وبعد أن كانا يتهاديان أصبحا معا يقدمان أمواتهما وما يملكان الى الذرية فيظهر للحكيم من هذا الكتاب المسطر أمام الناس يرونه بأعينهم ولا يفقهونه وهم مسوقون مساكين مسخرون انه لا فرق بين أهل الشرق والغرب في ذلك التسخير ولا بين الانسان وأكثر الحيوان فكاهم مسخرون ولا يدرون الى أين يساقون ، يساقون في الحياة كما يساقون في الديانات ويساقون في الحكومات . فأهل هذه الأرض على وتيرة واحدة . تقليد أعمى في الديانات وأحوال الحياة ولا حياة لأجسامهم إلا بسائق الألم وقائد اللذة للذوق وللعين ولا بقاء لأنواعهم إلا بسائق الشبق وقائد اللذات . فالعين لها نظار الجمال وشهوة الذوق لها لذة الوصال . وإذا ولدوا الذرية ساقتهم آلام الرحمة المسلطات على قلوبهم الى الارضاع والتربية وشاقتهم صداقة الأبناء وظهورهم وقيامهم بأمرهم في الكبر وهنا ظهر عالم جديد عالم أرقى من سابقه . نرى الحيوان في الدرجة الوسطى يتغزل ويهوى الجمال ويموت غراما وينشد الأشعار وينصب أشراك الحب لصيد المحبوب وهو في كل ذلك لا يدري أن هذا كله وسيلة لا غاية . وما الغاية إلا الدرجة الثالثة التي ظهر فيها رحمة الولد والعطف عليه قاما مقام آلام الشبق هناك فهذا سائق هنا كما ساق الشبق هناك وأن انتظار نبوغ الولد وأن يقوم مقام الأبوين بعد موتهم يقوم مقام الجمال المطلوب والأنس المرغوب وهو سائق . إذن الفرح بمنافع الولد هنا قائم مقام الجمال المطلوب هناك وكلاهما سائق . وآلام القلب والعطف على الولد السائق هنا كالشبق السائق هناك الله أكبر . وصلنا الى المطلوب في هذه الحياة وهو أن خلقنا يدل على أن سعادتنا العظمى لا تحصل إلا بتوجيه الهمة لاسعاد سوانا

أنا أكتب هذا القول ولا حجة عندي فيه إلا الطبيعة المشاهدة فأنا أكتبها لأهل الشرق ولأهل الغرب فهذا علم قائم بالحجة ولا مناقض له . فليقل أهل الشرق وليقل أهل الغرب ماشاءوا وليفكر الفلاسفة والحكماء في هذه الدرجات الثلاث . أليسوا يشاهدونها في نفوسهم . ومن حق الحكماء بعد ذلك أن يسألوا أنفسهم لم هذه المشاق كلها في الحياة ؟ ولم نجد النبات لا يتعب في تحصيل قوته ولا له أعمال كثيرة في التناسل فالزهورات



تلقح بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات وهن هادئات . وقوت النبات مما - وله . ثم ننظر فتجد أدنى الحيوان لا يكون ذكرا وأنثى . كلا . فقد تقدم في ﴿سورة مريم﴾ الكلام على المحار وأن المحارة تدلّ على الوف وهي هي تقوم مقام الذكر ومقام الأنثى ، فلا غرام ولا عشق ولا هجر لمن ولا حرمان ، وهناك حيوانات ذريئات متى كبرت تفجرت فتقطع الحيوان الواحد الى قطع كل منها يصبح حيوانا آخر وهذه الحيوانات تملأ البر والبحر وقد تقدم أن من أدنى الحيوان ما يكون تناسله بالانقسام بحيث يكون (٢) و (٤) و (٨) وهكذا أى ان كل واحد ينقسم الى اثنين وكل منهما ينقسم الى اثنين وهكذا الى ما لا نهاية له وسدوا تلك الحيوانات بالخلقة لأن الحيوان الأصلى موجود ولما انقسم اثنين وهذان انقسما قلنا انه حيوان خالد فأين الموت ! اللهم إلا اذا أحرق أو منع عنه الماء . كل هذا تقدم في هذا التفسير . فهنا نقول لم هذه المشاق كلها في نوع الانسان ؟ ولم أغرم كثير بعزة وجيل ببينة وتوبة بليلى . ولم نسمع بالهوى العذرى الذى يستولى على عقل الشاب فيموت في هوى من أحبها كما نسمع في هذه الأيام بما يحصل في اليابان من الهوى العذرى كما كان عند قبيلة بنى عذرة

الحكيم اذا سمع ذلك يقول : لامعطل في الوجود ولا بد لهذا النصب من نتيجة في أخلاق الانسان . وعسى أن تكون النتيجة في المرتبة الرابعة وهي مرتبة الحكماء . في هذه الأرض أناس عقولهم أرقى ونفوسهم أصفى جاؤا الى هذه الأرض وهم مفكرون فيها . فهؤلاء يقولون : « إن هذه الانسانية آرائها كلها محدودة والحياة عندهم تقف أغراضها عند مقاصد جزئية وهم درجات بعضها فوق بعض يكتفى أحدهم بالمال والآخر بالنساء والثالث بالبنين والفناطير المقنطرة من الذهب والفضة والحيل المسومة والأنعام والحرف . ويتعالى قوم الى أعلى من ذلك فيكونون محافظين على المجموع كالأمراء والحكام والملوك وهؤلاء يعطفون اذا كانوا صادقين على المجموع عطف الأبوين على الذرية ولهم لذات على مقدار ما يعملون أرقى من لذات الأبوين بالذرية ولذات التعاشقين بدليل اما نجد القواد إبان الحرب لا تتوجه همهم إلا الى غلبة العدو وأن الملك مقدم عند عقلائهم على معشوقه . فاذا توقف حوز الملك على تركها تركها لأن لذة الملك أعلى لأنها عقلية ولذة الاقتران بالأنثى حسية واللذة العقلية أعلى من الحسية . ثم ينظر هؤلاء الحكماء نظرة عامة في حال الناس فيقولون :

(١) نحن عرفنا أن السوائق والقوائد في المراتب الثلاث المتقدمة لم نرها إلا في الحيوانات العليا . أما الدنيئة فلا وكلما ارتقى الحيوان وجدنا فيه هذه الأحوال أشد ونرى عطفه على الولد أكمل فلنجعل هذه مقدمة بنى عليها نتأججنا في مستقبلنا مع الناس . وابسنا وشربنا وذقنا الحلو والمر وعاشرنا الأزواج . ويقولون أيضا نحن أكلنا وولدنا كما يلدون فوجدنا أن آخر المراتب نتائج المقدمات . وهناك أناس تولوا المحافظة على المجموع ولهم لذة على مقدار تلك المحافظة وهي أعلى كما تقدم

(٢) فأين مزيتنا إذن اذا وقفنا عند هذا الحد . نحن نحب أن نتجاوز هذه المراتب الثلاث وملحقاتها فلانكتفى بالذرية ولا بالملك لأن هذه كلها لذات محدودة مشوبة بالكدر والحزن والأسى وفي الذرية والعزل وكيد الأعداء في الملك واسكل من الناس درجة يصل اليها ولا يتعداها . أما نحن فاما لا نقف عند هذه الدرجات بل لننظر نظرة أعلى فنقول :

(٣) اذا ثبت أن هناك عشقا بين الذكر والأنثى وأن هذا العشق أنتج الذرية . فلدرجة الثانية أنتجت الدرجة الثالثة التي هي أعلى منها فنحن نعشق عشقا أعلى وهي مباحث هذا الوجود كله فندرسه ونعقله لأننا أهل له وهذا العشق لا نقص فيه وحكمة العشق الحيوانى انه مؤهل للعشق العلمى وهذا العشق لانهاية لمنه فهو نفسه لذة لا يشوبها كدر ولا يعترها نقص . واذا كان العشق الحيوانى في الشباب فالعشق العلمى يكون في الشباب ويزيد في المشيب وهناك تضعف اللذة الحسية وتقوى اللذة العقلية . ثم يقولون إنا رأينا أن الدرجة

الثالثة وهي النهاية للحيوان انه يعطف على الولد ويفرح به . فعطفه عليه بشائق آلام الرأفة والرحمة وفرحه به بشائق اللذة بصحته وعلمه ومنفعه ، ويرمز لهذه الدرجات كلها - لتركيبتها وزينة - فتركوب لدفع ألم المشي وزينة بحصولها في الملك والتباهي بها فهاتان ساريتان في الدرجات كلها

فهاتان أولاء نعطف على المجموع الانساني كله ونجد في السعادة بما نملك من قدرة وما نستطيع من علم وما نقدر عايشه من صناعة . إننا نحن آباء للناس والناس أبناءنا . فنحن نعشق الوجود كله والعشق يدعو للوصال والوصال صور الموجودات في النفس ، فتدركنا جمال العوالم العلوية والسفلية بسورها العلمية الجميلة فقد نلنا محبوبنا وحصلناه في نفوسنا وهذا هو الوصال الحقيقي لأن المحبين لا يطلبان إلا اتحاد النفوس . أما الوصال المشهور الجسمي فهو وصال حسي يعقبه فتور الحب نزعاً ما . أما تحصيل صور الموجودات من حيث حقائقها فذلك هو اللذة التي نحس بها والناس حولنا تأهون جاهلون ناثمون لا يشعرون ما نحس به من الجمال ومستحيل أن يصل الانسان لذلك إلا بدراسة مقدار كاف من العلوم الرياضية والطبيعية والحكمة

فنحن بهذا نلنا أعلى اللذات في مقابلة أخسها التي نلناها ونحن هائمون كبقية الشبان . وإذا رأينا أن نهاية هذا الانسان إنما هي الذرية والتربية . فبأنحن أولاء نسعى لتربية الجميع ، نربي الملوك والسوقة ونعطف على الكبار والصغار والفقراء والأغنياء ونحس في ذلك بلذة تقطع دونها الأعناق

ولنا في هذا الوجود نظرة عامة بعد ذلك فنقول : « ههنا اشراق للشمس وضوء للكواكب وللقمر ، أرسلت هذه لنا من غير عمل منا ، وهذا الضوء لولاه لم تكن لنا حياة وقد أحسنا في أنفسنا بأعمالنا القليلة واحساسنا بسعادة على مقدار ما زاولنا من اسعاد أبناء نوعنا ، ورأينا أن العلماء والحكماء يحبون عموم الناس نظراً لعموم نفعهم وأن الآباء يحبون الأبناء أكثر من حب الأبناء للآباء لأن الدائن يحب بقاء المدين والعالم يحب المتعلم ، والمحسن يحب من أحسن اليه أكثر من حب الآخرين للأولين . فهذه الأنوار المشرقة وأنواع السعادات في الأرض والهواء والماء والأرض والكواكب . كل هذه ليس لنا فيها عمل ، ولقد وجدنا أنفسنا نعيش بينها وتلقى المنافع من ذات لانراها ، أفلا نقول على سبيل القياس التمثيلي وان لم يكن يقينياً إن هذا الاحسان لم يكن إلا بناء على حب وأن تلك الذات لما أحببت وجود المخلوقات نوعها ووضعت كلاً في مرتبته وهذه الذات هي التي جعلت بعض الناس فرحين بالبرك والمستنقعات وأفرحت الفيران بالمراحيض كما أفرحت النحل بالبساتين وأفرحت العلماء بادراك ذلك كله وأن استعداد الحكماء أرقى من استعداد جميع المخلوقات في هذه الأرض بعد الأنبياء ، فلذلك كثرت إلهامهم وتعليمهم وآثارهم وارشادهم لأهل الأرض اخوانهم وإن أعظم الحب من تلك الذات قد اختص به أوائل الحكماء بعد الأنبياء بدليل انهم أدركوا الجمال فعملوا وألهموا رحمة العباد . فعطفوا عليهم فهم إذن صفوة الله في أرضه بعد الأنبياء بهذا البرهان ولدتهم الحقيقة أعلى من لذات الناس بعد الأنبياء أيضاً ، ثم يقولون : وإذا كنا نعلم أن تلك الذات المقدسة المحجوبة عنا تحبنا حباً أكثر من حبنا لها بدليل هذه النعم وأن المحسن أوفر حباً لمن أحسن اليهم منهم له وأن كل جمال وبهاء وحسن وانعام فأنما هي مظاهر ذاته المقدسة . أفلا يكون ذلك يحفزنا الى حبه والفرح به والشوق لائقه ثم نجعل كل حياتنا وقفنا على رضائه باسعاد عباديه وباقتفاء آثاره فنفكر في سعادة هذا الانسان المسكين فنجد انه لا يزل في الجهالة مغموراً . ذلك انه في الشرق والغرب عاش مقطوع الأوصال لارابطة تربطه ولاجامعة تجمه ، إذ جعل اختلاف الأوطان والقبائل والممالك أسباباً للقتال . كل ذلك منه جهل وغباوة . ذلك انه لم يدرس جسمه ولو درس جسمه لوجد أن جميع الجسم متصل بالأعصاب ومتى اختل منها عضو أسرع الطبيب باحضار الدواء وتتوارد الحيوانات التي في الدم من السكريات الحراء والسكريات البيضاء فتجتمع على ذلك المرض ويساعدها الدواء من الخارج فيبرأ المريض . فهكذا فليكن هذا النوع الانساني بعد ما اتصلت الأم بالواصلات في



زماننا . فذا حصل لاحداها ضيق أو كرب فلتقم الأمم كلها لها بالمساعدة والاتصال اليوم سهل . فأما اذا كانت تلك الأمة لاتصلح للمساعدة وزاد توحشها ولم تنجح الوسائل في تعليمها واسعادها فلتقطع من جسم الانسانية العامة كما يقطع العضو المريض اذا لم يفد فيه الدواء

هذه هي نهاية آراء الحكماء في مستقبل الزمان ، فهم سيقولون للأثم : « لتكن أيتها الأمم مساعدات بعضكن بعضا ومن لم يكن عندها استعداد لمساعدة المجموع وغلبت عليها عقائدها الموروثة فلتحتل الأمم كلها في تعليمها . فاذا فشلت جميع الطرق فلتبذل تلك الأمة ولتركها جميع الأمم مهمله . وآخر الطب السكت وهناك يسود السلام وتتم سعادة الانسان

فهؤلاء الحكماء الذين هذه آراؤهم يفرحون من الآن بالسعادة . وهؤلاء هم الذين يفهمون آية - سلام قولا من رب رحيم - لأن المربي الرحيم الذي عرفوه قد ألهمهم السلام من الآن . ذلك انهم أيقنوا بأن الأمراض ما هي إلا منذرات تقود للإصلاح والموت خلاص من أسر هذه الطبيعة ورجوع الى الكمال المطلق وأي سلام بعد هذا . فهؤلاء - لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون - بل هذه البشارة عندهم وهم في هذه الحياة والملائكة المذكورون هم معهم الآن يلهمونهم العلوم والمعارف لعلمهم أنهم يشئونهم الأهمهم . فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب يوم القيامة ويلهمونهم هذه العلوم الموجبات للسلام والأمان فيلقون العلوم للناس وهم بها مطمئنون ولا يبالون بالأعداء ولا بالخصوم والحاسدين فهؤلاء لاخوف عليهم في المستقبل ولاهم يحزنون على ماضى والملائكة تنزل عليهم وتلهمهم ذلك في الحياة وان لم يروهم وبعد الموت وهم اليهم ينظرون

هذا ما تذكرته عند تفسير هذه الآية وهي قوله تعالى - أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير - . الله عمرني في الأرض سنين وسنين وهذه تذكرني لمن بعدى من المسلمين والناس أجمعين والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير ﴿ سورة فاطر ﴾ يوم الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩٣٠ م و ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية

## ﴿ تفسير سورة يس ﴾

( هي مكية )

( إلا قوله تعالى - وماتنا منهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين - فدنية )

( آياتها ٨٣ - نزلت بعد الجن )

والكلام على هذه السورة في ﴿ أربع فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في تفسير البسملة ﴾ الفصل الثاني ﴿ في تفسير الألفاظ ﴾ الفصل الثالث ﴿ في ذكر ما كنت فسرتها به منذ سنين لتكون مائدة معانيها أمام القارئ ملخصة مجمعة ﴾ الفصل الرابع ﴿ في المجانب العلمية من سائر العلوم لاسيما علم الكيمياء وكيف كانت لفظة (يس) التي ابتدئت بها السورة تشير إلى التحليل وقد ظهر ذلك في قوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - مما يبعث في الأفئدة شوقاً إلى الحكمة وميلاً إلى التعلم وحبا في استطلاع المجانب والحكم الكونية وغرائب العلم

## ﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

( مقدمة )

اعلم أن العوالم التي نعيش فيها تجري على وتيرة واحدة وأسلوب خاص لا يتغير ، وذلك أنك ترى اليوم يولد بشروق الشمس ، ويظهر ضحى ، ويشتد وقت الزوال ، ويضعف وقت العصر ، وينتهي وقت الغروب . هكذا السنة فلها ولادة إذا حل فصل الربيع ونزات الشمس برج الحمل وأخذت الحياة تدب في الأرض وذاب الثلج ، ودبت الحشرات وانبعثت من مراقدها ، وقامت الزواحف من نومتها ، وسعت الحيات لحياتها ، وأورقت الأشجار وأزهرت الأغصان وأثمرت الحدائق وأخذت الأرض زخرفها وزينت ، فإذا حلت الشمس برج السرطان هناك يأخذ النهار في القصر والليل في الطول وتنضج الثمار وتكون الدنيا أشبه بامرأة كاملة تكلأ أبناءها وتحفظ صغارها وتعطف عليهم وهم مبهجون ، فإذا جاء فصل الخريف وحلت الشمس في برج الميزان فهناك يعتدل الليل والنهار ثم يأخذ النهار في القصر والليل في الطول وتكون الدنيا أشبه بامرأة هزلة ولي شبابها وأدبرت أيامها وساءت حالها ، فإذا جاء فصل الشتاء وحلت الشمس برج الجدى هنالك تدخل الحيات في أوكارها وتتوارى الحشرات في بيوتها وتقف الحركات ويخيم السكون على أرجائها وتكون الدنيا أشبه بجثة هامدة لا حراك لها وهكذا تبقى حتى إذا جاء فصل الربيع وحلت الشمس برج الحمل وهكذا دواليك كما قال تعالى - الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء -

فهذا نفسه هو حكم الانسان ، فهو في أول حياته كالיום إذا أشرقت الشمس ، وهو في شبابه كالشمس في ضحاها نهارا ، وفي استوائه رجلا كاملا كالشمس إذا توسطت كبد السماء وكان الزوال ، فإذا ولت أيامه وأدبر شبابه وأقبل هرمه كان كالشمس إذا آذنت بالمغيب وفارقت أهل الأرض وهم لها وامقون ، وهكذا صباه أشبه بفصل الربيع وفتوته واستوائه رجلا أشبه بوقت الزوال . فاذا ولي زمانه وشابت مفارقة وانحلت مفاصله واصفر لونه كان أشبه بالسنة إذا حل فصل الخريف وأخذت تنحل عراها وتضعف قواها فإذا ما حل في الرمس وودعوه كالأمس كان كفصل الشتاء وهكذا دواليك . ومثل ذلك كله الأمم :

(١) فلها ولادة كولادة الانسان تبدأ فيها بقراءة توارخ الأمم ودراسة الآثار وتضرب الأمثال كالطفل إذا ابتداء يفتح عينيه فإنه إذ ذاك يأخذ يبحث فيما حوله ليتخذ مثالا يقتدى به ومنوالا ينسج عليه وسبيلا



ينتهي به ومهيأ معبداً (بتشديد الباء) يسلكه

(٢) ولها أيام فتوة وقوة وعظمة إذا اشتد كاهلها وعظمت مسرتها وقويت شكيمتها كالإنسان أيام فتوته وتمام رجوليته وكالسنة في فصل الصيف

(٣) ولها أيام انحطاط وضعف كما تنحط الشمس ذاهبة إلى الغروب كل يوم وكل شمس تدخل في برج الميزان وتأخذ النهار في التقصر والليل في الزيادة

(٤) وأيام موت كموت الإنسان وأقبال الليل وحلول فصل الشتاء

إذا عرفت هذا أيها الذكي فلتعلم أن الأمم الأرضية كانت أيام النبوة قد اعترها خول وضعف كخمول السنين وموتها أيام الشتاء ، فلما أن ظهر الاسلام ثارت العزائم وانتشر العمران وهاجت الأرض وماجت وانبعثت المدينة فيها ككرة أخرى إذ تدهورت المدن القديمة في الفرس والرومان وحلت محلها مدن جديدة وأخذ العرب الذين كانوا مبغثرين في الصحراء لاجلهم يستخرجون العلوم من مكانها ويدرسون تواريخ الأمم الفرس والروم ويقرؤون علوم الأمم شأن الصبي أيام طفوليته والحيوانات في فصل الربيع إذ تخرج من أوكارها وتقوم من أحجارها كأنها مبعوثة من أجسادها منتشرة في الأرض تسعى حثيثا للحياة ، فلما أن استقرت قرار الأمم الإسلامية في أواخر القرن الثاني وقد استتب لهم الملك وعظم شأنهم أخذوا يستثمرون ما زرعوا ويحصدون ما أنبت لهم مدنيتهم أيام الدولة الأموية فوقفوا الفتوحات قرونا وقرونا حتى إذا كانت أيام الشيخوخة وأيام الضعف كالشمس وقت العصر والسنة في فصل الخريف أخذت أمم التتار تكسح هذه الأمم فرجع المسلمون أشبه بفصل الشتاء في السنة وبالإنسان إذا مات وبالنهار إذا أدير والليل إذا أقبل

وهاهي ذه الأمم الإسلامية اليوم قد أقبلت أيام شبابها وحلت شمسها في برج الحمل ، وهام أولاء يبحثون في كتب الأمم ويقرؤون تاريخها شأن الطفل أيام طفوليته إذ يقلد ماحوله والحيوانات المنتشرات في فصل الربيع وشأن المسلمين في القرون الأولى أيام ظهور النبوة . وهذا التفسير قد ظهر اليوم في إبان صبا الاسلام بعد نوم الأمم الإسلامية في شتاء دهرهم وخولهم ونومهم العميق ويريد الله أن يوقظهم من كهفهم ويحيي مجدهم بعد موتهم . فإذا يفعلون ؟ يقرؤون أمثال هذه السورة (سورة يس) . فإذا يقابلهم في أولها ؟ فأول ما يسمعون منها قسما بالقرآن على صحة الرسالة كالقسم بالنجم إذا هوى على أنه ﷺ ماضٍ وماغوى . فهذه تفرع أسماع المسلمين اليوم فيقول حكماؤهم : حقا إن النجم هو الذي يهدي الضالين السارين في ظلمات الليالي الحائرين في الصحاري والقفار لايهتدون سبيلا ولا يجدون دليلا وهكذا سفن البحار تضل في أمواجها وتصطدم في شعابها فلا تجد لها واقيا يقيها ولا هاديا يهديها إلا بيت الابرة (البوصلة البحرية) فهي التي تنير لهم السبل وتهدى بهم إلى سواء الصراط في لجج البحار . فالنجم في البحار هداية لمسالك الجبال وهو في البحر هدى للربان . وقوام الهداية تلك البوصلة التي تتجه بالمغناطيسية شمالا وجنوبا منحرفة انحرافا قليلا بقوانين لها علوم خاصة تعرف الربان الشرق والغرب والشمال والجنوب وهناك يدرس النجوم وأماكنها فيهدى بها في ظلمات البحر . فهذا هو النجم الذي أقسم الله به حين هوى على أن النبي ﷺ ماضٍ وماغوى . ولاريب أن النجم إذا كان في وسط السماء لايهدى وإنما هدايته إذ هوى والقرآن الحكيم في (سورة يس) هنا يهدى كما يهدى النجم لذلك أقسم به على أنه من المرسلين على صراط مستقيم لأن هدايته كهداية النجم وكما أن للنجم علوما تعرف أماكنه في السماء وبوصلة تهدينا إلى طرقه هكذا هذا القرآن لاتتم الهداية به إلا بعلوم وعلوم . فهداية النجم نفتقر معها إلى علوم هكذا هداية القرآن لابد معها من علوم والعلوم التي في هذه السورة وطرق الهداية فيها إلى الصراط المستقيم لاتعدو ستة مسير الشمس في اليوم وفي السنة ونظام الدول في أول ظهورها . ألا ترى رعاك الله أن السورة مبدوءة بضرب المثل بأصحاب القرية التي جاءها المرسلون وكان

لهؤلاء المرسلين أنصار وأعداء وانتهى أمرهم بأن غلب الحق الباطل . فهذا سبيل الأمم في أول ظهورها تقرأ التاريخ وتعتبر به كالطفل يحبو ويدرس ماحوله والحيوانات خارجات من مخابثها منشورات في فصل الربيع وكالأمم العربية إذ بزغت شمسها أيام النبوة ، فهأى هذه أمم الاسلام تعيد سيرتها الأولى إذ أخذت تدرس تواريخ الأمم العربية السابقة أيام النبوة وقبل النبوة وتدرس تاريخ الأمم التي حدثت بعد ذلك جيلا جيلا وتستخرج خلاصتها وتقوم من نومتها وتستيقظ من رقدتها وتخرج من كهفها

لم يقص الله علينا قصص أصحاب القرية لنقتصر عليهم . كلا . والله . ألم يقل - واضرب لهم مثلا - فهذا مجرد مثل والمثل به تكون الذكري والذكرى تنفع المؤمنين . حياة الأمم شباب ثم قوة وتنام ثم انحطاط وضعف ، فهى في أيام الشباب تقرأ علوم لغاتها وتاريخ أجدادها وتدرس الأمم المحيطة بها ، فإذا أدركت ذلك كله عرفت أنه لا مناص لها من إدارة شؤون هذه الأرض ، فهناك تغرس الأشجار وتحفر الأنهار وتقرأ العلوم وهذا هو قوله تعالى - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا - وههنا أخذ يذكر الجنات والزروع والثمار والشمس والقمر والسفن . فههنا في هذه السورة ﴿ ثلاث درجات ﴾

(١) درجة الاستيقاظ بدراسة الآثار البائدة والأمم الخالدة والأيام الخالية والبحث عن آثارهم في أحجارهم وكتاباتهم في قبورهم وأخبارهم في تواريخهم وهنالك يسمعون - يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون - بعد ماسمعوا أن صيحة واحدة أخذتهم فاذا هم خامدون . نغمود الأمم أعقبها الحسرة عليهم . فتواريخ الأمم للاعتبار بحوادثها وللاهتمام بعلمها وهنالك يقول الشاعر :

باتوا على قلل الأجل تحرسهم \* غلب الرجال فلم تنفعهم القلل  
وأزولوا بعد عز من مراتبهم \* وأودعوا حفرا يابسها نزولوا  
أين الوجوه التي كانت منعمة \* من دونها تضرب الأستار والكلل  
أجاب سائلهم في القبر قائلهم \* تلك الوجوه عليها الدود يقتتل  
فطالما أكلوا يوما وما شربوا \* فأصبحوا بعد طول الأكل قدأكلوا

فهؤلاء أحق بالحسرة وبهم يكون الاعتبار فهم مضروبون لنا مثلا . فاذا سمعنا الله يضرب لنا مثلا بأصحاب القرية فلنقل نحن ما أكثر الأمثال . هذه الأمم الاسلامية التي خلفت تلك الأمم البائدة لما أعرضت وقعت مشمخرة وذهبت كأمس الدابر ، فهذه دولة العرب في الشرق ذهبت ريحها وخز عليها السقف من فوقها إذ أبادها التتار وكذلك لما تخاذلوا في بلاد الأندلس سطت عليهم الجيوش الجرارة من أمم الفرنجة وهم غافلون فأخرجوهم من أوروبا وهؤلاء أبناءهم مشنتون في طول الأرض وعرضها وسيجمع الله شملهم كما جمع شمل آبائهم بظهور الاسلام في ثوبه القشيب كرة أخرى

تخاذل المسلمون في الأندلس وكانت لهم (٢٠) دولة وهم جاهلون بمن حولهم وقد انغمسوا في النعيم ، وذاقوا سوء المصير . وهأى هذه قارة استراليا دخلها الفاتحون فانقرض العنصر الأصلي في البلاد إلاقليلا وهكذا أهل أمريكا الأصليون وهم الجرمانو حشون . هاهم أولاء أخذوا ينقرضون أمام المختلين

هذه نبذة يسيرة ذكرتها هنا اقتداء بالكتاب العزيز إذ ضرب لنا مثلا فاتبعناه بأمثال تبييننا للقرآن وتذكيرا بالفرقان لأن الله يقول - لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون - فبمثل هذا يكون التفكير وبمثل هذا يكون التبيان . فهذه هي الدرجة الأولى درجة الاستيقاظ

(٢) أما الدرجة الثانية فانها آتية بعد عدة سنين في الأمم الاسلامية وقد ظهرت بوادرها وفيها يكون تمام أمرهم واليها الإشارة بقوله - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - الخ . فهذه الدرجة أشبه بالتخلية بعد التخلية . فالأمة تتخلى أولا عن الجهالة وتنفيذ الكسل وتعتبر بالأمم الخالية ويعقب هذا الدور دور العمل . إذ أن



الأم الإسلامية اليوم أشبه بآبائنا أيام ظهور النبوة فنحن اليوم كآبائنا أيام الصحابة وأيام النبوة ابتدأنا حياة جديدة نراها آخذة في النمو والاستيقاظ في مصر والشام والعراق والفرس والهند وبلاد جاوه والملايو ، وهذه كذلك تماما ، فهاهم أولاء أخذوا يقرؤن تاريخ أسلافهم وتاريخ الأمم ولا يحصى لهم من تولى زعامة الأمم وقيادتها كما قادها آباؤهم وكانوا نبراسا للأمم كأيام الدولة العباسية

(٣) أما الدرجة الثالثة فهي أيام الفناء والزوال وهي المذكورة في هذه السورة من النفخ في الصور وانقسام الناس فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير

ومن عجب أن الرحمة المذكورة في آية البسملة أحاطت بهذه الأقسام الثلاثة فبينما تجد الاعتبار بالأمم في أول السورة بقوله تعالى - تنزيل العزيز الرحيم - إذا أنت ترى دخول الجنة مشمولاً بها إذ يقال لهم - سلام - قولاً من رب رحيم - فالرحمة في الاعتبار بالأمم البائدة المضروبة لنا أمثالا كالرحمة في اقتطاف ثمرات الأعمال في الجنان وشرب الرحيق المختوم ختامه مسك هناك فإذا قرأنا تاريخ البائدين فذلك من رحمة الرحمن الرحيم وهي الدرجة الأولى

وإذا غرسنا الأشجار ونظمنا الحقول وقطفنا الأزهار وجنبنا الثمار فذلك من رحمته وإذا دخلنا الجناب وشربنا شراب الحب من كأس كان مزاجها زنجبيلا فذلك من الرحمت . إذن الرحمة في الاعتبار بالأمم وفي السعادة في الحياة وفي سعادة الجنات واحدة ، لذلك ابتدأ السورة بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة

## الفصل الثاني

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْ \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* لَتَنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ \* لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ \* وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ \* وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ \* إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ \* وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْنَكُم مَّرْسَلُونَ \* قَالُوا مَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ \* قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْنَكُم مَّرْسَلُونَ \* وَمَا عَلَيْنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ \* قَالُوا إِنَّا نَطِيرُونَ بِكُمْ لَسْنَا نَذْهَبُوا لَتَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ \* قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ

أَنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ \* وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ \* وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* ءَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ \* إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ \* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ \* وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ \* إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ \* يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ \* وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ \* وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ \* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ \* وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ \* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ قَادِ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ \* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ \* وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ \* وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ \* وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ \* إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ \* فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ \* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ \* إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ \* فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ \* هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ \* هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ \* سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ \* وَأَمَّا يَوْمَ الْجُزْأِ \* أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ \* وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \*



وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ \* هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* أَصَلَوْهَا  
 الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* الْيَوْمَ نَخَسِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا  
 يَكْسِبُونَ \* وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْعِرُونَ \* وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ  
 عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَقُوا مُصِيبًا وَلَا يَرْجِعُونَ \* وَمَنْ نُمَرِّدْ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا  
 عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ \* لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى  
 الْكَافِرِينَ \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَاتٍ أَيْدِيَنَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ \* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ  
 فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ \* وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ \* لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ \* فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ  
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ \* أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ \*  
 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ  
 وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ \*  
 أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ \* إِنَّمَا  
 أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ  
 تُرْجَعُونَ \*

### \* التفسير اللفظي \*

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يس) قد اطلعت على ما كتبت على الحروف التي في أوائل السور في أول ﴿آل عمران﴾ من عدها  
 ومناسبتها للأوضاع الفلكية والفقرات التشريحية الانسانية والعجائب الطبيعية والاستدلال بها على بقاء اللغة  
 العربية بعد فناء اللغات الاوروبية كما أوضحه علماء الألمان بالاستنتاج الموافق لرمز القرآن . ولعلك أيضاً قرأت  
 ما جاء في ﴿سورة العنكبوت والروم﴾ وما بعدهما من اشارة الحروف في أوائلها وفوق ذلك الى استكناه  
 العلوم الحكمية ونظام العناصر الأرضية وعجائبها الحكمية والالامع هناك الى أن ﴿الم﴾ في أول سورة البقرة  
 تزيد على ذلك بالاشارة الى الاستفهام التقريرى في مسألة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت  
 ومسألة ابراهيم والطير والعزير . فهناك قد جاء القول بلفظ ﴿الم﴾ في أوله . ولكن هذا المقام أبدع بيانا  
 وأعجب نظاما وأعدل ميزانا وأحسن صنعا وأبدع وضععا وذلك من ناحية الآراء الاستنتاجية التي فهمتها  
 والعلوم الحكمية التي منها عرفت لامن حيث نفس الآيات القرآنية فانها كلها منظمة موزونة هي آيات الكتاب  
 وسترى ايضاح هذا المقام في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى ويسر من نظره من جمال الصنع وبدائع الحكمة  
 ونظام الجلال والجلال (والقرآن الحكيم) أى أقسم بالقرآن ذى الحكمة (إنك لمن المرسلين) الذين هم  
 (على صراط مستقيم) أى على طريقة مستقيمة نزل القرآن (تنزيل العزيز) فى ملكه (الرحيم) بخلقه .

أرسلت (لتنذر قوما ما أنذر آبائهم) أى غير منذر آبائهم قبلك (فهم غافلون) أى فبقوا غافلين (لقد حق القول) لقد وجب القول بالسخط والعذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) ذلك لأن الله جعل استعدادهم كذلك فقلوبهم طبع عليها وهذا يفيد قوله (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) جمع غلّ (فهى) أى الأغلال واصله (الى الأذقن) ملزوقة اليها (فهم مغمضون) مرفوعة رؤسهم . ذلك لأن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يمكنه من أن يطأطئ رأسه فلا يزال مغمضا ، وهذا كله تمثيل أى منعناهم بموانع عن الإيمان تشبه ما ذكر (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) شبههم بمن أحاط بهم سدان فغطيت أبصارهم بحيث لا يرون ما أمامهم وما خلفهم فهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات وتكون نتيجة ذلك ما بعده وهو (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) لأن من يرد الله اضلاله لا ينفع تخويله (إنما تنذر من اتبع الذكر) أى لا ينفع إنذارك إلا من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وهو لا يراه (فبشره بمغفرة) لذنبه (وأجر كريم) إنا نحن نحيى (ونكتب ما قدموا) من خير وشر (وأثأرهم) أى ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (وكل شئ) من أعمالهم وغيرها (أحصيناه فى إمام مبين) كتبناه فى اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) أى اجعل لهم صفة أصحاب القرية صفة ، ثم أبدل من أصحاب القرية إذ من قوله (إذ جاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهل القرية وهى انطاكية (إذ) بدل من إذ الأولى (أرسلنا اليهم اثنين) أى أرسل عيسى بأمرنا اثنين وهما (يوحنا) و (بولس) فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسألهما عن حالهما فقالا نحن رسول عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن وشئى ابنه المريض إذ مساء فآمن وفشا الخبر فى المدينة بأن الأبرص والأكمه يشفيان على أيديهما فشكاهما الناس الى الملك فحبسهما ، ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متسكرا وعاش مع حاشية الملك وصار من أصحابه واحتال فى ذكر قصة الرسلين أمام الملك وقال له اسمع ما يقولانه فدعاهما الملك فخرأ فسألهما شمعون فوصفا الله بالتوحيد والقدرة ، ثم أتى بغلام مظموس العينين فدعوا الله له فشقى له البصر . فأما الملك فاعترف بأن إلهه لا يسمع ولا يبصر وهكذا حي ميت مضى له سبعة أيام بدعائهما فأمن قوم وكفر قوم وصاح جبريل بمن لم يؤمن فهلكوا وهذا قوله تعالى (فكذبوهما) أى يوحنا وبولس (فعرزنا بثالث) فتوينا بثالث وهو شمعون (فقالوا إنا اليكم مرسلون) قالوا ما أتم إلا بشر مثلنا) أى لأمزية لكم علينا (وما أنزل الرحمن من شئ) وحى (إن أتم إلا تكذبون) فى دعوى رسالته فاقضت الحال زيادة التأكيد لزيادة الإنكار (قالوا ربنا يعلم إنا اليكم المرسلون) هذا استشهاد بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم (وما علينا إلا البلاغ المبين) الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته (قلوا إنا تطيرنا بكم) تشاء منا بكم (أئن لم تنتهوا) عن مقاتلتكم (الرجنكم ولجسنتكم منا عذاب ألیم) قالوا طأركم معكم) أى سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم (أئن ذكركم) أى أنشاءتم بأن ذكرناكم وخوفناكم بالله (بل أنتم قوم مسرفون) أى فى ضلالكم وشرككم متمادون فى غيكم (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب النجار (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) فأنتم لا تخسرون شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فقالوا له أتبرأت من ديننا ودخلت فى دين عدونا فقال لهم (وما لى لأعبد الذى فطرنى) خلقتنى (والله ترجعون) بعد الموت (أأنتخذ) أعبد (من دونه) من دون الله بأمركم (آلهة) أصناما (إن يردن الرحمن بضر) إن يصيبن الرحمن بشدة عذاب (لا تفن عنى شفاعتهم شيئا) أى لا تدفع عنى (ولا ينقذون) من المكروه (إنى اذا) إن عبدت من دون الله شيئا (لنى ضلال مبين) خطأ بين (إنى آمنت بربكم فاسمعون) أى



فاشهدوا لي بذلك ، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، فلما لقي الله ( قيل ) له ( ادخل الجنة ) فلما دخلها ورأى نعيمها ( قال يا ليت قومي يعلمون \* بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ) تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه . وقيل انهم لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن فقال ما تقدم ( وما أنزلنا على قومه من بعده ) من بعد اهلا كه أورفعه ( من جند من السماء ) وهم الملائكة لا يهلكهم ( وما كنا منزلين ) وما كان يصح في حكمتنا ، ذلك لأن اهلا كههم أيسرهما يظنون ( إن كانت العقوبة ( إلا صيحة واحدة ) صاحبها جبريل ( فإذا هم خامدون ) ميتون كما تحمد النار ( يا حسرة على العباد ) أى تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك فقلت أن تحضري فيها وهى حال استهزائهم بالرسول ( ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن \* ألم يروا ) ألم يعلموا وهو معلق عن المفعولين بكم فى قوله ( كم أهلكنا قبلهم من القرون ) وقوله ( أنهم اليهم لا يرجعون ) بدل من كم ، والمعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم ككونهم غير راجعين إلينا ( وإن كل لما جميع لدينا محضرون ) أى وما كل إلا مجموعون محضرون عندنا للحساب وهذا على قراءة - لما - بالتشديد ، فأما المخففة فالمعنى ان كلهم محشورون مجموعون الخ ( وآية لهم الأرض الميتة ) بالتخفيف والتشديد ( أحييناها ) بالمطر ( وأخرجنا منها ) من الأرض ( حبا ) جنس الحب ( فنه ) من الحب ( بأكلون \* وجعلنا فيها ) فى الأرض ( جنات ) بسايتين ( من نخيل وأعناب وجفرا فيها من العيون \* لياأكلوا من ثمره ) أى ثمر ما ذكر وهو الجنات ( وما عملته ايديهم ) أى ان الثمر يخلق الله لا بفعلهم ( أفلا يشكرون ) نعمة الله تعالى ( سبحانه الذى خلق الأزواج ) الأصناف والأنواع ( كلها مما تنبت الأرض ) من النبات والشجر ( ومن أنفسهم ) الذكر والأنثى ( ومما لا يعلمون ) وأزواجها لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته ( وآية لهم ) تدلهم على قدرتنا ( الليل نسلخ ) نزع ونسكشط ( منه النهار فإذا هم مظلمون ) داخلون فى الظلام ( و ) آية لهم ( الشمس تجري لمستقر لها ) لحد لها مؤقت تنتهى اليه من فلكها وهى نهاية العالم أونهاية ارتفاعها فى زمن الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء ، وهذا لا ينافى قراءة ابن مسعود لامستقر لها أى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية أبدا الى يوم القيامة تنتهى كل يوم فى مرأى العيون الى المغرب وتنتهى مدة السنة وتنتهى مدة ارتفاعها ومدة انحطاطها ( ذلك ) الجرى المنتظم الجيب ( تقدير العزيز العليم ) الغالب المحيط علمه بكل معلوم ( والقمر قدرناه ) أى قدرنا سيره ( منازل ) أى جعلنا له منازل كما جعلنا للشمس وهى ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة فى واحدة منها ثم يستقر ليلتين أوليلة اذا نقص الشهر ، فإذا كان فى آخر منازل رقب وتقفوس وهذا قوله تعالى ( حتى عاد كالعرجون القديم ) وهو العود الذى عليه الشماريح اذا أتى عليه الحول فتقفوس واصفر ودق ، وهذه الصفات الثلاث تكون للقمر عند انتهاء المنازل ( لا الشمس ينبغي لها ) أى لا يصح لها ولا يتسهل ( أن تدرك القمر ) فى سرعة سيره أولا يتسهل لها أن تجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فتطمس نوره لأن لكل منهما سلطانا فى وقت خاص فسلطانه بالليل وسلطانها بالنهار ( ولا الليل سابق النهار ) أى ولا يسبق الليل أى آيته وهو القمر آية النهار فيحل سلطانه محلها . كلا . لأنها يجريان بحساب منظم ( وكل ) من الأرض والشمس والأقار ( فى ذلك يسبحون ) كما يسبح السمك فى الماء . فالشمس فى مدارها حول كوكب من كواكب الجاني على ركبته ولا بدرى مدة دورتها والأرض تجرى حول الشمس فى سنة وحول نفسها فى يوم وليلة والقمر يجرى حول الأرض كل شهر . ولما كانت مسألة الأرض صعبة الفهم على النوع البشرى قديما قدمها فى الذكر وفصل بينها وبين الشمس والقمر بجمل حتى لا يقال انها داخلية فى السكينة فينافى ما عرفه الناس إذ ذاك وأتى بلفظ - كل - للدلالة على دخولها ليتفطن لها الناس فى هذه الأعصر وليعلموا أن الله خبا لهم الحكمة فى القرآن ليستخرجوها مطبقة على الكشف لئلا تقف عقول المسلمين عن السير فى العلوم خيفة أن تنافى كلام ربهم ، وليعلم الذكي أن هذه الرموز وضعت فى القرآن

لنبشر بها المسلمين أن هذا زمان رقبهم وليسوا كالأمم المسيحية الذين ارتطموا أمدا طويلا في الجهالة وهم  
أذلاء جهلاء متوحشون فلم يخرجهم من وحشيتهم وجهالتهم إلا نهضة المسلمين وحروبهم المتوالية معهم في  
الشرق بالحروب الصليبية وفي الغرب بالحروب الأندلسية والحروب في القسطنطينية ، انه لم يخرجهم من  
ما زرقهم إلا احتكاكهم بأمم الاسلام لأن دينهم ليس فيه مابه يخرجون من الجهالة من الاشارات للعلوم ، أما  
المسلمون أيام تأليف هذا الكتاب فهم على بينة من ربهم فقد ظهر في هذا التفسير أن القرآن كتاب حكمة  
وعلم تصريحا وتلويحاً ، وإذا جاءت شبهة في القرآن حلها حتى لا يقف المسلمون زماناً عن الرقي مثل  
ما نحن بصدده ، وأقول : سيقراً هذا التفسير المسلمون و يصعدون بمدنيتهم الى العلا في أقرب زمن ، هكذا  
قضى الله وهكذا سيتم وهو الحكيم العليم . انظر كيف يقول - يسبحون - ومعلوم أن السبح للسمك أليق  
مع ان الفلك القديم قد جعل الكواكب مركوزة في الفلك أوفى تدوير الفلك على ما تراه في اصطلاحات القدماء  
فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه بل لابد له من حامل يحمله وذلك الحامل هو الذي يدور به ،  
فالكوكب مستحيل عليه السباحة ، وكيف يسبح مالا حرة له ولا قدره له على الاستقلال في السير بل هو محمول  
هكذا كان في ذلك القديم ، ولست أطيل لك فيه لأنه معقد ولا يفيدك انما الذي يهمنا أن جميع الكواكب  
تسير على الرأى الحديث في مدارات وتلك المدارات في عالم الأثير ، فهي إذن كأنها سمك في بحر

هذه حقيقة مدارات الكواكب في العلم الحديث . وهذا هو الذي نطق به القرآن . انظر انظر الى كلام  
المفسرين رحمهم الله كيف تراهم يقولون في - يسبحون - يسبحون ، وذلك لأن الفلك القديم المشهور إذ  
ذاك لم يكن فيه للكواكب سباح ، فعجب للقرآن كيف أتى بالكشف الذي يسميه الناس حديثاً وقد شرحتنا  
بعض الشرح في «سورة يونس» وهو مشروح يبسط في كتابي «جواهر العلوم» وانظر كيف أعقب ذلك  
بذكر السفن السابحة في البحار للنسابة بينهما وأن كلا له طرق لوتركا اختل في جريه وكل ساج في مداره  
ليؤكد للمسلمين بهذا التناسب أن الكشف الحديث يناسب القرآن أشد المناسبة ويشير لهم من طرف خفي أن  
يجتدوا في المعقولات والبحث ، فالقرآن أمامكم لا ينفر من المعقولات ولا يأنف إلامن الخرافات والجهالات فقل  
(وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم (في الفلك المشحون) أي الموقرة أو المجهزة  
المملوءة التي فرغ من جهازها (وخلقناهم من مثله) من مثل الفلك (مايركبون) من الإبل فانه اسفائن البر ، وقد سجل  
بعضهم السفينة على سفينة نوح والذرية على الآباء لأنها من الأضداد ومايركبون مثله هي السفن والزوارق . وربما كانت  
إشارة الى الطيارات اليوم فهي في الهواء كالفلك في البحر (وان نشأ نغرقهم) في البحر (فلا صريج لهم) فلا مغيث ،  
أو فلاغاثة (ولا هم ينقذون) لا ينجون أي لا ينقذون إلا الرحمة منا ولم تمتنع بالحياة الى انقضاء الأجل فقوله (إلا رحمة منا  
ومتاعا الى حين) منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أي ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر  
مما أتم عملون من بعد ، أو من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (اعلمكم  
ترجون) أي ان تكونوا على رجاء رحمة الله وجواب الشرط محذوف أي أعرضوا وانما جاز حذفه لأن الجملة التي بعده تدل  
عليه وهي قوله (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) معناه أن دأبهم الاعراض عن  
كل آية وموعظة ولا فرق عندهم في الاعراض بين العقائد وبين الأعمال ولذلك أتبعه بقوله (واذا قيل لهم  
أنفقوا مما رزقكم الله) على الفقراء (قال الذين كفروا) بالصانع وهم المعطلون (للذين آمنوا) تهكم بهم  
من اقرارهم وتعليقهم الامور بمشيئته (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم (إن أتم إلا في ضلال مبين)  
في خطأين (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ما ينظرون) ما ينتظرون (إلا صيحة  
واحدة) وهي النفخة الأولى (وهم يخضمون) يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها وأصلها  
يختصمون فسكنت الناء وأدغمت ثم كسرت الخاء (فلا يستطيعون توصية) في شئ من أمورهم (ولا الى أهلهم



يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبعهم الصيحة (ونفخ في الصور) مرة ثانية (فاذا هم من الأجداث) من القبور جمع جدث (الى ربهم ينسلون) يسرعون (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) أى من أنشرنا من مضجعنا وقوله (هذا) مبتدأ (ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) خبر أى تقول الملائكة أو بعضهم لبعض أو بعض المؤمنين لبعض هذا الذى وعده الرحمن والذى صدق فيه المرسلون (إن كانت) النفخة الأخيرة (إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ، ثم يقال لهم فى ذلك اليوم (فليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل (كضيافة الله والنظر الى وجهه الكريم حتى ينسوا كل نعيم سواه ، وكزيارة بعضهم بعضا ، وسماع الأوتار وما أشبه ذلك ، وكل منهم يستلذ بما كان أهله فى الدنيا رفعة وضعة ، وقوله (فاكهون) أى متلذذون فى النعمة من الفكاهة (هم وأزواجهم فى ظلال) جمع ظل كشعاب أو ظلة كقباب (على الأرائك) على السرر المزينة (متكئون) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون (ما يدعون به لأنفسهم من الدعاء أو تمنونه تقول ادع على ما شئت أى تمنه ولهم (سلام) يقوله الله (قولا من رب رحيم) أو يقال لهم قولا كائنا من جهته أى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة ، ومن جلة ما يقال لهم تقر بها (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) العهد الوصية إذ عهد الله اليهم بما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع ألا يعبدوا الشيطان بالأصغاء الى وسوسته وتزيينه كما جاء فى الحديث فى تفسير قوله تعالى - اتخذوا أحوارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - إذ فسر ذلك بأنهم يشرعون لهم الشرائع ويسنون لهم السنن ، فهنا أصغاء للوسوسة وهناك اتباع للشرائع الزيفة (وأن اعبدوني) عطف على - أن لا تعبدوا - (هذا) الذى عهد اليك (صراط مستقيم) بليغ فى استقامته (واقعد أضل منكم جبلا) بضمتين أو كسرتين واللام شدة فىهما أو كسرل أو قفل لغات ومعناه الخلق فى الجميع (كثيرا أفلم تكونوا تعلمون) هذه جهنم التى كنتم توعدون) فى الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) تجحدون بها وبالكتاب وبالرسول (اليوم نختم على أفواههم) نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون يوم القيامة ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين حينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث - يقول العبد يوم القيامة إني لأجيز على إلا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتناطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنك كن كنت أناضل ،

واعلم أن هذا القول هو الذى يطابق العقل وعلم الحقيقة على التحقيق ، ألا ترى رعاك الله أن الانسان فى الدنيا وهو فى هذه الدار المملوءة أكاذيب وشرورا ونفاقا يخجل فتظهر فى وجهه الحرة ويوجل فيصفر ويتخذ القضاة من ذلك أدلة على ادانة المتهم ، وترى بعض الناس يقصون أثر الجناة ويتبعونهم فى السهل والجبل حتى يسألوا اليهم فيقدمون للقضاء ، وهكذا أبدى المجرمين يختم بها على الورق فلا تشابه يد يدا ، وإذا كان هذا فى عالمنا الجسماني فما بالك بالنفوس التى هى من عالم الأرواح فإن لكل ذنب أو عمل حسن أثرا فى النفوس بحيث يترى فيها الخير والشر ، فإذا انفصلت الأرواح من الأجساد ظهرت بهيئتها التى كانت عليها من شرّ وخير وهذا قوله تعالى - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ، فالنفس إذن هى الكتاب المكنون الذى لا غش فيه ولا كذب ، فاذا صمت اللسان نطقت الجوارح كما نطقت فى الآثار اليوم فى الدنيا ولكن هناك نطقها أفصح وعمها أكمل وعلاماتها أتم وفى حديث مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قلوا لا يا رسول الله وهكذا قال وقلوا فى القمر ليلة البدر قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ثم شرح فى الحديث لقاء العبد

ربه إذ ذاك إذ يقول له : ألم أكرمك وأسودك وأزودك وأسخر لك الخيل والإبل فيقول العبد بلى ويقر بأنه ما كان يظن لقاء الله وهكذا الآخر . ثم يقول آخر : « يارب آمنت بكتابك الخ فيختم على فيه » الى آخر ما تقدم . انتهى ملخصا

ثم قال تعالى (ولونشاء لطمسنا على أعينهم) لمسخنا أعينهم حتى تصير مسوخة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وهو منصوب بنزع الخافض (فأني يبصرون) أي فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولونشاء لمسخناهم) قردة أو خنازير (إلى مكاتهم) أي في مكاتهم ، وقرئ مكاتهم - أي لمسخناهم في منازلهم حيث يجترحون المأثم والكفر (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدرُوا على ذهاب ولا جئ ، أو مضيا أمامهم ولا يرجعون خلفهم (ومن نعمه) نزل عمره (ننكسه في الخلق) نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه حتى نرده الى أرذل لعمر (أفلا يعقلون) أن من قدر على ذلك تدريجا قدر على الطمس والمسخ فجأة (وما علمناه الشعر) رد لقولهم ان محمدا شاعر فلا لفظه موزون ومتفي كالشعر ولا معناه مما يتخيله الشعراء كما تقدم بيانه في سورة الفاتحة من الموازنة بينه وبين القرآن (وما ينبئ له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان أراد قرضه لأن الشعر سجية في النفس وذهب على الانسان ما لم يمد ، فليس كل الناس شاعرا ولا كل من أراد الشعر يتيسر له ، كيف لا وما كان ينبغ من العرب في كل قبيلة إلا شاعر أو شاعران وتصنع له الولائم متى ظهر ، فهو كالجمال لا يخلقه الانسان في نفسه فكيف يتأتى لمحمد (إن هو إلا ذكر) عظة وارشاد (وقرآن مبين) كتاب سماوى يتلى في المعابد وظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز (الينذر) القرآن (من كان حيا) عاقلا فهما (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) قابلهم بالاحياء اعلنا بأن الجهل والكفر موت كما ان العقل والعلم حياة (أولم يروا أما خلقنا لهم مما عملت أيدينا) مما تولينا إحداثه وحدنا (أنعاما فهم طامعا لكون) متملكون متمكنون من ضبطها (وذللناها لهم) صيرناها منقادة لهم (فنها ركوبهم) مركوبهم أو ركوبتهم في قراءة أخرى وهى بنفس المعنى كالحلوب والحلوبة (ومنها يأكلون) أي ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الصوف والوبر والشعر والجلد (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى المصدر (أفلا يشكرون) نعم الله في ذلك ، فلو لا خلقه لها أولا وتذليله لها ثانيا ما أمكن تحصيل هذه المنافع (واتخذوا من دون الله آلهة) أشركوها به في العبادة بعد علمهم بتلك النعم الظاهرة (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروهم فيما بينهم من الأمور مع أن الأمر ليس كذلك لأنهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم) لأنهم (جند محضرون) أي الكفار جند الأصنام يفضون لها ويحضرونها في الدنيا وهى لا تنصرهم وهم جندها أيضا في الآخرة إذ يؤتى بكل معبود من درن الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون في النار . واعلم أن هذا هو مقتضى علم هذه الدنيا فانك ترى أن الهواء لا يكون موضع الماء والماء لا يكون موضع الهواء والأرض لا تكون موضع واحد منهما وترى العليقة اذا وضعت قطعا منها في الماء تتجاذب ويجذب الأكبر الأصغر أكثر مما يجذب الأصغر الأكبر هكذا القلوب تتجاذب وتصير كل طائفة مع بعضها كما ترى الطيور والوحوش في الفلوات والحشرات في الحقول والغابات وفي الحديث « أنت مع من أحببت » فالعالم كله سائر بالعشق في المادة وفي الروح والقلوب شواهد (فلا يحزنك قولهم) في الله بالإلحاد والشرك (إنا نعلم ما يسررون وما يعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تنسلى به (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) أي جدل بالباطل بين الخصومة كأنه قيل : العجب من جهل الانسان كيف يخاصم ربه ولا يتفكر في بدء خلقه ومهانة أصله وأنه من نطفة قادرة ، نزلت في أبي بن خلف خاصم النبي ﷺ في انكار البعث وأناه بعظم قدرم وبلى ففتته بيده وقال : أنرى يحيى الله هذا بعدما رم ، فقال ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار وهذا قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) بدء أمره (قال



من يحيى العظام وهي رميم) بالية أى وضرب لنا مثلاً فى انكار البعث بالعظام البالى حين فته يده وتنجب عن  
يقول ان الله يحييه ونسى أول خلقه وانه مخلوق من نقطة (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى ابتداء  
خلقها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات وأجزاء الأشخاص المفتة المتبددة أصولها وفصولها  
ومواقعها وطريق تمييزها (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً) كالمرج والعنارفن أراد النار قطع منهما  
غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن  
الله تعالى ، تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين  
من أكثر الشجر ناراً (فاذا أتم منه توقدون) تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ، ثم ذكر ما هو  
أعظم من خلق الانسان فقال (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) أى وهو  
القادر على ذلك (بلى وهو الخلاق) يخلق خلقاً بعد خلق (العليم) بجميع ما خلق (إنما أمره) أى إنما شأنه  
(إذا أراد شيئاً أن يقول له كن) أى تكون (فيكون) أى فهو يكون أى يحدث وهذا تشيل لتأثير قدرته  
فى مراده بأمر المطاع للطيع فى حصول الأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاوله عمل واستعمال آلة  
(فسبحان) أى تنزيهه عما وصفه به المشركون وتنجب من أن يقولوا فيه ما قلوا (الذى بيده ملكوت)  
ملك (كل شئ) وزيادة أو او والناء للبالغة (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت . انتهى التفسير اللفظى  
وهو الفصل الثانى من السورة

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

( فى ذكر ما كنت فسرته به منذ سنين لتكون مائة معانيها أمام القارئ ملخصة مجمعة )

#### ﴿ مقاصد سورة يس ﴾

- (١) ذكر أن النبى ﷺ حق ما أرسل به وانه نذير للآمين وغيرهم
- (٢) بيان أن المنذرين صنفان : صنف يؤس من صلاحه ، وآخر سعى لفلاحه
- (٣) تبيان أن أعمالهم تحصى عليهم ولهم فتكتب آثارهم وتحصى أخبارهم
- (٤) إيضاح المقصدين السابقين بقصص حبيب النجار وقومه بانطاكية إذ حكم عليهم بالكفر وله بالايمن  
فقتل فدخل الجنة بما قدم من الايمان والارشاد وهلك قومه
- (٥) الدليل الطبيعى العقلى على البعث بعد الناريخى من العوالم السفلية وجناتها والعوالم العلوية وكواكبها  
وتبيان لقدرة الله ووحدانيته وعلمه ورحمته الشاملة
- (٦) جزاء الفريقين فى الآخرة وهو ﴿ فصلان الأول ﴾ بيان كفران الجاحدين هذه الأنعم وسرعة  
أخذهم أخذ عزيز مقتدر وندمهم عند معاينة العذاب ﴿ الثانى ﴾ الجنة ونعيمها ومأعد المؤمنين فيها
- (٧) توبيخ الكافرين على ما ارتطموا فيه من الجهل وانباءهم الشياطين
- (٨) ثلاثة فصول لثلاثة أغراض سبق فى السورة شرحها بأسلوب آخر وذلك ليستدلوا بما يعلمون من  
أنفسهم أعمالهم الخاصة بهم ﴿ الفصل الأول ﴾ قدرته على مسخهم فى الدنيا وطمس أعينهم وأبرز  
لذلك دليلاً من الأنس وهو تنكيس خلق المعمر من الناس ، وهذه تقابل قصص حديث أهل  
انطاكية فذاك فى الآفاق وهذا فى النفس ﴿ الفصل الثانى ﴾ الانتفاع بالأنعام من مأكول ومشرب  
وملبس ، وهذه نعم راجعة لأنفسهم فى مقابلة ما أنعم من نعم عمّة من الأرض وجناتها والشمس  
وأضوائها والكواكب ودوراتها والسفن وغيرها من النعم العمّة فن لم يشكر على النعم العمّة فما  
بإله لا يفقه ما يزاوله منها بنفسه ﴿ الفصل الثالث ﴾ اثبات البعث بما يعانون لخاصة أنفسهم من الزناد

إذ يقدحونها فيستخرجون ناراها ، أفلا يستطيعون السبيل للهداية مما يزاولون لما يعود على أنفسهم بالمنافع ان جهلوا ما كان مشتركا نفعه من الأرض والسموات

ثم ختم السورة بجوهرتين زهراوين وياقوتين حرادين من اتقانه النظام وأصلاحه العام ومن تدمير الناس وإفسادهم في الأرض ، فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاءه في الأرض وما أجدرهم أن يتخلقوا بأخلاقه ويسيروا على الصراط المستقيم ، وإيضاح الأولى انه عز وجل نظم جواهر النجوم المرهفات والكواكب السيارات وربطها بأسباب فدارت وأرسل لها من لينة رحمة فأمسكتها ومحبة حفظتها فدارت في مداراتها وجرت في أماكنها واجتذبتها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق يسميها (علماء المحسوسات جاذبية) تمسكهم لئلا تزول عن مداراتها وتختل في نظامها ، ولولا ذلك لتفرقت أيدي سبأ وطاحت شذرمذر فباد الوجود وهلك الموجود ، وذلك قوله تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض - الى قوله - حلما غفورا - وإيضاح الجوهرية الثانية أن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام وبدائع الاتقان فاتخذوا لله أندادا وعبدوا أوثانا فباؤا بال غضب صاغرين ورجعوا بالقت محرومين وإذا عاهدوا عهدا نبذوه وإن حلفوا أن يتبعوا رسولا ان جاءهم لم يتبعوه ، وطباعهم الكبرياء وشأنهم الإيذاء فهلا ساروا في الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة ألا ان عاقبة النبي لهم ودائرة السوء تدور عليهم ، ولولا رحمة واسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة ولكننا نؤخرهم الى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعم فليتمتعوا أياما في ساحات رحمتنا وانوردهم موارد الهلاك بعدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا في النظام . وذلك قوله تعالى في ﴿سورة فاطر﴾ - هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فن كفر فعليه كفره - الى قوله تعالى - إلا غرورا - وقوله - وأقسموا بالله جهد أيمانهم - الى آخر السورة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعز نفرا طعنهم الثرى بكل كلة ومنزقهم بطوله . فلك بيوتهم خاوية وجماعاتهم فانية للأقدار جانية

### ﴿ المقصد الأول ﴾

( يس والقرآن الحكيم ﴿ إنك لمن المرسلين ﴾ على صراط مستقيم ﴿ تنزيل العزيز الرحيم )  
ابتدأ الله عز وجل السورة بأبواب رسالته ﷺ وتوثيق عرى نبوته وتأييد دعونه وتبيان أن القرآن أنزل عليه من ذى العزة والقهر والرحمة والنضل توطئة لما ستسمع من قصص الظالمين وتفصيل بدائع الخلقة الشاملة آثارها الفائضة أنوارها

### ﴿ المقصد الثاني ﴾

( - لنذرقوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون - الى - وكل شئ أحصيناه في إمام مبين - )  
لما أثبت الرسالة والمرسل به شرع يشرح حال المرسل اليهم من أهل الدعوة اذا هم فريقان . فأما أحدهما فأحاطت به خطيئته وأرهقته زاته وفقد إيمانه وأوثقه طغيانه فثله كمثل من ضم الغل يديه الى ذقنه فلا يستطيع حراكا أو كمثل الذي سدت عليه المسالك وأحاط به السدان من خلفه وأمامه ثم غشى على عينه فسدت عاينه الطارق في نفسه بالعمى وفي الآفاق بالستين . ومن التعذيب تهذيب الذيب . وأما الآخرون فهم الذين اتبعوا الذكر وخشوا الرحمن في خلواتهم فأولئك لهم البشارة والرزق الحسن . ولا جرم أن الفريقين يرتقيان جزاء وفاقا وذلك في المقصد الثالث

### ﴿ المقصد الثالث ﴾

( - إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم - الى قوله - إمام مبين - )  
ولا جرم أن للمقدمات نتائج . وللأسباب مسببات . وللشجرات ثمرات . وللبادئ نهايات . والقسمان



المذكوران تحصى أعمالهما وتسطر أحوالهما ويحييان بعد موتهما وتعرض عليهما ما عملا من خير قدماه ومن شرّ جنياه ، ولما أن سجل ما ذكر عليهم أخذ يشرح ذلك بالقصص وهو المقصد الرابع

### ﴿ المقصد الرابع ﴾

( - واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون - الى قوله - أم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون \* وان كل لما جميع لدينا محضرون - )  
لما تبين أن لكل حظا مما جنّاه ، وقسطا مما اقترفه ، من خير وشرّ ، وأن الكتاب أحصى أعمالهم وأظهر أخبارهم ، أخذ يوضح ذلك بالقصص ، ويبينه بالتاريخ ، ويثبت بالشواهد ، كشافا للقيام وتثبيتا للبرهان فنصّل خبر أصحاب المسيح عليه السلام من الحوار بين إذ جاء اثنان منهم الى أهل انطاكية ودعواهم للايمان بخاتمتهم مائة جلدة وسجنوهما فجاء الثالث (شمعون) واحتمل على أرباب الدولة وعظماء الأئمة والملك المطاع وأرباب الضياع أن يستنطقوهما ولا يؤذوهما فأخرجوهما منه وظهرت الخوارق على أيديهما من إحياء الميت وإبراء الأكمه ثم نكسوا على رؤسهم وآذوهم فجاء حبيب النجار الذي كان أسلم من قبل لما شفى ابنه بدعائهما فقتلوهما أجمعين ورموهم في الرسّ ميتين . فهؤلاء هم أصحاب الرسّ . فهلك حبيب النجار ودخل الجنة وهاك قومه وادخلوا النار . فهذا القصص يدعو للاعتبار بالأثم البائدة والأجسام الهامدة إذ كفروا فبادوا وكتبت آثارهم ووعيت أحوالهم وحفظت في كتاب ليوم المآب . فما أجدر العباد بالحسرة اجهلوا الرسل . ومصير الدول . إن كل إلّا لدينا لمحضرون . واثن لم يؤمنوا بما يسمعون . ولم يعقلوا ما يقرؤون . في الكتب السماوية . والأخبار المروية . والكلمات اللفظية . والجل الحكيمية . فهلا درسوا الكلمات العالية . والعلوم الشافية مما كتبه الله بأيدينا في طروس السموات وأنواح القلوات وفوق الجبال الراسيات وتحت البحار الجاريات وهو المقصد الخامس وهو حكمة الحكماء ودرس الكبراء وأدب العلماء

### ﴿ المقصد الخامس ﴾

( - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - الى قوله - وكل في فلك يسبحون - )  
ألم تر إلى الأرض اليابسة أنزل الله عليها الماء فنبت زرا وشجرا فكان الحب والثمر والجنات والأعشاب وفجرت الأرض عيونا . وفي الأرض أزواج النبات والحيوان والانسان فمنها الذكور والاناث وما من نبات إلّا وفيه ذكر وأنثى كما يرى في النّرة والقمح كما تقدم في الفاتحة . ومن عجب تفجير العيون من الجبال . ألم تر كيف برد الماء في الجبال فصار ثلجا فكبر حجما فضغط الحجارة فانفجر ماء . ذلك ان الجبال مخازن للماء والعين بزبازها وصبورها والوادي مجراها والأشجار والنبات منتهاها . وانظر الشمس والقمر والليل والنهار كيف نظم الميقات وحفظ الحساب . واذا سلخنا النهار عن الليل بدا عاريا وظهور أسود قاتما . وترى الشمس جارية الى مداري السرطان والجدي وهما منتهاها . والقمر يجري في ثمان وعشرين منزلة لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر عما رسم له فهو أبدا مسخر مطيع بجريه السريع وكيف غفل الانسان عن الحساب وسها عن درس الميقات حكم نسجت بيد حكمت \* ثم ان نسجت بالمتنسج

ما للناس يعيشون ولا ينظرون وان نظروا لا يدركون وان ادّكروا لا يدرسون وان درسوا لا يحسبون وان حسبوا لا يتغفلون في باحات العوالم العلوية والسفلية . الشمس طالعة غاربة . والقمر في ذهاب وإياب . فهلا درسوا علم الفلك وفهموه واطلعوا في الأرصاد فكشفوه . إذن يعلمون أن الشمس لا تدرك القمر في دورانه ولا يسبق الليل أوانه . فالليل والنهار بحسبان . والشمس والتمر يسجدان . ألا ترى أن الشمس في جريها دائبة على قانون لا تتعداه . وسارة على صراط لا تتخطاه

انظر وفكر . أنت تعلم أن الفصول أربعة : الخريف والشتاء والربيع والصيف . وأول فصل الخريف في نصف شერთوت في برج الميزان إذ يستوى الليل والنهار في المقدار وهناك يزيد الليل أبدا نصف درجة وهو دقيقتان حتى إذا حلت ركائبها بساحة العقرب وزفت بموكبها إلى باحات القوس والأول في نصف بابيه والثاني في نصف هاتور فبنالك يزيد الليل كل يوم في الأول ثلث درجة وفي الثاني سدس درجة فتكون الزيادة إذ ذاك ثلاثين درجة وهي ساعتان : ساعة في الميزان ، وساعة في العقرب والقوس وتنتهي الشمس إذ ذاك إلى أول فصل الشتاء زمن يكون فيه الليل أربع عشرة ساعة والنهار عشرين ساعات ، وهناك يبتدىء فصل الشتاء في منتصف كيهك فيتدرج الليل في النقص والنهار في الزيادة ، فسدس درجة كل يوم إلى منتصف طوبه وثلاث إلى منتصف أمشير ونصف إلى منتصف برمهات وقد تنقلت في هذه الأبراج على التوالي وهي الجدى والدلو والحوت . وهناك يتساوى الليل والنهار وتحل الشمس ساحة برج الحمل وهناك تسمى الشمس الكبيرة ، وإذا نزلت البرج قبله وهو الحوت سموها الشمس الصغيرة إذ يكون الليل ثلاث عشرة ساعة ، وبحلول الشمس في الحمل يبتدىء فصل الربيع ويزيد النهار نصفاً فثلثاً فسدس درجة على التوالي في البروج الحمل والثور والجوزاء من نصف برمهات إلى نصف برمودة إلى نصف بشنس إلى نصف بؤنه . وهناك تكون الشمس في مدار السرطان ويبتدىء فصل الصيف ويأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة بسدس فثلث فنصف درجة من نصف بؤنه إلى نصف أيوب إلى نصف مسري إلى نصف توت في الأبراج الآتية وهي السرطان والأسد والسنبلة - ذلك تقدير العزيز العليم - وهذا الحساب تقريبي في القطر المصري

فالشمس لا تقتأ تسير على هذا النمط لاتعداه من يوم خلق الله السموات والأرض إلى الأبد وهذا معنى سجودها لله . فالشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان . ألا تعجب كيف سارت الشمس على هذا النظام فلا يتغير سيرها ولم تستأخر لحظة ولم تستقدم دقيقة بل جرت جريها المعروف أبدا وأمدا إلى يوم يبعثون أليس الذي حسب نظامها وقدر جريها محيط بأعمال العباد ؟

وذلك قوله تعالى هنا - وآية لهم أما حملنا ذريتهم في الفلك المشحون - إلى قوله - ومتاعا إلى حين - وإذا لم تقو بصائرهم على الاعتبار بكواكب السماء وسياراتها وشموسها وأقمارها ، فما كم دلائل مما تعملون لتكون أقرب لأفهامكم وأسرع لعقولكم ، فانظروا إلى السفن كيف أقدرناكم على صنعها ، وجرت كما يجري السمك في البحر ، وعلمناكم كيف وزعناها بالخيزرانه (الدقة) فقامت مقام ذيل السمكة حتى تسير يمينا وشمالا ، وكيف عرفتم قاعدة (أرشميدس) التي بها تحملون السفينة ما تطيق حتى لا يزيد جرمها وحملها عما أراححت من الماء في جريها ، ولولا ذلك لغرقتم ولكننا نجيناكم في أسفاركم كما نجينا آباءكم الأولين من الغرق مع الظالمين وهكذا فعلنا معكم في طياراتكم أفلا تعقلون

### ﴿ المقصد السادس ﴾

( - وإذا قيل لهم انقوا ما بين أيديكم وما خلفكم - إلى قوله - ألم أعهد إليكم يا بني آدم - ) يقول بعد أن عدد النعم التي خلقها ، والحكم التي أودعها . والمجائب التي أبدعها . أنهم معرضون لا يسمعون الناصحين . ومهما رغبوا في الانفاق على ذوي الاملاق احتجوا بالقضاء وقالوا أليس ربكم أقدر على الاطعام وأرحم بالأنام . وجهلوا أن الحياة اختبار والدنيا امتحان وابتلاء فسندحضرهم للحساب ونأخذهم بغتة وهم في شقاق وسباب متخاصمين فتأتيهم الساعة بغتة وتحل بهم الحسرة فلا يردعون حبيبا ولا يوضون بمال ولا يرجعون إلى أهلهم بحال . ثم يقومون وهم من كل حذب ينسلون وآخرون في الجنة ناعمون فلم فيها ما يشتهون من الثمرات واللذات وما تسر به أفئدتهم من اللذات المعنوية من سلامة وسلام . وهنا آن توبيخ الكافرين على التقصير وهو :



## ﴿ المقصد السابع ﴾

إذ قال - وامتازوا اليوم أيها المجرمون \* ألم أعهد إليكم يا بني آدم - . في هذا المقام امتاز المؤمنون من المجرمين وفرّج سبحانه الكافر على أن نبذ العهد وكيف أضل الشيطان رجلاهم (بتشديد اللام) فهلا عقلاوا أضلاله ، هذه جهنم التي أغريتم بتكذيبها ، فالיום صمت الناطق وهو اللسان ونطق الصامت وهي اليدان والرجلان ، ولما كانت عناية الله بالناس شاملة ، ولطفه بهم أعم ، أخذ يتلطف بهم في الأفهام ، ليدخل في قلوبهم الإيمان ، من طرق أقرب ، ومسالك أقصر ، مما يعملون ويشاهدون

فتعجب كيف قدم في أوائل السورة قصص أهل النطاكية إذ حاق بهم العذاب في الدنيا ثم أتبعه بتبيان مبين من نظرة في العوالم العلوية والسفلية ليعلم الإنسان بالعقل بعد ازدياده وازعاجه بالعذاب ، فهكذا ههنا أخذ يعيد الكرة بمنهج أقرب ومعنى أدق ، ذلك أنه قابل أول المعنيين بأنه أقدر على طمس الأعين حتى لا يبصروا ومسح الصور فلا يعقلوا - ولونشاء لطمسنا أعينهم - الخ

يقول : ليس العذاب قاصرا على إهلاك أمة وإبادة قبيلة . كلا . بل يتناول تشويه الأعضاء وطمس العيون ومسح الصور ومحو العقول كما نرى في الأمم التي عمّ جهالها فقلّ خيرها وزاد شرّها فانهم ذوو صور مشوّهة الباطن وإن كانت حسنة الظاهر . ولما كان تصوّر ذلك عمرا على العمّة صعبا على الجهلة قرّبه بعد ذلك بما هو أوضح محجة وأبين حجة فقال : - ومن نعمه تنكسه في الخلق أفلا يعقلون - إنا قادرون أن نمسح صورهم كما غيرنا صور المعمرين ونعكس صور العقول فتذل الأمة وتعيش في خزي فلاتموت في الدنيا ولا تحيا وهذا هلاك أدبي كإهلاك الأبدى الجسمي في أهل النطاكية . ولا جرم أن في هذا القول تصويرا للعقول بوصف المحسوس وإيضاحا وإرشادا فلذلك نبي أن يكون القول شعرا والنبي ﷺ شاعرا ، فالشعر في الأكثر لم يكن لمثل هذه الأغراض الشريفة - إن هو إلا ذكر وقرآن مبين - يفهمه العاقلون والأحياء ويجهله الغافلون الأموات ، ثم قابل ثانيهما بذكر الأنعام وملوكها وصوفها ولبنها وركوبها وتذليلها . فمن لم يعقل النظام العام من شمس وقر وأرض ونهر مما لا يعقل نظامه العالى إلا الأذكىاء . فليست فيها يزاوله من دابة يركبها وبهيمة يحابها . أفليس ذلك يكفي دليلا على وحدانيته وبرهانا على قدرته . فأين الأصنام الميتة والأوثان الجامدة ؟ تالله لا يستطيعون نصرهم ولا يملكون نفعتهم

ولم يبق إلا أدق الأدلة على الميعاد ويوم الجزاء فضرب له ﴿ مثلين دقيقين ﴾ مثلا من الأنفس الإنسانية ومثلا من أعمالها اليومية . فالأول أن التراب صار رجلا والطين صور عقلا . أليس ذلك عجبا ! والثاني ترتب عليه فكان نتيجة ذلك أن الأجسام الإنسانية كالأشجار النباتية لها صور ظاهرة وأنوار باطنة . ولكم قد حتم الزندة والزند من الأشجار لاسيما المرخ والعفار فأدرتم غصنا من المرخ في نقرة تفرتموها في غصن من العفار حتى أحدثت الحركة حرارة فاتقد شرارة فأنتم منه توقدون . وهل يعسر أن تصوّروا أن في أبنيتكم الجمائية نفوسا نورية يكون لها شؤون وأى شؤون كما انتقدت النار من شرر العفار ونفعت أمما وكانت متاعا للمسافرين ونضجا للمجبن . واصطلاء للششتين . وتسخينا للماء . وزجرا للقطار وللسفن في البحار . وإذا كانت الأشجار كالمرخ والعفار والزناد من الأشجار قد فعلت عظيما وبقيت أجسامها بعد ذلك كثيرا فما بالك بالإنسان ؟ أفلا يرى أن له نفسا باقية وروحا خالدة ستلقى جزاءها . على أن الذي خلق الأرض والسموات قادر على أن يحيى الأموات فما لكم لا تعقلون ! إن كانت القدرة على الأحياء يعوزها كثرة الأعمال وضخامتها فهذه السموات والأرض أودقتها فهذه النار في الأشجار أومزاولتها من قبل . فهأى أجسامكم كانت مخلوقة من قبل وهو على إعادتها قادر فلم يبق إلا الاجلال والاعظام والاتصاف بالاعتراف - فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون -

## ﴿ آيات العلوم في هذه السورة ٢٤ آية ﴾

من قوله تعالى - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - الى قوله - ومتاعا الى - ين - وقوله - أولم يروا  
أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما - الى قوله - واليه ترجعون - آخر السورة  
هذه الآيات (٢٤) تشير الى هذه العلوم : (علم الزراعة . النبات . البساتين) وفي قوله - مما لا يعلمون -  
الحث على البحث في العالم عما لم يعلم من الحيوانات المكروية والنباتات الخفية ، وهكذا الكرات البيضاء  
والجراء في دم الجسم وغير ذلك وعلم النفس وعلم التشريح - ومن أنفسهم - وعلم الهيئة وعلم التقويم وبناء  
السفن والخطوط البحرية ومعرفة الجهات لسير السفن والنجوم والتيارات البحرية وخطوط البحار وكل آلات  
السير من الآلات الجارية كالقطارات الجارية بالبخار والكهرباء ، وذلك في قوله - من مثله ما يركبون - وعلم  
الأنعام وتربيتها

## ﴿ آيات الأخلاق ﴾

ليس فيها آيات خاصة بالأخلاق إلا بطريق الإشارة والتلويح

## ﴿ آيات الأحكام ﴾

من قوله تعالى - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - الى قوله - واليه ترجعون -  
هذه آيات احتج بها الله تعالى على منكري البعث فدحض دعواهم وأثبت أن من قدر على الابتداء  
فهو على الاعادة أقدر ، وهذا دليل على أن رد الشبهة مشروع فان القرآن بالحجج كالبحر الزاخر لا يذرع اعتراضا  
للمحد ولا نكرانا لجاهل ، بل يصدع بالحجة ويدحض الباطل ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق  
فلا جرم أن حرب اللسان والقلم أقوى من وخز السنان ، وطعن الصارم ، وفتك المدفع ، وحصد الديناميت ،  
يطيع بها العاصي ، ويدنوها القاصي ، وتخبث لها القلوب ، وتخضع لها النفوس  
فعلى قادة الأمة نشر النضال ودحض النقائص وإذاعة أخبار الخير والنزف عن هذه الأمة ودينها وإقامة  
الحجج على فضلها ، فعلى كل امرئ أن لا يذرع فرصة حتى ياهج بمحاسن الدين ويذب عنه في شرق الكرة  
الأرضية وغربها ، وليعلم الصغار وهم في حداثة سنهم كي ينشروه وهم مستبشرون . انتهى الفصل الثالث

## ﴿ الفصل الرابع ﴾

( في عجائب العلوم التي تشير لها هذه السورة )

## ﴿ معنى - يس - ﴾

اعلم أن (يس) حرفان ذهب العلماء فيهما كل مذهب . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : « معناه  
يا انسان في لغة طيء » ويقول غيره يا محمد ، وقد علمت في سورة آل عمران أن هذه الحروف جاءت في  
القرآن لتذهب العقول فيها كل مذهب لا تختص بطائفة دون طائفة . ولقد ذكرت لك آنفا أن هذه الحروف  
تحليل الكلمات ، وليس في العالم المشاهد إلا اثنان العناصر والحروف . فالعناصر منها تكون المركبات من  
حيوان ونبات وشمس وقر والحروف منها تكون الكلمات والجل والخطب والنثر والظم  
هذا ملخص علوم الانسان على هذه الأرض . فهذه الحروف المذكورة في أوائل السور تبلغ ١٤ حرفا  
وهي نصف الحروف الثمانية والعشرين وقد تقدم هناك ايضاح حكماتها . والذي يهم في هذه السورة بيان أن  
ذلك اشارة الى أن الحروف قد حلت اليها الكلمات كما تحلل المركبات الى عناصر . وكأن الله يقول لنا تأملوا  
الجل والآيات أليست من حروف ؟ وهل تعرف الجل إلا بتحليلها الى كلمات ؟ وهل تعرف الكلمات صرفا  
واشتقاقا وكتابة إلا بمعرفة حروفها



هذا في علوم اللغات . أما في علوم الآفاق المشاهدة فكذلك إذ لا يعرف علم إلا بمعرفة حقائقه وارجاع مركباته الى أصولها كما ترى في هذه السورة فن خروج النار من الشجر الأخضر يرجع الى علم الكيمياء وهو من العلوم الطبيعية . وتقدير القمر منازل يرجع الى علم الفلك وهو من العلوم الرياضية . يقول الله لنا لا علم للناس إلا اذا حللوا المركبات في كل شئ . فيحللون المسائل الحسابية والهندسية والفلكية وكذلك المركبات الطبيعية

﴿ الكلام على قوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - ﴾

انظر في هذه الآية وتأمل كيف يقول الله للناس وهم لا يزالون في بدوهم وأول تطورهم . انظروا واعرفوا ما تزاولونه من أعمالكم

أيها الناس : تأملوا في العجائب البارزة أي التي سبقت في خواصها بحيث تلتفت اليها الأنظار . انظروا شجر المرخ والعفار كيف يكون الغصنان منهما يقطران ماء فاذا حك أحدهما في نقرة من الآخر اشتعل نارا . أليس هذا من العجب أن تروا النار والماء معا ، وكيف يجتمع الضدان الماء والنار . إن هذا الاجتماع يدعو الى الفكر فان التعجب أول العلم ومن تعجب من شئ فهو مشتاق اليه ومن اشتاق طلب ومن طاب نال ونظير هذا الأشجار فاذا حك شجر على آخر انقذحت منهما نار وظهر شرر . أمر الله الناس بالنظر في هذا استدلالا على سعة قدرته وحث الناس قبل ذلك على الاعتبار بما ينتفعون به من دواب للركوب وأخرى لمنافع ومشارب وأمر بالشكر عليها وويح من لم يشكر

﴿ البدو والحضارة ﴾

كل ذلك والقرآن يقرأ في بادية العرب عند قوم أميين في حال البدارة . يأمرهم أن يستخرجوا البراهين من العجائب التي يرونها ويشكروا على كل ما انتفعوا به . هذا هو شأن القرآن . يخاطب الأميين . انظر ماذا حصل بعد ذلك . تطورت الأمة العربية خصوصا والاسلامية عموما . فماذا جرى ؟ انتقلوا من البدو الى الحضارة كان الافتاء أولا من صدور الرجال وفهم القرآن . كثرت الناس . سكنوا المدن . نظموا الممالك والبرد والنساء فاضطروا الى التأليف والتصنيف ودوتوا الدواوين واختافت طرق الاجتهاد فكانت مذاهب متشعبة كأغصان شجرة فيها الورق والزهر . ذلك كله في علم الفقه المستمد من آيات لا تزيد على مائة وخمسين آية فقد ألف فيه مؤلفات ملأت خزائن وخزائن في بغداد وقرطبة ومصر وحلب . لماذا ؟ لأن الفقه اضطر له الناس ليحفظ أحوالهم الاجتماعية . فهو في دين الاسلام كجسم والجسم مقدم النظر فيه على النظر في الروح . وروح بجسم ضعيف ضعيفة وأمة بلا قانون مشتتة . تمادى الناس في الفقه واختص بالبحث في العالم وعجائبه أناس ودوتوا الكتب ولكنهم لم يكونوا في الكثرة ولا في نظر العامة كالفقهاء

نبغت الأمة الاسلامية في الفقه تبعاً لنمو الحضارة حتى أمكن أن يستنتجوا من آية واحدة وهي قوله تعالى - فاعتبروا يا أولى الأبصار - ربع علم الفقه وهو القياس . جلّ الله وجلّ العلم هذا شأن آياتنا في علم الدين ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ سياج علم الدين وجسمه

أما روح الدين الاسلامي فهي الأخلاق والعلوم الكونية . والدليل على ذلك أن الأخلاق نحو (٧٥٠) آية وكذلك العلوم بل ان القسمين الأخيرين يشملان أكثر القرآن . فلقصص كلها أخلاق من حيث نتائجها وعلوم . لم يحث أكثر العلماء في القرون الأخيرة على علوم الأخلاق ولا علوم الآفاق . عرف آباؤنا الصوف والشعر والوبر والزناد وكلهم الله فقال انظروا . تحضر آباؤنا . نظموا المدن . فتحوا مصر والشام وشمال بلاد افريقيا . ولما فعلوا ذلك كله ملكوا الأندلس . ملكوا الهند والفرس . واتسع انفعه باتساع المالك فكان مقتضى القياس أن يتسع علم الكائنات وينتقل من لبن البقر وصوف الغنم ووبر الابل وزناد المرخ والعفار الى جميع العلوم الكيماوية والطبيعية كما اتسع علم الفقه من القضايا الأولى المذكورة في القرآن كآية الموارد

وآية الدين وآية الوضوء والصلاة والزكاة الى كتب ضخمة هائلة وعلماء خصصوا لذلك كل القياس أن يكون للعلوم الكونية من طبيعة وفلك ورياضة وسياسة رجال أكثر عددا من علماء الفقه ، ذلك لأن هذه العلوم بها يكون الغذاء والدواء والحياة ، فأمر علم الفقه فهو ضابط لما هو موجود ، فعلم الفقه لحفظ مائلك ولاكن لا تلك شيأ إلا بهذه العلوم ، ومماثل الأمة التي تدرس الفقه وتنسى العلوم الأخرى إلا كمثل من يتغذى بالدواء . إن الدواء ليس غذاء ، فذلك يعيش مريضاً ، لذلك وإغيره اضمحلت الممالك الاسلامية في أقطار الأرض ، ولكن الله عز وجل لم يخلها من علماء قاموا بالأمر لاسيما المسيحيين والممارسين فقد نبغ كثير منهم في تلك العلوم . ولما آذنت شمس المسلمين بالغروب اسقل علم آبائنا في ذلك الى أوروبا والذي نقله هو الله ، نقل البذرة فنمت هناك وأزهرت وأثمرت ، فعل الله ذلك لأنه هو المهيمن على أهل الأرض وكلهم عباده وهو الذي يعلمهم فلما انحطت دولنا في الشرق نقل علمنا الى الغرب فلما تم العلم هناك أخذ الغرب يطعن علينا وحر بنا بثمرات علوم آبائنا والله هو الذي سلطهم علينا رحمة منه بنا لأننا ان كنا أهلاً للحياة اشتقنا فقرأنا فنبغنا وهو المقصود ، وان كانت الأمة لم تستعد لذلك فانها تهلك والعياذ بالله تعالى ، فوث البليد راحة له ولأهل الأرض ، وحياة الذكي نفع له ولأهل الأرض . فن هذا ترى أن شكوى الشرق من الغرب خطأ لأن الله هو الذي سلطهم وانما سلطهم لرحمتنا إما بحياة علمية واما بموت على شهادة . فأما اذا كان غير ذلك فيكون الناس في الأرض أشبه بمن في جهنم لا يموت فيها ولا يحيا

﴿ علوم الآفاق في مستقبل الزمان في بلاد الاسلام ﴾

علمت أن أهل البادية من آبائنا ككفاهم نظرهم العلمي فيما كان بأيديهم من منافع وآمنوا ووجدوا وجاهدوا وملكوا الأقطار . لماذا ؟ لأن الفطر السليمة في البادية أقرب الى الكمال لم تدنس تلك الفطر المدنية فلذلك قنعوا بما حولهم من علوم المادة فكان العلم بما حولهم كافياً لا يحتاجهم كما كانت حاجاتهم المعيشية البسيطة كافية لأغذيتهم الجسمية . ولا جرم انه على مقدار انتشار المدنية واتساع المدن يحصل ﴿ أمران ﴾ الأول : كثرة الحاجات فتنشأ الصناعات الكثيرة والعلوم العظيمة ﴿ والثاني ﴾ أغشية العقول والشهوات والذائل وأمراض الأخلاق التي تتكاثر بكثرة المدنية . فهذان أمران متتاميان معا : كثرة الحاجات الجسمية في المعيشة . وتطلب العقول لحل العضلات وازالة الشكوك التي يولدها الترف والتنعيم وانتشار الآراء المضلة التي لا يعرفها أهل البداوة . واذن ترى أهل المدن مضطرين للعلوم الآفاقية لترقية المدنية والحاجة لها واتسمة العقول وارتقاؤها . ولما مال الميزان في الأمم الاسلامية ولم تترن القوى العقلية والقوى الجسمية فيها انحطت كلها إلا قليلا . فترى المسلم أينما حللت في الشرق أو الغرب موصوفاً بالظافة لما اشتهر في علم الفقه من الوضوء والصلاة ولكنه مشتهر بأنه جاهل . ولذلك لما رحل العلم الى أوروبا رجعت اليها تعاقبنا على جهلنا . العقاب من الله . فأوروبا تمار بنا وتحمل بلادنا لمنافعها وهي لا تعلم أن الله أرسلها رحمة منه لنا لنسقيق هذا الكتاب الذي نؤمن به ولندرسه حق دراسته . ومن دراسته دراسة هذه السورة وفيها أن النار تنقد من المرخ والعفار ومن هذه مع حرقى الياء والسين وأمور أخرى سيرجع للاسلام كرة أخرى مجده وعلومه . وسيكون في هذه الأمة من يقرؤن هذه العلوم على أنها دين بل هي روحه وهي أصل اتوحيد

﴿ محاورات بين المؤلف وبين أحد العلماء ﴾

حضر اليوم وأنا أكتب هذا صديق حليم من أهل العلم . فقال : لقد أطلت في مسألة الشجر وانتقاده نارا وأدخلت كل شئ في شئ واحد وهذا بعيد المنال ليس مما يعتاد أمثاله ولا يقبل أمثاله . قلت : إن انتقاد النار في الأشجار رطبة أو غير رطبة من انظواهر الكيمائية . فقال مامعنى كيمائية ومامعنى طبيعية . فقلت : اذا تنوعت صفات الأجسام بتأثير مؤثر ما كالحرارة والكهربائية أو بتأثير بعض الأجسام . فهذا التسويع اسمهونه



(ظاهرة) فان غير هذا التنوع طبيعة الجسم وحوله من حال الى حال سميت الظاهرة كيمائية . وان لم يغير طبيعته سميت ظاهرة طبيعية

فاذا أخذت قطعة من السكر ووضعتها في الماء فانها تذوب فيه وتصبح سائلة بعد الصلابة ، فاستحالة قطعة السكر من الصلابة الى السيولة ظاهرة طبيعية لأن طبيعة السكر لم تتغير لأنك اذا وضعت الماء الذي ذابت فيه قطعة السكر على النار رأيت الماء يتصاعد ويبقى السكر كما كان قبل ذوبانه ، واذا وضع السكر على الجمر المتقد مباشرة فانه يحمر وتشم منه رائحة الحبر المحرق . فهذا التنوع يسمى ظاهرة كيمائية لأنه غير طبيعة السكر واذا حل السكر في الماء المضاف اليه عصير الليمون وسخن المحلول فانه يصير مادة طعمها حلوسكري تركيبها يخالف السكر المعتاد وهذه المادة تسمى (جليكوز) وهي تكون في جميع الثمار السكرية الحمضية . فاذن استحالة السكر المعتاد الى (جليكوز) بتأثير عصير الليمون يسمى أيضا ظاهرة كيمائية . ففرقة الظواهر الطبيعية في علم الطبيعة ومعرفه الظواهر الكيمائية في علم الكيمياء

فقال صديقي : فن أيهما مسألة النار في الشجر . قلت من الظواهر الكيمائية . قل : إذن تريد أن تستمر في شرح الامور الكيمائية . قلت : نعم ما يناسب منها المقام . قال : ولكن المعلوم أن علم الكيمياء علم غير لذيذ وليس للطلاب إلا أن يحفظه عن ظهر قلب ففائدته غير موجودة ونحن الآن في تفسير القرآن . واذا كانت المسائل الكيمائية تصعب على طلابها فما بالك بطلاب التفسير . فقلت : اعلم أيديك الله أن الكيمياء وغيرها اذا درست في التفسير فانها لا تدرس إلا بطريق مشوق لجعلها محبب للاطلاع عليها . ألا ترى الى المثل « ليست الناحية كالكلى » قد كرر مسائل من هذا العلم هنا على سبيل عرض مناظر الجبال العلى والنور الالهى والحكمة العالية فما أشوق الطالب حين يطلع على ما سأورده الآن من جبال وبهاء ونور وعرفان ﴿ نظرتى لهذا العالم وأنا طالب بالجامع الأزهر ﴾

إني أتذكر اليوم ما كان يجيش بخلدى ويهيجس في نفسى إذ كنت طالبا بالجامع الأزهر ، فلقد كنت أقف على شاطئ نهر يسمى (أبا الأخضر) بالشرقية قرب قريتنا وأأمل الأوراق والنسمات تهب بهم مرنحات ذات اليمين وذات الشمال

والريح تعبت بالغصون وقد جرى \* ذهب الأصيل على لجين الماء  
فلقد كان يخيل الى أن فى تلك الأوراق أسراراً ويخيل الى أنها تكاد تتحلل أمامى وكأنها مملوءة حكمة  
محجوبة عني وكأن قلبى يتقد ناراً من الشوق الى معرفة عجائبها وهو يحس كأنها تتوهج وتضىء وكأنها تنطق  
بلسان الحال بأنها ذات أسرار لا يعرفها الا العالمون . كذلك كنت أنظر الى النجم وأقول :

النجم أخبرنا بأن وراءه \* حكما تجل عن العقول وتعظم  
بعد ذلك دخلت مدرسة دارالعلوم . فلما اطلعت فيها على أثارة من هذا العلم انشرح صدرى وكأني  
أعطيت ملكاً وكان ذلك أعظم بهجة لنفسى وسرورا وحبورا

﴿ ايضاح المقام وتفصيله بالمثال ﴾

فهذه العلوم ان درست مجردة من الحكمة النظامية كانت صعبة المنال وان درست على انها جبال وحكمة  
وبهاء فان العقل يألفها ويعشقها ويراها سعادته . فلا تذكر لك الآن من عجائب الكيمياء ما به تقر عينك  
ويشجع صدرك فأقول :

لقد قرأت فى السورة أن الله يأمر بالنظر فى الأنعام وأوامها وألبانها وفى الأشجار ونارها ﴿ وبعبارة  
أخرى ﴾ يقول انظروا فى كل ما حولكم فى السماء والأرض . فهل ذكر الله ذلك للاقتصار عليه ؟ كلا . ذكر  
ما هو موجود عندهم . فلننظر نحن الى كل ما نعلم مما حولنا . يذكر الله أن الشجر اتقد فصار ناراً . وماهى النار

إن هي إلا اتحاد عناصر الخشب والفحم وغاز الاستصباح والبترول والزيت وغيرها بالمادة التي في الهواء المسماة (الاكسوجين) فهذا هو الاحتراق ، فإذا رأيت مصباحاً متقدماً بالبترول أو بالزيت أو رأيت ناراً متقدة في خشب أو فحم فغنى ذلك أن أكسوجين الهواء قد اتحد مع تلك المواد فحصل تفاعل وهذا التفاعل أنتج الحرارة والضوء ، فلنأخذ من التفاعل الكيميائي وهي ظاهرة كيميائية ، وما الاكسوجين ؟ الاكسوجين غاز عديم اللون والطعم والرائحة يسيل بضغطه ضغطاً عظيماً وتبريده تبريداً شديداً ، وهو أثقل من الهواء قليل الذوبان في الماء ، وإذا وضعت قطعة من الخشب متقدماً طرفها في غاز الاكسوجين النقي فانها تلتهب حالا وكذا الفحم فانه يحترق بلمعان شديد ويزول بسرعة ، فهذا الذي رأيته يسمى احتراقاً حاداً فاذكره الله في الآية من الاحتراق الحاد

### ﴿ الاحتراق البطيء ﴾

إذا وضعت الحديد في الهواء الرطب اتحد بالاكسوجين المذكور فاستحال شيئاً فشيئاً الى صدأ أى الى مركب أكسوجيني للحديد ، فاذن الحديد الذي ركب الصدأ مركب من حديد وأكسوجين ولم تظهر حرارة ولا ضوء لأن الحديد بطيء الاحتراق بخلاف الخشب والفحم والزيت ، فرجال الكيمياء يرون أن الخشب الملتهب والحديد الذي ركب الصدأ كلاهما في احتراق ، أما الأول فهو حاد ، وأما الثاني فهو بطيء .

### ﴿ تنفس الحيوان من الاحتراق ﴾

لقد علمت أن الحديد الذي صدأ يحترق واحتراقه بطيء هكذا قل في تنفس الحيوان ، إن الحيوان يأخذ بالشهيق الهواء فيدخل في الرئتين ويترك هناك الاكسوجين وتأخذ الكرات الدموية وتنقله الى الأوعية الشعرية ، وهذا الاكسوجين يتحد بالكربون والايديروجين اللذين في الأنسجة فيتكوّن من هذا الاحتراق جسمان لا يصلحان للبقاء في الجسم فينقلهما الدم الوريدي الى الرئة ويخرجان منها بحركة الزفير فكان جسم الانسان أرض سقيت بماء النيل وما بقي من الماء الذي يضر الأرض يصفي من جهة أخرى وهذا هو الذي تم في الاكسوجين ، يتحد بالمادة الكربونية وبالمادة الايدروجينية فتكون الحرارة في الجسم مستديمة بهذا الاتحاد ، وما نشأ من مادة فاسدة يكون أشبه بالفحم بعد احتراق الخشب ، فذلك يلفظه الجسم بواسطة الدم الوريدي ويخرج في النفس على هيئة مواد تقع على المرآة اذا تنفس فيها الانسان فيغطيها بطبقة تحجب المناظر عن العيون ، ذلك هو ما تخلف من الاحتراق من المواد الكربونية مع غيرها كما نرى في أعمالنا اليومية فانظر أيها الذكي كيف كان الاكسوجين قوام الاحتراق في مسألة الشجر والنار ، وكيف كان العلم لا يفرق بين الشجر المتقد ناراً في الآية والحديد الذي صدأ وجسم الانسان والحيوان وهو دائماً يتنفس . فإذا كان الشجر يتقد ناراً فالجسم الانساني اليوم يتقد ماراً بطيئاً والحديد الذي صدأ كذلك وهذا كله لم يعرف إلا بتحليل المادة الى عناصرها ونهملها كما فهمنا اللغة بتحليلها الى حروفها . كل هذا يؤخذ من هذين الحرفين (باء وسين) . فذكر هذين الحرفين في أول هذه السورة يتضمن هذه العلوم . يتضمن أن يدرس المسلمون الكيمياء وجميع العلوم . لادرس لعلم إلا بتحليله كما ستراه . فانظر كيف ظهرت الخواص بالتحليل كما عرفت الكلمات بالنهجية

فلما سمع صاحبي ذلك . قل : ان هذا العلم لذيق وشهي واني سمعتك تقول الآن انه كان يخيل لك أن أوراق الشجر كانت تكاد تتحات أمامك وكأن فيها أنواراً . فهل عرفت من هذا شيئاً ؟ فان كان كذلك فأرجو الاسهاب في هذا المقام . قلت : انظر شعر القطن وحب القمح وحب الشعير وحب الذرة وحب الفول والبطاطس والقصب والبرسيم والصابون اللين وملح البارود والنطرون والزجاج . انظر الى هذه المواد وهي ثلاثة عشر وتأمل في عجب من عجائبها . ان البوتاسا تدخل في القطن (هـ) من المائة وفي حب القمح ٣١ر٥



وفي حب الشعير ٢١ وفي الذرة ٣٧ وفي الفول ٤٢ وفي البطاطس ٦١ وفي انقصب ٢١ وفي البرسيم ٣٤ وترى الصودا تدخل فيما تقدم بنسب تختلف عن هذه ، مثلا تدخل في شعر القطن (٣٥) تقريبا وفي حب القمح (٢٢٦) في المائة وفي حب الذرة (٣) وفي حب الفول (٣٣) من المائة ، فاذن كل هذه المواد دخل فيها البوتاسا والصودا ، ثم ان الصودا تستعمل في الصنائع لتحضير الزجاج والصابون وبها تبيض الأقمشة القطنية وتستعمل في المنازل لغسل الأواني وتنظيفها

فقال صاحبي : أما لا أدري ماهي الصودا ، هذا كلام معي علينا فكيف نقوله في تفسير القرآن والقرآن سهل ومثل هذا صعب لا يعرف إلا في الأجزاء (الصيدليات) . فقلت له : الصودا هي البطرون وهو يوجد في بلاد المجر وفي القطر المصري . وترى في بلادنا المصرية بركا يتلور فيها البطرون في الصيف . وقديما كان يستخرج من النباتات البحرية والآن يحضر من الملح المعتاد الذي يسمى كلورور الصوديوم والصودا المذكورة أو ملح الصودا الذي منه البطرون عبارة عن كربون وأكسوجين وصوديوم أعني انه من المادة الفحمية والصوديوم والاكسوجين المعروف اتحدت فكانت هذا الملح . قال : وما الصوديوم وما صفاته ؟ فقلت : الصوديوم فلز لين ذوامان فضي يصهر في الهواء من غير أن يلتهب . واذا ألقى في الماء اضطر وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء وهذا التفاعل يحصل نظيره في البوتاسيوم كما سيأتي وهو يكون في الحبوب التي نأكلها المذكورة ودخل في القطن الذي نلبسه . كل ذلك فيه بوتاسيوم وفيه صوديوم . أما الصوديوم فهو من الأجزاء المركبة للصودا المذكورة . وأما البوتاسيوم فهو من الأجزاء التي تركبت منها البوتاسا المذكورة سابقا فان البوتاسا المذكورة أي الداخلة في الحب والشعر وغيرها عبارة عن بوتاسيوم قد اتحد مع اكسوجين وايدروجين وتسمى (البوتاسا الكاوية) والبوتاسا جسم كاوشديد اذا لامس الأنسجة أحدث فيها استرخاء وأتلفها . ومن مركبات البوتاسا ملح البارود . إنك مهما قلبت نظرك في المواضع الرطبة والحيطان الرطبة في أراضي القطر المصري والهند والحجم واسبانيا فانك تجد ملح البارود ظاهرا لاسيما في الحبل الخربة . فهذا الملح الذي في تلك الأماكن مركب من الاوزوت والاكسوجين والبوتاسيوم المذكور . فهو إذن من مركبانه فالبوتاسيوم إذن داخل في البارود وفي ملابسنا وفي ما كنا واذا أردت أن تعرف صفاته قلنا انه جسم من الفلزات لونه أبيض فضي لماع لين كشمع العسل ويصهر على درجة (٦٢٥) ويتطاير على درجة دون الاحمرار ولون بخاره أخضر جيل وهو أخف من الماء ويتغير لونه بملابسة الهواء ويحلل الماء على الدرجة المعتادة فيحصل تفاعل بشدة . فاذا ألقيت قطعة من البوتاسيوم في الماء فان كرات البوتاسيوم تحمر بسبب شدة ارتفاع الحرارة الناتجة عن التفاعل ويحصل التهاب . وترى بعينك كرات من البوتاسيوم يدور بعضها على بعض سابحة جميعها على سطح الماء . وهذه العملية يحصل بها استحالة البوتاسيوم الى بوتاسا وحينئذ ينقطع التصاعد فتسقط قطعة البوتاسا على الماء فيظهر بخار جفأ بسبب الحرارة وتحصل فرقة

هذه ملخص أوصاف البوتاسيوم . انظر وتجب . لقد عرفت البوتاسيوم الذي هو من أجزاء البوتاسا تلك البوتاسا التي تدخل في تركيب الصابون ويدخل البوتاسيوم أيضا في ملح البارود الذي هو مركب من البوتاسيوم ومن الاكسوجين ومن الاوزوت

انظر الى الصابون الطري والى ملح البارود الذي تراه على الحيطان الرطبة والأماكن الخربة . وانظر الى ثوبك الذي تلبسه من القطن والى حب القمح وحب الفول والشعير والبرسيم . انظر هل يدور بخلدك أنها قد دخل فيها عنصر لو وضعناه على الماء انقذ نارا . هل كان يدور بخلد أحد أننا نلبس ثيابا محتوية على مادتين لو وضعنا على الماء انقذ نارا . الله أكبر . جل العلم وجلت الحكمة . نسمع أن البارود يهلك البلاد والعباد والبارود مركب من ملح البارود الذي فيه البوتاسيوم ومن الكبريت والنجم . البارود مركب من الفحم

الذى نوقده فى بيوتنا ومن الكبريت ومن ملح البارود وقد اختلفت الدول فى المقادير كما تقدم . ففرنسا تدخل من ملح البارود (٧٥) فى المائة وألمانيا (٧٤) فى المائة وإنجلترا (٧٦) فى المائة فى تركيب البارود . البارود الذى فزت به أوروبا علينا وأتت وحاربتنا به ودخل فى تركيبه البوتاسيوم ، ذلك البوتاسيوم الذى اذا ألقى على الماء التهاب الماء ، ذلك البوتاسيوم الذى هو من جملة الأجزاء المكونة لملابسنا القطنية والقمح والشعير والفول والبرسيم . جلّ الله . ما أجل العلم . انظر الى علم الكيمياء . لا لا . بل انظر الى سورة يس كيف ظهر من سرّها هذا الجمال وهو التحليل وتحليل الحروف فى أولها وتحليل الكيمياء فى آخرها . انظر كيف دخل البوتاسيوم ودخل الصوديوم هذان الجسمان اللذان يلهبان فى الماء ، يلهبان أشدّ من التهاب الشجر الأخضر ، أكثر من التهاب المرخ اذا حكت بالعفار . جلّ الله وجلّ العلم . ما أبهج نور العلم وما أجل الحكمة . إن العلم ملأ السهل والجبل وعرفه الغربيون أما المسلمون فهم نائمون

أيها المسلمون : يقول الله سبحانه - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون - ولعلكم سمعتم أن الله خالق ملكا نصفه نلج ونصفه نار ، فلا النلج يطفى النار ولا النار تذيب النلج ، ذلك اشارة الى آثار صنعة الملائكة بأمر الله . ألم تروا كيف اجتمع فى ملابسنا جسمان ناريان مصحوبان بالماء العجب فى هذين الأمرين : الأول ان البوتاسيوم والصوديوم يلهبان فى الماء على الدرجة المعتادة وهذا عجب عجاب . هذا أعجب من انقاد النار فى شجر أخضر . فهذا انقاد فى ماء وانقاد الماء نارا أغرب . فاذا ذكر الله سبحانه الشجر والنار المتقدة فيه فهنا انقاد فى الماء وهو أبعد وأعجب فى الحكمة الالهية كما قال - ويخاق مالا تعلمون - وكما قل فى هذه السورة - سبحانه الذى خالق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون -

أما الأمر الثانى فهذان الجسمان المحرقان . نحن الآن نلبسهما ونأكلهما لأنهما دخلا فى تركيب القطن والحب ونحن نفعل ثيابنا بأحدهما لأن البوتاسيوم الذى هو من أجزاء البوتاسا داخل فى الصابون الذى نفعل به أجسامنا وثيابنا وانما أكلناهما ولبسناهما لأنهما دخلا بمقادير قليلة فى الحب والقطن . دخلا بحساب بديع ونظام متقن فى أرزاقنا . أدخاها الله بحسابه وترك لنا الحرية فى ادخال البوتاسيوم والمركب منه وهو ملح البارود فأدخلته الأتم مع الكبريت والفحم . ولكن ادخال الأتم له ليس كادخال الله له فى النبات . إن الناس أدخلوه بكثرة بحيث صار ثلاثة أرباع البارود . أما الله فانه أدخله بقلة . فاذن البوتاسيوم حياة لنا اذا قل وموت لنا اذا كثر والله جعله لنا حياة والناس تصرّفوا فيه فجعلوه آلة للموت . وهذا هو السرّ فى هذه السورة جعل الله الحروف مجزأة فى أولها وفى أول غيرها من السور لتعليمنا علم التحليل . فلم يبق للمسلمين عذر بعد هذا البيان . استدلّ الله بالنار فى الشجر على بديع حكمته واتقان صنعته مشيرا الى التحليل الكيماوى فى العالم . ثم رأينا المواد المحرقة من البوتاسيوم ومن الصوديوم منتشرة فى أكثر النبات ورأيناها مستعملة عند الأتم فى البارود . فهى مهلكة تارة وحبيبة أخرى ووجدنا هذا كله لا يكون إلا بعرفة العناصر الكيماوية وسرها وهذا هو سرّ (سورة يس) \* وقد ورد « قلب القرآن يس »

لقد ظهر أن فيها قلب العلوم وأسها وهو التحليل بالحروف فى أولها وبالعلوم الطبيعية والرياضية فى وسطها وآخرها . وإياك أن تظن انها قلب القرآن بسبب هذا وحده بل هذا من جملة علومها فثبت مما تقدم ما يأتى :

- (١) الصوديوم والبوتاسيوم باتصالهما بالماء تنقد نار كما انقدت من احتكاك المرخ مع العفار
- (٢) هما عنصران داخلان فى أغذيتنا وملابسنا بمقادير قليلة فكانت من أسباب حياتنا ونفعتنا
- (٣) هما داخلان فى البارود بمقادير كثيرة يستعملان لازالة الحياة
- (٣) سورة يس أشار الله فيها الى ذلك التحليل بالحرفين الهجائيين فى أولها وبذكر انقاد النار فى المرخ



والعقار انقادا كيمائيا في آخرها أى ان العلوم كلها ترجع إما الى عناصر ان كانت طبيعية واما الى حروف ان كانت لغوية ، وكلاهما لا يعرف إلا بالتحليل واللغة مقدّمة وتليها العلوم

(٥) اذا زادت الكلمة حرفا أو نقصت حرفا تغير المعنى وتغير الأثر في العقول ، هكذا اذا زاد المركب عنصرا أو ذرّة من عنصر أو نقص عنصرا أو ذرّة من عنصر تغيرت خواص المركبات ، وهذا مقصود لفظة (يس)

#### ﴿ فائدة ﴾

- (١) من مركبات البوتاسيوم السواريج التي تظهر على هيئة مطر وتسمى سواريج المطر فهي مكوّنة من البارود الناعم ومن الفحم الخفيف ومن عنصرين آخرين وهما الخارصين والانتيمون
- (٢) ومن مركباته أيضا النيران البيضاء
- (٣) والنيران الخضراء
- (٤) والنيران البنفسجية
- (٥) والنيران الحمراء

فن البوتاسيوم حياتنا بالأغذية . وحفظ أجسامنا بالملايس ، وهلاك الأعداء بالمدافع والبارود والشرايح الصدور في المواسم والأعياد بالألوان المختلفة للألّمة . جلّ الله الذي جعل ذلك كله في معنى لفظ يس . بهذا يعرف المسلمون بعض سر هذين الحرفين ياء وسين

#### ﴿ فائدة ثانية . ملح الطعام ﴾

الناس يأكلون ملح الطعام ويعيشون ويموتون وهم لا يعلمون من أى شئ ركب . يعيش الانسان وهو يأكل الملح في طعامه ولا يدري انه يأكل في الملح جسمين متحدين : أحدهما نارى اذا ألقى في الماء اصطهر وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء كما يحصل في البوتاسيوم . وذلك الجسم هو الصوديوم . فالصوديوم يلتهب في الماء وينتهى بفرقة

هذا أحد الجسمين . أما الجسم الآخر فهو الكور وهو غاز لونه الصفرة مخضر يؤثر بقوة في أعضاء التنفس فيحدث سعالا وتهيجا في الأغشية المخاطية . واذا استمرت تأثيره أحدث الموت والكور يزيل المواد الملونة ويتلف الجراثيم المعدية والروائح العفنة التي تتكوّن في التخمر العفن ويستعمل في تبييض الأنسجة التي من القطن والكتان والتيل لاتلاف المواد الملونة . ويستعمل في تبخير السجون والمستشفيات والمحال العفنة لاتلاف الجراثيم فيها والمواد المسببة للعفونة . ولا يستعمل الكور لتبييض الصوف أو الحرير لأنه يتلفهما وهو يبيض عجينة الورق لأنه يزيل لون الحرق المستعملة في العجينة . إن الذهب والبلاتين لا تؤثر فيهما الحوامض ولكن يؤثر فيهما الكور فيتحد معهما ويسميان كورور الذهب وكورور البلاتين

#### ﴿ الماء الملّكي ﴾

الكور يدخل في التركيب الذي يسمى الماء الملّكي وهو سائل أصفر يذيب البلاتين والذهب فيتكوّن كورور البلاتين وكورور الذهب . وانما سمى ماء ملكيا لأنه يذيب الذهب الذي هو ملك المعادن . جلّ الله وجلت الحكمة وجلّ العلم . ملح نأكله في هذه الحياة ولا ندري اننا نأكل جسمين : أحدهما نارى يتقد ناراً مع الماء وهو الصوديوم . وثانيهما جسم غازى مخضر اللون يحدث للسعال يميت الميت الانسان اذا طال استعماله ويميت الجراثيم حالا ويؤثر في الذهب ملك المعادن ويضر الصوف وينظف القطن إن الملح نافع لنا والجسمان اللذان تركب منهما أحدهما مهلك تارة ونافع أخرى . كل ذلك لا يعرف إلا بصناعة التحليل في علم الكيمياء وذلك كله في معنى (يس)

يأليت شعري هل يدري المسلم وهو يأكل الملح أن هذا الملح سر (سورة يس) وعلومها تحتوي على بسائط ضارّة ونافعة وقاتلة . عرفت أوروبا ذلك . عرفت سرّ التحليل فعلمتنا كيف نزيل العفونات ، وكيف نقتل الجراثيم ، ولم ندر نحن أن القرآن يطالبنا بذلك في لفظة يس . جاءت أوروبا بالغازات الخائفة والمحدثة للسعال ونحن نتعجب ونقول عجبا عجبا ! ما أعلمهم ونحن في الوقت نفسه نأكل الملح المحتوي على الكلور والكلور يحدث السعال ويحدث الموت ، ونقرأ يس صباحا ومساء لقضاء الحاجات من رب الكائنات ولا نعلم أن في لفظة (يس) هذا السرّ المصون وهو سرّ التحليل وبه نعرف المواد المهلكة والمواد النافعة وبه نحارب من يحاربنا . لما جهلنا ذلك أرسل الله أوروبا بخاربتنا وغابتنا فانتبهنا فلذلك ظهر بعض سرّ (يس) في هذا التفسير . لولا فضل أوروبا علينا وحربها لنا لم يظهر بعض سرّ (يس) الذي اطلعت عليه الآن

نأكل الملح ولا ندري أن أحد جسميه وهو الكلور هو الذي ينظف الخرق المستعملة لمجينة الورق . أنا أكتب الآن على هذا الورق الذي لولا الكلور لم يكن ورقا أي لولا أحد جسمي ملح الطعام لم يكن ورقا . لم يكن ورقا إلا بارالة الكلور الذي هو أصفر اللون مع اخضرار لألوان الخرق . لولاه لم يكن الورق أبيض بل كان كثيرا لألوان فلا ينفع فيه كتابة . إن ملح الطعام منتشر في الدنيا فهو في الجبال وفي أغوار الأرض وفي مياه البحار بنسبة (٣١) جراما في اللتر في المحيط الاطلانطي والهادي الباسفيكي و١٨ جراما في البحر الاسود وفي بحر الخزر (٦) جرامات في اللتر وفي البحر الأبيض (٣١) جراما في اللتر ويحضر في ملاحات الاسكندرية ورشيد ودمياط . وقد تقدّم ذلك في هذا التفسير في آخر ﴿ آل عمران ﴾

هذا هو الملح الذي نأكله . هذا هو الملح الذي ملأ البحر وهو في الجبل حلل الى جسمين ناري وقائل أو ممرض ونافع وسر (يس) لاستخراج منافعه . فالتاس يقرؤون (يس) ويتعاطون الملح وهم لا يعلمون . ذلك من سرّ قوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - وأكثر الشجر فيه الصوديوم والبوتاسيوم والصوديوم في الملح . فهذا كله من سرّ سورة يس فلا كتف بهذا القدر والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى الكلام على علم الكيمياء

#### ﴿ الكلام على بعض العلوم ﴾

لقد علمت بعض ما رمز اليه الحروف التي في أوائل السور ومنها سورة يس . ولعلك تقول : أتري أن ياء وسين تفيد هذه المعاني كلها ؟ أقول نعم إن الله لما أنزل القرآن أراد هذه المعاني التي كتبتها والتي سيقولها من بعدنا . فآله قول الانسانية اليوم وبعد اليوم مستمدة من الله وهي تفهم من الوحي فهما يؤدّي الى الثمرات المطلوبة في زمانها فما كان حقا بقي وما كان باطلا اضمحل . وإذا كان القرآن نفسه محفوظا بالنص فهكذا ما كان حقا من تفسيره أو تأويله أو رمزه

ولعلك تقول أوضح فأقول : إن الحروف التي في أوائل السور لم تعرفها العرب . لم نقرأ في المعلقات التي هي أشرف ما قيل في زمن الجاهلية ولا في غير المعلقات أن الشاعر قال طس ولاحم ولا المر ولا الر ولا الم وانما ينطق بقوله : \* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل \* أو بقوله : \* لية أطلال يبرقة ثمهد \* أو بقوله : \* آذنتنا بينها أسماء \* أو بقوله : \* ألهي بصحنك فاصبحينا \* ولم نسمع شاعرا يوما ولا خطيبا يقول : ألم قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل الخ وانما هذه الحروف اختص بها القرآن والنبى ﷺ قرأها ولم يفسرها ولو فسرناها لوقفت العقول عند تفسيره . فعنى هذا انه تعالى يقول لنا فكروا في هذا . لم أنزل ولم اختص القرآن به مع ان القرآن ليس مدرسة لتعليم الهجاء وانما هو ذكر وقرآن مبين فأين الذكركنا . ولقد فكر من قبلنا كل بحسب ما وصل اليه فهمه وقد تقدّم في أوائل سورة آل عمران . أما نحن فنقول ان هذه أشبه بخزائن علم أبقيت ليتدبر الناس فيها والخزائن لا تبرز إلا عند



الاقتضاء ووجدنا المسلمين مقصرين في جميع العلوم التي فيها التحليل فقلنا إذن الله يريد أن يذكرنا بما نسبناه وهو أرجاع الأمور إلى أصولها ويقول لنا أمرا سهلا (الم . ي س) وهكذا يقول ادرسوا أصول الأشياء فلما سمعناه يقول ذلك فكنا فوجدنا أن أوروبا نبغت في علم الكيمياء وغيرها وعرفت العناصر واستخدمتها في الحرب والتجارة وجميع فروع الحياة فقلنا أيها المسلمون ادرسوا هذا العلم ، انظروا النبات وحلوه كحلل الشجر واحترق نارا

هذا ما قرأته أنت في القول السابق ونقول الآن إن ذلك سار في أكثر العلوم ، ألا ترى إلى علم الحساب أليس هو راجعا إلى تحليل وتركيب . أليس الجمع والضرب يرجعان إلى التركيب والطرح والقسمة يرجعان إلى التحليل ، كذلك الهندسة وفروعها ترجع جميع نظرياتها إلى الأصول التي قبلها وكل نظرية ترجع إلى ما قبلها حتى نصل إلى الأوائل العقلية مثل الكل أعظم من الجزء والشيان المساويان لشيء واحد متساويان ، كذلك علم المنطق ، إن علم المنطق يرجع إلى أربعة أصول وهي التحليل والتقسيم والحد والبرهان ، وأنت ترى أن المنطق اليوم في بلاد الإسلام قد خلا من التحليل فأصبح علما ناقصا لا ينفع ، وكيف ينتفع الناس بعلم ينقصه أهم أصوله ، فالتحليل للأشخاص كقولك هذا الإنسان وهذه الشجرة وهذا البناء وهذه المدينة وهذه الأمة . فكل هذه من حيث أنها أشخاص لا تعرف إلا بالتحليل وعلم الكيمياء المتقدم كله تحليل . فكل مركب في المنطق لا يعرف إلا بمعرفة أجزائه أعني تحليلها وهذا مفقود في المنطق اليوم وقد ذكرته في كتاب الفلسفة الذي ألفته حديثا

فأما التقسيم فيكون لمعرفة الكليات وتمييز بعضها من بعض . وأما الحدود فلا أنواع وأما البراهين فانها تكون للأجناس . فإذا رأينا المسلمين على هذا النحو من النوم العميق . ورأينا هذه الحروف فالتنا نقول إن الله أراد إيقاظ الأمة لهذا النوع من العلوم وحقا هو أراد حين أنزله على سيدنا محمد ﷺ وأما أقول الآن أيها المسلمون جهلتم أهم ما في المنطق وجهلتم علم الكيمياء والله يناديكم أن هلموا والا فأنتم هالكون

(لطيفة)

حضر صديقي العالم واطلع على ما تقدم فقال : إن هذا منك هجوم على القرآن ، كيف تدعى أن هذه المعاني قصدها الله ، وهل أنت اطلعت على علم الله أن هذا غلو في الدين ؟ فقلت : لقد جاء في سورة البقرة (الم) للإشارة إلى قوله - ألم تر إلى الذين خرجوا - الخ وفي ﴿آل عمران﴾ لمسألة اليهود الخ وهنالما تحي (الم) بل جاء ياء وسين المذكوران في أهم أدلة السورة من نار الشجر المشير إلى الكيمياء ومن خلق ماهوا كبر من الانسان ومن خلق ما ابتداء أولا . فقال : أين ذلك ! قلت في قوله - ونسي - وفي قوله - أوليس - فتأمل إن الله أراد حقا . ألم تر أن علم الكيمياء من الواجبات والفروض الكفائية . قل بلى . قلت : إذن هذا يحرم تركه هكذا التحليل في المنطق ، أليس جزءا من علم وهو فرض كفاية . قل بلى . قلت إذن هو من الدين ويحرم تركه . قال : ولكن كيف تقول أراد من هذه الحروف . قلت : إذا وجدنا أن هذه الحروف قد انطبقت على ما نحن في حاجة إليه وفهمناها بطريق الرمز . وفوق ذلك جاءت ياء وسين فيما ذكرته لك فنقول إن الله أراد هذا المعنى لأن الله لا يستحي من الحق وهذا حق . ولقد قال علماء التفسير إن المعاني الرمزية المعقولة النافعة أرادها الله من القرآن مهما كثرت . إن القرآن أنزل لأجلنا . فإذا وقف قوم بسبب فهمهم فهمما أدى إلى الانحطاط فليكن اليوم هو الذي نفهم فيه ما يؤدي إلى السداد والنجاح على أتى لا أكتملك أيها الذكي الحديث أن وجداني على ذلك وأجده في النفس بدافع قوى شديد بحيث لا أقدر على مدافعتي والله عليم بذات الصدور

وقد قال علماءنا رحمهم الله : « إن الخاطر إذا كان موافقا للشرع فهو إيمان بالله أو من الملك ، وأقرب

شاهد لذلك أنى منذ ليلتين حين ابتدأت في تفسير هذه السورة كنت أتعاطى طعام السحور فقام في نفسى بدافع شديد قوى أن الدورة الغذائية في الأجسام الانسانية تدخل في سرّ لفظ (يس) فأردت أن أدافع هذا الخاطر فلم أقو على دفعه

### ﴿ الدورة الغذائية في الأجسام الإنسانية والحيوانية ﴾

لما خطر هذا الخاطر وجدت أمراً عجيباً ، وجدت أن الغذاء يقطعه القواطع وتمزقه الأنياب وتطحنه الأضراس . فقلت : يا عجبا . هذا كالتحليل ، هذا خبز وخضر ولحم وفاكهة للإنسان وأبّ وورق ولحم وحب للحيوان تقطع وتمزق وتطحن ، إن ذلك تحليل الجسم الى دقائقه ، ثم ينبع (٦) أنه من تحت اللسان لتعين الآكل على عجن اللقمة فيمكن بلعها وهذا الريق لتحويل ذلك الطعام حتى ينضم ويقابله البنكرياس فيزيده هضماً ، كل ذلك تحويل للطعام ليصير كقوام اللبن وهو الكيموس ويدخل الى الامعاء فيصير كيالوسا ويتجه في الشرايين فتمتصه ثم يطبخ فيصير دماً وهناك تفرز منه المواد اللطيفة فتذهب الى الصفراء والمواد الغليظة فتذهب الى الطحال والمواد المائية فتذهب الى الكليتين وتبقى المواد الدموية الخالصة فتذهب الى الشرايين وهذه تمرّ على سائر الأعضاء البدنية ظاهرها وباطنها فتعطي كلاً منها ما يناسبه والصفراء لا تذهب سدى بل هي تنبه الشهوة من جهة ومن جهة أخرى تسهل انزلاق الطعام في الامعاء حتى يبرز الى الخارج ، وأما الماء فانه يذهب الى الحالبين فالثانة فيكون البول ، وأما الفضلة الغليظة فتذهب في المستقيم ، وأما السوداء فانها تساعد كما تساعد الصفراء في أعمال الغذاء ونظامه

### ﴿ الدورة التنفسية ﴾

وهكذا الدورة التنفسية ، إن الهواء في دخوله الى الرئتين يحل فيكون الأكسوجين ذاهباً مع الدم الى داخل الجسم ويرجع ما بقي من عناصره متحملاً بالمادة الكربونية الراجعة مع الزفير الى الهواء الجوى ، هكذا الدائرة العقلية قد قسمت أعمالها على الحواس الخمس الظاهرة فكل حاسة لها عمل لا تتعداه ، هكذا الحواس الخمس الباطنة مثل الحس المشترك والخيال والقوة المفكرة والحافظة والواهمة فكل واحدة منها لها عمل ، إن الله عز وجل يوقظ المسلمين الى التحليل الذي أغفلوه وأظفره الله في الحواس وفي أعمال الهضم في حروف أوائل السور لاسيما (يس) وقوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أتم منه توقدون - والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

### ﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - قال يا ليت قومي يعلمون - وفي قوله تعالى - يا حسرة على العباد -
- (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - وذلك في ﴿أمرين \* الأول﴾
- كم عمر الأرض في رأى بعض العلماء ﴿الثاني﴾ في نقصها المستمر
- (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - والشمس تجري - الخ
- (اللطيفة الرابعة) في ضوء الشمس وحرارتها
- (اللطيفة الخامسة) في قوله تعالى - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - الخ
- (اللطيفة السادسة) في قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم -
- (اللطيفة السابعة) في قوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً -
- (اللطيفة الثامنة) في قوله تعالى - فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء -



## ﴿ اللطيفة الأولى فيها فصلان ﴾

( الفصل الأول في قوله تعالى - قال ياليت قومي يعلمون - )

نذكر في هذا الفصل ما جاء في كتاب « اخوان الصفاء » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ فصل ينبغي أن نبين كيف يكون تواصل اخوان الصفا وكيف يكون معاونة بعضهم بعضا في طلب معيشة الدنيا وماذا كيف يكون حال من سبقته المنية قبل صاحبه وكيف يكون عيش الباقي منهم بعد صاحبه ﴾

ذكر ان مدينة كانت على رأس جبل في جزيرة من جزائر البحر مخصبة كثيرة النعم رحية البال طيبة الهواء عذبة المياه حسنة التربة كثيرة الأشجار لذيدة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات على حسب ما تقتضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهها وكان أهلها اخوة وبنوعهم بعضهم لبعض من نسل رجل واحد وكان عيشتهم أهني عيش يكون بتودد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلاتنغيص من الحسد والبغى والعداوة وأنواع الشر كما يكون بين أهل المدن الجائرة المتضادة الطباع المتنافرة القوى المذتة الآراء القبيحة الاعمال السيئة الأخلاق ثم ان طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسروهم المركب ورمى بهم الموج الى جزيرة أخرى فيها جبل وعرفه أشجار عالية وعليها ثمار قدرة فيها عيون غائرة ومياهها كدرة وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضارية واذاعامة أهل تلك الجزيرة قدرة وكان في بعض جزائر البحر طير عظيم الحلقة شديد القوة قد سيطر عليها في كل يوم وليلة يكر عليهم ويختطف من تلك القردة عدة ثم ان هؤلاء النفر الذين نجوا من الفرق تفرقوا في الجزيرة وفي أودية ذلك الجبل يطلبون ما يتقوتون من ثمارها لما لحقهم من الجوع ويشربون من تلك العيون ويسترون بأوراق تلك الأشجار ويأوون بالليل الى تلك المغارات ويعتصمون بها من الحر والبرد فأنست بهم تلك القردة وأنسوا بها اذ كانت أقرب أجناس السباع شها لصورة الناس فولعت بهم أناث القردة وولع بها من كان به شبق فخلت منهم وتوالدت وتناسلا وكثروا وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وأنفوا تلك الحال ونسوا بلدهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بديانهم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بيانا ويتخذون منها منازل ويحرصون في جمع تلك الثمار ويدخرونها من كان منهم شرها وصاروا يتنافسون على اناث تلك القردة ويغبطون من كان منهم أكثر حظا من تلك الحالات وتمنوا الخلود هناك وانتشبت بينهم العداوة والبغضاء وتوقدت نيران الحرب ثم ان رجلا منهم رأى فيما يرى النائم كأنه قد رجع الى بلده الذي خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة اقرباؤه فأروه قد غيره السفر والغربة فكروهوا أن يدخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة عين من الماء فغسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظافيره وألبسوه الجدد ونحروه وزينوه وجلوه على دابة وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم وما فعل الدهر بهم وأجلسوه في صدر المجلس في المدينة واجتمعوا حواله يتعجبون منه ومن رجوعه بعد الياس منه وهو فرحان بهم وبما نجاه الله عز وجل من تلك الغربة وذلك الفرق ومن صحبته تلك القردة وتلك العيشة النكدية وهو يظن أن ذلك كله يراه في اليقظة فلما انتبه اذا هو في ذلك المكان بين أولئك القردة فاصبح حزينا منكسرا البال زاهدا في ذلك المكان مغتما متفكرا راغبا في الرجوع الى بلده فقص رؤياه على أخيه فتذكر ذلك الأخ ما أنساه الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهاليهما والنعيم الذي كانوا فيه فتشاورا فيما بينهما وأجالا الرأي وقالا كيف السبيل الى الرجوع وكيف النجاة من هنا فوقع في فكرهما وجه الخيلة بأنهما يتعاونان ويجمعان من خشب تلك الجزيرة ويبنيان مركبا في البحر ويرجعان الى بلدهما فتعاقدا على ذلك بينهما عهدا وميثاقا أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا

بل يجتهدا اجتهد رجل واحد فيما عزم عليه ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لكان أعون لهما على ذلك وكما زاد في عددهما يكون أبلغ في الوصول إلى مطلبهم ومقصدهم فجاءوا يدكرون اخوانهم أمر بلدهم ويرغبونهم في الرجوع ويرهدونهم في السكون هناك حتى التأموا جاعة من أولئك القوم على أن يبنوا سفينة ويركبوا فيها ويرجعوا إلى بلدهم فيبناهم في ذلك دائبون في قطع الأشجار ونشر الخشب لبناء تلك السفينة اذ جاء ذلك الطير الذي كان يختطف القروء فاختطف منهم رجلاً وطار به في الهواء ليأكله فلما أمعن في طيرانه تأمله فإذا هو ليس من القروء التي اعتاد أكلها فربطه طائراً حتى مرببه على رأس مدينته التي خرج منها فألقاه على سطح بيته وخلاه فلما تأمل ذلك الرجل اذا هو في بلده ومنزله وأهله وأقربائه فجعل يتمنى لو أن ذلك الطير يمر في كل يوم ويختطف منهم واحداً ويلقيه إلى بلده كما فعل به وأما أولئك القوم بعد ما اختطفه الطير من بينهم جعلوا يبكون عليه محزونين على فراقه لأنهم لا يدرون ما فعل به الطير ولو أنهم علموا بحاله وما صار إليه لتمنوا ما تمنى لهم أخوهم فهكذا ينبغي أن يكون اعتقاد اخوان الصفا فيمن قد سبقته المنية قبل صاحبه لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة وأهلها يشبهون تلك القردة ومثل الموت كمثل ذلك الطير ومثل اولياء الله كمثل القوم الذين كسروهم المركب ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التي خرجوا منها فهذا اعتقاد اخواننا الكرام في معاونتهم في الدنيا وما يعتقدون فيمن سبقته المنية قبل اخوانه فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فان الدنيا دار غرور ومحن لا يرغب العاقل الخلود في دار الحزن والبلاء وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا السداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد . انتهى الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثاني من اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا حسرة على العباد - ﴾

اعلم أن هذه الجملة سجلت على النوع الانساني التعمق في الجهالة ، واذا أردت شرح هذا المقام فارجع إليه في ﴿ سورة التوبة ﴾ فانك تجد هناك كيف كان تقصير المسلمين اليوم في علومهم وأعمالهم منطبقاً على الاستهزاء من حيث العمل لا الاعتقاد ، وستطلع هناك على عجائب العلم وأن المسلمين قد أبرز الله لهم ولغيرهم الكواكب والجبال وغيرها فأعرضوا فأبرز لهم أمراً آخر وهي الطيارات القاذفات المهلكات كأنه يقول لهم : « أتم أعرضتم عن جمال العوالم . فها أنا ذا أرسل عليكم شواظاً من نار حامية تقذف من المدافع والطيارات ، وتجذ الموازنة هناك بين استهزاء الأمم المحكومة بجنود الأمم الحاكمة ومقاطعة حكامهم أو الخضوع وبين آيات الله التي قصها للناس ، فلما أعرضوا فعل معهم ما تفعله الأمم القوية مع الضعيفة - ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم - . انتهى الفصل الثاني

### ﴿ اللطيفة الثانية في عمر الأرض ونقصها المستمر ﴾

( كم عمر الأرض ؟ )

بعد اكتشاف الراديوم أصبح تقدير علماء طبقات الأرض وهو مائتا مليون سنة أول تقدير حديث مع انه كان يظن انه مبالغ فيه والبحث الآن ليس في حسم النزاع بين علماء طبقات الأرض والفلك بل بين علماء طبقات الأرض وأنصار نظرية إشعاع الراديوم ، ثم لوحسم هذا النزاع الجديد وقر الرأي على عدد معين من ملايين السنين . فهل يعتبر هذا العدد مبدءاً لخلق الأرض أو مبدءاً الحياة فيها أي هل للأرض أول ولها آخر ؟ يقول اللورد كلفن : « لا يمكن غير ذلك أي لا بد أن يكون لأرضنا مبدءاً وسوف تكون لها نهاية وأن هناك فكرة أو تدبيراً يعمل في الكون وهو الخالق الأحد » هذا هو رأي اللورد الطبيعي وهو رأي يتفق وتعاليم الأديان ، وفي النهاية فان أقل تقدير لعمر الأرض الآن هو مائتا مليون سنة ، وقد يظهر غداً أنه أكثر من ذلك بكثير إذ أن أدنجنون يعطى حداً أقصى لعمر الأرض بعشرة آلاف مليون سنة . انتهى من



مجلة « كل شئ »

واعلم أن مسألة « حزام الأرض » هي مقتضى قوله تعالى - نذقنها من أطرافها - فقد جاء في بعض المجلات العلمية تحت العنوان التالى مانعه :

### ﴿ الأرض تشد حزامها ﴾

يقرر الدكتور (ميرمان الألماني) أن طول خط الاستواء قد نقص ميلا عن طوله منذ ١٠٠ سنة نظرا لانكماش الأرض اه

### ﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - والشمس تجري لمستقر لها - الخ ﴾

الله قد سرعه الشمس وكل سرعه في العالم ، فهو ديزى أى غالب عليم بما يقدره . وهنا فتح لنا باب السرعه في العالم الذى نعيش فيه . إن أسرع حركة في عالمنا هذا سرعه الخاطر . إن خواطرننا تنقل من الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب . ومن العرش الى الفرش في جزء من آلاف من الثانية . إن الجاهل لا يعبأ بهذه السرعه ولا بهذا الثقل ويقول هذا وهم ونحن نقول : أليس هذا الثقل أمرا موجودا بدليل أن هذه الحركات في النفس لها آثار في شعورنا وكل ماله أثر فهو موجود . فهذه السرعه موجودة وهى . أعجب ما في هذا الوجود ، وبلى هذه السرعه سرعة النور فانه في الثانية الواحدة يمكنه أن يجرى حول الأرض فوق (٧) مرات ، ومعلوم أن محيط الأرض (٤٠) ألف كيلو والشمس يجرى بسرعه (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية أو نحو (٣٠٠٠٠٠) ثلثمائة ألف كيلو . ثم سرعه القنبلة في الثانية (٢٠٠٠) ميل . وسرعه الأرض حول الشمس (٦٥٨٣٣) ميلا في الساعة . وسرعه الطائرة الفرنسية (٣٠٢٣) ميل في الساعة ثم الطائرة الأمريكية (٣٠٠) ميلا في الساعة . ثم الطائرة المائية (٢٤٥٧١) ، ثم الاتوموبيل (١٥٦) ميلا (انظر شكل ٣٥) و (شكل ٣٦) الآتيان قريبا

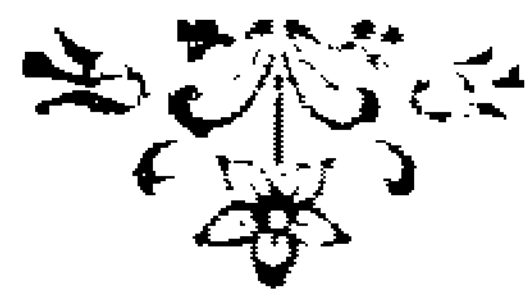
وهكذا حتى تصل قوة الاسراع في الانحطاط الى سرعة الرجل إذ يسير بسرعة (٩) أميال في الساعة ، ثم تهبط السرعه شيئا فشيئا حتى تصل الى سرعة الخيلون إذ يجرى (١٥) من (١٠٠٠٠) من اليارده في الثانية ثم تهبط الى درجة نحو شجر الغاب إذ يصل الى (٢٧) جزءا من عشرة آلاف مليون جزء من اليارده في الثانية الواحدة . فيا سبحان الله . يقول الله - والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم - هذه الحركة الشمسية التى ذكرناها هنا هى الحركة الأرضية ولكنها منسوبة للشمس باعتبار ما يظهر للرأى . وهناك حركة أخرى للشمس هى ومجموعتها حول كوكب آخر . فالشمس تجرى والأرض تجرى وجرى الأرض حول الشمس بحسب الظاهر لا يختلف عن جرى الأرض حول الشمس كما هو مبرهن عليه في ذكر الموازنة بين الحركات . الله تعالى قدر الحركات كلها ، فقدر حركات الأشجار في نموها حتى بلغت جزءا ضئيلا جدا من اليارده في الثانية ومعلوم أن اليارده أقل من المتر قليلا كما قدر حركة النور الذى يجرى حول الأرض قريبا من ثمان مرات في الثانية وقد رما بينهما من حركات الانسان وسياراته وسيارات السموات . فالله قدر هذه الحركات وأعطى كل مخلوق ما يستحقه ، فلو أعطى الغاب في نمو حركات النور أو أعطى النور حركات الغاب في نمو أشجاره لاختل نظام العوالم ، فاذا جرى جرياض - عيفا كجرى العربات لم يعيش حيوان على الأرض ، ولو أسرع نمو الأشجار اسراع الأضواء في جريانها لم يفتق الناس بشئ في الأرض لأن سرعة النمو يتبعها سرعة الذبول فلا يكون هناك ثبات لشيء ولا بقاء ولا انتفاع . فهذا من معنى قوله - ذلك تقدير العزيز العليم - فهو قدر حركات الأجرام السماوية بمقادير تناسبها . ولم يعط القطاوات على الأرض ولا الطيارات سرعة النور ولا الكواكب لأنها اذا أسرع هذا الاسراع أهلكت من عليها حالا بسرعة حركتها . فمن تأمل هذا التقدير والابداع أدهشه حسن التقدير

ونظم المسير - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

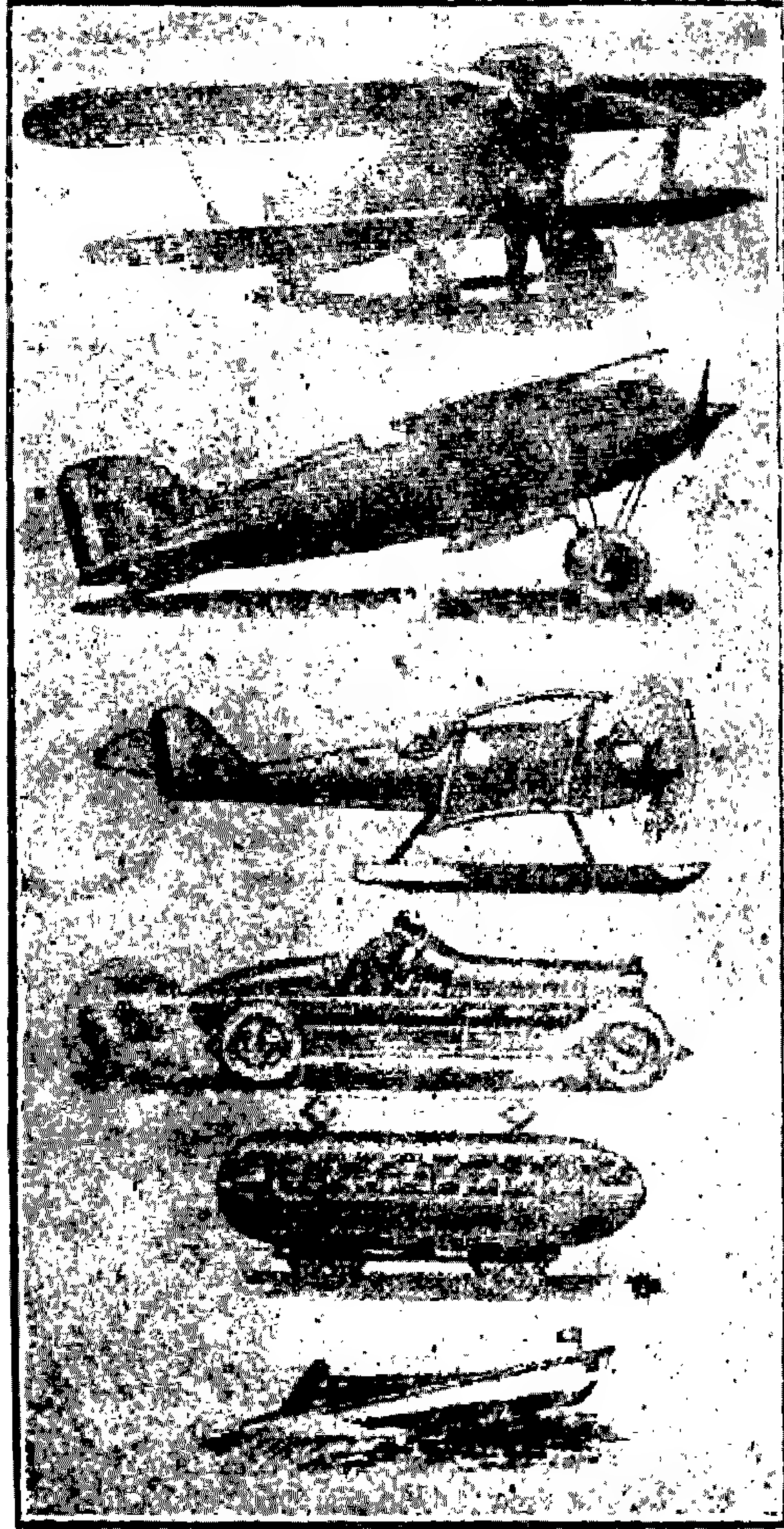
### ﴿ ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال في الدقيقة ﴾

جاء في مجلة ﴿ كل شئ ﴾ مانصه

كان القدماء لا يعرفون مركوبا أسرع من الجواد والبختى (وهو الجمل ذو السنامين) وكانوا يقولون في وصف أحدهما أنه وينهب الأرض نهبا، ولكننا نحتاج الآن إلى تعابير أقوى من هذه الجملة لكي نصف طيران الطيارات التي تطوى بساط الريح وتشق الفضاء . ومن بقرن الطيارات إلى الخيول كمن يقرن المصباح الكهربائي الحديث إلى مصباح الزيت القديم الذي كان القدماء يضربون المثل بجماله وصفاء زيتته . وقد كان الناس قديما يحبون لقطار الاكسبريس وسرعته التي تبلغ أحيانا ٦٠ ميلا في الساعة . وكان بعضهم من المتعاقلين يهز رأسه ويقول بضرر هذه السرعة العظيمة على الركاب . ولكن أسرع الاكسبريسات الآن سلحفاة إلى جانب الطيارات . فقد ذكرت الصحف من مدة قريبة أن مهندسا فرنسيا استطاع أن يطير ٣،٢،٣ من الأميال في ساعة واحدة وهذا أبعد مدى بلغه طيار لآلآن . ولكن الطيارين يؤملون أن يطيروا قريباً نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ ميل في الساعة بحيث يستطيع الانسان أن يتغذى في لندن أو باريس ويتعشى في القاهرة . وقد كانت هذه الأقوال تعتبر قبل سنوات خيالا سخيفا لا يتحقق ولكنها الآن فقدت غرابتها وباتت المسألة محصورة في تحسين محركات الطائرة من وجوه الانتقان ومثانة المواد . أما الاختراعات الجديدة فليس الطيارون في حاجة إليها . وأقرب سرعة بلغها طيار بعد هذا الفرنسي هي سرعة طيار أميركي في خدمة حكومة الولايات المتحدة . قطع ٣٠٠ ميل في الساعة تلى ذلك سرعة ضابط أميركي بلغت ٢٤٨،٧١ في الساعة ثم سرعة طائرة بحرية بلغت ٢٤٥،٧١ في الساعة ثم سرعة أتوموبيل بلغت ١٥٦ ميلا في الساعة ثم القطار الكهربائي وسرعته ١٣٠ ميلا في الساعة وأخيرا زروق يدفعه محرك سرعته ٨٠،٥ ميلا في الساعة (انظر شكل ٣٥ وشكل ٣٦ في الصفحات التالية)







(طيارة فرنسية)  
٣٠٢٠٣ ميل في الساعة

(طيارة أميركية)  
٣٠٠ ميل

(طيارة مائية)  
٢٤٥٠٧١ ميلا

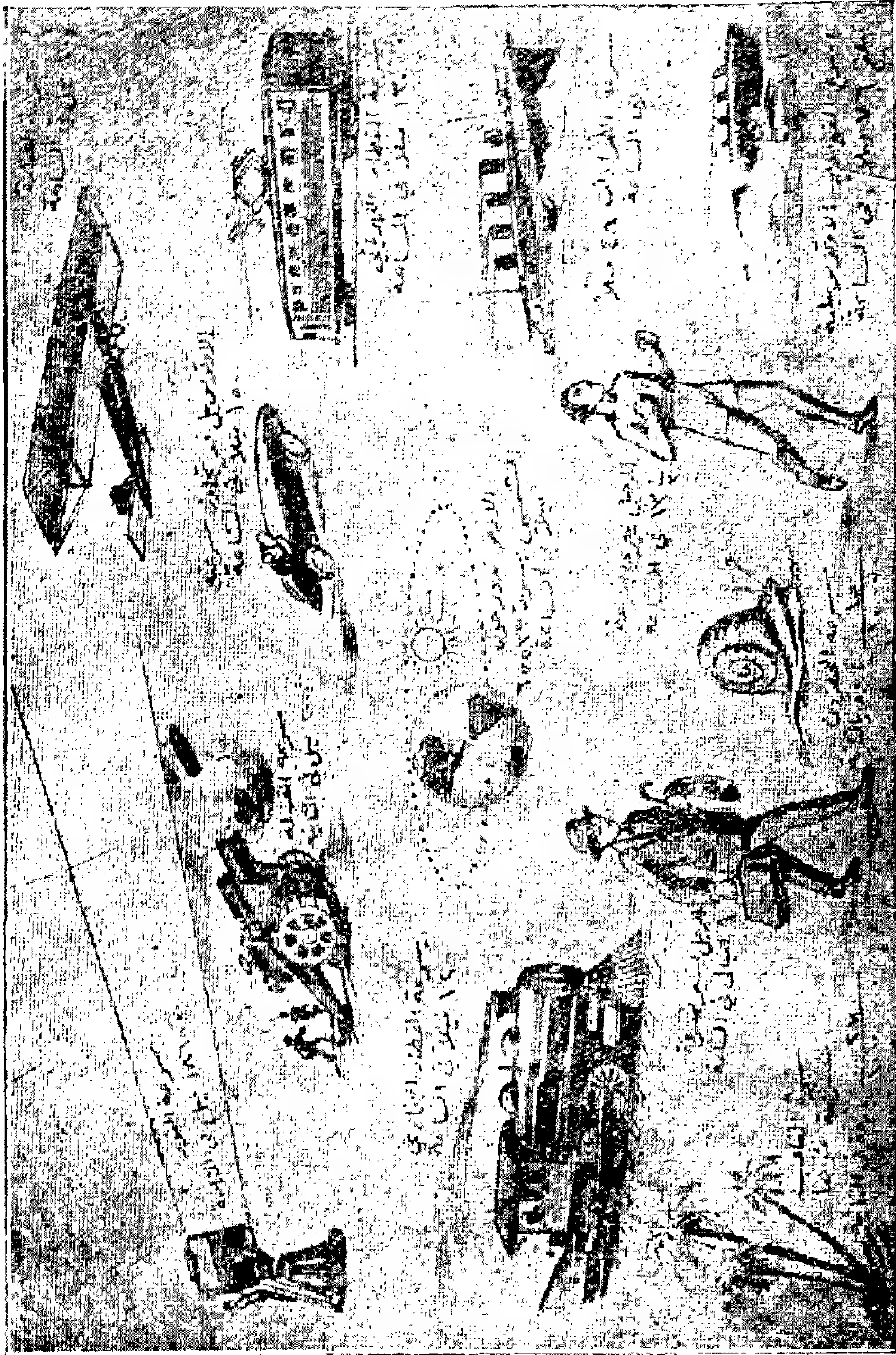
(أتوموبيل)  
١٥٦ ميلا

(قطار كهربائي)  
١٣٠ ميلا

(زورق)  
٨٠٠٥ ميلا

( شكل ٣٥ - أسرع المجلات في العالم )





( شكل ٣٦ - بيان تصويري لأسرع الأشياء في العالم وأبطئها )

### ﴿ هل بلغ الانسان أقصى سرعة في البر والبحر والهواء ﴾

أسرع قطار في العالم يجري بسرعة نحو ٦٨ ميلا في الساعة . وفي السنة الماضية أجرى المسابق جاروود قاربه بسرعة ٩٣ ميلا وساق سيجرايف سيارته بسرعة نحو ٢٣٢ ميلا في الساعة . وطار اورلبار في الصيف الماضي بسرعة ٦٩٣ ميلا في الساعة . وبلغ متوسط سرعته في سباق ٣ كيلومترات ٣٥٨ ميلا . ولا يزال الانسان يطلب المزيد والعلماء مختلفون فمنهم من يقول إن سرعة الانسان قد تجاوز ٥٠٠ ميل الى ألف في الساعة ومنهم من ينكر ذلك ومسألة السير على مبدأ انطلاق الأسهم النارية تجعل الخبيرين حائرين لا يدرون أبلغ هذه السرعة أم لا . والسرعة عند الانسان لا يريد بها مجرد التظاهر وانما هي خلة كانت لأسلافه واليوم تظهر فيه على مبدأ



الرجعية . فعلى سرعة عدو الانسان الاول توقف فراره من أعدائه ومطارديه . ولم يكن على جانب عظيم من سعة الخيلة لينجو منها . ولا يزال يعتمد الى السرعة حتى الآن في بعض مواقفه إما دفاعاً عن نفسه وإما مهاشاة لسائر الأشياء التي حوله . وهو يعلم بخبرته أن كثيراً من الوقت الثمين يقتصد بهذه السرعة . ففي أميركا مثلاً اقتصد بالطيران ثلاثة أيام في قطع أميركا من الشرق الى الغرب أو العكس . اكتشف العلماء ذبابة اسمها ذبابة الغزال تطير في مسافات قصيرة بسرعة لا تصدق أى سرعة ٨١٥ ميلاً في الساعة أو نحو ٣٦٠ متراً في الثانية . وسرعة مثل هذه مستحيلة على اليابسة وقد تكون ممكنة على الماء في طائرة تستخدم الهواء والماء معاً من نوع الهيدروبلان ولكنها ليست مرجحة . والصعوبة العظمى في بلوغ هذه السرعة فسيولوجية أكثر منها ميكانيكية . وبعبارة أخرى إذا تمكن الانسان من اختراع سيارة أو طائرة تحتمل هذه السرعة فهل يحتملها هو؟ والجواب لا . ثم لا . وإذا احتملها فالرجح أنه لا يستطيع أن يدير مركبة تجري بهذه السرعة من غير أن يلقى الخلف الأكيد . وإذا كانت السيارة تسير بسرعة ٢٣٠ ميلاً فقط لا ٨١٥ ولا ١٠٠٠ فإنها لا تستطيع أن تسير في خط دائري منحرف إلا وتعرض لآفات وصدمات هائلة . بل يشك في هل يستطيع انسان أن يقود سيارة تسير بسرعة ٣٠٠ ميل لأن أعصابه لا تحتمل هذه السرعة . فقد قس هيوأيز الألماني سرعة انتقال الانفعالات على أعصاب الجسم بين الدماغ والأطراف فوجد أنها ١٠٨ أقدام في الثانية . وسيجرا في سيارته بسرعة ٢٣٢ ميلاً في الساعة أو ٣٣٩ قدماً في الثانية أى ثلاثة أضعاف سرعة أعصابه . ومعنى هذا أن السيارة ليست في قياده وأن أقل ميل أو تردد يجر أعظم الأخطار . وأن كل خطر يحسب حسابه عرقياً يشعر السائق به فضلاً عن أن يحول دون وقوعه . وقد وجد المايجور سيجرايف أن مصاعب إدارة السيارة كانت عظيمة فلذلك استخدم في إدارتها وسائل مختلفة . وقد سئل عن شعوره في أثناء مسيره هذا فقال : « لا أعلم وأيس عندي أقل صورة في ذهني لأن كل شئ يتم بسرعة عظيمة لا مجال فيها للشعور ولا لتقديره وتسجيله . ولما لم يرض سائلوه بهذا الجواب ألحوا عليه فقال : « ان كل شئ مضى بسرعة حتى أن شعوري ان كان جيلاً فقد كان قصيراً . فعلى جانب رأيت سداً أسود هائلاً من المشاهدين وعلى الآخر الاعلام المنصوبة للسباق متصلة كأنها خط مستقيم مرسوم على ورقة الآلة الكاتبة . وفي وقت من الأوقات مرت السيارة فوق شبه قناة احتفرها المد في الرمل فانكسر شئ فيها . ثم صدمت حفرة ماء كالبركة فظن أن الدراب الذي تدار به السيارة اقتلع من يديه . فاختباره بدلنا على أن سرعة السيارة لا يمكن أن تزيد على هذه السرعة وتكون سرعة نافعة يعمل بها . ومن رأى الخبيرين أن حد احتمال الانسان هو ٤٠٠ ميل في الساعة لأنه إذا كانت السرعة ٥٠٠ ميل فما بعد تصبح قوة الدفع عن المركز عظيمة الى حد أن دورة الى هذه الجهة أو حركة الى فوق أو الى تحت تفرغ الدم من دماغ الركب أو تدفعه بقوة اليه فأما أن يغمى عليه أو يقتل في مكانه . ويقال أجمالاً عن سرعة الطيران إن الانسان قد يبلغ على التدرج سرعة ألف ميل في الساعة فيدور حول الأرض فوق خط الاستواء في يوم كامل . ولما كانت هذه السرعة هي سرعة دوران الأرض على محورها فإذا خرج طيار بطيارته من القاهرة ظهر يوم ما على نية الدوران حول الأرض فن الوقت يبقى عنده الظاهر على الدوام حتى يعود الى القاهرة بعد ٢٤ ساعة أى ظهر اليوم التالي فيها وتبقى الشمس فوق رأسه لا تشرق عليه ولا تغرب عنه : انتهى من مجلة كل شئ

( علم الفلك ودراسة الكواكب فيما وراء البحار )

( مقدمة )

إن من يدرس هذه الدنيا قديمها وحديثها علوياً وسفلياً يدهشه نظام محكم وتشابه مبين . نظر العلماء أيامنا هذه في أصل العالم فوجدوا عناصر الشمس وعناصر الأرض متحدات . فالشمس المشرقة الباهرة الجميلة

إذا أرسلت أشعتها فلم تكن هذه الأنوار إلا فيضا من أنوار عناصرها اللوآتي تمت عناصر أرضنا إليها بنسب ويربطها بها سبب . فإذا كان عندنا الاكسوجين والادروجين والنيروجين (وهو الآزوت) وهكذا غيرهن كالكربون والحديد والنحاس والذهب والرصاص وما أشبهها من العناصر التي تبلغ نحو الثمانين عدا

أقول : إذا كان ذلك كله في أرضنا فانهم وجدوه في شمسنا . وجدوه بمعونة النور إذ حللوه فظهر لهم الاختلاف بعلامات واضحات في ثنایا الأشعة النورية . وهي خطوط سود تتخلل سبعة الألوان وهذه الأشعة السود المتخللات تختلف أحوالها باختلاف العناصر . فالحديد والنحاس والاكسوجين والفسفور مثلا كلهن إذا ظهرت أنوارهن في حال خاصة تبينت تلك الخطوط السود في ثنایا سبعة الألوان بهيات مختلفة كما اختلفت أجسام الناس لونا وشكلا وكبرا وصغرا . وكما اختلف النبات في تنوع لون خضرته وبهجة زهرته ورونق ورقه وبديع ثمره كما يذكر في ثنایا هذا التفسير . وكما رأوا ذلك في الشمس رأوه في غيرها من الكواكب بواسطة النور . إذن الحال تجري على نسق واحد لأن أصل العالم صادق البناء أساسه فهو الواحدة على طريقته تجري اقرأ ما تقدم في ﴿سورة السجدة﴾ عند ذكر الانسان في المجلد الخامس عشر . انظر فيه هناك وتأمل تجد نظام الانسان يحاذي نظام العالم كله . أظنك الآن تسمعني قوله تعالى - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير -

انك أيها الذكي بعد هذا البيان توافقي على ماقلته لك وهو أن العالم متشابه النظام فترجع الى ﴿سورة البقرة﴾ فتسمع فيها قوله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قلوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها - فافرا هذا الموضوع هناك ثم ارجع هنا واسمع ماأقوله لك ، ألم تقرأ ماقلته عن أكابر العلماء هناك من أن الجنة الحسية لا تكفي الحكماء وانما نعيمهم وسعادتهم في جنة المعارف والعلوم ، فإذا تشابهت الثمرات المأكولة لأهل الجنة الحسية فما أقرب التشابه والمشاكلة في الجنة العقلية وهي العلوم والمعارف ، فترى دراسة الجسم الانساني تمتد بنسب الى دراسة النظام الشمسي والكوكبي . وكلما درس الانسان علما من العوالم ووجد المشابهة واضحة رجع الى أصلها ومبدئها فوجده واحدا . إذن تشابه العوالم يرجع المفكر الى منبعها وهو التوحيد ، إن الوحدة ظاهرة في النظام

إذا عرفت هذه المقدمة فهل لك أن أحدثك في علوم عوالمنا الأرضية . وهل كان يدور بخلدك قبل ما تسمعه أن علم الفلك أو حساب سير الشمس والقمر والكتابة بالقلم ونظام الأبنية له نظير في الأمم التي لاصلة بينها وبين أمنا في آسيا وأفريقيا وأوروبا ﴿وبعبارة أخرى﴾ هل كان يخطر لك أو تحدثك نفسك أن أهل أمريكا الأصليين الذين عرفهم الأسبان منذ (٤٠٠) سنة وكشف بلادهم (كرستون كولومب) كان لهم علم فلك وحساب للسنين والأشهر مثل ما عندنا الآن . أما أنا فأقول :

إن الاطلاع على ذلك والوقوف عليه ودراسته إذا كان له وجود يكون سارا لذيذا وشارحا للصدر وموافقا كل الموافقة لما ظهر من تناسب العناصر في الأرض والشمس واتحادها ذاتا وصفات وذلك يؤيد صدق قاعدة هذا الوجود وهي المشابهة إذ متى أطلعتك على هذا الآن كما جاء في الكشف الحديث في هذه الأيام عند طبع هذه السورة فانك تقول بطريق القياس التمثيلي إن هذه الكواكب التي نراها مسكونة كما سكنت أرضنا . نعم هذا ليس باليقين ولكن ذلك هو ما وصل لنا وعقولنا لا قدرة لها على أكثر من ذلك

لقد تقدم رسم صورة للتقويم في المكسيك في آخر ﴿سورة الفرقان﴾ فاسمع إذن ما جاء في ﴿محنة المقتطف﴾ في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتي وهذا نصه :



## ﴿ الحضارة القديمة في العالم الجديد ﴾

« مصر » القارة الاميركية

كتابتها . علمها . مبانيها . نقوشها . تاريخها

لقد أطلق الكتاب على بلاد المايا في غواتيمالا بأمريكا المتوسطة وما يحاورها من البلدان كيوكتان وجنوب المكسيك وسافادور وشمال هنداروس لقب « مصر » القارة الاميركية لما عثر عليه العلماء من وجوه الشبه بين عمارة المايا وكتابتهم وعمارة المصريين وكتابتهم . وازداد هذا الملقب تمكنا وتأيدا لما ثبت للباحثين أن حضارة المايا هي أقدم الحضارات الاميركية الراقية ومصدر الثقافة التي امتدت عناصرها الى البلدان المجاورة ولأن أنصابتها أعلام تقاس بهامراحل الحضارات الاميركية القديمة وتؤرخ كمسلات المصريين القدماء ومدافنهم وإذا نظرنا الى الاحوال التي نشأت فيها أمة « المايا » وجدنا أن منشأتها العمرانية تضاهي أرقى المنشآت العمرانية في أرقى الأمم القديمة . فإقليم البلاد التي نشأت فيها حار يضعف القوى ويخمد النشاط وهو في الوقت نفسه يؤتي الزرع مما جعل الزراعة هناك نزاعا دائما بين الانسان والطبيعة في غاباتها وحراجها الغضة التي كانت لحصب الارض وجودة الاقليم تسطو على المناطق التي يزرعها الانسان وتكسوها . ومع ذلك نشأ في تلك البلاد وفي ذلك الاقليم حضارة راقية من أرقى الحضارات القديمة مع أنها لم تتصل (على ما نعلم) بالعالم القديم وشعب المايا هو الشعب الوحيد الذي استنبط في أميركا طريقة للكتابة واستعملها في تدوين مدوناته وهذه الطريقة الكتابية الهيروغليفية تحسب أعظم ما أتى أميركا العقلية في العصور الغابرة . أما العلماء فلم يفوزوا حتى الآن بحل كل هذه الرموز الهيروغليفية ولكنهم عثروا فيما حلوه منها على أركان التاريخ (المايا) وأصول تقويمهم وعلومهم الفلكية والرياضية . وقد يكون الباقي منها منظوريا على وصف الحوادث العظيمة التي حدثت لهم أما الرموز نفسها فرسوم للاشياء أو للافكار فيها ظل من الأثر الصوتي ولكن ليس لها أبجدية أما تاريخ هذه الكتابة ومنشأها فتغلغل في القدم تحيط به سحب الريبة والخرافة . ولم يعثر حتى الآن على أثر يحتوي على اسم المستنبط أو تاريخ الاستنباط أو غير ذلك من دقائق الموضوع . ومع أن أقدم المدونات المؤرخة يرجع تاريخها الى سنة ٩٦ قبل المسيح نجد في آثار الاتقان البادية في الاشارات الهيروغليفية دليلا مقنعا على أنها ليست بذات ساعتها وان قرونا انقضت عليها قبلما بلغت هذه الدرجة في الاتقان . وما في هذه الاشارات من الخطوط المنحنية يدل على أنها كانت ترسم على سطح مستو أملس قبل استنباط فن النحت في الحجر الذي يمكن أصحابها بعدئذ من نقشها في الحجر الصلب لحفظها مقاربة لأنياب الدهر وعلاوة على هذه الكتابات المنقوشة في الصخور كان لشعب (المايا) كتب مكتوبة بالطريقة الهيروغليفية . وقد تلف منها معظم الكتب التي كانت تحتوي على كل علوم المايا وحكمتهم أنلفها الاسبان حين افتحوا البلاد وحكموها . فقد كتب مطران لندا يقول : ولقد جمعت أربعة آلاف من هذه الكتب والتساوير الشريفة وحرقها كلها في الميدان العام ببلدة تيكال رغم حزن الوطنيين وبكائهم . على أن الوطنيين في حزنهم وبكائهم على فقد هذه الكنوز العقلية الثمينة لا يبلغون شأ والعلماء في هذا العصر الذي لا يرون بين أيديهم إلا ثلاثة من هذه الكتب يحاولون أن يستخرجوا منها أصول حضارة المايا وما أثرها والكتب الثلاثة التي لم تعبت بها أيدي الاسبان محفوظة الآن في خزائن أوروبا وهي في الغالب تدور على جداول فلكية ورياضية وبعض التهاويل السحرية . والظاهر أن انحصار هذه المعارف في طبقة كهنة (المايا) كان الباعث على اتلاف الكتب التي دونت فيها لان الكهنة الاسبان كانوا ينظرون الى كهنة المايا نظرهم الى الشياطين فحملوا القواد على الفتك بهم واتلاف كتبهم (انظر شكل ٣٧) في الصحيفة التالية



( شكل ٣٧ - خريطة البلاد التي أنشأت فيها حضارة (المالاي) وازدهرت )

#### ﴿ معارفهم الفلسفية والرياضية ﴾

وقبلما نلّم بتاريخ (المالاي) لننظر نظرة عجيلى فى معارفهم الفلسفية والرياضية لان الباحثين مجمعون على أن عملهم فى هذه الناحية من نواحي الثقافة لا يفوقه عمل أية أمة أخرى فى إقليم كاقيلهم وبيئة كبيتهم . فهو كاستنباطهم للكتابة الهيروغليفية أعظم المآتى العقلية فى أميركا القديمة

#### ﴿ التقويم ﴾

كل تقويم يجب أن يبنى على قياس دقيق أطول السنة . وهذا القياس عمل صعب أن لم يكن متعذرا فى أمة لان تلك أدوات فلسفية دقيقة . فالسنة على ما نعلم يتعذر تقسيمها الى عدد كامل من الايام والشهور لانها مؤلفة من ٣٦٥٢٤٢٢ يوما أو ١٢ شهرا قريبا و ٣٧ فى المائة من الشهر كل منها مؤلف من ٢٩ يوما و ٥٣ فى المائة من اليوم . وهذه الكسور فى الايام والشهور كانت ولا تزال العقبة الكأدا فى سبيل واضع التقاويم على اختلافها . فالسنة حسب التقويم اليولياني الذى كان مستعملا فى جنوب اوربا الى سنة ١٥٣٢ وفى شمال اوربا الى سنة ١٧٠٠ وفى روسيا الى بعيد الحرب كانت أطول من السنة الحقيقية ١٢ دقيقة فكانت النتيجة أنه لما عزم روسيا أن تجرى على التقويم الجريجورى كان الخطأ فى اليولياني قد بلغ نحو أسبوعين . على أن أمة ( المالاي ) تمكنت من غير أدوات الرصد أن تضع تقويما من نحو ألفى سنة لا يبالغ الخطأ فيه أكثر من يوم فى ٢١٤٨ سنة . أما التقويم الذى نجري عليه اليوم فلا يفوق تقويم المالاي كثيرا . فالخطأ فيه يبلغ يوما واحدا فى ٣٣٢٣ سنة . كذلك تمكن علماء المالاي أن يضعوا تقويما قريبا لا يزيد فيه الخطأ عن يوم واحد فى ٣٠٠ سنة

#### ﴿ علم الهيئة ﴾

وعلاوة على ذلك تمكن رصد ( المالاي ) من أن يعرفوا مدى دوران الزهرة والمرجح أنهم قرروا مدى دوران المريج ويحتمل أنهم عرفوا مدى دورة المشتري وزحل وعطارد . وبنوا على دورة الزهرة تقويما كانوا يستعملونه فى ضبط التقويم الشمسى والتقويم القمرى . فقد كانوا يعرفون مثلا أن ثمانى سنوات شمسية



تعاذل تقريباً خمس سنوات من سنى الزهرة وان ٦٥ سنة من سنى الزهرة تعادل مائة سنة وأربع سنوات من سنى الشمس . وكانوا يستعملون التقاويم الثلاثة لتقدير أزمنة طويلة وقد وجد ما يدل على أنهم تنبأوا بحدوث حوادث فلكية تمتد الى أكثر من ٣٤ ألف سنة . وكانوا يتنبأون بالكسوف

### ﴿ الصفرة ﴾

أما الجداول الرياضية التى وضعوها فكان يلزم لها قبل وضعها استنباط فكرة (الصفرة) وهذا الاستنباط من مفاخر حضارة (الملايا) . فالصفرة أمر تعودناه فى الجداول الحسابية الآن حتى أصبحنا نراه غير ذى خطر فنقول عنه انه رمز للعدم . ولكن لولا هذا الرمز لتعذر القيام بالعمليات الحسابية قياماً سريعاً ولما تمهدت الطريقة للحساب العشري واظلت العلوم الرياضية تجرّ ذيلها على الأرض . فالصفرة هو الذى يمكننا من ترتيب الأرقام حتى يكون لكل رقم منها قيمة خاصة بحسب الرتبة التى يكون فيها . ومع ذلك لم يستنبط الصفرة الا فى القرن السادس أو السابع بعد المسيح استنبطه الهنود ونقله العرب الى اوروبا فانقشر فى بلدانها . على أن أمة الملايا استنبطته على حدة قبلها استنبطه الهنود بألف سنة اهـ

هذا ماجاء فى ﴿المقتطف﴾ ولم أرد أن أذكر نارينخهم السيسى كما ذكر لأنه لا يميننا وانما أقول لك إن هذه الأمم التى ارتقى علمها الى هذه الدرجة قد أصابهم داء التخاذل وفشت المجاعة فيهم وجاء على أثر ذلك فتوح الاسبان . هأنت ذا أيها الذكى رأيت الأمم الأمريكية القديمة وكيف استنبطوا حروفاً كما استنبط أسلافنا ودرسوا الفلك كما درسوه وبنوا أبنية شامخة كما بنوا مع أنه لاصلة بينهم فاعجب لنظام واحد فى نصف الكرة الأرضية كنظام واحد فى الشمس وفى الأرض ونظام واحد فى المجرات

إن هذه هى الموسيقى الجميلة . إن الموسيقى والنقش والتصوير وجميع العلوم الجميلة ترجع الى التناسب ، فكما كثر التناسب تضاعف الجمال ولانهاية للجمال وهذه العوالم كلها عثرنا على ازدياد تناسبها وارتباطها ازدادت بهجتنا وفرحنا واذا رأيت هنا فى الأرض مشابة الحساب السنوى والشمسى والقمرى فى نصف الكرة الأرضية فأبهجتنا الاتفاق والتناسب وتعجبنا كيف اتفقت العقول المختلفة المتباعدة على وضع واحد ومع ذلك فليل الاختلاف فكيف يكون فرحنا حينما نخلع هذا الجسم ونسير فى المجرات والعوالم وتشابه مدنيات ونظم تربو وتعظم على مدنيات أهل الأرض ونظمها ، أليس ذلك يورثنا سعادة لانهاية لها وغراما لاحد له لبهجة الجمال والحسن والاشراق . انتهى صباح يوم الجمعة (٢٣) مايو سنة ١٩٣٠

### ﴿ تذكرة للأمم الاسلام ﴾

هذا هو الذى ظهر للناس اليوم من العلوم الفلكية فى القارة الأمريكية ، تلك البلاد التى لم تكشف إلا منذ (٤٠٠) سنة كشفها (كرستون كلومب) بأمر الملك (فرديناند) وزوجته (إيزابلا) ذلك الذى أزال ملك الأمم العربية الاسلامية من بلاد الأندلس وشردهم شرمشرد ، إذن ظهر بهذا أن الأمم كلها متحدات على النظر فى هذه العوالم العلوية ، ولقد تقدم فى ﴿سورة يونس﴾ نبذة من علم الفلك مصورة بالتصوير الشمسى بهجة المنظر عجيبة ، وذلك فى ﴿موضوعين الأول﴾ عند آية - هو الذى جعل الشمس ضياء - ﴿والثانى﴾ عند آية - فاليوم ننجيك بيدك - وقد ذكرت هناك أن بين المقامين تناسبا عجيبا فان المقام الأول فيه ذم الغفلة عن هذه الآيات وأن هذه الغفلة تورث نار جهنم ، والمقام الثانى فيه ذم الغفلة أيضا عن آيات الله ، فترى الصور الفلكية العلمية واضحة فى المقام الأول هناك بحيث تجد صور كثير من السدم وصورة المجرة وهكذا ، وفى المقام الثانى تجد من أعجب ما أنتج العقل الانسانى بمصر من صور البروج الاثنى عشر مرسومة بحسب ماتخيلته الأمم وبقيت أسماؤها الى الآن وهذا عجب ، وهناك ترى عجائب الاهرام ونظام حسابها المبني

على أساس الدائرة السنوية للأرض حول الشمس ولا ارتفاعه نسبة الى بعد الأرض عن الشمس وهذا الهرم هو أس القنطار والرطل والوقية وهكذا من الموازين ، وأس الفدان والقيراط والحبة والدانق والسهم والذراع البلدى والنيل والمعماري والهنداسة في المساحات . وأيضا هو أس الأردب والوينة والسكيلة والربع والملاو والقده ونصف القده في المكيلات فكل هذه منسوبة للهرم المنسوب لنظام الفلك . كل ذلك تقدم هناك فارجع اليه إن شئت

وان تعجب فحجب أن ترى صور البروج المرسومة هناك قد استخرجها القوم في زماننا من صناديق الموتى وصورها بالتصوير الشمسي فتحن المصريين الآن تعجب أن ترى الأمم الذين كانوا قبل آلاف السنين في ديارنا يحظى موتاهم في قبورهم بعلم الفلك مرسوما على الصناديق التي تضم أجسامهم بعد موتهم ونحن الآن وأكثر المسلمين أجهل الأمم بعلم الفلك الذي أقسم الله ببعضه فقال - والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسما وما بناها والأرض وما طحاها - وقال - فلا أقسم بمواقع النجوم - وأعظم قدره فقال - وانه أقسم لو تعلمون عظيم - وأكثر من ذكر الشمس والقمر وانهما آيتان من آيات الله تعالى وهكذا هنا يذكر الأرض والشمس والقمر والليل والنهار ، إذن المسلمون أقل علما من الأمم الحاضرة كلها ومن قدماء المصريين وقدماء أهل أمريكا الذين انقضوا إلا قليلا ، فأين الأمم الإسلامية الحقيقية واذا سمعنا الله يقول - كنتم خير أمة أخرجت للناس - ثم نظرنا فوجدنا الأمم البائدة تعلم من جلال الله في كواكبه ما لا تعلم ووجدنا الأمم النصرانية كلها عالمة به ونحن عالة عليهم ، فأين نحن من هذه الخيرية التي لا توجه إلا الى أمم علمت وارتقت ورقت أهل الأرض كما تم فعلا لأسلافنا ، فهم حقا - خير أمة أخرجت للناس - ولا يلزم من أفضلية الأب ونفعه للناس أفضلية الابن ونفعه لهم ، فتأمل ما جاء في كتاب الاستاذ سديو الفرنسي في صحيفة (٢١٢) وما بعدها المطبوعة في الترجمة العربية إذ يقول مملخصه : « إن نار الحرب المشتعلة في القرن الحادى عشر في الشرق بعد الميلاد (فكان فتح محمود الغزنوى وكانت غارة السلجوقيين وكانت حروب الصليبيين مع المسلمين واعداد صلاح الدين الخلافة الفاطمية سنة ١١٧١ من مصر واعداد هولاء كو الخلافة العباسية ببغداد سنة ١٢٥٨) قد غيرت معالم السياسة في آسيا ومع ذلك مازال تقدم العلم كما كان قديما وظهر هناك علماء مثل البيرونى في الفلك إذ حضره محمود الغزنوى سنة ٩٩٧ في ديوانه ، وأحضره هولاء كو خان المغولى الى ديوانه بعد تغلبه على الملك سنة ١٢٥٩ نصير الدين الطوسى وهكذا نقل جلال الدين الفلكى مع الخان كوبلاى علوم العرب الى مملكة الصين وهكذا الخ وقد ذكرت هذا مطولا في مواضع أخرى من هذا التفسير . إذن هؤلاء هم الذين كانوا - خير أمة أخرجت للناس - بنص الآية لأننا وجدنا الفرنجة شهدوا بأن علمهم في الفلك الذى نحن بصدد الكلام عليه قد امتد الى الصين وبقى بعد ذهاب دولهم ونفع الدول التي جاءت بعدهم في الشرق

(١) ألم تر الى ما يقوله العلامة الفرنسى المذكور من أن أبا ريحان محمد بن أحمد البيرونى المتقدم ذكره (الذى كسب علومه من المدرسة البغدادية حين أحضره الغزنوى المتقدم ذكره الى ديوانه) أخذ يستفيد العلوم الفلكية من الروايات الهندية التي عندهم قديمة وحديثة ويفيدهم علوم قومه في الفلك أيضا ويبنها لهم في كل جهة مرتبها ، وألف ملخصات عربية وهندية ، وكان مشيرا وصديقا للغزنوى المذكور في ديوانه ، وأصلح الغلطات الباقية في حساب الروم والسند وما وراء النهر ووضع قانونا جغرافيا كان أساسا لأكثر القسموغرافيات الشرقية ونفذ كلامه في البلاد الشرقية واعتمد على كلامه سائر المشرقيين في الفلكيات . ومنه استمد أبو الفداء الجغرافى العروص والأطوال الأرضية وكذا أبو الحسن المراكشى



(٢) ويقول : « إن الهند لم يكن فيها قبل الاسكندر المقدوني علم الفلك تاما بدليل أن أرسطاطليس أستاذه لم ينقله عنهم لليونانيين . ولذلك تجد ﴿ كتاب السند هند ﴾ المترجم في خلافة المنصور الى العربية لم تكن فيه إلا مسائل ابتدائية في علم الفلك

(٣) ويقول : « إن العرب أتوا في ذلك بالمعجب العجيب وأتقنوا الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيكا وطبقتوا الجبر على الهندسة

(٤) ويقول : « ليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان فقد اخترع (البثاني) استبدال أوتار الأقواس التي استعملها اليونان في حساب المثلث بأنصاف الأوتار للأقواس المضاعفة وهي جيوب الأقواس المصورة قالوا إن بطليموس لم يكن يستعمل الأوتار الكاملة إلا لتسهيل الإثباتات والتوضيحات وأما نحن فقد استصوبنا استعمال أنصاف الأقواس المضاعفة وهكذا »

وقد أطل في ذلك ولاأريد أن أطيل فيه لئلا يكون الملل . وإنما أريد الآن اظهار الحقيقة واضحة وهي اننا نحن الآن في مصر والشام والعراق وبلاد الفرس وجاره وبلاد الملايو وبلاد شمال افريقيا قوم جهلاء في علم الفلك الذي حض القرآن عليه ولم نساو أمة من الأمم . فلانحن وصلنا لقيمة قدماء المصريين الذين صوروا هذا العلم على صناديق الموتى تبركاً به . ولالقيمة قدماء الأمريكيين قبل فتح بلادهم . ولالقيمة الهند القديمة . ولالقيمة آبائنا القدماء في الاسلام أيام صولتهم و بعد ذهاب دولتهم . ولالقيمة أمم أوروبا واليابان والصين الآن فنحن اليوم بهذا البرهان أجهل الأمم بالعلوم الرياضية ومنها الفلك . والسبب في ذلك ما انتاب أمتنا قديما من الاضطهاد والاذلال . فلقد كانت الأمم الاسلامية المتأخرة لا تريد إلا العلو كما فعل الترك إذ هم لما دخلوا مصر أزالوا منها الصناعات بمجرد دخولهم وأخذوا مئات ومئات من رجال الصناعات فسافروا في البحر ثم أغرقوا فأما المدارس المنتشرة فانهم نقصوها تدريجا حتى خلت البلاد من رائحة العلم ولم يبق إلا قشور ضئيلة والامشاج التصوف الذين كان أكثرهم جهلاء . فلما أن جاءت أيام محمد علي باشا حوالي سنة ١٢٢٠ هجرية واستتب له الملك أدخل جميع العلوم في البلاد ومنها الفلك . ولما دخل الانجليز بلادنا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري أخذوا يقللون العلوم تدريجا كما فعل الترك . ولما دخلنا نحن (دار العلوم) سنة ١٨٩٠ م أي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري بعد الحرب العرابية بقليل قرأنا هذا العلم مع الرياضيات إذ كان ذلك بقايا علوم تلك الدولة المصرية التي أسسها المغفور له محمد علي باشا ، و بعد ذلك بسنين معدودة وجدنا هذا العلم قد محى من البلاد ومحيت معه علوم المعدن والنبات والحيوان والتشريح علما من الفاتحين للبلاد بأن تلك العلوم مرقيات للأمم وهم لا يريدون ذلك ، فلما أن أخذت بلادنا استقلالاً اسمياً سنة ١٩٢٢ ميلادية دخلت بعض تلك العلوم ، وهما ههنا علوم التاريخ الطبيعي تدرس كالحيوان والنبات الخ ولكن الى الآن لم يدخل علم الفلك مع توفر علم الرياضيات ، وذلك بعد أن أرسلت خطابا لمجلس النواب وللوزارة المصرية ، تجده مكتوبا في هذا التفسير في ﴿سورة يونس﴾ تحت عنوان « مذكرة لاصلاح التعليم الثانوي بالملكة المصرية » عند الكلام على آية - هو الذي جعل الشمس ضياء -

إن الأمم الاسلامية كما منيت بالملوك الظالمين الجاهلين من الأمم الاسلامية وغير الاسلامية فغيروا وجهتها منيت أيضا بكثير من رؤساء الدين الجهلاء الذين يفعلون معهم فعل الملوك الفاتحين فيذمون لهم العلم ويزنون لهم الجهل . ولقد تقدم هذا في غير ما موضع من هذا التفسير ، وتجد بعضه في ﴿سورة ابراهيم﴾ في أواخرها وبعضه في ﴿سورة الكهف﴾ عند الكلام على آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وبعضه في ﴿سورة سبأ﴾ ووالله انه ليؤمنني أن يسود الجهل في بلاد الاسلام ، تلك الأمم التي كان أسلافها - خير أمة أخرجت للناس - فهم هم الذين بعلم الفلك والجغرافيا أيقظوا العمران ، وأناموا الجهل ، ونفعوا عباد الله . ألم ترالى

ما ذكره العالم المذكور الفرنسي في صحيفة (٢٢٧) وما بعدها أنهم أنشأوا أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينتي قانس وطنجة الى أقصى آسيا ﴿إحداها﴾ تخترق اسبانيا وأوروبا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجزجز ﴿والثانية﴾ تخترق بلاد المغرب ووادي مصر ودمشق والكوفة و بغداد و بصره والأهواز وكرمان والسند هند ﴿والثالثة والرابعة﴾ تعبران البحر الأبيض المتوسط وتنتجه إحداها من الشام والخليج الفارسي والأخرى من الاسكندرية والبحر الأحمر للتوصل الى بحر الهند ، فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى أقصى البلاد ما عند العرب من الأفكار والتمدن واستفاضت الأخبار الجميلة الخ هذا ما أردت ذكره الآن ولقد سبق بأوسع من هذا في غير هذا الموضع ، فهو لاء هم أسلافنا في العلوم الفلكية والجغرافية ، فهم كانوا نورا أضاء بلاد المشرق والمغرب بشهادة الاوروبيين الذين نقلوا العلم عنهم كما رأيته . إذن الآيات المذكورات هنا في الشمس والقمر والأرض والليل والنهار لا يعمل بها المسلمون الآن لاهي ولاغيرها إلا قليلا منهم كأمة الترك الآن

فإذا ثبت هذا فهل نحن - خير أمة أخرجت للناس - الآن . لا لا . نعم ان انتشار هذا التفسير وأمثاله سيحدث في أمم الاسلام انقلابا عظيما وسيكون وطيد البنيان ثابت الأركان لأن المدينة المستقبلية سقبنى على تجارب مما حلّ بابائنا الماضين ودراسة تاريخهم تجعل أبناءنا يقظين ويكونون - خير أمة أخرجت للناس - لأنهم يرون الضعف الذى حلّ بابائهم فيجتدون ليقوّوا أنفسهم ويداووا هذا المرض الذى حلّ بهذه الأمة . إذن الأمم الاسلامية - خير أمة أخرجت للناس - ولكن أصابها الوهن والضعف والمرض تخفيت خيراتها وبانت عوراتها . ومتى حصل التداوى بنشر أمثال هذا التفسير يصبح جسم الأمة وترجع المجد والذهب والعزّ الزائل ويكون أبناءنا - خير أمة أخرجت للناس - عملا بالفعل لا بالقوة ، وان يكون ذلك إلا اذا قروا جميع علوم الأمم شرقا وغربا وفاقوهم فى ذلك وكانوا لهم نافعين كما كان آباؤهم الأولون والحمد لله رب العالمين كتب يوم الاثنين (٢٦) مايو سنة ١٩٣٠

### ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

﴿ عجائب الكواكب فى الكشف الحديث وبدائع الحرارة والضوء فى قوله تعالى

- وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون - الى آخر الآيات ﴾

الله يقول انه سلخ النهار من الليل فأظلم الناس . إن هذا فتح باب للتحليل . فهنا ضوء وههنا ظلمة يقول الله انه سلخ الأول من الثانى . أما الظلمة فهى عرض قائم بالأثير وكذلك النور الذى هو تموج وهذه الموجات المتتابعات فى الأثير اذا كثرت بحيث يكون فى الثانية الواحدة منها مئات آلاف الملايين فانها تكون حينئذ ضوءا أحمر وأصفر وبرتقاليا وبنفسجيا وقد تقدم ذكرها فى غير هذا المكان أعنى أن ضوء الشمس ركب من سبعة ألوان وهذه الألوان تختلف بحسب عدد الموجات فى الثانية الواحدة أى نحو أربع مائة ألف مليون الى نحو (٧٠٠) ألف ألف مليون ، فهذه الأضواء المرسلّة من الشمس باتحادها صار هذا اللون الذى نشاهده على الأرض ، فهذا كله يسلمه الله فيبقى الجو مظلما ، ولا جرم أن الظلمة عرض والعرض يقوم بجوهر ، إذن هناك جوهر مظلم ألبس نورا فلما خلطنا لباسه أظلم كأصله

هذا هو الذى عرفه الناس فى الأرض من حال هذه العوالم ظلاما وإضاءة . وهذا السلخ له نظير تقدم فى هذا التفسير فى الهواء وفى الماء . الماء يسلمه أكسوجينه من أودروجينه . وهذا يسمى فى علم الكيمياء تحليلا فتى حللناه اليهما صارا جسمين غازيين أى كالهواء . ومعلوم أن الأكسوجين يفيدنا الحياة فى أنفسنا وينقى دم كل حيوان وينفع كل نبات . أما الاودروجين فاننا اذا أحرقناه فى الجو كما تقدم فى ﴿سورة



التمل) اتحد حالا بالأكسوجين الذي في الهواء لأن الهواء ركب منه ومن النيتروجين وحينئذ يفرد النيتروجين المذكور أي الاوزوت . وهذا الاوزوت يدخل في النوشادر لأنه يمكن اتحاده بالأكسوجين أيضا بعمل خاص وهذا النوشادر نافع في (أميرين) أمر السهام . وأمر الآلات المهلكة في الحرب . إذن التحليل في الماء والتحليل في الهواء أعطيا مناخ جة ورأينا حكما تحيط بنا من كل جانب  
سلخت يا الله النهار من الليل فأظلمنا وأنت جعلت البخار الطائر في الجو ماء . فنحن بالهائم كسفنا جزأ من الهواء فجعلناه سهادا وآلات مهلكات إذ جعلناه كالثلج . فثاؤنا حلالنا وهوأنا حلالنا وأنت سلخت ضياء من الظلام

### ( فصل في الحرارة والنور )

سبحانك اللهم : أنت أنعمت علينا بالعلم . وكسوتنا حلالا من الحكمة . وأرينا الجمال والبهاء والحسن والنور والاشراق والبهجة

سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أئذيت على نفسك . إن ماظهر من جمالك قد استغرق أيماننا وملا قلوبنا بهجة . فكيف بنا اذا اطلعنا على ما هنالك من جمال وبهاء وحسن واشراق ! إن الانسان اذا جلس في حجرته ونظر نور القنديل فيها وجدته متحدة بالحرارة . فلانور في أرضنا إلا وقد اتحد بالحرارة . نو قد النار في الفرن فتحس بالحرارة أولا ثم نرى النور آخر . إذن الحرارة مقدمة على النور وهما بمنزلة متحدان اتحاد القوة الغضبية في الانسان بالقوة العقلية . إن أهل الأرض خلقوا من نور ونار . من حرارة وضوء . من شرّ وخير . نور الشمس فيه الحرارة وفيه الضوء . ولما كانت هي الأصل كانت جميع الأنوار منها على هذا النمط . فإمن نور إلا و... حرارة ولم نعرف قبل أيماننا هذه النور ينصل عن الحرارة . لانور بلا حرارة ولكن ظهر في النوع الانساني من الأذكىاء من قالوا : « إن الحرارة يمكن فصلها عن النور » وهم الآن يجتدون ليجمعوا القوة التي صارت حرارة تنقلب الى ضوء . فالشمعة التي أبرزت حرارة وضوءا بحسب العادة اذا حولت حرارتها الى ضوء تضاعف الضوء البارد وزاد نفعه وقلت نفقاته

هذه هي آراء الناس الآن وهم فيها يجتدون . إذن الناس اليوم يريدون أن يصنعوا من الحرارة والضوء ما يصنعوه مع أجزاء الهواء وأجزاء الماء أي يحللون الأعراض هنا كما يحللون العاصر هناك . يشير لذلك كله - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار - فذلك كله انسلاخ

### ( انسلاخ الحرارة من الضوء كما انسلاخ النهار من الليل )

وهل كان يدور بخلدنا (ونحن في هذه الأرض التي اتحدت الحرارة عليها بالضوء وأخذ العلماء يفصلونهما) أن الله في سمواته قد فصل الحرارة من الضوء فجعل شمساً مضيئة لحرارة فيها ، وليس هذا من الابداع العجيب أن نجد في السموات تلك العجائب . عجائب الشمس المضيئة التي لحرارة فيها اللهم إن فعلك عجيب . خلقت نفوسنا وجعلت عقولها مرتبطة بغضبها أي ان أنوار العقول جعلتها في أنفسنا مصاحبة للقوة الغضبية . فلما كان ضوء الشمس مصحوبا بالحرارة كانت أنوار عقولنا مصحوبة بالقوة الغضبية التي هي في الحقيقة قوة ذات حرارة . ففينا قوة ملكية هي قوة العقل مصاحبة لقوة أسبعية هي قوة الغضب

فهل هذه الشمس التي رآها الناس اليوم مضيئة غير حارة قد خلقت يا الله فيها أناسا مثلنا فيهم عقل ولا غضب لهم . إذن أنت كما جعلت الذكورة والأنوثة ليستا شرطا في إيجاد المواليد كما تقدم في (سورة مريم) لأن بعض الحيوان لا يحتاج الأنثى منه الى ذكر بل هي تلد ولا ملقح لها . هكذا خلقت شمساً فيها ضوء لحرارة لها . إذن أنت تخلق أناسا مثلنا ذوي أجسام كالحيوان ولكن لا غضب لهم ويكونون أرقى منا مع أنهم ليسوا ملائكة

- إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

## ﴿ الكشف الحديث في الحرارة والضوء ﴾

( وعظمة الأجرام السماوية )

جاء في بعض المجلات العلمية مانصه :

﴿ تيليسكوب جديد يرى ملايين من النجوم ﴾

كلما أعجبنا باختراع وحسبناه في منتهى درجات الكمال راح العلماء المفكرون والمخترعون المجتهدون يزدون فيه ويحسنون وينتقلون به من حسن الى أحسن فاذن الاختراع الأول شئ بسيط لو قارناه بالثاني حينما نصب التيليسكوب الذي قطر عدسته ( ١٠٠ إنش ) على جبل ولسن بكاليفورنيا قلنا إن العلم قد انتهى الى كشف أسرار الكواكب والنجوم وأن المرصد الفلكية وصلت الى حد الكمال . وكأن العلماء لم تكفهم الحقائق الغريبة التي توصلوا اليها ولم يجدوا في تيليسكوب قطر عدسته ( ١٠٠ إنش ) ما يطفى شهوتهم للعلم والبحث فاستقر رأيهم على صنع تيليسكوب قطر عدسته ( ٢٠٠ إنش ) . وإذا كانت الآلة الحالية التي في مرصد جبل ولسن قد أبرزت ( ١٥٠٠ ) مليون نجم فإن العدسة الجديدة التي سيتم صنعها بعد خمس سنوات ستكشف أمام الأنظار مئات الملايين من النجوم والسدم التي لم تر بعد . وستكون العدسة الجديدة أقوى من الأولى بنحو عشر مرات . ومنذ بدأ مرصد جبل ولسن بحوئه بالتيليسكوب البديع أضاف الى معلوماتنا ( على قصر عهده ) أشياء كثيرة عن السماء ونجومها . ولقد ذكر الدكتور جيانس سكرتير الجمعية الفلكية الملكية وعضو مرصد ( مونت ولسن ) حقائق غريبة يقف العقل أمامها مدهوشا حائرا

وقد جاء في كتيب أصدره أخيرا : ان بعض النجوم بعيدة عنا جدا . ولوعلمت أن ضوءها يصلنا بعد ( ١٤٠ ) مليون سنة وأن سرعة الضوء ( ١٨٦.٠٠٠ ) ميل في الثانية الواحدة لاستطعت أن تتصور مبلغ البعد الشاسع الذي بيننا وبينها . ويتكهن الدكتور أنه بمجموعة عدسات قوية يستطيع رؤية أضواء غادرت كواكبها منذ ( ١٠٠.٠٠٠ ) مليون سنة . إن شمسا أكبر من الأرض بمليون مرة وماهى إلا إحدى الشموس العديدة ذوات الأجرام التي هي أكبر من الشمس . وقد تبلغ تلك المجموعة الشمسية آلاف الملايين وهذه المجموعة بدورها إحدى المجموعات الهائلة التي يتكوّن منها شمس وكواكب

ويقول الدكتور جيانز : ان هناك شمس باردة واننا لو اعتمدنا على أشعتها مثلاً لجذت بحارنا على الفور ولتحول جوقنا الى هواء سائل ، وأن هناك شمس يبلغ من شدة حرارتها أنها لو سلطت على الأرض لصيرتها بخارا ، ولو وضعت قطعة في حجم الحصة من تلك الشمس الشديدة الحرارة على بعد ألف ميل ووقف تحتها انسان لشوته وكونته . وبعد فأى غرائب وعجائب سيطلعنا عليها تيليسكوب ( ٢٠٠ ) إنش ؟ انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

هذا هو الكشف الذي عرفه الناس الآن ، ثم ماهذه الشمس المحرقة التي تكون نصف الحصة منها تشوى الانسان وتكويه على بعد ألف ميل ، هل هذه دار من دور جهنم ؟ ومن ذا كان يظن أننا نعرف ونحن في هذه الأرض أن لله شمسا مضيئة باردة وأن له شمسا أخرى محرقة وصفها كوصف جهنم بل هذا وصف لم يكن ليخطر بالبال معرفته . إذن القرآن أتى لنا بشذرات من العلم وقل لنا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - اللهم إنك أنعمت علينا بقراءة هذا التفسير بنعمة العلم وبنعمة الحكمة ، أرينا العجب العجيب ، اللهم اننا اذا انطلقنا الى ساحات الجبال وشاهدنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر قلب بشر . هنالك تكون في جنة العرفان والعلم التي هي أقصى ما يشرئب اليه المجتهدون وأعلى ما يبغيه المحققون



وهل من عجب بعد هذا كله اذا سمعنا الله تعالى يقول - ونزعنا ما في صدورهم من غل - اخوانا على سرر متقابلين - . إن الناس في الأرض قد مزجت عقولهم بأهوائهم وشهواتهم . وهذا المزج والاتحاد لا يساعدهم على دخول الجنة لأنها للجمال المجرد لاحظ للشيطان الشهواني الغضبي فيها . فاذا رأينا الله قد سلخ الحرارة من الضوء في بعض الكواكب . ورأينا علمنا طرقا بها نباعد ما بين الأكسوجين في الماء والأكسوجين وما بين الأكسوجين والاوزوت في الهواء . ورأينا هوسلخ النهار من الليل . فهل من عجب اذا نزع ما في الصدور من الغل كما نزع ما في الضوء من حرارة ؟ - ان ذلك على الله يسير -

ألا وان هذه الأبعاد الكوكبية التي ذكرت هنا يقف العقل أمامها حائرا باهتا . فها هذا الكون الواسع ؟ ضوء الشمس يصل لنا في (٨) دقائق و١٨ ثانية مع أن المسافة بيننا وبينها بسير القطار المعتاد نحو (٣٥٠) سنة و بسير قلة المدفع نحو (١٢) سنة . هذا الضوء الذي هذه صفته يسير (١٤٠) مليون سنة حتى يصل لنا من بعض الكواكب البعيدة عنا . ثم ان الدكتور (جيانس) المذكور يقول : وإن الناس سي شاهدون كواكب لا يصل ضوءها الى الأرض في أقل من مائة ألف مليون سنة . هذه أحوال تدهش وعجائب يحار العقل فيها . إن هذا العالم عجب والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في المبصرات والمسموعات من حيث الفلك والموسيقى والشعر وغناء الطيور  
وسر قوله تعالى - والشمس تجري - الى قوله - ذلك تقدير العزيز العليم - ﴾

( عملي في الحقل وعواطفى فيه )

في ليلة الثلاثاء (١٠) يونيو سنة ١٩٣٠ بينما أنا جالس بمنزلة بالقاهرة وكان معي ذلك الصديق العالم ونحن نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث إذ سمعت نغمة في الطريق وتوقيعا صادري من بعض المارين في الشارع فكان لذلك وقع في نفسي فصمت قليلا فأدرك صديقي ما يحتاج نفسي . فقال : إن للعواطف آثارا وان للآثار لتأثيرات . أنعمت العامة في الشارع تهيجك أم توقيع المارة يطر بك ؟ وعهدى بك لاترنو إلا الى ما كان بالقواعد مرسوما وعلى شرائط العلم موزونا . وهؤلاء لاهم بالموسيقى عارفون ولا بفنون الأنغام عازفون على أنني أقول : وأهلك استرسات مع عواطفك وسرت مع عادات سرائك . واذا كنت اسجع الطيور على الغصون وانغور الأعشاب في الحقول تهتز طربا وتهيج عجباً فليس بدعا إذن طربك الساعة بتوقيع العامة في الطرقات ولا يغرب اصغائك لهم في حنادس الظلمات والنجوم مشرقات في هذه الدجئات . فهل لك أن تفيض القول في بعض آثار الأنفس الانسانية وعجائبها الحسكية اذا أبصرت بهجة الجمال أو سمعت بديع النغمات . فقلت : لقد أثرت أيها الصديق في نفسي نائرة الذكرى وهجت من فؤادى ما مكن أيام الشباب ، فكلمت الذكرى تعاودنى لأدنى سبب ولواعج الشوق تبعث في النفس بواعث الطرب . فقال : إن الحديث يحلو لاسيما في أوقات الخلوات وصفاء الأوقات وقد خشعت الأصوات وسكنت الحركات . فقلت : لأذكرك لك (حديثين من الأول) انى كنت وأنا مجاور بالجامع الأزهر اذا حلّ فصل الصيف قفلنا راجعين الى قرانا فكنت أنا أزاول الأعمال الزراعية مع والدى بقرينتنا وكنت أحسن بنشاط ومسرّة لاحد لهما بعد تمام الأعمال في حقلنا ، وكان العمل فيه يكسبنى سبع خصال :

(١) استنشاق الهواء الطلق في الحقول

(٢) وملاحظة النبات وأوراقه وأزهاره

(٣) وقوة العضلات بالعمل

(٤) ويتبعه نشاط العقل للعلم

(٥) وتدريب النفس على ملاحظة دقائق الأمور إذ يصطفى الانسان مازرع فيحفظه ويبيد الحشائش

(٦) وتحسين الخلق لأنه يتبع صحة الجسم والعقل  
(٧) واننى تعاطيت أفضل أنواع الرياضة لأنه يليها رياضة المشى وآخر الدرجات رياضة التمرينات العضلية  
فى المدارس (جناسك)

فهذه هى الفوائد العوائد على من يتعاطى الأعمال الزراعية من أهل العلم فى هذه الكرة الأرضية وفوق ذلك يشارك أهل بلده فى عواطفهم فيكون ذلك أدعى للعلم بأحوالهم وذلك يوسع نطاق المعارف العامة للكتاب ، فأما من لم يعرف من العلم إلا ماسطره المؤلفون فذلك فى العلم غير مأمون  
( المسيرة فى السموات أعلى من مسرات الأرض )

وبينما أنا فى الحقل أعمل مع والدى إذ أخذ يتحدثنى عن أيام أسرتنا الأولى وما كان لهم من مجد باذخ وعزّ كامل وانهم كانوا قد نصرروا على أعدائهم وأن جدى لأمى مع أسرتنا كلها كانوا ينتهجون بالولائم العظيمة التى كانوا يصنعونها فرحا بالنصر وابتهاجا بالثروة . وأخذ يصف الطبل وأنواع النغمات التى كانوا بها فرحين فأطربنى حديثه ولكننى أحسست فى نفسى بدافع قوى ووجدان داخلى لم أقدر على مدافعة فقلت ياوالدى هذه النغمات المطربات والطبول وأنواع الآلات التى فرحتم بها أحسن فى نفسى بأنها قطرة من بحر وقل من كل من طرب العوالم السماوية فوق الكواكب لأننى أحسن فى نفسى بأن تلك العوالم أوفر طربا وأعظم بهجة من كل ما يعرفه الآدميون . فرأيت سرّ بهذا القول وظهر عليه هيئة التعجب من هذه المفاجأة التى لم تكن منتظرة . انتهى الحديث الأول

### ( الحديث الثانى )

( غناء المغنيات الفرحات زاد فى شوقا للعلم )

إنى كنت يوما متوجها الى الجامع الأزهر (وربما تقدّمت الإشارة الى هذا الحديث فى هذا الكتاب) وبينما أنا سائر فى الطريق المؤدى الى (بلدة بوردين) إذ رأيت ركبا سائرين فوق سكة الحديد . وهناك نسوة على الجبال يغنين طربات وأمامهن شبان يسوقون ويقودون الجبال وهم جميعا فرحون وكان ذلك ضحى والحو جيل وهم سائرون الى زيارة (الشيخ أبى مسلم) على عادة أهل بلادنا . هنالك خيل لى أن أشجار السنط التى كانت تحفّ بالجسر من الجانبين والحشائش النابتة حولها والنهر الجارى بجانبها وزروع الحقول حولها كأنهن جميعا رواقص مغنيات بهجات وخيل لى هذه الدنيا كلها كأنها حفلة طرب وبهجة أنس ونسيت أن هؤلاء فرحون بزيارة شيخ الضريح وأنهم لا يعلمون عنى شيئا وصرت أشعر أن هذه الحفلات وأنواع الطرب والمسرات إنما تجت لى أنا ، أنا ذاهب الى المجد الباذخ والسعادة العظمى ، فسعادتى دائمة وسعادتهم مؤقتة ، ألا ترى أن عادتهم أنهم يرجعون من هذه الزيارة بعد ثلاثة أيام . فهذه حال نفسى فى ذلك اليوم ، فتنها حوّات طرب العامة الى طربها وأخذت تتجلبب جلايب الأنس والسعادة التى استلبتها مما يحيط بها وتجاهلت أنها لم تكن مرادة بهذه المناظر البهجات ولا النغمات المطربات ولا المظاهر الفرحات كأنها كانت تحسن . إذ ذاك أن للعلم دولة سوف تقبوا منها مكانا شريفا وأنها لا يد واصله الى ما أحببت من الحكمة والعرفان  
فهاتان الحادثتان كانتا أيام الدراسة الأزهرية فى أيام الشباب

( صدحت الموسيقى فكانت من أهم المبشرات لى )

وهناك حادثة ثالثة أيام أن شرعت فى تدريس العلوم بالمدارس المصرية ، فبينما أنا ليلية جالس ببلدة الجيزة مع المدرّسين فى ليلة احتفال بزفاف عروس إذ فاجأتنا نغمات الموسيقى فما أن سمعتها حتى أغشى على وأنا أكنم حالى عمن حولى ، ذلك انى كما تقدّم فى ثنايا هذا التفسير كنت عاهدت الله انى اذا عرفت أن هذا العالم منظم وأدركت حقائقه بقدر طاقتى البشرية فأنى أولف كتبنا لمن بعدى من المسلمين حتى لا يقعوا فى



حبرة كما وقعت ولا يشكوا في أمر هذا الوجود كما شككت واتفق اني كنت إذ ذاك في أوائل أيام عهدي بالقيام بمهنة التدريس واني فكرت فيما عاهدت الله عليه لأني إذ ذاك أخذت من العلوم بحظ يكفي أن أولف للمسلمين واني لذلك أخذت أراجع الفلسفة القديمة كما أقرأ شذرات من الحديث مع ضيق الوقت وكثرة أعمال الدراسة . فلما سمعت نغمات تلك الموسيقى وهي تصدح خيل الى أن هذا الطرب انما هو لتمام أمري واني لابدّ واصل الى ما طلبت وأن آمالي صادقة وأعمالي نائمة ، فهذه الخواطر كلها هي التي فهمتها من تلك الموسيقى واخواني حولى لا يشعرون بما يحول بخاطري وأنا أجتهد أن لا يبدو على وجهي علامات الآثار النفسية . ثم قلت : فهذه الوقائع الثلاث ضربتها أيها الأخ مثلاً لما يتردد في نفسى من العواطف التي لا يدلى في تحصيلها ولا قوة لي على دفعها . فقال صديقي : فحدثني ما الذي أثارت في نفسك هذه النغمات التي سمعتها الليلة في الشارع . فقلت : أنا لا أكتفك الحديث . يظهر لي أن هذه العوالم المحيطة بنا موقظات لنفوسنا مشجعات لها على أعمالها . أتدري ما الذي خيل لي وأنا معك ؟ خيل لي أن هذه السموات كلها حفلات طرب وأن النجوم في آفاقها راقصات تجليت بجلايب الجبال وتسربت بسرايل البهاء وأن نغمات الأشجار والزرور والطيور وخرير المياه في هذه الحفلة الرائعة بعض الموسيقى الصادرة في هذا العرس العظيم وكأن أسماعنا وأبصارنا هي المرادة من هذا الجمال ، نعم نحن لنا حاسة اللمس وان هي إلا منذرة لنا ومبشرة للاحتراس مما يؤلمنا من نار محرقة مثلاً وللإقبال على ما يوافقنا من كل ما لنا به انتفاع وسرور ، ولنا حاسة الذوق فيها نذرمنا بضرنا ونصطفى ما يوافقنا من المطعوم والمشروب ، فهاتان الحاستان خاصتان ببقاء أجسامنا وإيجاد نسلنا بالتقاء الصنفين الذكر والأنثى ، فأما حاستا السمع والبصر فلهما شأن أعلى وان شاركتا تبتك الحاستين ، ألم تر أن سماع الموسيقى ونظر الوجوه الجميلة يدعوان أكثر نوع الانسان الى ما تدعو اليه تانك الحاستان فكأن السمع والبصر كما أنهما متممان لشهوتي البطن والفرج عند الحيوان هكذا هما كذلك عند أكثر نوع الانسان ، وهما وان كان ذلك دأبهما عند العامة والجهال وبعض صغار العلماء طمأ القدح المعلى في استخراج طائفة من الجمهور الانساني وفي بذور بذور السعادة والبهجة العلمية . ألم تر الى ما تقدم عن طيماوس الحكيم الذي يقول في سخاوته مع سقراط « ان الله خلق لنا البصر لنسدرك به النجوم وندرسها . ومن هذا الباب نالج باب الفلسفة » وهكذا تسمع الفلاسفة يقولون : « إن الموسيقى المسموعة باب من أبواب الموسيقى المعقولة التي لا تعرف إلا بإدراك هذا النظام العام » ولا سبيل لذلك السماع العقلي إلا بدراسة سائر العلوم من الرياضيات والطبيعات وأساسها والنظام العام لهذه الكائنات . هنالك مؤازرة واتحاد في النتائج بين حاستي السمع والبصر . فالصور الجميلة تذكر بالنغمات والأخيرة تذكر بالأولى . ومن عرف هذا أدرك معنى قوله تعالى في ﴿ سورة الملك ﴾ - قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون - وأدرك - وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء - الخ ومعنى قوله تعالى - إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتيه فجعلناه سمياً بصيراً - إذن السمع والبصر هما البابين المفتوحان في الانسان ليوصل الى المعارف والمجائب الى الأفئدة المستيقظة كما أنهما يوصلان طرق استبقاء الشهوات الحيوانية للنفوس الضعيفة في هذه الحياة . فقال : أريد ايضاحاً أنتم للثلاث ما بين حاستي السمع والبصر يكون أكثر ايضاحاً وأنتم شرحاً . فقلت :

﴿ حزن الباقيات على الميت حوله نفسى فجعلته بكاء على جهلها بعلم النجوم ونظام العالم ﴾

أنا أذكر حادثة رابعة وقعت لي أيضاً أيام كنت مجاوراً بالجامع الأزهر ورر بما مر ذكرها في هذا التفسير ذلك أني توجهت الى بلدنا بالشرقية وقد مات رأس أسرتنا وعظيمها ، وكانت عادات أهل البلاد أن يقيموا مأتم مثله (٤٠) يوماً فكنت كل ليلة أنقذ من القوم مكاناً قصياً وأجلس في ناحية وأنا ناظر الى النجوم استمع النغمات المخزونات (اللاتي تتخلل أشجار النخيل المحيطة بالقرية في ظلمات الليالي الخالكات) من أفواه نساء

القرية اللاتي يندبن ذلك العظيم ويرتلن ذلك النذب بهيئة منتظمة موسيقية على مقدار ما تعلمن من أسلافهن بالمحاكاة والممارسة والتدريب فكانت هذه الأصوات أتخيلها كأنها ترتفع في جوف السماء من خلال الأشجار وتسارع الى النجوم وكأنهن لا يندبن عظيم أسرتنا الميت بل هن يندبنني لأنني جاهل بهذه العلوم التي يسارع الصوت في الصعود اليهن من خلال النخيل ، فهذه كانت حالي في تلك الليالي ، أسمع غناء الدابات فتصل رنات الحزن الى قلبي وهن يكيبن على الجهلي بهذه العوالم

هذه هي العواطف التي كانت تنساب الى قلبي إذ ذاك وهي من أعظم المشوّقات الى تلك العلوم التي لم يكن ليخطر لي أني أعرف بعد ذلك منها شيئاً اللهم إلا الأمانى والآمال والتلهف عليها والحسرة والحزن على موت النفس بالجهل العظيم ، فهذه هوذا الصوت المسموع ذكرني بعلوم النجوم وسيرها أي ان المسموع ذكر بالمنظور . فقال : أريد أن تذكر لي بعض ما تتخيله الآن في هذه السن لأوازن بالحق ما بين خيالك في الشباب وخيالك في المشيب . فقلت : لقد قدّمت لك في ﴿سورة فاطر﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ ما يكفيك وأزيدك عليه الآن ما تخيلته من مخاطبة القمر المذكورة هناك

### ﴿ بهجة البدر ﴾

( في الموقف المتقدم ذكره في «سورة فاطر» عند آية - ألم تر أن الله أنزل - الخ )  
كأنه أخذ يقول لي : « سيقف موقفك هذا قوم من الأمم الاسلامية وغير الاسلامية ويفكرون في أنفسهم . وقد أحاطت بهم الأشجار والزرورع ، هل يتجاذبون في خواطرهم الحديث معي ؟ وهل يخيل اليهم انهم في بهجة وجمال وينظرون هل أحسوا في أنفسهم أن الأرض أشرقت بنور ربها وأن هذه الدنيا فيها مبادئ جناتهم ومسرات نعيمهم ، وسيدكر المصطفون منهم أن الأرض التي هم عليها في مثل هذا الموقف إن هي إلا ذرة من الوجود ، وما الشمس وتوابعها التي لاتزيد في المجموعات الكوكبية (المجرات والسدم) البافات (٣٠) ألف مليون إلا كحبة رمل في فلاة واسعة ، وإذا صغر العالم كله على هيئة خاصة بحيث تصبح الأرض فيه جوهرافردا فان جميع شمس ومجراته وسدمه تبلغ ألف مليون أرض ، وهناك تذهلهم عظمة الكون وتدهشهم كما أدهشتك ويرون كما ترى أنت الآن أن علومهم نسبتها الى حقائق هذا الكون كنسبة ضالة أجسامهم وحقارة أرضهم الى سعة هذه العوالم ، واذن يحقرون أكثر ما يسمعون من علوم أهل الأرض الجاهلين الذين ورثوا عن آبائهم مخازي من العلم وأضاليل من الجهل وهم يدرسونها ولا يعقلونها وكيف يكون لله ولد وهذا الولد لا يولد إلا في هذه الذرة المنبوضة من الوجود ، ومعلوم أن الشمس لاتزيد عن جزء من (٢٥) مليون جزء ومن كوكب الجوزاء ، وما الجوزاء إلا كوكب واحد من مئات الملايين من مجرة واحدة والمجرة معها مجرات وسدم لاتنقص عن ثلاثين ألف مليون مجرة وسديم وأن هذه العوالم كلها اذا جرى النور حولها لا يتم دورته في أقل من مائة ألف مليون سنة ( كما تقدّم في آخر سورة الكهف عند قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - الخ فراجع ) هناك تبدل العقول غير العقول ويقولون اذا كان الضوء يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أو ٣٠ ألف كيلو ، وبهذه النسبة يصل نور الشمس الى الأرض في (٨) دقائق و(١٨) ثانية مع أن القطر لا يصل منها الى الأرض فرضا إلا في (٣٥٠) سنة وقلة المدفع لاتصل في أقل من (١٢) سنة

فإذا كانت هذه حال الكون فعلوم أهل الأرض أكثرها ضلال وجهالة . فكيف اختصت أرضنا بأن الله له ولد فيها وحدها بل كانت الأولى به نحو الجوزاء . وهذه ترهات سيزيها العلم من هذه الدنيا . وهؤلاء يرون أن أكثر ما عرفه الناس إنما هو حثالة العلم ، وكما أن الذباب والحشرات تعيش على المواد العفنة



القدرة إذ لا معطل في الوجود . هكذا أهل الأرض اليوم تعيش بعض عقولهم على أقاصيص وأكاذيب وخرافات تعافها النفس ولكنها كافية لحياتهم كما تكفي الرمم لأكل الدود والعفونات والرطوبات لحياة الذباب والناموس والله واسع الفضل على الناضل والمفضل وعلى الناس والذباب وستخاص الأجيال المقبلة من كثير من الأضاليل والأكاذيب ويسعدون بالعالم - عادة لا يحسن بها أهل الأرض الآن -

هذا ماجال بخاطري في ذلك الموقف : ثم بعد ليال وقفت بعد ذلك المكان قليلا بعد الغروب وقد قفلت راجعا من حقلنا كالمرة الأولى . فهناك تجلت لي الدنيا بهيئة بهجة جيلة وكأنها ازينت لي وأخذت أشجار النخيل تترنح على نغمات النسمات وهنّ يبلغن مئاث ومئاث مصطفات صفوفا متقاربات بحيث يتصافح الجريد ويلتئم . هنالك وقفت دقائق ودقائق والنخلات راقصات رقصا مفرحا وهنّ يدرن دورة تامة بسبب احتياج الريح وهبوب العواصف . فلورأيت ثم رأيت قصرا مقاما على أعمدة جيلة من جذوع النخل تعلوه قبب متناسقات خضرناضرات من الجريد والخوص وسقفه وأعمدته تترنح ذات اليمين وذات الشمال وهنّ شامخات الذرى بهجات المناظر وتسمع ما بين آن وآخر هبات النسمات تجعل هذا التصركله في هيئة راقصة على نغمات تأخذ بالألباب ومناظر تزيد الإعجاب

ولورأيت أيها الذكى مارأيت أنا من نجوم أخذت تهوى جهة الغرب وقد نظرن لي ولهذه الجوقات الموسيقية وهنّ باسمات تشير بطرف ساحر خفي وتقول : « هيا يا حكماء الأرض . إياكم أن تشغلكم عوالم أرضكم عن جمال العوالم . ما أشد فرح أحدكم اذا لمح ابتسامة من حبيب جيل أو أمير نبيل أو ملك جليل . أفليس يطير بتلك الابتسامة فرحا ويهتز لها طربا ؟ فاذا كان العاشق يفرح لابتسامة المعشوق والسوقة لا ابتسام الملوك فلكم يطير الحكماء فرحا ويهتزون طربا في أرضكم اذا أدركوا أن عناية الحكمة العائمة الإلهية اختصتهم وحدهم في هذه الحياة بوجوه باسمات مشرقات لا عدد لهن من كواكب السماء . فابتسامة واحدة من جيل واحد أو ملك تنسى العاشق والصعلوك أشجانه ويقيه على خلانه فكيف بالآلاف البسمات المشرقات كل ليلة من مئاث ألوف الملايين في السماء . إن نسبة سعادة النفوس الناقصة في أرضكم هذه الى سعادة النفوس الكاملة كنسبة بهجة انبساط معشوق واحد لعاشقه الى بهجة ابتسام النجوم السماوية الى الحكماء المفكرين . إن جمال هذه النجوم مغناطيس بها تجذب النفوس الصغيرة الى مجارة العقول الكبيرة فيرتقون الى أشرف الأعمال وأرفع العلوم ويستعدون لزيارة تلك العوالم - وأن الى ربك المنتهى -

ومما لمحتّه في نظرات النجوم إذ ذاك خواطر أخرى وذكريات وكأني أخطب بما في نفسي من تلك الذكرى لبهجة المقام

وذلك انني بعد أن قطعت زمان الشباب وحلّ بساحتي المشيب وأنا أزاو لمهنة التعليم في المدارس وتأليف الكتب وجاوزت الستين رأيت شباب نفسي لطلب العلم وحبّه لا يزال غضا طرى الالهاب قويا فأخذت أكتب هذا التفسير ، فأكبت على العمل نحو سنتين كاملتين أو يزيد . وكنت أكتب في اليوم نحو ٤٠ أو ٥٠ صفحة ومتى كتبت العدد الذي أقرّره في نفسي أقوم للرياضة في الحقول حول القاهرة وأمشي نحو (٦) كيلومترات فلما أتممته أحسست في نفسي بضعف شديد وانهاك في القوى وضعف في الأعصاب ولكن فرحت فرحا وسررت سرورا كثيرا لأنني اعتقدت أنني أكملت واجبا . والذي سقت الكلام لأجله أني بعد تمام التفسير كما قدمت أخذت أروض نفسي خارج القاهرة فكنت في بعض الأوقات أجلس عند بلدة المرج وأجلس هناك في الهواء الطلق وأنا ضعيف فسمعت إذ ذاك الآلة الحاكية المسماة (الفونوغراف) إذ يحكي بالصوت الجليل واللغة العامية مامعناه « يا بابا وأعمل له الواجب ، وأنا أمشي له وأتعجب ، وأغمز بالعين والحاجب »

هذا ما كنت أميزه من أصوات الفونوغراف المذكور الذي يعبر عن شعور الفتاة البكر وقد حضر خطيبها

وهي توصي أباهما أن يكرم مشواه في الضيافة وهي تتولى اظهار المحاسن له وتكون محبة بجمالها ، فإكرامه موزع بينها وبين أبيها فعليه الإكرام المالى كما يكرم أئمة الضيوف وعليها هي اظهار المحاسن ليزيد غرامه بها فتزوجه . هذا ماخطر لى ولكن هذه النفس حوّلتها الى سعادتها هي كما حوّلت غناء النساء على الجبال الى نفسها فى جهة (بردين) بالشرقية وبيانه أنى لما سمعت ذلك الغناء أحسست كأن نفسى فى عالم أجل من هذا وكأنى لست فى هذه الدنيا ، وكأن هذه الفتاة هي الحكمة ، وكأن الذى تخاطبه هو الله عز وجل ، وكأن المخاطب لها أنا ، وكأن الحكمة التى أعشقتها وأنا أخطبها تخاطب الله عز وجل ونقول له : « يارب انظر فى أحواله المنزلية ، وأموره المعاشية ، حتى يتفرغ لى وأنا سأترين له وأظهر له محاسنى فيعشقنى ويحببنى ويكتب ماينفع للناس

ولما رجعت الى المنزل بالقاهرة بقى أثر تلك المعانى أياما وأياما ولكنى كنت أقول : لقد أتممت التفسير فهاى الحكمة إذن التى سيظهر جمالها لى ؟ ولقد ظهر بعد ذلك ما لم أكن أحلم به . فإن التفسير الذى كتبته لم يكن ليتجاوز نحو (١١) مجلدا فما كاد عمال المطبعة يشرعون فى طبعه حتى بدرت لى بوادرسنحت لى سوانح لم تكن لتخطر لى ومنها جميع المسائل العلمية التى ازدانت بالصور الشمسية فتضاعف الكتاب بما أضعه فيه من تلك المجائب الحكمية التى ازدان بها فعرفت إذ ذاك معنى ما فهمت من «وت القونوغراف وأن فهمى كان حقا وأن هذه تفتيها وإشارات تقبسها النفس من الأحوال المحيطة بها ، إذن نفوسنا مستعدة أن تحوّل جميع ماحولها الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للفقراء . فإذا نظرت القمر هذه الليالى فى هذا الشهر والنجوم والنخل والزرع وتصوّرت المعانى المتقدمة فذلك أن نفوسنا لها حال أخرى فوق هذه الحال وهى أن ترى العوالم كلها سعادة لها وحبورا وجنات ونعيمات وتحظى بذلك فى الحياة فى سنحات وأوقات . فإذا خلعت هذا العالم لبست أثواب السعادة فى عوالم أخرى . انتهى صباح يوم الاثنين (١٩) من شهر مايو سنة ١٩٣٠ م

فلما أتممت ذلك . قال : إن الذى قصصته على الآن انما هو خيالك الخاص بك . وهل لهذا الخيال رابطة بالحقائق العلمية ؟ وهل المسموع والمبصر من واد واحد فى العلوم الحكمية كما كان فى خيالك الطارىء لك فى أوقات مختلفات . فقلت : إن أمثال هذا المقام يعوزه شرح طويل ولكن لأختصره لك اختصارا فأقول :

﴿ علاقة النظام السياسى بالنجوم والحساب والهندسة والتمرين العضلى والموسيقى ﴾  
هاهى ذه أمامى جمهورية أفلاطون التى ألّفها لاحداث نظام سياسى ثابت . وقد تعرّض فيها لكل فروع الحياة وشرحها شرحا وافيا . والجمهورية مقسمة الى عشرة كتب والكتاب السابع هاهو ذا بين يدي وهو يبحث فى الرجل الحكيم الذى يقود أمتة الى الصلاح والنجاح فوصفه بأنه هو الذى لا يقف عند الحواس بل يرتقى الى ما هو اليقين وقال لاسبيل للوصول الى اليقين إلا باجتذاب العقل من المحسوس الى المعقول الثابت ومتى وصل العقل الى اليقين وهو ﴿صورة الخير الجوهرية﴾ أيقن أنه سبب لكل ما هو جليل فى المحسوسات كالأنوار ولكل ما هو باه وكامل فى المعقولات وهو الحق والعقل . وكل من أراد أن يتصرف بحكمة يجب عليه أن يضع صورة الخير الجوهرية بين عينيه . أقول ﴿وبعبارة أخرى﴾ يجب أن يجعل الحكام والحكام صانع العالم دائما فى قلوبهم

﴿ العقبتان فى طريق الفيلسوف فى حال تعلمه وفى حال قيامه بواجبه ﴾  
ثم أخذ يبين ما يعترى الفيلسوف من المشاق إبان تعلم الفلسفة . ثم ما يعتريه من النصب والتعب بعد كمال نفسه إذ يرى عقله الذى وصل الى درجة الكمال ومعرفة الجمال ومبدأ النظام وهو الله تعالى قد رجع كره أخرى



يقاسى مشاق السياسة ونظام المدن فيكون إذن أشبه بمن مشى في النور طويلا ثم فجأه الظلام ، ثم بعد الممارسة يكون أقوى وأكمل في نظام المدن من أولئك الجهلاء

### ﴿ الرياضة البدنية والموسيقى ﴾

وهنا أخذ يبين الدروس التي يتعلمها أولئك الحكام الفلاسفة وقام لذلك مقدمة فقال : « يجب أن يحكم الدولة الأغنياء الحقيقيون ، أغنياء بالذهب ولا بالنفص بل بثروة الانسان السعيد وهي حياة البر والحكمة فإذا تسلط الفقراء أى المتهافتون على المنافع المادية كانت المدينة فى غاية الانحطاط . وهنا أخذ يبحث فى العلوم التى تنقل الانسان من الفانى الى الباقي وتجعله مقبلا على الخير المحض وهو الله تعالى فقال : « هل تكفى الرياضة البدنية التى تقوى الأبدان وعلاقتها لا تكون إلا بالجسد الفانى . كلا . وهل الموسيقى التى لا عمل لها إلا أن تمرن النفس على نوع من الاتزان والاتساق كافية فى ذلك ؟ كلا . فالجناستك لصحة الأبدان والموسيقى لها نوع من التهذيب فى النفس بالاتساق »

### ﴿ علم الحساب ﴾

وهنا أخذ يذكر علم الحساب فقال : « انه هو العلم الذى منه تستمد كل الفنون والعلوم وجودها ، وهو أول ما يجب على المرء حوزة من العلوم ، ولا جرم أن فن الحرب أحدها وهو يكون نافعا للتاجر واضابط الجيش وللفيلسوف ، وعلى الجلة أن المنصبين على الحساب سريعا والخواطر أذكيا إلا النادر منهم وهو دواء لبطء الفهم فوق منافعه الأخرى ، وأعظم فائدة لدرس الحساب انه يقودنا الى درس الوحدة والتفكير فى الوجود الحقيقى إن الواحد فى كل موجود له ﴿ صفتان ﴾ صفة الوحدة من جهة . وصفة الكثرة من جهة أخرى . أقول : أى كبدن الانسان فهو واحد من وجهه كثير من وجه آخر باعتبار أجزائه . وهكذا كل مدينة وقرية وكرة أرضية وأمة وهكذا

يقول إن البحث فى الوحدة يعرفنا الوجود الحقيقى الذى لا كثرة فيه بوجه من الوجود بل هو واحد من كل وجه ، أما العوالم فوحدتها من جهة واحدة فقط بالملاحظة لا غير

ولما أتم الكلام على الحساب أخذ يذكر الهندسة السطحية كالمثلث والمربع وكثير الأضلاع وسطح الكرة وما أشبه ذلك . ثم علم الهندسة الفراغية كالكرة والمكعب ونحوها . ثم عطف على هذه الثلاثة علم الفلك وأبان انه يحمل النفس على النظر الى الامور الثابتة ونضح علماء الفلك فى زمانه قائلا : « انهم يزاولونه فينزل بهم الى أسفل سافلين إذ لا فرق بين من نظر الى جلد منقط منقوش وبين من نظر الى هذا السقف المرفوع المزين بالنجوم . وأى فرق بين منظر ذلك الجاد وهذا السقف من حيث شكلهما ؟ فكلاهما من المحسوسات والمحسوسات أخس المخلوقات . إن المثقف فى علم الهندسة اذا رأى رسما عرف حالا اتقانه ودرجته فى الجلال والكمال فلم يكن له ذلك غرضا مقصودا وإنما هو واسطة لما فيه من المعادلات والمضاعفات والنسب أما نفس الرسم فليس مقصودا من حيث ذاته بل الابداع هو المقصود . هكذا علم الفلك فليكن مقصد الفلكى أن ينظر الى حركات النجوم بهذا الاعتبار نفسه . إن الحركات تعطينا علمين : علم تؤديه لنا العيون . وعلم تؤديه لنا الآذان . فالعلم الذى تؤديه لنا العيون هو علم الفلك . والعلم الذى تؤديه لنا الآذان هو علم الموسيقى . فآدانا لضبط الحركات المتسقة بالموسيقى وعيوننا خلقت لتناول حركات الأجرام الفلكية وهذان يؤلفان علمين شقيقين كما يقوله الفينثاغوريون . وههنا أخذ يشنع على طائفة من علماء الموسيقى وعلماء الفلك إذ يقصرون بحسبهم فى الموسيقى على أن يتلقفوا الصوت ويتنصتوا ويبحثوا على الفرق بين هذا الصوت وذاك وأنت هذا أخفض وذاك أعلى ، إذن هم يخضعون عقولهم للمحسوسات ، فهم لا يبرعون إلا فى شد الأوتار ولها على الأنشطة فهم بذلك يجعلون أنفسهم سخرية لغيرهم

إن الإنسان لا يفكّ من أغلال هذه الطبيعة التي سخرها إلا إذا بحث في نظام هذه الأنعام وحسابها ونسبها وأدرك بدائعها الموزونات وزنا حسابيا كما ينظر عجائب الحيوان والنبات وتشرح الإنسان ، ثم ينظر في الشمس والنجوم وهذه المباحث كلها عقلية لاحسية منطقية لالغظية . قل : ولا يكف حتى يدرك ﴿ الخير ﴾ والحقيقة حينئذ يبلغ آخر مدى العالم العقلي ، فإذا وقف العقل على كنه هذه الحقائق العقلية وأشرف على معرفة الذات العلية تمتع بالسعادة الخاصة به كما تمتع الأعضاء الأخرى بالسعادة بما يلائمها ، فهذا هو النشيد وهذه هي النعمات وما هي إلا نعمات عقلية دائمة في مقابلة النعمات الحسية الفانية

فلما سمع صاحبي ذلك قل : يا سبحان الله ، أما اطنعت على هذه القطعة من كتاب جمهورية أفلاطون وهو الكتاب السابع ولكن لم أفهم منها ما كتبه أنت الآن ، إن المحاورات هناك فيها صعوبة بين سقراط وبين غلاكون ولكن يظهر لي أنك لخصت المعاني وأوضحتها بعبارتك أنت وأثبت المفهوم مع المنطوق حتى أسمعها لي واضحة ظاهرة بينة ، ويظهر لي أن صناعة التدريس في المدارس النظامية تجعل في نفس المدرس ملكة بها يوضح كل ما يكتبه ، ألا ترى أنك ذكرت الكرة والمكعبات وما أشبه ذلك وضربت الأمثال في الهندسة وسقراط لم يوضح ذلك . فقلت : انني أراعي فيما أكتب أحوال أذكاء القراء في هذا التفسير ، ولا يتسنى فهم ما أكتبه إلا بهذه الطرق فلا يوضح واجب متى وجدنا إليه سبيلا . فقال : ولكن أريد أن أبحث معك في مسألة واحدة مما ذكرت . ذلك أنك قلت في تلخيص كلام سقراط ﴿ قولين متناقضين ﴾ فتارة نسمعه يقول إن علماء الموسيقى الخاضعين للأصوات الذين يوازنون ما بين النعمات وأن علماء الفلك الذين لاهمة لهم إلا صور النجوم والحساب من حيث نتائج الأرضية ، فهؤلاء وهؤلاء لاحظ لهم من الكمال ، وتارة يقول إن الموسيقى ملطفة للأخلاق مهذبة منعشة وأن التمرين العضلي إذا قوى الأبدان فإن سماع الموسيقى يلطف الوجدان فكأن القول فيه تناقض . فقلت : أنا الآن أبين لك حقيقة ما يقول بحسب ما يذهب إليه ثم آتي لك بما هو الحق في نفسه : إن هؤلاء النوم ينظرون إلى الفلك وإلى الموسيقى من وجهين مختلفين . فالموسيقى تلطف الوجدان وتحسن الأخلاق لأن الاتزان والاتساق يعطيان النفس صفة تشابه ما جاورها فيكون صاحبها موزونا في معاملاته وهذه النعمات تطرد من نفسه تلك الخشونة التي أردعتها في النفس التمرينات العقلية وهذه هي الطريقة العملية . أما الطريقة العلمية فهي أن يفكر في أصل وضع الأنعام ونظام حسابها ونسبها الهندسية ونظام سير النجوم والشمس والقمر ، فهناك يجد ثباتا ونظاما كاملا ، ولا جرم أن نظام الحساب والهندسة وثباتهما يعرف النفس أن هناك ثباتا في هذا الوجود بخلاف نفس الكواكب ونفس النعمات فانها ذاتيات متجددات ، أما حساب ذلك كله فهو ثابت ، فإذا رأيت يذم الفلكي وعالم الموسيقى فذلك إذا اقتصر كل منهما على ظواهر الكواكب ونتائج حسابها من الشهور والسنين وهو لا يفكر في ثبات القواعد الحسابية وعلى ظواهر النعمات والتلذذ بها ، إذن ظواهر النعمات إنما تكون منفعتها في تنظيم النفس لا غير . فأما إذا عدل بهما عن ذلك فانها تصبح ضارة ولا فرق عند هؤلاء بين الطعام والشراب وبين النعمات فكما أن أكثر ألوان الطعام ضارة بالآكلين هكذا التفنن في الموسيقى ضارّ بالسامعين لأن هذا التفنن يفتح أبواب الفجور فتحتاج الأمة إلى القضاة وأكثرهم كما يقول شهوانيون وكثرة الماء كل في الأمة والفنن فيها يدعون إلى كثرة الأمراض وهذه تدعو إلى الأطباء . وعار على رؤساء الجمهورية أن يدعوا رعاياهم يتفننون فيما يضرهم من المسموعات والمأكولات فيحتاجون إلى القضاة وإلى الأطباء . فلتسكن الموسيقى في حال خاصة ويجب أن تكون بسيطة غير موجبة لاثارة الشهوات بكثرة التفنن فيها فليسمع والطعام أخوان والبسائط فيهما أهدي سبيلا وأقوم قليلا وهو يقول فوق ذلك : « إن الأطباء يختص عمالهم بالأحوال الطارئة والأمور العارضة ، أما إعطاء العقاقير وطول التمريض فذلك يوجب الضرر في الماء كل والمشارب ومتى امتنع ذلك خلصت الجمهورية من الأمراض

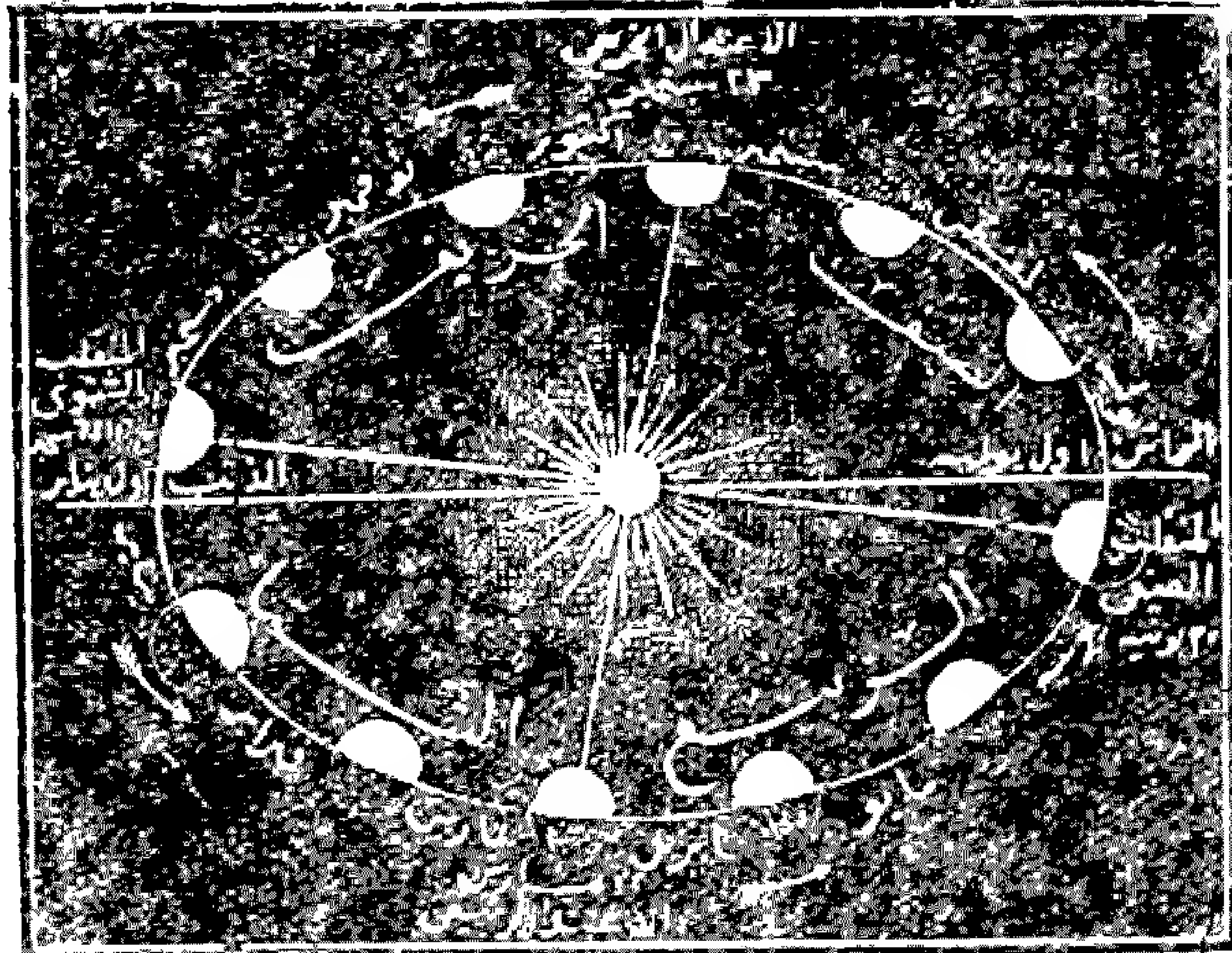


فقال : وهل أنت ترى هذا كله . فقلت : إن بعض هذه الآراء قد عدل في وقتنا الحاضر ، إن التمارين العضلية والألعاب التي جعلها عمدة في صحة الأبدان قد أصبحت اليوم في الدرجة الثالثة ، ذلك أن أرقى الرياضات ما كان من اتعاب البدن في أعمال الحقول والبساتين ويليهِ المشي على القدم ، وآخر درجات التمرين الرياضي هو (الجماسيك) أي التمرينات المعروفة ، وقد قل علماء أوروبا وأمريكا بالاختبار إن الذين يكثرُونَ تلك التمرينات هم أقل الناس علماً وأضعفهم تفكيراً وأظلمهم بصيرة ، واست أقول إن التمرينات العسكرية داخلية في ذلك . كلا . بل هي صناعة من الصناعات لا بد من الخدق فيها واتقانها . وهذه التمرينات أهم ركن فيها وأكثر كلام الجمهور في العسكرية

والخلاصة أن الإنسان لا يكون رجلاً كاملاً إلا إذا أحبَّ الجمال . وحُب الجمال يشمل بهجة النجوم والمزارع الخضراء وحسن نسق الثياب والنظافة وتنسيق المنازل . وبالجملة كل جمال في برّ أو بحر ، ومتى عشق الناس الجمال فتحت بصائرهم للحقائق وحسنت معاشرتهم والرياضة البدنية حافظة للصحة وهي مع حبّ الجمال صنوان لا يفترقان في سعادة الإنسان

فقال صاحبي : هل هذا آخر رأي ؟ فقلت : إن هذه عليها نظام المدارس والتعليم في العالم الانساني اليوم ولكن جاء الاسلام فأحدث مدينة وجعل أركانها أركان الاسلام ومنها الصلاة ، وهذه الصلاة بنظامها الجليل ونظامتها قد أبدعت أمة واسعة النطاق في الشرق والغرب ، ولما كسلوا عنها تمزق شملهم وضلّ سعيهم ومدنية الجمهورية وحدها لم تقم بها أمة من الأمم ، أما المدنية التي قامت بأقامة الصلوات في خمسة أوقات التي هي نوع من النظام يهيج النفس الى عالم قدسي فقد نجحت أمة وأمم بها . ولما تركها ملوك الاسلام وأمراؤه ذهبت ريحهم وضلّ سعيهم وتمسكوا بما لديهم من الموسيقى وأكثروا منها فشرّبوا الخمر فكانوا من الخاسرين

فقال صاحبي : لقد أطلنا في هذا المقام وخرجنا عن المطلوب . فقلت : كلا . الآية فيها نظام الشمس والقمر وفيها - ذلك تقدير العزيز العليم - وتقدير العزيز العليم كما رأينا في سير النجوم رأينا أيضاً في علم الأحياء وانتهى الأمر بنا إلى أن ما جل من النظام محسن لأخلاقنا ومائت من الحساب ونظام الهندسة يعطينا ثباتاً في عقولنا ودلالة على مبدع للعالم ترجع النفس إليه (شكل ٣٨)



( شكل ٣٨ - شكل تستبين فيه الفصول الأربعة )

فقال : أرجو الآن أن تشبع القول في نظام الحساب في الفلك والموسيقى وغناء الأطياري كما وعدت وكيف كانت من (رواد) واحد . فقلت أولاً انظر إلى الفصول الأربعة

فهذه الدائرة المرسومة أمامك تحاكي الدائرة التي تقطعها الأرض في حركتها حول الشمس فهو نظام ثابت بحساب لا تغير له ، وههنا يتجلى للعقل الكمال الحقيقي وتهيج نفسه بما وراءه من منظم للكون حكيم ﴿ثانيا﴾ انظر الى أشكال القمر الآتية قريبا وفيها وجوه القمر وصوره المختلفة فهذه الوجوه القمرية هي التي تظهر في القمر كل شهر ، فنباتها الظاهري راجع لحساب كحساب سير الشمس في الصورة التي قبلها ﴿ثالثا﴾ تفكر في جدول الخسوف والكسوف وهو انه يكون (٧٠) خسوفا وكسوبا في مدة (١٨) سنة و (١١) يوما ، منها (٢٩) خسوفا و (٤١) كسوبا والخسوف والكسوف في كل مدة في نفس المواعيد والساعات والدقائق في المدة التي قبلها

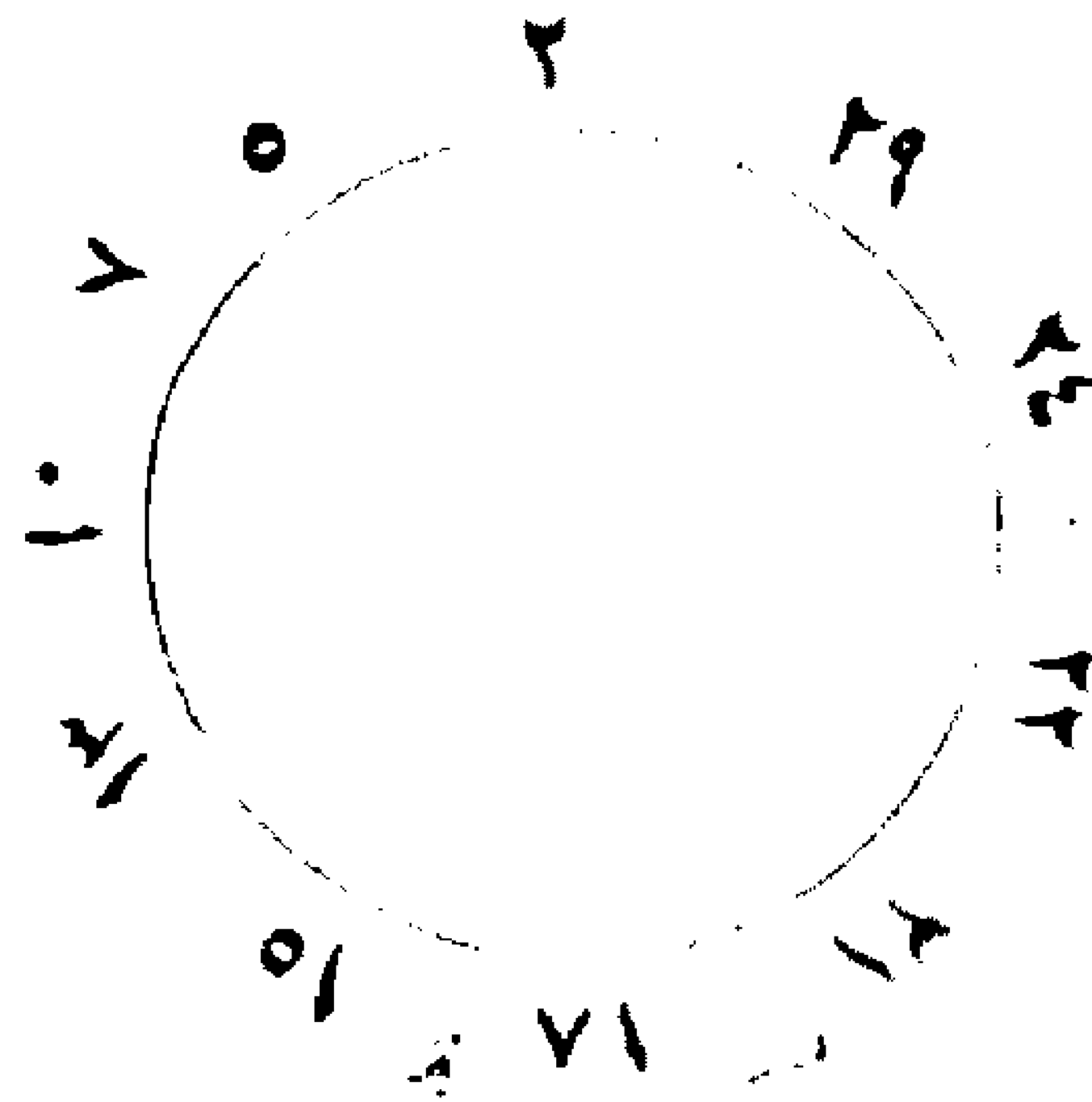
﴿رابعا﴾ الكلام على السنين البسيطة والكبيسة . ان الدورة السنوية القمرية (٢١٠) وهذه دورة كبيرة . والدورات الصغيرة (٧) كل دورة (٣٠) سنة . والسنة القمرية تكون ما بين (٣٥٤) يوما و (٣٥٥) يوما ، فالأولى بسيطة والثانية كبيسة ، ففي الثلاثين الأولى من (٢١٠) من الأعوام الهجرية تكون الكبيسة على حسب الحروف المعجمة في هذا البيت فالحرف المعجم للكبيسة والمهملة للبسيطة

٢ ٥ ٧ ١٠ ١٣ ١٥ ١٨ ٢١ ٢٤ ٢٦ ٢٩

إن رمت مجدا فلا ترقد دجا أبدا ✱ خـوف الفوات لما ترجو من الشرف

انظر الدائرة الأولى

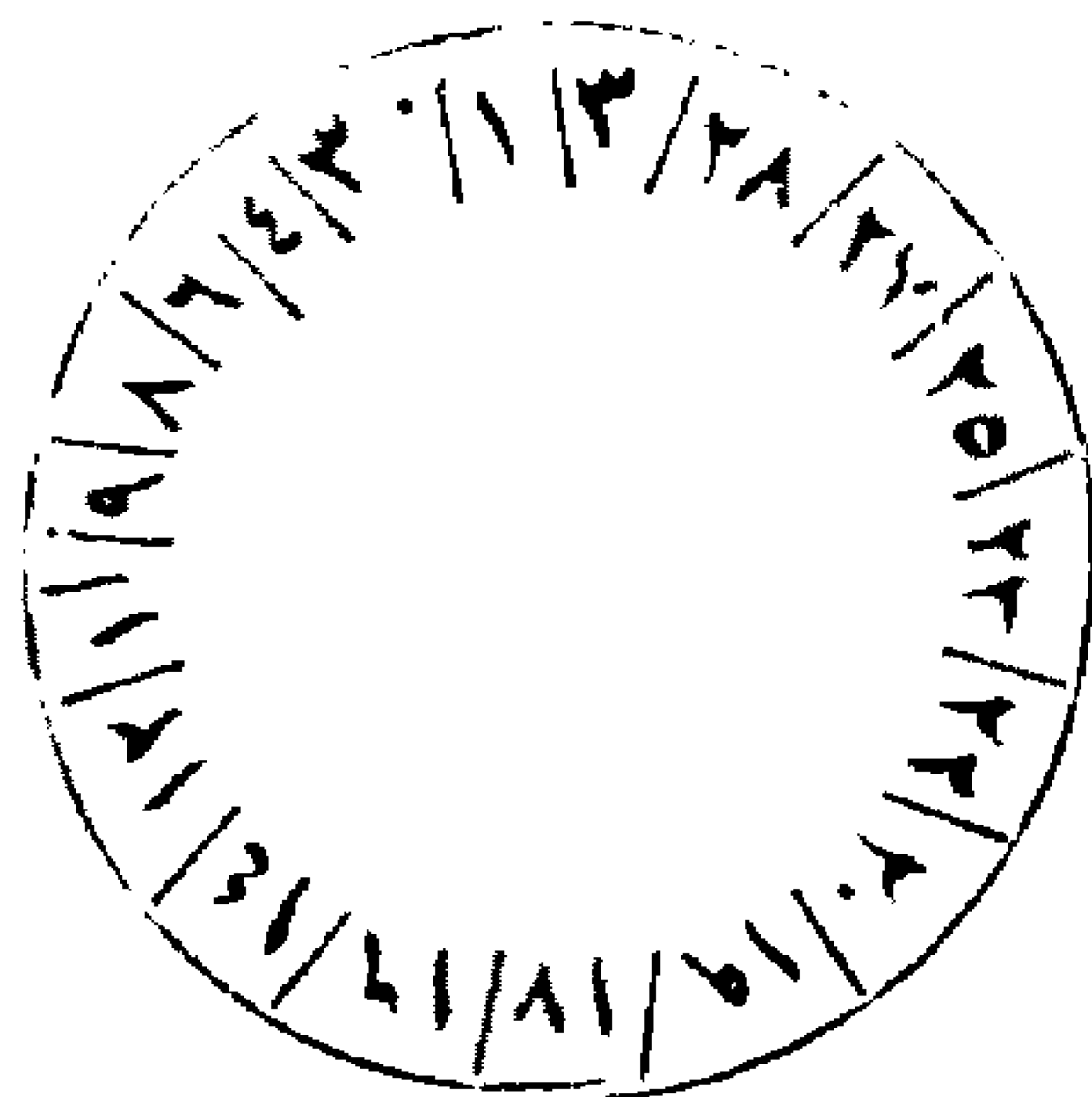
( مبدأ السنين الكبيسة )



( دائرة السنين الكبيسة )

فالكبيسة في كل سنة (١١) يوما والبسيطة (١٩) يوما (انظر الدائرة الثانية)

( دائرة السنين البسيطة )



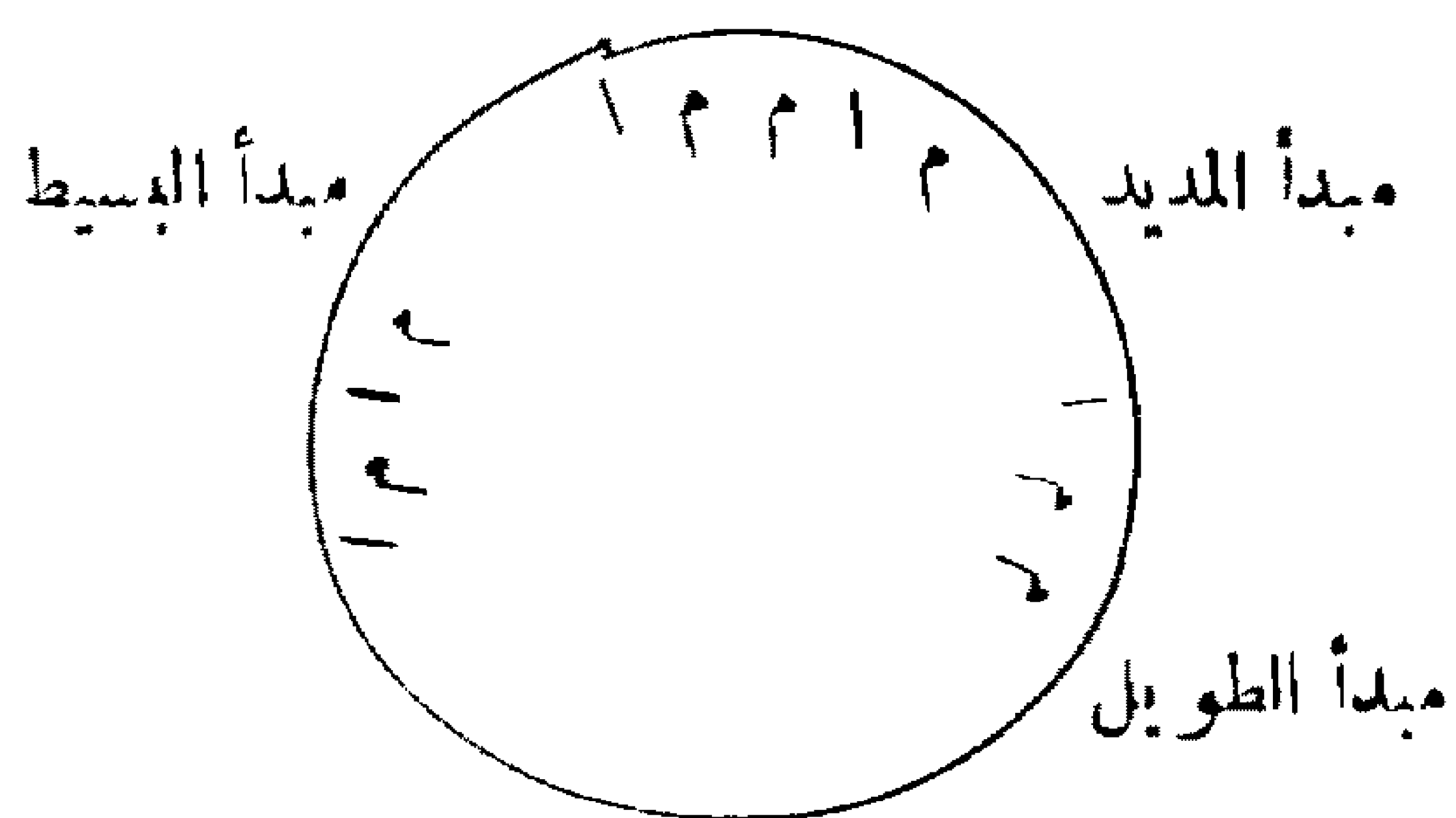
فهذه الدائرة تحتوي على (١٩) عددا لا يحصى للسنة من أن تجرى على مقتضاها ، فالدور الأول من (٢١٠) من التاريخ الهجري هذا شأنه والدور الثاني على مقتضاه وهكذا تتم (٧) أدوار وههنا ينتهي الدور



الكبير الأول ، وينحونحود في ذلك كله الدور الثاني والثالث والرابع وهكذا بالغامبلغ ونحن الآن في سنة ١٣٤٩ هـ وقد مضى (٦) أدوار لها مدة (١٢٦٠) ومن هذا الدور السابع قد مضى (٨٩) سنة منها دوران صغيران هما (٦٠) ونحن في الدور الثالث ، وهاتان الدائرتان قد تكررنا منذ الهجرة الى الآن (٩٠) مرة أليست هاتان الدائرتان اللتان رأيتهما أمامك أشبه بدوائر الموسيقى والشعر وغناء الطيور ، انها مثلها حدو القذة بالقذة . فقال : كيف يكون ذلك ؟ فقلت : اعلم أن الموسيقى والشعر وغناء الطيور كلها من واحد واحد فهي دوائر كدوائر علم النلك . فقال أوضح فن الأمر عجب . فقلت : إن أصول الشعر ثلاثة وهي : السبب والوتد والفاصلة . فالسبب مثل هل ومن وعن والوتد مثل نعم وبلى ونحن وأنت ، والفاصلة فهمت وعلمت وغلبت . وترجع هذه الثلاثة الى حرف ساكن وحرف متحرك ، وهذه الاصول الثلاثة في الشعر هي أصول الغناء مثل (تن . تنن . تنن) فمن هذه الثلاثة تتركب جميع الألحان والنغمات كما ان اللاتي قبلها تتركب منها جميع أنواع الشعر عند العرب وغير العرب وأنواع الغناء عند العرب (ثمانية أنواع) وهي : الثقيل الأول وخفيفه ، والثقيل الثاني وخفيفه ، والرمل وخفيفه ، والهزج وخفيفه . وكلها مركبات من هذه الثلاثة كما يتركب أنواع النبات والحيوان من العناصر وكما تتركب أنواع الشعر العربي من الوتد والسبب والفاصلة ، ومقاطع الشعر العربي ثمانية وهي فعولن مفاعيلن متفاعلين مستفعلين فاعلاتن فاعلن مفعولات مفاعلتن ، فهذه منها تتركب البحور العربية الشعرية ، ومن الثمانية قبلها تتركب سائر الألحان في الموسيقى

فلما سمع ذلك قال : اننا الآن في تفسير آية الشمس والقمر وتقدير العزيز العليم ، ولا جرم أن هذا دعا الى علم الفلك وعلم الشعر وعلم الألحان لأن ذلك كله تقدير العزيز العليم . وسمعنا الفلاسفة يقولون انها من واحد . فأريد الآن الهجوم على نفس الموضوع خيفة أن يتشعب علينا بما نستوفيه من تلك العلوم فأرجو أن تأتي بمثال واحد به نعرف أن علم الشعر على مثال علم الموسيقى ونغمات الطيور . فاذا كنا رأينا للقمر والشمس وللجنة الكبيسة وللجنة البسيطة دوائر قرأناها فأريد الساعة أن أدرس دوائر تشبهها في الشعر والموسيقى حتى تستبين الحقيقة . فقلت : اعلم أن الخليل بن أحمد لما اطلع على أشعار العرب وجدها ترجع كلها الى خمس دوائر وهذه الدائرة منها وهي التي تدل على بحر الطويل والمديد والبسيط وسماها المختلفة (الدائرة الثالثة)

### ( الدائرة المختلفة )



فهذه الدائرة فيها سبعة حروف متحركات وخمسة حروف ساكن أي (١٢) حرفا ساكن ومتحركات أغنتنا في ثلاثة بحور فما عليك إلا أن تكرر هذه الحروف أربع مرات فتبلغ (٤٨) حرفا بحر الطويل اذا ابتداء من المبدأ الذي أمامك في الدائرة له يكون فعولن مفاعيلن (٤) مرات وفاعلاتن فاعلن أربع مرات في المديد ومستفعلين فاعلن (٤) مرات في البسيط

فانظم أيها الذكي من الأشعار ماشئت في الطويل والمديد والبسيط والكنك ان تخرج عن هذه الأوزان المتقدمة في الدائرة ولا تخرج عن المتحركات والسواكن بعينها إلا في أمور عارضة يسمونها الزخافات والعلل لا محل لذكرها لأنها تخرج بنا عن المقصود كما هو رأيك ورأي أذكاء القراء في هذا التفسير

واعلم أن هذه الأوزان هي الأصل ولكن الشعر علم له قواعد تقتضى معرفة عالاه وزحافته وما الأبيات إلا كحيوان يصح ويمرض ، فحذف حرف أو تسكينه يعتبر كأنه علة وأغلب الشعر لا يخلو من ذلك ، فإذا أتينا بشواهد على هذه البحور فاتها من هذا القبيل ، فإذا سمعت هذا البيت وهو الشاهد لبحر الطويل وهو :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة \* يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فاعلم أن ما حذف منه تقتضيه الصناعة لأن آخر صدر البيت بوزن مفاعل وكذلك عجزه وهكذا قل فيما

يأتى

﴿ شاهد المديد ﴾

يا بكرة اشروا لى كليباً \* يا بكرة أين أين الفرار

﴿ شاهد البسيط ﴾

لولا المشقة ساد الناس كلهم \* الجود يفقر والاقدام قتال

وبهذا تم الكلام على الدائرة الأولى

ومن عجب أن بحر الطويل الذى هو أحد البحور الثلاثة فى الدائرة المختلفة المتقدمة له نظير فى علم الموسيقى قال : وما هو ؟ قلت : أذكرك بما تقدم وهو أن ألحان الغناء العربية لها ثمانية قوانين فلتترك الكلام على الثقيل الأول والثقل الثانى ولنحصره فى الكلام على خفيف الثقيل الأول فنجد على هذا الوزن فعولان مفاعيلن (تنن تن ، تنن تن تن) ويسمون هذا (البحر الماخورى) وهو مماثل لصياح الفاخنة (ككوه كوه ككوه كوكو)

إذن عندنا هذا الوزن فى الشعر وفى الموسيقى وعند الطير ، فانرجع الى الدائرة المختلفة المتقدمة فإذا نجد نجد أن من ينظم بحر الطويل يتم البيت بالسير على هذه الدائرة أربع مرات فعولان مفاعيلن أى انه يأتى بخمس سواكن وسبع متحركات ويعيدها أربع مرات ، ولا فرق فى ذلك بين المغنى وبين من يقول :  
أبا منذر كانت غرورا صيفتى \* ولم أعطكم بالطمع مالى ولا عرضى

يا سبحان الله : إذن قول الفاخنة ككوه كوه الخ يجرى على هذه الدائرة ، إذن المغنى والطير والشاعر كلها تجرى على هذه الدائرة فى هذا المقام ، ويعجبنا . أليس هذا بعينه هو ما رأينا فى سير الشمس والقمر ووجوهه والسنين الكبيسة والبسيطة ، أفليست الدوائر الصغرى التى تبلغ نحو (٩٠) دائرة من أيام الهجرة الى الآن سارت كلها على نمط واحد ، فأى فرق لعمر ك بين دائرة الخليل التى سماها المختلفة وقد جاء فيها بحر الطويل المماثل للماخورى فى الشعر ولصياح الفاخنة وبين دائرة السنين الكبيسة والبسيطة

كل هذه أدوار منتظمة . أليس هذا هو الذى كنا نسعى لفهمه ونعرف مايقوله أفلاطون ان علم الألحان هو من قبيل علم الفلك لافرق بينهما ، وأن الانسان اذا أدرك عجائب الوحدة والحساب أغرم بمبدع الكون وأن أسماعنا مخلوقة لمعرفة نظام النغمات كما ان أبصارنا مسنعة لمعرفة نظام الحركات وبهذا عرفنا أن النغمات وحركات الأفلاك كلها واحدة منتظمة

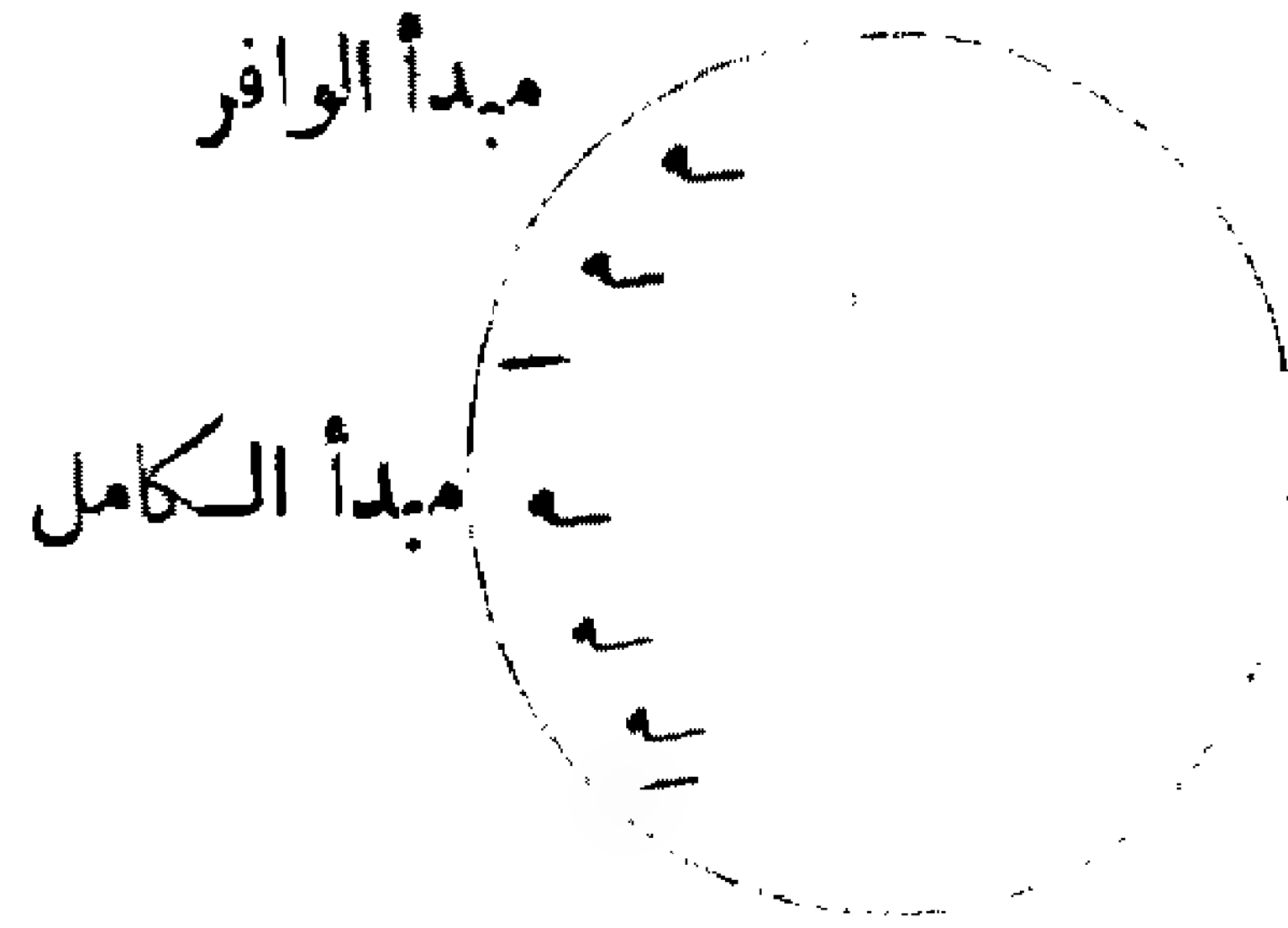
وبهذا عرفت أيها الذكى ما جال بخاطرى وأنا شاب فى الحكاية السابقة فى أول هذا المقام إذا ذكرنى بحركات الأفلاك نغمات الناديات وفهمت نفسى أن ذلك بكاء على موتها . ههنا الفطرة من غير تعليم انتقلت من حركات النغمات الى حركات الأفلاك . وهذا الذى حرك وجدانى بطريق الوجدان والغريزة هو الذى أجله (سقراط) فيما تقدم وهو الذى فصلناه فيما قرأته الآن

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : لقد شرحت صدرى وشرحت الموضوع شرحا وافيا وعرفنا بهذا أن تقدير العزيز العليم كما سرى فى الأفلاك سرى فى نغمات الطيور وأشعار العرب وألحان الغناء . ولكن هل الفطرة الصادقة خاصة بالعرب . قلت : كلا . اعلم أن الأمم كلها حكمها حكم أمة العرب ، وإذا وجدنا الطيور لها موسيقى



ونعمات هكذا نوع الانسان كله له اصطلاحات وأوزان لا تخرج عن الاصول التي بينهاها ، وليست بحور الشعر التي عددها (١٦) في اللغة العربية بشرط في النظم بل الفطرة الانسانية فيها من الأوزان ما لا حصر له وهكذا المعاني

فقال : هاأناذا عرفت الدائرة المختلفة في علم الشعر فأريد أن أعرف بقية الدوائر . فقلت له : إن هذا يخرج بنا عن المقام . فقال : ولكن أريد الأيجاز . فقلت : الدائرة الثانية تسمى المؤتلفة وفيها الوافر والكامل والبيت يتم فيها بست مرات (انظر الدائرة الآتية)



فاوافر فاعاثن ست مرات والكامل متفاعلن ست مرات وهذا واضح

( شاهد الوافر )

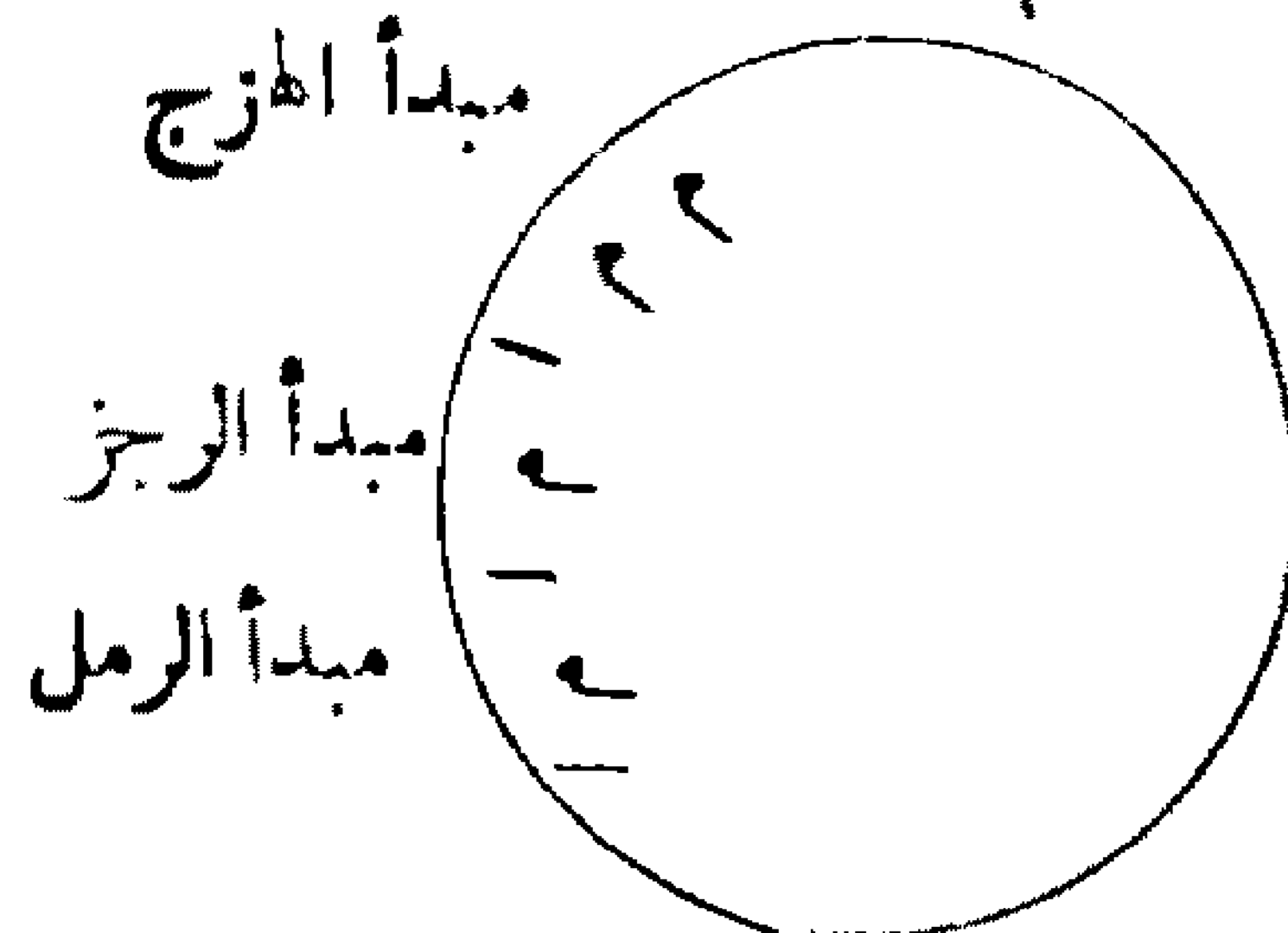
ونشرب ان وردنا الماء صفوا \* ويشرب غيرنا كدرا وطينا

( شاهد الكامل )

واذا صحوت فما أقصر عن ندا \* وكما علمت شمالي وتكرمي

وبهذا تمت الدائرة الثانية وشواهدا

والدائرة الثالثة تسمى المجتلبة والبيت فيها يتم بست مرات وفيها الهزج والرجز والرمل (انظر الدائرة الآتية)



فهذه الأبحر الثلاثة من واد واحد كالوافر والكامل في الدائرة الثانية ، فلافرق بين مفاعيلن ست مرات في الهزج ولامستفعلن ست مرات في الرجز كذلك ولافاعلاتن ست مرات في الرمل فكأها كأنها شيء واحد

( شاهد الهزج وهو مجزؤ )

وماظهرى لبغى الضيم بالظهر الذلول

مفاعيلن ثلاث مرات وبعدها فعولن

( شاهد الرجز )

القلب منها مستريح سالم \* والقلب منى جاهد مجهود

فهذا صارت مستفعلن في آخره بوزن مفعول

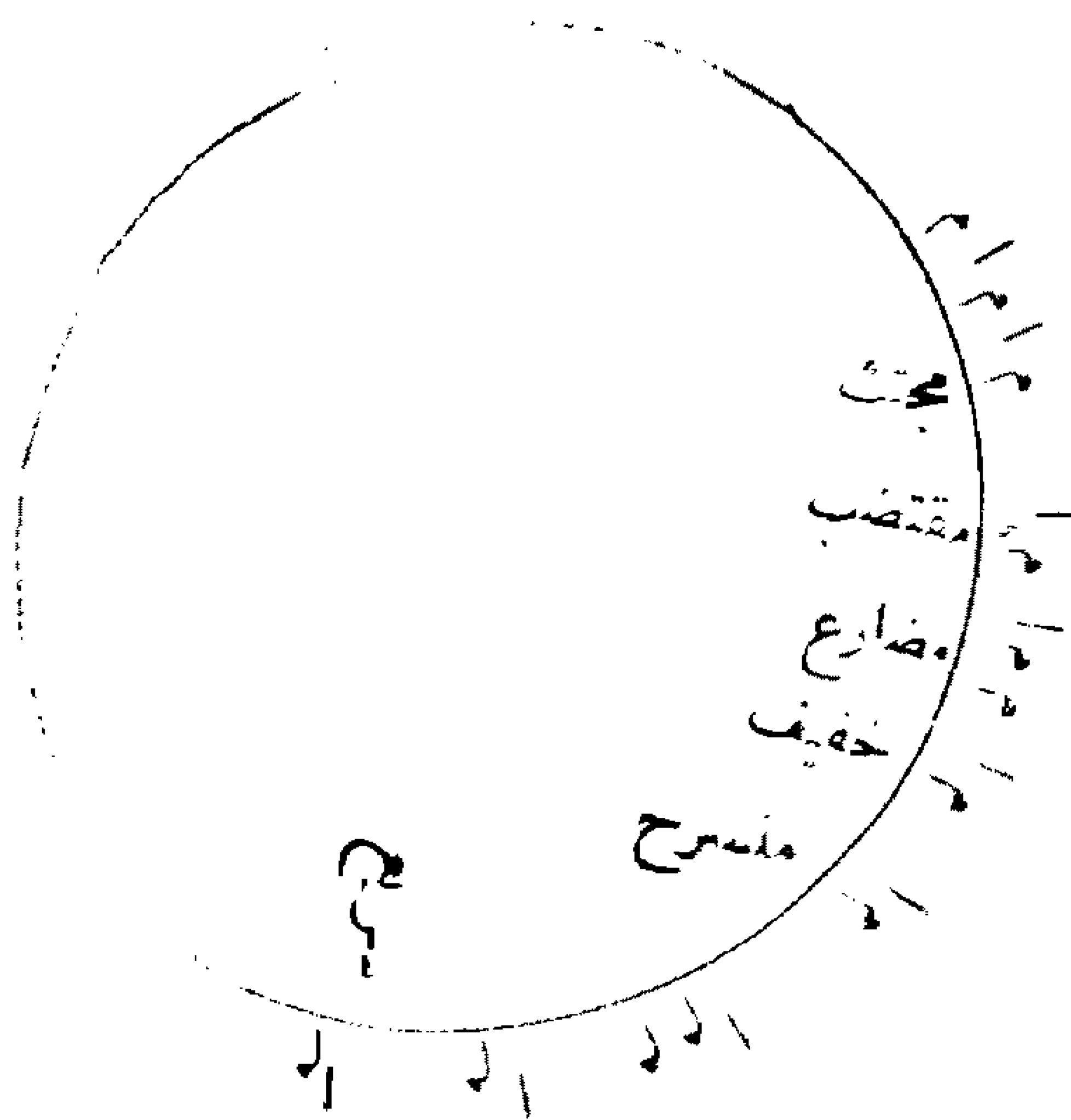
( الرمل )

قلت الخنساء لما جئتها \* شاب بعدى رأس هذا واشتهب

هو فاعلاتن فاعلاتن مفاعيلن ، وبهذا تم الكلام على الدائرة الثالثة وشواهدا

والدائرة الرابعة فيها السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجث . والدائرة الخامسة فيها المتقارب ويتلو ذلك كله بحركات الجب الذي يشبه خيب الخيل (انظر الدائرة الآتية)

( فائدة )  
(م) للحرف المتحرك و (ا)  
للساكن في هذه الدوائر الخمس



إن السريع بحسب أصله مستفعلن مستفعلن مفعولات ، والمنسرح مستفعلن مفعولات مستفعلن ،  
والخفيف فعلاثن مستفعلن فاعلاثن ، والمضارع مفاعيلن فاعلاثن مفاعيلن والمقتضب مفعولات مستفعلن ،  
والمجث مستفعلن فاعلاثن فاعلاثن ﴿ شاهد السريع ﴾

أزمان سلمى لا يرى مثلها الراؤن في شام ولا في عراق

﴿ شاهد المنسرح ﴾

إن ابن زيد لا زال مستعملا \* لا خير يقش في مصره العرفا

﴿ شاهد الخفيف ﴾

خفف الوطء ما أظن أديم ال \* أرض إلامن هذه الأجساد

﴿ شاهد المضارع وهو مجزؤ ﴾

دعاني الى سعاد \* دواعي هوى سعاد

﴿ شاهد المقتضب وهو مجزؤ أيضا ﴾

أعرضت فلاح لها \* عارضان حكاالبرد

﴿ شاهد المجث وهو مجزؤ أيضا ﴾

لم لا يعي ما أقول \* ذا السيد المأمول

( الكلام على الدائرة السابعة - شاهد المتقارب )

فعولان ثمان مرات وأروى من الشعر شعرا عويضا \* يذى الرواة الذى قد رورا

هى الشمس مسكنها فى السما \* فعز الفؤاد عزاء جيلا

فلن تستطيع اليها العودة \* ولن تستطيع اليه النزولا





وبهذا تم الكلام على بعض الدوائر النلكية ثم جميع الدوائر الشعرية التي أبدعها الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى

وبهذا ظهر لك أيها الذكي كيف أصبح علم الشعر وعلم الموسيقى وعلم الفلك من واد واحد فهي على مقتضى حساب منظم . ولما كان ظهور هذا التفسير موافقا لظهور كوكب جديد وراء نبتون وجب أن أبينه هنا ثم أتبعه بأشكال القمر وما يتبع ذلك إيفاء لحق المقام فأقول :

### ﴿ الكوكب السيار الجديد ﴾

جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الأحد (٣٠) مارس سنة ١٩٣٠ م مانصه :  
( بلاغ من مرصد حلوان )

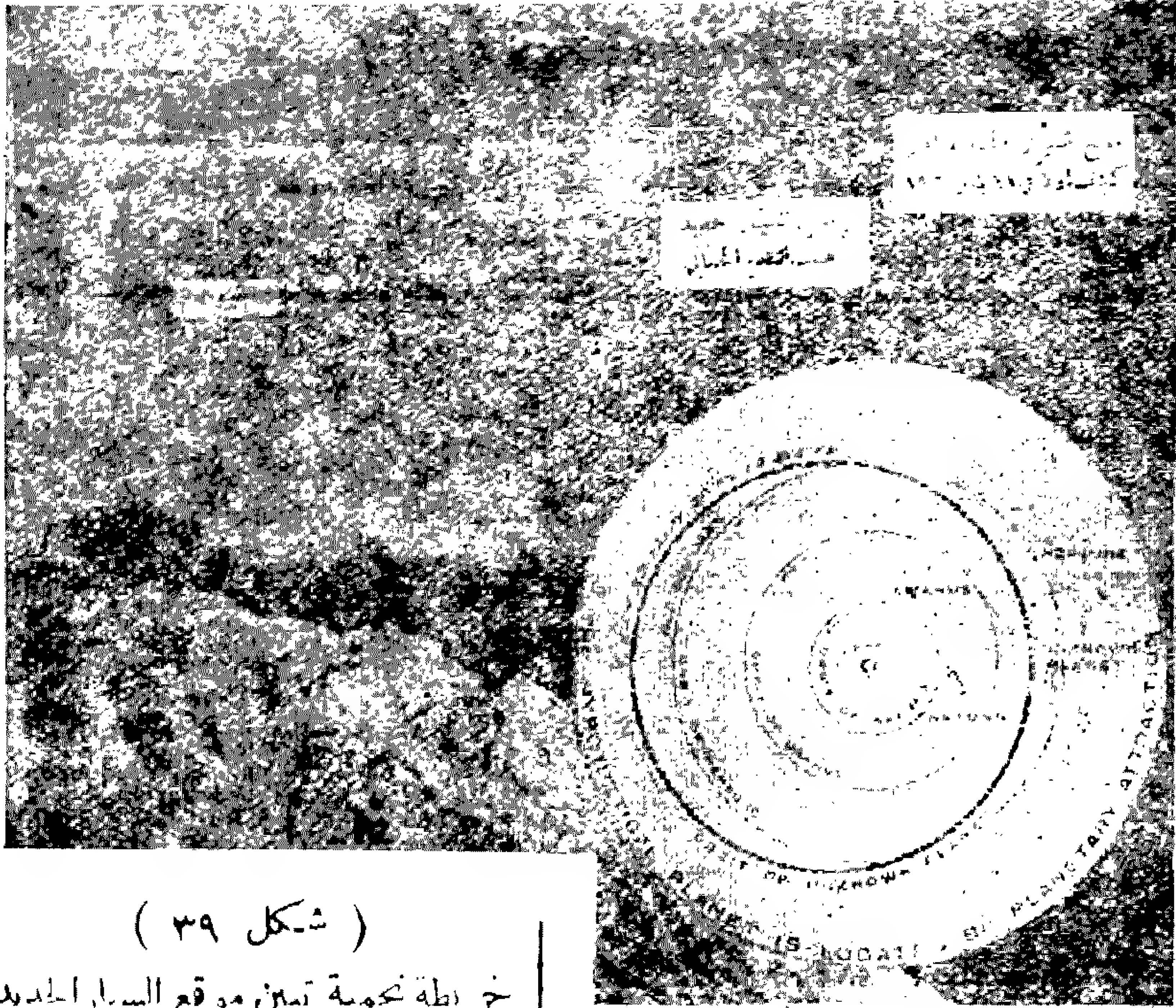
في ١٢ مارس الحالى اكتشف مرصد لول بمدينة فلاجستاف فى الاريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية كوكبا سيارا علويا جديدا وراء نبتون ، ولهذا الاكتشاف أهمية عظيمة جدا للعلوم الفلكية ، فقد زاد عدد الكواكب السيارة بما فى ذلك الأرض حيث يبلغ الآن عددها تسعة ، وقد اكتشف الكوكب الثامن نبتون فى سنة ١٨٤٦ والكوكب السابع أورانوس فى سنة ١٧١١

وعند وصول هذا التباقد أخذ الدكتور محمد رضا مدور الفلكى المقيم بمرصد حلوان عدة ألواح فتوغرافية بواسطة نظارة رينولتز العاكسة البالغ قطرها (٣٠) بوصة وقد ثبت جلها وجود الكوكب الجديد فى الألواح المعرضة لموقع الكوكب مدة ساعة من الزمن فى الليالى الآتية (١٨ و ٢٤ و ٢٧ مارس)

وهذا الكوكب ضئيل المعان حيث يبلغ قدره الفلكى نحو (١٥٠) وهو بذلك ألف مرة أقل لمعانا من الكوكب نبتون وهو يقع فى برج التوأمن بالقرب من النجم اللامع ولكنه لا يمكن أن يرى بالعين حتى ولو استعمل أكبر منظار ، ولابد أن يعنى بعض الزمن حتى يمكن حساب حجمه وكتلته ولكن المقادير الابتدائية تثبت أنه أكبر من الأرض وأصغر من أورانوس . و يبلغ بعده عن الشمس نحو (٤٥) مرة بعدد الشمس عن الأرض . وقد دلت الفروق الصغيرة فى حركات الكوكب أورانوس أنه لابد من وجود كوكب ناسع بسبب هذه الاختلافات . وقد عمل الدكتور لول مؤسس المرصد المذكور آنفا حسابا لموقعه فى السماء . غير أن هذا

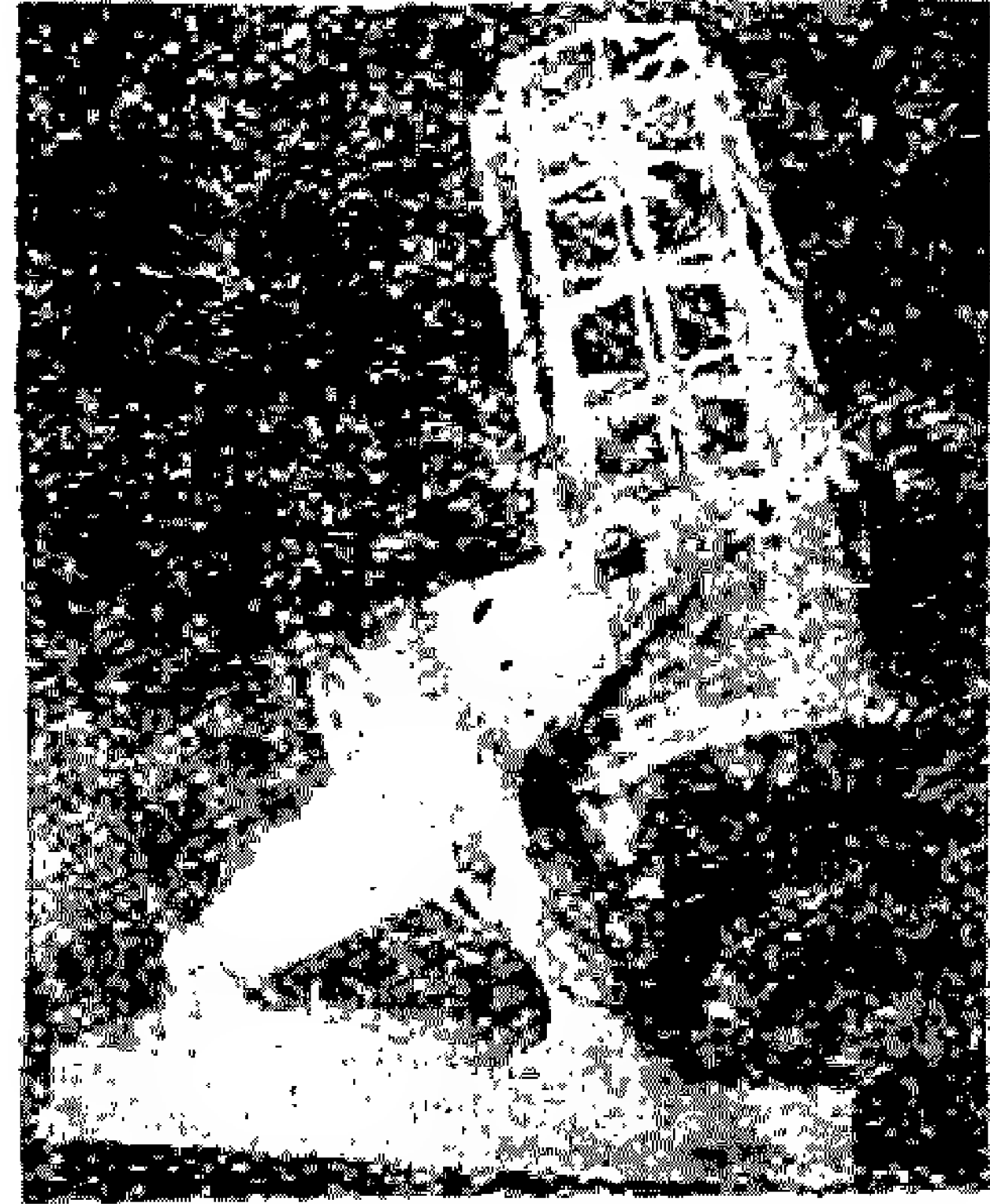
الاكتشاف يرجع الى البحث المنظم بواسطة المنظارات الفوتوغرافية منذ (٢٥) سنة تقريبا . انتهى  
وسترى فى الصحيفة الآتية رسم خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد فى صورة التوأمن وموقعه المقدر بالحساب قبل اكتشافه فى برج السرطان وموقع السيار نبتون فى صورة الأسد وفى الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسى تظهر فيه الشمس فى المركز الى آخر ما ذكر هناك . وكذلك صورة للتلسكوب الكبير الذى اخترع حديثا . وسترى أيضا فى الصفحات الآتية بعد ذلك صور أشكال أوجه القمر المختلفة





( شكل ٣٩ )

خريطة نجمية تبين موقع السيارة الجديد في صورة التوأمين وموقعه المتقدر بالحساب قبل اكتشافه في برج السرطان وموقع السيارة نبتون في صورة الاسد وفي الدائرة رسم مصغرة للنظام الشمسي تظهر فيه الشمس في المركز ولا تظهر أفلاك عطارد والزهرة والارض والمريخ والمجيمات والمشتري لأنها على هذا القياس قريبة جداً من الشمس فيظهر رسمها عناو إلى ذلك فلك زحل ثم فلك اورانوس ثم فلك نبتون الذي كان إلى أوائل هذه السنة حد النظام الشمسي المعروف ثم يظهر فلك السيارة الجديد بخط مخين



صورة للتلسكوب الكبير الذي أشرنا إليه غير مرة في المتنطف وسيكون له مرآة من الكوارتز المصهور قطرها مائتا بوصة أي مضاعف قطر المرآة في أكبر تلسكوب بني حتى الآن . وينظر أن تبلغ نفقاته ستة ملايين ريال أو مليون جنيه ومائتي ألف جنيه

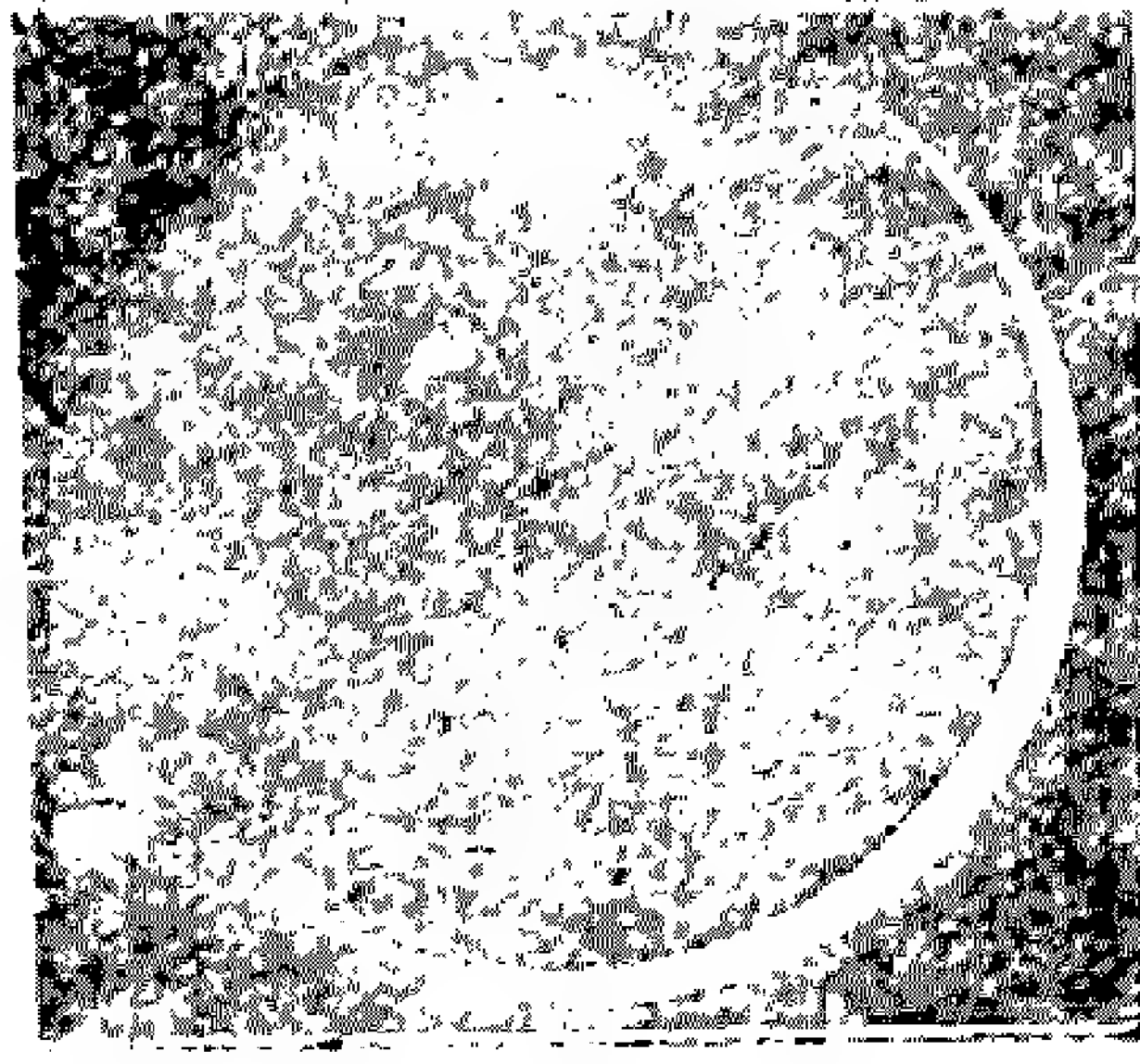
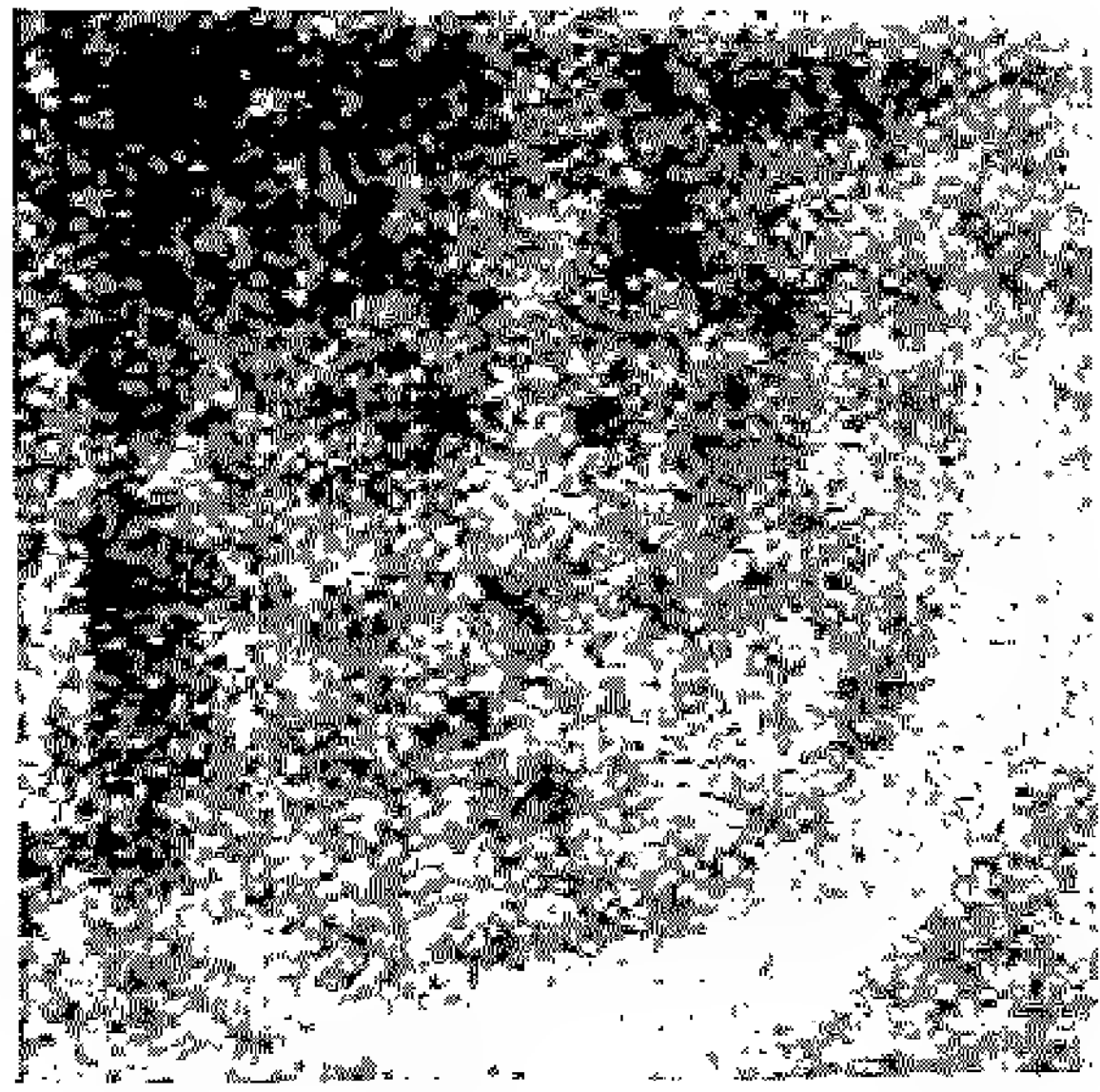
في ٢١ يناير سنة ١٩٣٠ كشف المستر كايد تمبو وهو مساعد حديث الحق انضم من عهد قريب إلى مرصد لول بارزوننا . في صورة فوتوغرافية عن شيخ ضئيل الجسم - موى متحرك . وكان موقعه في صورة التوأمين على نحو خمس درجات من الموقع الذي عينه الاستاذ برستال لول بالحساب الرياضي للسيارة الجوهول خارج فلك نبتون . فاحتفظ علماء مرصد لول بسر هذا الاكتشاف سبعة أسابيع والوافي أنماها البحث والتحقيق للتثبت من أن هذا السيارة يدور حقيقة في فلك خارج فلك نبتون اذ ليس ما يمنع أن يكون إحدى النجوم البعيدة التي تدور بين المريخ والمشتري . وأخيراً ثبت لهم أنه سيارة جديد وراء نبتون وأن فلكه يتفق تقر بعام الفلك الذي تنبأ به لول . أما بعده



عن الشمس فنحو ٤٥ ضعف بعد الأرض عنها أى نحو ٤٢٠٠ مليون ميل . وعلى هذه المسافة لا يصله من نور الشمس وحرارتها الا جزء من ألفى جزء مما يصلنا منهما انتهى من مقتطف مايو - ١٩٣٠

### ﴿ أشكال القمر ﴾

في مدة دورة اقترانية يأخذ البعد الزاوى لمركز القمر عن مركز الشمس مقدراً على الطول جميع المقادير من ٠ الى ٣٦٠ وفى هذه المدة يكون على وجه العموم قرصه المستدير مكوناً من جزأين : أحدهما مستدير والآخر مظلم ، وشكل هذين الجزأين ومقدارهما النسبى متغير دائماً ومنهما تتكوّن الظواهر المعروفة باسم أشكال القمر ، وبيان ذلك انه متى لم يكن القمر منظوراً لا ليلاً ولا نهاراً يقال له في حالة المحاق أو الاقتران أو الاجتماع أو التوليد . وسبب عدم رؤيته أن وضعه مجاور جداً في الظاهر للمحل الذى تشغله الشمس في السماء فيوجه نحو الأرض نصف كرتة المظلم المحجوب عن الأشعة الشمسية . ويمكث خفاء القمر يومين أو ثلاثة أيام ، لكن لحظة الاقتران المضبوطة التى يستدل بها من السنوات الفلكية تحصل متى كان للشمس والقمر طول واحد ، وفى اليوم الثانى أو الثالث بعد تلك اللحظة (١) يظهر القمر ليلاً بعد غروب الشمس بمدة قليلة على شكل هلال رفيع (شكل ٤٠) تحديه نحو القطعة التى يوجد فيها الشمس تحت الأفق وبسبب الحركة اليومية يغرب القمر بعد قليل فى الأفق الغربى ، وفى اليوم التالى تحصل الحلة بعينها ، غير أن الجزء المستدير يكون أعظم وحيث ان القمر يكون بعيداً عن الشمس أكثر من بعده عنها فى اليوم السابق يتأخر غروب القمر عن اليوم السابق ، وفى اليوم الرابع (شكل ٤١) بعد الاقتران يغرب بعد الشمس بثلاث ساعات وشكله بعد اليوم الرابع من الاجتماع يسمى التربع الأول (انظر شكل ٤٠ و ٤١)



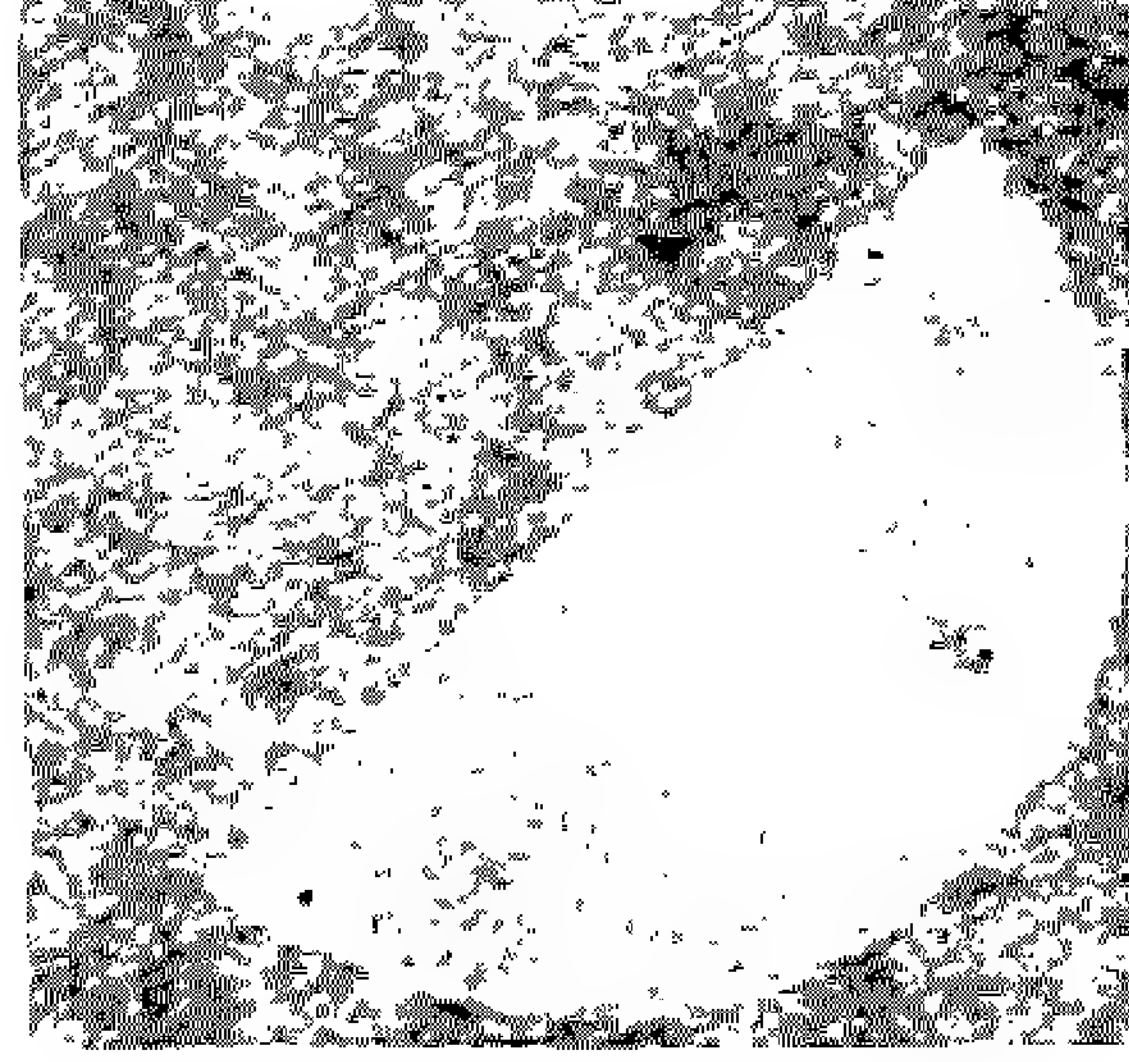
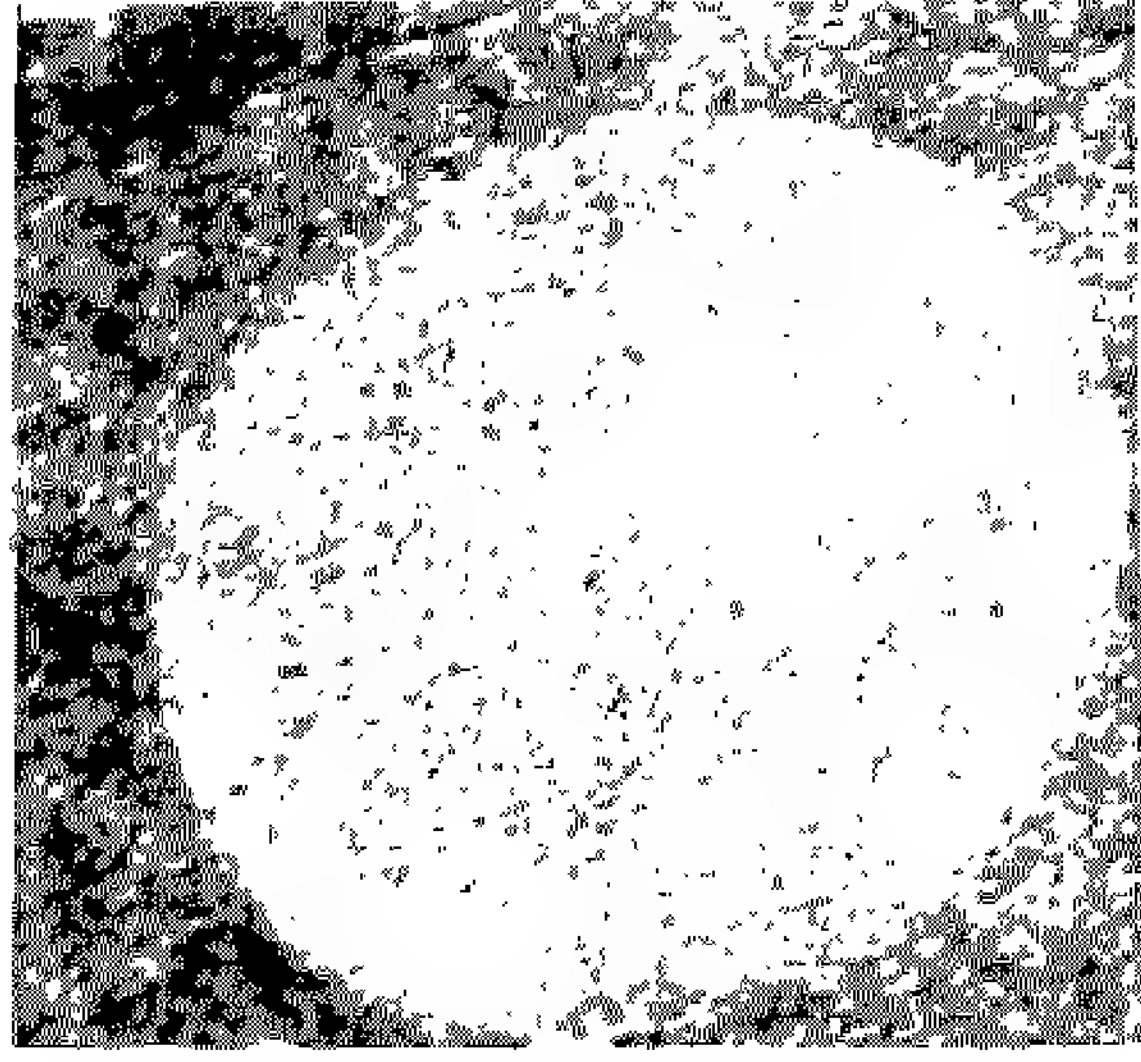
( شكل ٤٠ - الوجه الأول للقمر ) ( شكل ٤١ - اليوم الرابع للقمر )

ثم يعمو الهلال شيئاً فشيئاً ، وبين اليوم السابع والثامن من لحظة الاجتماع يظهر لنا القمر على شكل نصف دائرة ويرى مدة فى النهار (شكل ٤٢) والحركة اليومية لاتأتى به فى مستوى الزوال إلا بعد مرور الشمس به بست ساعات تقريباً

و بين التربع الأول والبدر تمضى سبعة أيام آخر فى غرضونها بقرب الجزء المستدير شيئاً فشيئاً من أن يصير دائرة تامة (انظر شكل ٤٣) ويتأخر شروق وغروب القمر شيئاً فشيئاً فى مسافة هذه المدة مع كونه موجهاً

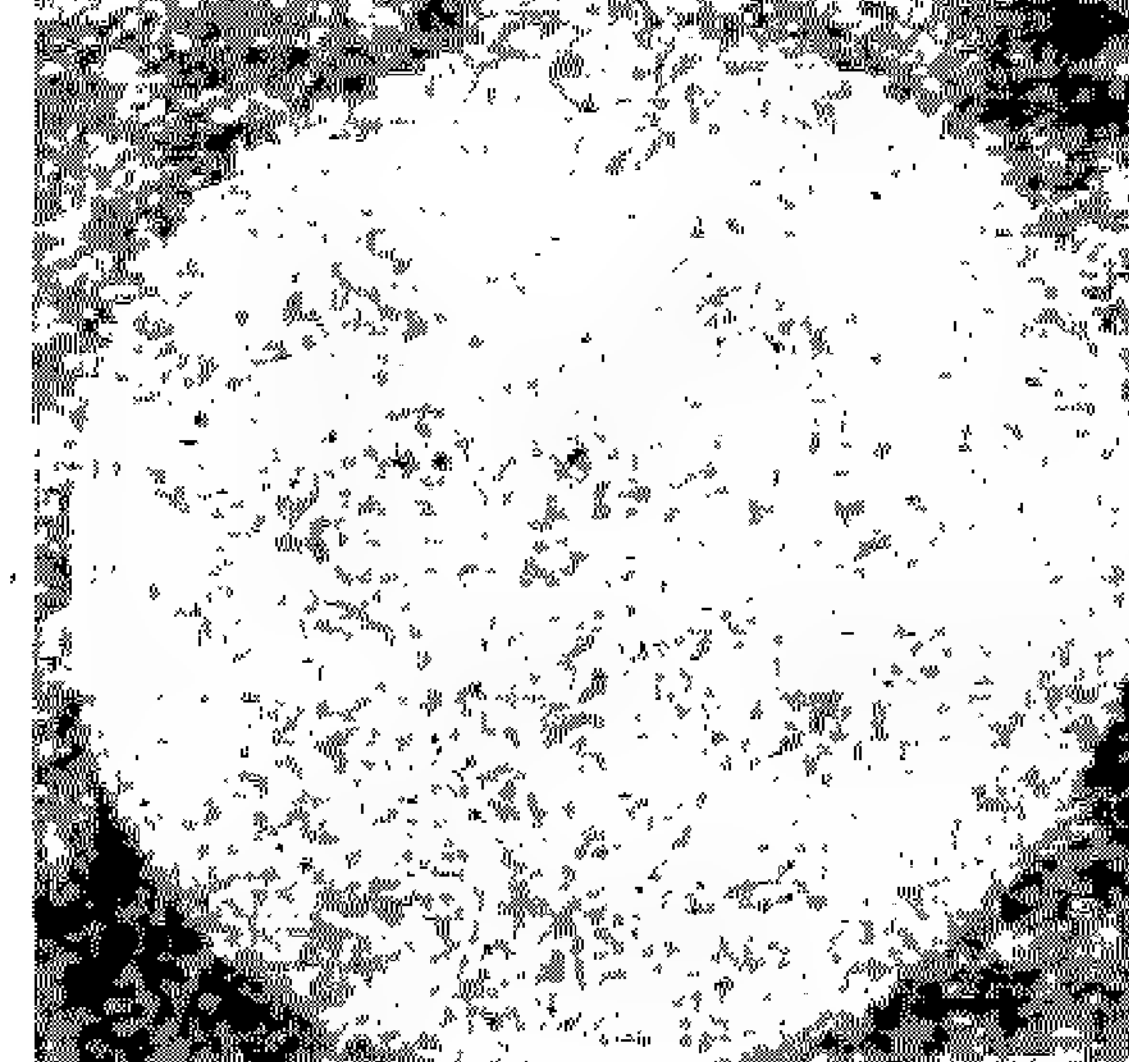
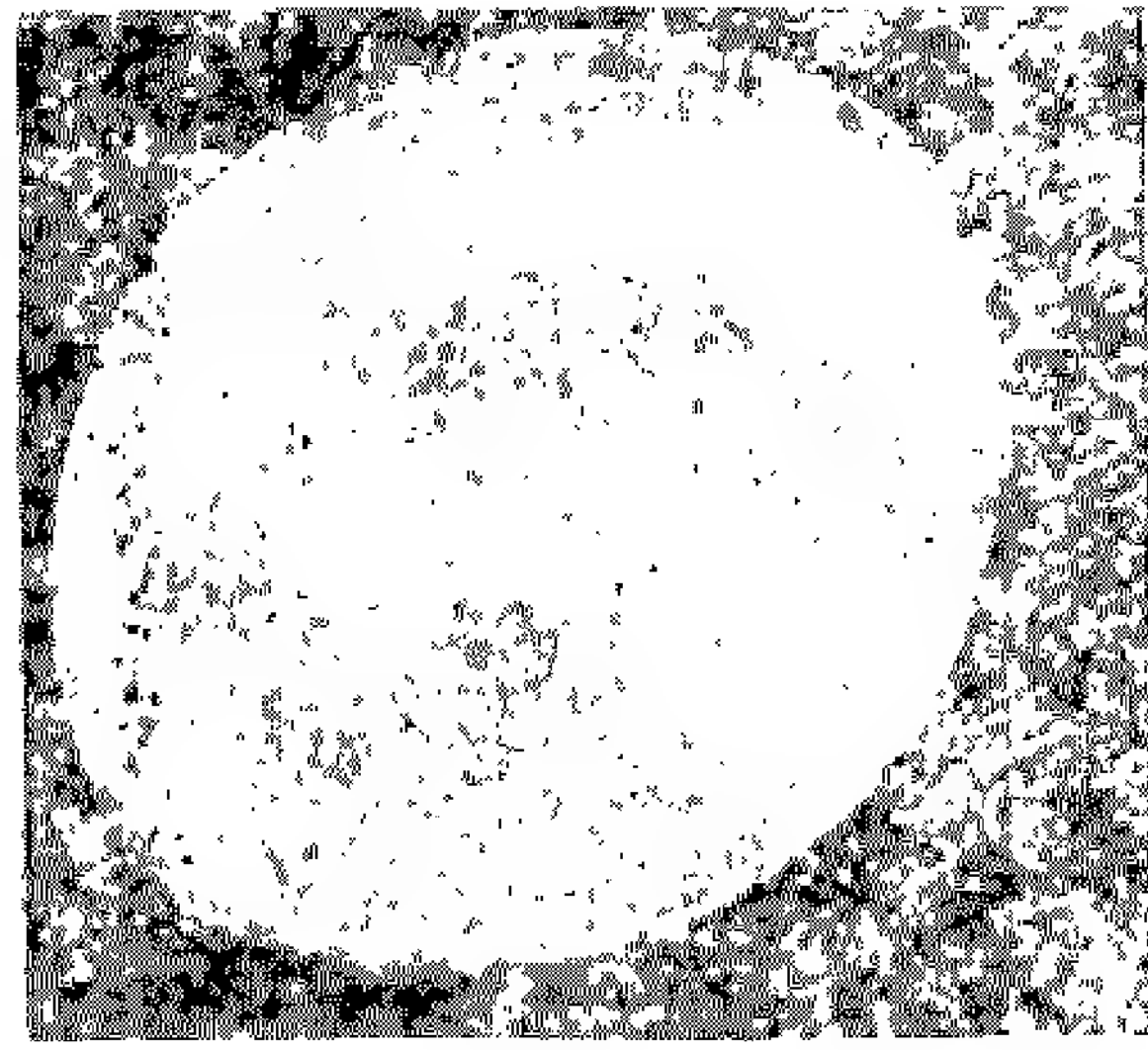
(١) هيفليوس يقول انه لم ير القمر إلا بعد ٤٠ ساعة من الاقتران و٢٧ ساعة قبله بحيث ان النهاية العظمى لمدة خفائه تكون ٦٧ ساعة وهذه المدة تختلف على حسب الأقاليم وعلى حسب عرض القمر





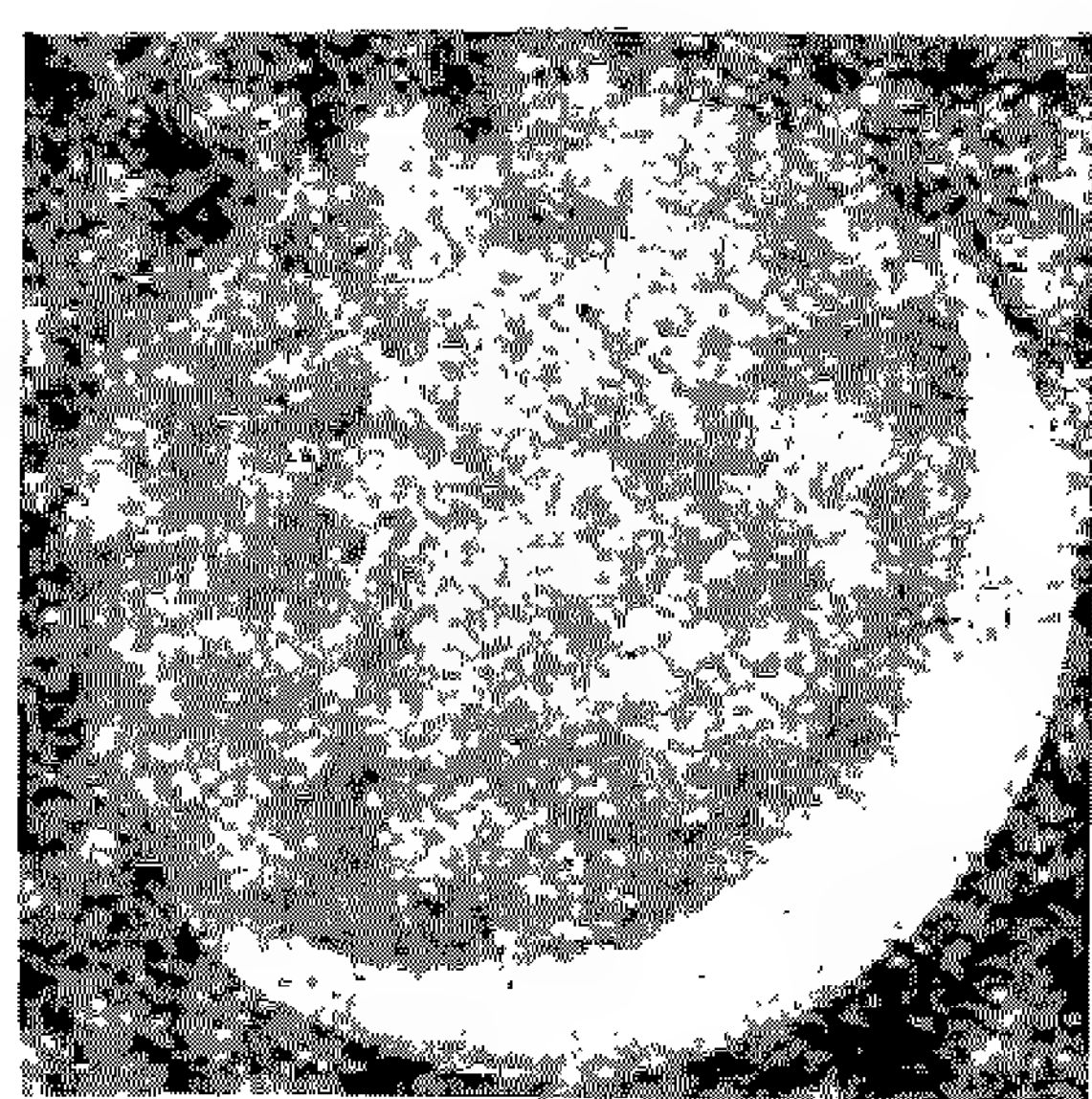
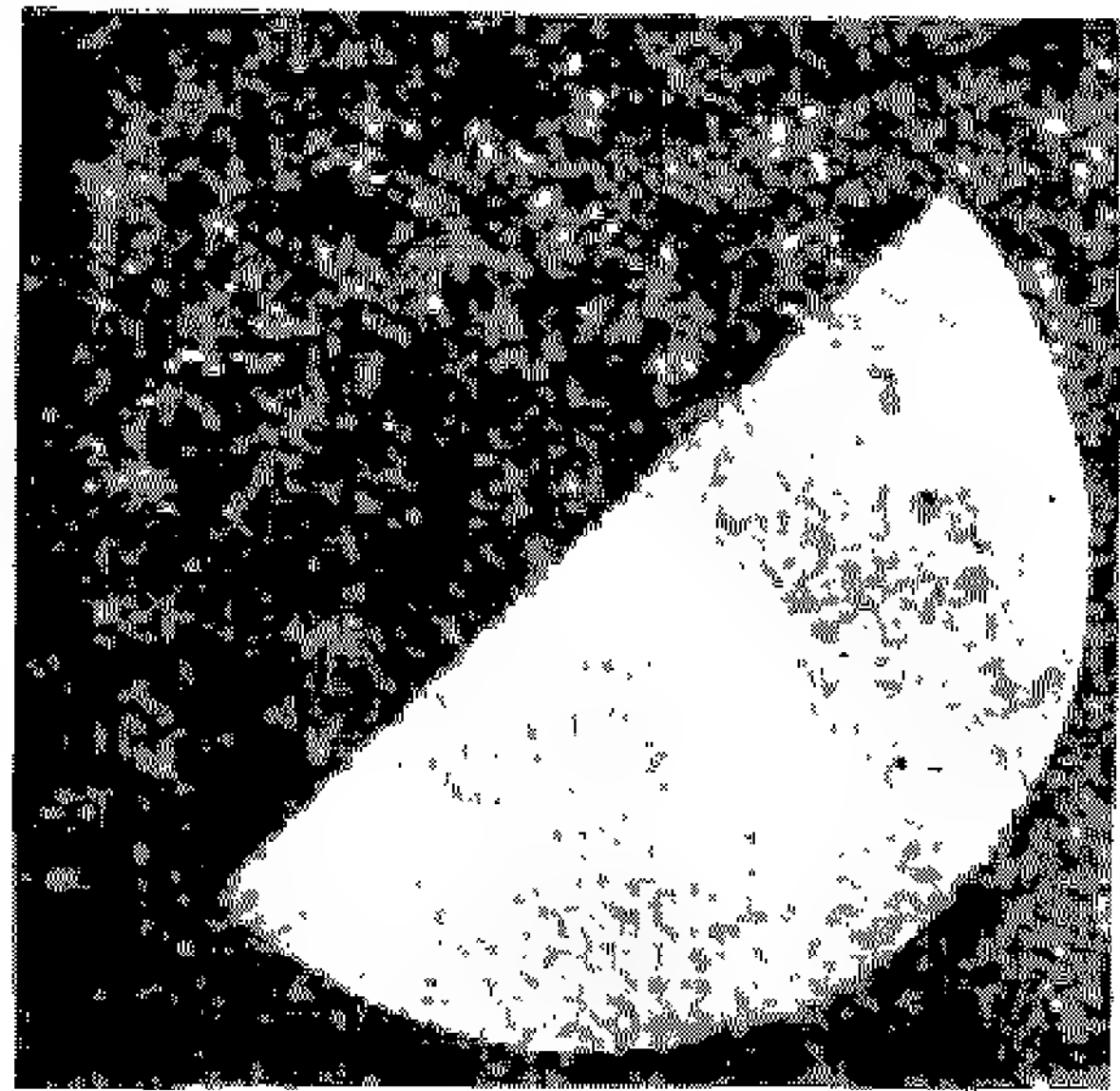
( شكل ٤٢ - القمر في التربع الأول ) ( شكل ٤٣ - القمر بين التربع الأول والبدر )

دائماً نحو الغرب الجزء العلوي من قرصه وبعد الاقتران بخمسة عشر يوماً تقريباً يظهر لنا قرصه مستقيماً بأكمله ( شكل ٤٤ ) وحيداً تكون لحظة شروقته هي تقريباً لحظة غروب الشمس التي تشرق عند غروبه. وبتى ارتقى القمر إلى أعلى نقطة من مساره أعني مرة بمستوى الزوال يكون نصف الليل. ووقتئذ تمر الشمس تحت الأفق بمستوى الزوال الأسفل بحيث يكون القمر متقابلاً للشمس بالضبط بالنسبة للأرض.



( شكل ٤٤ - البدر ) ( شكل ٤٥ - القمر بين البدر والتربع الأخير )

وبعد ذلك يتناقص على التوالي الشكل المستدير المستدير للأرض وينتهي بأن يظهر كما كان في أول الأمر على شكل هلال رفيع جداً تحدبه جهة الشرق بحيث يكون نصف الدائرة المحدد للجزء المستدير موجهاً دائماً نحو الشمس. وفي وسط المسافة التي تفصل البدر عن الزمن التالي له يكون للقمر شكل كالذي كان له في التربع الأول غير أنه موضوع بعكسه ويسمى التربع الثاني أو الأخير وفي هذا الجزء الثاني من الزمن القمري يقرب الوضع الظاهري للقمر في السماء شيئاً فشيئاً من موضع الشمس وقریباً من الأيام الأخيرة يسبق شروقها بمدة قليلة جداً حتى يدخل من جديد في أشعتها ويختفي ليعود قراً جديداً ( انظر شكل ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ )



( شكل ٤٦ - التربع الأخير ) ( شكل ٤٧ - انقمر بين التربع الأخير واللال )



## ﴿ الضوء الرمادى ﴾

قد قلنا إن الجزء المستضى من القمر الذى تنيره الشمس مباشرة يتغير شكله فى مدة الدورة الكاملة للقمر من ابتداء الهلال الرفيع المضى والشكل الأخير لغاية الدائرة الكاملة التى يراها الكوكب فى مستويه وأما الجزء المظلم من هذا القرص فيظهر فى بعض أشكاله ضوء ضعيف جدا يسمى الضوء الرمادى (شكل ٤٠) ويسهل رؤيته بالعين العارية وجميع العالم يظنون أن يروى قبل أو بعد المحاق ببعض أيام حيث يكون القمر وقتئذ هلالا وجميع جزء نصف الكرة الموجه نحونا والذى لم يتأثر بالأشعة الشمسية يرى مع ذلك متميزا بحيث يحدد الدائرة الكاملة للقرص . والضوء الرمادى يرى مادام الهلال ولا يختفى مطاقا قبل التربع الأول ويرى بعد التربع الأخير بقليل ولا يختفى إلا باختفاء القمر وشدة الضوء الرمادى ربما تكفى فى تمييز كلف القمر بالعين العارية

## ﴿ أسباب الضوء الرمادى ﴾

قد كان الأقدمون من الفلكيين يعتبرون أن هذا الضوء ناتج من نوع تنصفر (١) لسطح مادة القمر لكن ذلك قد بطل اليوم وعلم أن الضوء الرمادى هو ضوء الأرض منعكسا على القمر من الأجزاء المستضيئة منها وذلك أن الأرض يجب أن ترى من القمر بالأشكال التى يرى بها القمر من الأرض بالضبط لكن هذه الأشكال تكون بعكس أشكال القمر لأن وقت المحاق توجه الأرض جزءها المستنير بأكثره نحو نصف الكرة المظلم من القمر بحيث أن نصف الكرة المذكور يتلقى بواسطة الانعكاس جميع الضوء الذى ترسله الشمس إلى الكرة الأرضية وحيث أن السطح الظاهرى للكرة الأرضية منظورا من القمر هو أكبر من قرص القمر بنحو ثلاثة عشر مرة تقريبا فيعلم أن ضوء الأرض يجب أن يعطى للبالى القمر ضوءا أعظم مما يصل إلينا من ضوء القمر وأجزاء نصف كرة الأرض المستنيرة منظورة من القمر تكون مع ذلك قليلة كلما كان القمر بعيدا عن الوضع الذى يشغله فى وقت الاجتماع . ومن ذا يعلم سبب عدم ظهور الضوء الرمادى بين التربع الأول والأخير . وحينئذ فالضوء الرمادى ليس شيئا آخر سوى انعكاس ضوء الشمس المنبعث مرة أولى من الأرض على القمر ثم مرة ثانية من القمر على الأرض . انتهى ما أردته من كتاب الفلك الحسنى بك

## ﴿ المنازل والبروج ﴾

وكيف كان سير الشمس والقمر فيما بحساب لاخلل فيه على مقتضى الشهور الرومية مثل يناير فبراير وهكذا أو الشهور السريانية مثل ايلول تشرين الأول تشرين الثانى وهكذا والموازنة بينهما وبين الشهور القبطية مثل توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير وهكذا . وبيان أن أسلافنا منذ قرون جعلوا بينها جميعا موازنة بحيث إذا عرف الانسان حساب الشهر القبطى كأهل مصر أو الرومى كأهل أوروبا أو السريانى كغيرهما أمكنه أن يستخرج بكل سهولة نظائرها من الشهور الشمسية وكذلك الشهور القمرية عند العرب واليهود وهكذا يعرف أين تنزل الشمس من منازلها البالغة (٢٨) منزلة وهى السرطان والبطين والثريا الخ . وأين هى فى بروجها البالغة ١٢ برجاً . ثم كيف نظم الناس أعمالهم على مقتضى ذلك النظام كأن يبذروا البزيم ونحوه فى شهر بابه ويحصدوا الأرز ويحنوا الرمان ويستخرجوا دهن الآس واللينوفر وهكذا فى شهر توت قبله يعرفون أن أوله يسمى النيروز وهو رأس السنة القبطية . وفى (٧) منه يلقطون الزيتون . وفى (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر . وفى (١٨) منه يبتدىء فصل الخريف . وفى (١٩) منه تهيج السوداء فى البدن . وفى (٢١)

(١) التفصفر كناية عن مادة فضورية فى القمر

منه يبتدىء بيض النعام . وفي (٢٨) منه يذهب الحر . وفي (٢٩) منه يكون أول رعى الكراكي . وفي (٣٠) منه يزرع الهليون . وهكذا بقية الشهور قد وزعت عليها أعمال الحياة الانسانية والحيوانية والنباتية . ولما كان هذا المقام لا يسع ذلك أرجأته لأكتبه مفصلاً موضحاً في ﴿سورة الزمر﴾ في آية - خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى - الخ مع آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه - الخ وهذا هو السر في أن آيات الزرع متصلة بآيات سير الشمس والقمر في كثير من الآيات . ألا ترى إلى قوله هنا في (يس) - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - الخ ثم أتبع ذلك بالشمس والقمر والليل والنهار وإلى قوله تعالى في ﴿سورة ق﴾ - أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم - الخ ثم يتبع ذلك بقوله - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى - الخ وهكذا في ﴿سورة الرحمن﴾ - الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان - والنجم هو ما لا ساق له من الزرع والشجر ماله ساق فسجدوا هذين النوعين مبنى على حساب الشمس والقمر قبلهما كزرع البرسيم في شهر بابه وحصد الأرز وجنى الرمان ولقط الزيتون في شهر توت قبله وزرع الهليون في آخره وهكذا ما تقدم وما سيأتي في ﴿سورة الزمر﴾ قريبا إن شاء الله تعالى

﴿الكلام على حساب الشهور القمرية إيفاء لبعض ما تقتضيه هذه الآيات﴾

جاء في كتاب صبح الأعشى ما نصه

إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلاً فتعدّ من أول المحرم إلى شعبان وتدّخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثني عشر ، ثم تبتدىء من يوم الأحد الذي هو أول المحرم فتعدّ الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ، ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله في المكسور النصف إذا أردت أن تعرف أول رمضان أيضاً وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعدّ ماضى من شهور السنة وتعدّ منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفاً فتسكنها بنصف تصير خمسة فتضيفها إلى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر ، ثم تبتدىء عدداً الأيام من أول المحرم ، وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتبرة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسي من شهور القبط كم يوماً مضى من الشهر العربي فما كان جعلته أصلاً لتلك السنة ، فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذي أنت فيه ، فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة ، وانظر كم مضى من السنة القبطية شهراً فخذ لكل شهرين يوماً ، فإن انكسرت الأشهر وجاءت فرداً فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجاً ، وزد على ذلك يوماً أصلاً أبداً ، ثم انظر كم يوماً مضى من الشهر القبطي الذي أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك ، وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فما بقي فهو عدد ماضى من الشهر العربي ، ومنه يعرف أوله .

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسي فوجدت الماضى من الشهر العربي ثلاثة أيام فكانت أصلاً لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذي أنت فيه أمشير مثلاً فتعدّ من أول شهور السنة القبطية : (وهو توت) إلى أمشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوماً تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذي معك من أيام النسي : وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية ، ثم تنظر في الشهر القبطي الذي أنت فيه : (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفها على المجموع يكون عشرة ، وهو الماضى من الشهر



العربي الذي أنت فيه ومنه يعرف أوله . اهـ

### ﴿ حساب الشهور القمرية أيضا ﴾

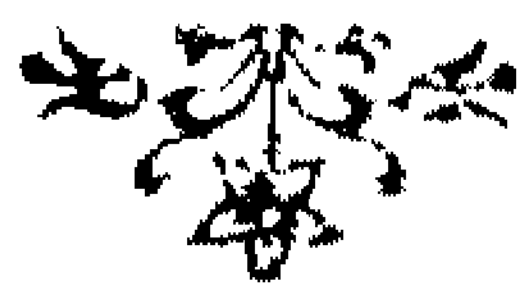
جاء في كتاب « العقد الفريد » ما نصه :

لقد قرأت الجدول الآتي في كتابات العقد الفريد للملك السعيد رحمت بتمتضاه أول شهر رمضان المعظم في السنة الماضية سنة ١٣٤٨ هـ فكان موافقا لما جرى عليه العمل فأدرت اثباته هنا فإذا أردت العمل به فخذ جميع سني الهجرة من أولها مع السنة التي تريد معرفة أول شهرها ومواسمها فتسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة إلى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فننظر في جدول الأعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد بجانب الجدول عن يمينه طولاً فيه العشرات وأعلى الجدول فيه الآحاد فالآحاد من الواحد إلى العشرة والعشرات من المائتين وعشرة فننظر إلى المقدار الباقي بعد إسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع أصبع على البيت الذي فيه تلك العشرات رأساً على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمرر الأصبع في السطر الذي بازاء تلك العشرة عرضاً وتنزل الأصبع في السطر الذي تحت ذلك العدد من الآحاد طولاً فيثبت التقت الأصبعان في بيت واحد ينظر ما في ذلك البيت من الأسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينظر في الجدول المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فإذا ظهر في أعلى الجدول فتوضع الأصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته إلى محاذاة الموسم أو الشهر المطلوب معرفة أوله إن كان شهراً أي يوم هو أو إن كان موسماً فما كان في محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك أنه إذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتسقط سنوات الهجيرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فتسقط ستمائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر في الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة فإذا وضعت أصبعاً على العشرة الواحدة ثم مررت في الوسط الموازي لها وضعت أصبعاً على الأربعة ثم نزلت إلى محاذاة العشرة الواحدة التقت الأصبعان في بيت واحد فيه الاسم الكريم السلطاني نصره الله وهو يوسف فيحفظ لازل في حفظ الله جلّ وعلا ثم ينظر في جدول الأشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في الطرف الأيسر من السطر الأعلى منه فتوضع الأصبع بازائه وتنزل إلى محاذاة شهر شعبان فيوجد في محاذاته اسم أوله وهو يوم الأربعاء ومحاذاة نصفه تحته يوم الأربعاء ومحاذاة أول رمضان تحته يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحته وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائماً (انظر الجدول المذكور في الصفحة الآتية)

الاعداد أحاد وعشرات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
عشرة	خدمة	الناصر	المولى	خدمة	الملك	يوسف	خدمة	المولى	الناصر	الناصر
عشرين	المولى	يوسف	الملك	خدمة	الملك	يوسف	خدمة	المولى	الناصر	المولى
ثلاثين	الملك	خدمة	الناصر	يوسف	الملك	يوسف	خدمة	المولى	الناصر	خدمة
أربعين	السلطان	يوسف	الناصر	يوسف	الملك	يوسف	خدمة	السلطان	الناصر	السلطان
خمين	يوسف	الناصر	المولى	خدمة	الملك	يوسف	خدمة	الناصر	يوسف	الناصر
ستين	المولى	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	خدمة	الملك	المولى	الملك
سبعين	السلطان	خدمة	الناصر	يوسف	الملك	يوسف	خدمة	السلطان	الناصر	خدمة
ثمانين	الناصر	السلطان	يوسف	خدمة	الملك	يوسف	خدمة	الناصر	يوسف	السلطان
تسعين	يوسف	الملك	المولى	خدمة	السلطان	يوسف	خدمة	الناصر	يوسف	الملك
مائة	المولى	السلطان	خدمة	الناصر	يوسف	خدمة	الملك	يوسف	خدمة	الملك
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	يوسف	الملك	يوسف	خدمة	السلطان	الناصر	خدمة
مائة وعشرين	الناصر	المولى	يوسف	خدمة	الناصر	يوسف	خدمة	السلطان	الناصر	المولى
مائة وثلاثين	يوسف	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	خدمة	الناصر	يوسف	الملك
مائة وأربعين	خدمة	السلطان	يوسف	الملك	الناصر	يوسف	خدمة	السلطان	يوسف	الملك
مائة وخمين	السلطان	يوسف	الملك	خدمة	الملك	يوسف	خدمة	السلطان	يوسف	السلطان
مائة وستين	الناصر	المولى	الملك	خدمة	الناصر	يوسف	خدمة	السلطان	يوسف	المولى
مائة وسبعين	الملك	خدمة	الناصر	يوسف	السلطان	يوسف	خدمة	الناصر	يوسف	الملك
مائة وثمانين	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	يوسف	خدمة	السلطان	الناصر	الناصر
مائة وتسعين	السلطان	يوسف	الملك	خدمة	الناصر	يوسف	خدمة	السلطان	يوسف	يوسف
مائتين	الملك	المولى	يوسف	خدمة	الناصر	يوسف	خدمة	السلطان	الملك	المولى
مائتين وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	يوسف	الملك	يوسف	خدمة	السلطان	الناصر	السلطان



امناء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	المالك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
الحرم	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
عاشوراء	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ربيع اول	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع آخر	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
جادى لاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة
جادى لآخر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
الصف	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
ذوالقعدة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ذوالحجة	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
الرفقة	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
عبدالافصى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس



﴿ العلم هو أعلى السعادات لنوع الانسان ﴾

هو العلم الذى أرانا أن :

- (١) السنين الكبيسة والسنين البسيطة دوائر منتظمات متعاقبات كدوائر الشعر والموسيقى ونغمات الطيور وأن نغمات الطيور تسير على دوائر كما تقدم فى الدائرة الأولى من دوائر الخليل
- (٢) التى فيها بحر الطويل المماثل
- (٣) لصياح الفاخنة
- (٤) ولنظيره من الذى يسمونه الماخورى فى علم الموسيقى
- (٥) ومن دوائر الكسوف والخسوف من حيث مواعيد وقوعها كالتى قبلها
- (٦) ويتبع ذلك أن للقمر وجوها تتكرر كل شهر ففى إذن أشبه بهجر من الشعرذى أوزان تتكرر فى كل سنة (٩٦) مرة
- (٧) وهكذا دوائر الكواكب المعروفة ومنها « الكوكب الجديد السيار » فكأنها تتم دوائرها ثم تعود كما يفعل الشاعر فى شعره والمغنى فى غنائه ، إن الله عز وجل يفعل فى فلكه من سير الكوكب وحسابه ما يفعله الشاعر والموسيقى ، وفعل الله فى نظام العناصر وفعل الانسان والطير فى نظام الحروف والنتيجة تتبع المقدمات اهـ

### ﴿ بهجة العلوم فى هذا المقام ﴾

( كتب قيل الفجر ليلة الخميس ٢٦ يونيو سنة ١٩٣٠ )

اعلم أن النعم فى هذه الحياة الدنيا إما مادية وأما معنوية ، فالمادية كالملابس وكل ما يملكه الانسان ، والمعنوية كالعلوم والمعارف ، ومنها علم الفلك وبقية الرياضيات والطبيعات وهكذا ، ولا تخلو حال النعم عليه من واحدة من ﴿ ثلاث خصال ﴾ إما أن يكون من العامة ، وإما أن يكون من الخاصة ، وإما أن يكون من خاصة الخاصة . فإن كان من العامة فهذا تكون سعاداته بالنعمة وقتية وفرحه بها فرح زائل فيكتفى من المال كل بمناظرها والاستلذاذ بطعمها والافتخار بحوز الفاكهة والحلوى ومفاخر الأطعمة وأن يذكر الناس انه غنى ذومال كثير وهكذا فى ملابسه وكل ما يملكه من عقار وانصار وخيل وأنعام وصيت وذكر ودولة وأن كان من الخاصة فهذا لا يعنيه من المال كل إلا ما به يصح جسمه ولا من الملابس إلا ما يليق له وهكذا فهذا ينظر للنافع فى حد ذاتها ويضرب بطواهر الذات عرض الحائط وهكذا فى كل ما يملك فهو لا يبالي إلا بحفظ نفسه واسعاد أمتته والتعاون والتحاب بالهدايا والتحف للأهل والاقوان . ولا يكتفى من علم الفلك بحساب السنين والشهور من حيث ظواهرها كالفرق الأول . ولا فى علم الموسيقى بطواهر النغمات التى يتسلى بها العامة والجهلاء كذلك بل يتعمق فى النظر وينقل من النغمات المسموعات ومن ظواهر حساب السنين والشهور الى أسباب ذلك من تلك النسب البديعة وأنواع الحساب الدقيقة ويعجب من دقتها ونظامها ونظام كل حساب فى علم الكيمياء والطبيعة ونظام الأجسام الحيوانية وحسن اتساقها . فهناك يرى نظاما واحدا ثابتا لا خلل فيه فهذه موسيقى علمية يطرب بها طربا لانهاية له ، فإن فكر فى الأفلاك أوفى الأجسام الحيوانية أو تركيب الهواء والماء رأى نظاما واحدا يرجع كله الى النسبة والتناسب ، وهذه النسب كلها متشابهات لا فرق فيها بين نغمات الطيور وأشعار الشعراء وسير النجوم وحساب سنيها ، وإن يعرف ذلك حق معرفته أحد إلا من درس جميع هذه العلوم بجد وشوق أو اطلع على هذا التفسير أو أكثره فهو مشحون بهذه العجائب ، مثلا بحر المتقارب فى علم الشعر الذى تقدم وزنه فعول ثمان مرات . ومعنى هذا أنه هكذا : ثلاث متحركات وساكنان ثمان



مرات (وبعبارة أخرى) نسبة (٣) الى (٢) كنسبة (٦) الى (٤) كنسبة (٩) الى (٦) كنسبة (١٢) الى (٨) كنسبة (١٥) الى (١٠) الى آخره ، وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين ، فذا نسبت ثمن البيت الى البيت كله كان هكذا : نسبة (٣) الى (٢) كنسبة (٢٤) الى (١٦) وضرب (٣) في (١٦) يساوى (٤٨) وضرب (٢) في (٢٤) يساوى (٤٨) وعلى هذا أبدا فتقس ، هكذا اذا أتيت ببحر الطويل وهو في الدائرة الأولى ونسبت ربع البيت الى البيت كله كان هكذا : نسبة (٧) متحركات الى (٥) سواكن وهي (فعولن مفاعيلن) كنسبة (٢٨) الى (٢٠) وضرب (٥) في (٢٨) يساوى ضرب (٧) في (٢٠) ولا جرم أن نفس هذا البحر كما تقدم هو ضرب من ضروب الموسيقى وهو المسمى الماخورى فالحساب واحد وهو نفسه صوت الفاخنة . إذن أصبح الشعر والموسيقى ونغمات الطيور علما واحدا وبضمها الى علم الفلك تصبح كلها نسبا متحدة وهذا لا يصعب عليك بعد ما تقدمناه لأنك اذا نسبت السنين الكبيسة الى السنين البسيطة في الأدوار الصغيرة المتقدمة ترجع في نهايتها الى ما رأيت من الشعر والموسيقى ونغمات الطيور فانك تقول نسبة (١١) الى (١٩) كنسبة (٢٢) الى (٣٨) وهكذا الى ما لانهاية له ، ولا جرم أن حاصل ضرب (١٩) في (٢٢) يساوى حاصل ضرب (١١) في (٣٨) وعلى هذا فقس في جميع العلوم . واذا نظر الحكيم الى علوم الطبيعة واواحقها يجد أمورا عجيبة طبيعية فانه يجد الحديد مثلا والمغنسيوم والجير والكبريت هذه الأربعة كلها لها منافع في جسم الانسان ، فالحديد يجعل الدم أحمر ويمنع فقر الدم والمغنسيوم يقوى العضل ويمنع الفتق والجير يغذى العظم ويشفي الجروح والكبريت ينظف الدم ويمنع الروماتيزم . ثم يجد أن النباتات قد فرقت هذه العناصر عليها . ويجد أمثال السبانخ والطماطم التي تؤكل غير مطبوخة قد جمعت ذلك كله . ففيها جميع هذه العناصر ومنافعها . وتزيد السبانخ بأن فيها الفسفور الذي يغذى المخ كما يغذيه سمك البحر وفيها الكالورين الذي يعين على الهضم وينظف المعدة كما ينظفها الصابون وذلك بشرط ألا تطبخ أكثر من خمس دقائق كما تراه في كتاب ويلكوكس الانجليزي . فكما يرى في العلوم الرياضية نسبا هندسية يرى نظيرها في تراكيب الأجسام الطبيعية ويزيد عليها نظام منافعها وعجائب ابداعها فيدهشه الانقان المحكم ويحب من حديد ومغنسيوم وجير قد فرقت في الأرض ووضعت ولها نظام خاص تقدم شرحه في (سورة العنكبوت) فهناك جدول عجيب لجميع العناصر . ثم يرى انها لا يفتفع بها الانسان ولا الحيوان إلا بعد أن تمر على النبات فيرى أن النباتات التفتت تلك العناصر فأدخلتها في جسمها وانتقلت منها الى مخ الانسان والى عظمه والى عضلاته ، فهناك يدخل في بحر لجي لا ساحل له

هذه هي آراء الخواص . أما آراء خواص الخواص وهي أعلى طبقات هذا النوع الانساني فهوؤلاء بعد أن يقاسوا ما يقاسون من المشاق في الحياة والعمل لها ولرقي النوع الانساني يرجعون الى أساس تلك القوانين فتلمح نفوسهم أن وراءها حكمة وعلماء ورجة ورأفة وابداعا وانقانا واحسان النقش والتصوير . وأن هذا الحساب والنقش والتصوير وراءها حاسب مصور متقن وليس ذلك مجرد خواطر كما يخيل لمن يقرأ ما أكتبه الآن . كلا . بل يكون نسبة هذه العلوم الى ما وراءها كنسبة هدية الملك الى مجالسته والأنس به فن أقبل عليه الملك وجالسه أوفر حظا من أهدي اليه الهدايا ولم يره أهلا لمجالسته والأنس به . وللاخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى . هذا إيضاح هذا المقام والحمد لله رب العالمين

### ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

( في قوله تعالى - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون - )  
وانما أخرناها الى هنا وان ذكرت بين الكلام على الأرض والشمس لأنها نتائج السموات والأرض

الله منزّه عن المادّة بل التحقيق أن لامادّة في هذا الوجود وما هو إلا حركات في موجود سموه (الأثير) فالله تباعد عن المادّة كما تباعد السابح في البحر . يا عجبا . الله منزّه عن المادّة ومن شأن الجليل ألا يصدر منه إلا ما هو جليل . لذلك لم تكن هناك مادّة غليظة . كلا . بل ذلك الأثير . وما هو الأثير ؟ ياليت شعري : هو أمر يشبه الأمور الروحية فرضه العلماء في عصرنا أو هو كالذي نحسّ به في خيالنا من أمر موجود ألطف من المادّة العلم الآن وفيما مضى عند القدماء قد نفى المادّة بتنا وقال : « ليست هذه الأرض ولا الماء ولا الهواء ولا النجوم ولا المجموعة الشمسية ولا المجرة ولا المجرات الأخرى ولا السدم التي كشفت حديثا في عصرنا إلا حركات في ذلك الأثير » (وبعبارة أخرى) أن هناك نقطاضوئية وتلك النقط الضوئية ناجمة من كهرباء سالبة وأخرى موجبة يدور ساليها حول موجبها في الثانية الواحدة نحو ستة آلاف مليون مليون مرة فتظهر تلك النقط كأنها شجر وحجر وجبل وجل وتختلف المظاهر باختلاف عدد الدورات في الثانية الواحدة . وهذا الموضوع ظاهر ظهورا بينا في ﴿سورة النور﴾ عند آية - الله نور السموات والأرض - إذ ظهر هناك أن نقطة الماء مركبة من جواهر نحو عدد نجوم السماء المعروفة الآن وكأها مركبات من تلك الأضواء الكهربية الدائرة حول بعضها فالله لما تنزه عن المادّة لم يشأ أن يجعل لها حقيقة ما بل جعل لها ﴿طرفين أحدهما﴾ من جهة الحقيقة الثابتة فلم يكن إلا النور والحركات ﴿وثانيهما﴾ من جهة حواسنا نحن فكانت تلك الأنوار والكهرباء حديدا وأشجارا وجبالا الخ . يقول الله - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - وذ كرمها نبات الأرض وأنفسنا وما لا نعلم . إذن هنا ثلاثة مباحث : النبات ، ونفس الإنسان ، وما لا نعلم . فالذي خلق هذه الأقسام الثلاثة حقيق بالتزييه والتقديس ، وإنما كان خليقا بذلك لأن من ظهرت براعته من الناس في صنعة ما سواء أكانت يدوية أو عقلية كان حقيقا بالأعظام والجلال ، والعظيم الجليل ليس مشرعة لكل وارد ولا يرد عليه إلا الواحد بعد الواحد لحكمته وعلمه وبراعته في الصناعة

هذا كله في المخلوق البارِع بديع الصنعة . المخلوق الذي ظهرت براعته في الصناعة من الناس تشاق إليه النفوس وتحنّ له القلوب ولكن لاتهجم عليه الجماهير ولا يرونه حتى ولو بالمجاهر والمناظر لأنهم لا يصلون إليه ، واليك حادثة قصها المستر (انسل) الذي كان سكرتيرا للمستر (ايسون) الذي بهر العالم الانساني كله بما اخترعه من الفونوغراف وهو (المصدى) أى الذى يسمعنا الصوت الذى مرّت عليه السنون وقد ملا الأصقاع واخترع جهاز الصور المتحركة ، وطريقة لاستخلاص الذهب من الخام بسرعة ، وطريقة لتبديد الثلج المتساقط في المدن بسرعة ، والمولد الكهربائى الذى يدور باحترق الفحم والمحرك الكهربائى الذى يدور بالكهرباء الحرارية المتولدة من تعاقب الحرارة والبرودة ، وجهاز التقدير مران الحديد (خواصه من حيث الجودة) ، والدليل الكهربائى (جلعافو متر) بلا ملف أو ابرة ، وجهاز لقياس درجات الروائح . وادخال تحسينات كبيرة على مطاحن الأسمنت . وطرقا فنية لمعالجة خامات الذهب والنيكل والنحاس . وثلاث طرق لاحداث موجات فوق الأشعة فوق البنفسجية . وطرقا كثيرة لتغطية سطح خويطات المصاييح الكهربية بطبقات من السليكو زأو الكروميوم أو غيرهما وآلة موسيقية تحرك الأوتار الصوتية في حناجرهم هولتز الصناعية . وثلاث نماذج مختلفة من التماثيل الصناعية . ومسبارا كهربائيا لاثبات أعماق المحيطات باستمرار . وجهازا لقياس مقدار مقاومة الأنابيب للكلام . وطريقة لارسال الصوت في اتجاه مستقيم من غير أن ينتشر في الطريق . وطريقة للتبليّكس في التلغراف أى ارسال جملة اشارات معا في آن واحد على سلك واحد . والتلغراف الطابع . وجهاز تقوية الصوت في التليفونات . وتوزيع القوة الكهربائية بطريق الثلاثة الأسلاك الأرضية الخ

وهكذا قد قدم لمكتب التسجيل بأمریکا (١٤٠٠) طلب لاختراع أو تحسين . هذا هو المستر ايسون



الذي ذكرنا صناعاته لتبين مقدار اعظام الناس له في قصة (المسترانسل) صاحب سرده ، وانما ذكر تلك القصة كما ذكرنا بعض صناعاته لتعرف بعض سر التعبير بالتسبيح في حيز الكلام على النبات وخلق الأنفس الذين سيظهر لك ابداع الله واتقانه فيهما بما يدهش العقل ويحير القلب . ومن ذلك ينشأ التسبيح والاعظام بالقلب لا بمجرد اللسان فلاقتصار عليه تسبيح الجاهلين . المستر اديسن رجل صانع ماهر خدم كل أمة وكل فرد والمسلمون وغير المسلمين مدينون له . فهم يعظمونه ويجلونه والكنهن لم يروه بل الذين حوله في أمريكا لا يستطيعون رؤيته حتى ان (المسترانسل) الذي سقنا هذا الحديث لأجله وقلنا انه صاحب سرده يقول : « إن اديسون يتسارى عنده الليل والنهار فهو دائماً يعمل وكنت كثيراً ما أذهب اليه في المعمل أو المصنع بالليل حيث كنت أقضي النهار بذيويورك للقيام ببعض الأعمال وقد كان يتصادف اني لأستطيع مقابله لفرد انهما كه في العمل إلا عند ما يتناول الطعام في منتصف الليل فأتهمز الفرصة وأعرض عليه بعض المسائل وأسأله البريد فيطلع عليه في دقائق معدودة ثم يشير علي بما أتبعه ويعود هو للعمل »

هذا هو (اديسن) المخترع الشهير لا يقابل الناس لأنه يقوم بثلاثين ساعة في اليوم ويرفع من قدر الانسانية . تباعد عنهم لاعزازهم واسعادهم والناس أعظموه . هكذا كل صانع وعالم في الأرض يعظم عند الناس بمقدار عمله وحذركته . عرف الناس مقدار العظمة عند علمائهم وصناعهم وحكائهم وأنبيائهم فأجلوا قدرهم لأنهم مخلوقون مثلهم وكلما كان عمل الصانع أجدى نفعا وأوسع فظلا كانت النفوس له أشوق وعظمته أبعد مدى والاعظام والحب يتبعان معرفة قدر الصنعة والعلم والابداع والاختراع وهذا في المخلوق وعلى هذا القياس يكون التعظيم والاجلال لخالق هذا العالم . والحكام والأنبياء لهم منازل على مقدار معرفة ابداع الله واتقانه . ولا سبيل لمعرفة ذلك إلا بقراءة جميع العلوم سماوية وأرضية . روحية وجسمية . ولم يذكر في هذه الآية منها إلا خلق النبات وخلق الأنفس ومالا نعلم والذي لانعلمه يقاس على مانعلمه . فاذا عرفنا نظام النبات ونظام الأنفس الانسانية وبدائع التركيب وجمال الصنعة كان تقديسنا واجلالنا للمبدع الحكيم لانسبة بينه وبين اجلال الناس لاديسون إلا كنسبة نظام صنعة الى نظام صنعة مثلاً الخلق . ولا ريب أن العقول الكبيرة في العالم هي التي تدرك تلك الحقائق العالية في الابداع ويكون عشقها ومحبتها وسعادتها انقلبية بمقدار ما أدركت من تلك الحكم العالية . ومعلوم اننا في الدنيا لا ندرك منها إلا النزر اليسير وبهذا النزر اليسير يكون تسبيحنا الحقيقي وحبنا الإلهي - وفوق كل ذي علم عليم -

فهل تحب أيها الذكي أن أحدثك في هذا المقام ﴿ حديثين ﴾ حديثاً عن خلق النبات . وحديثاً عن خلق الانسان

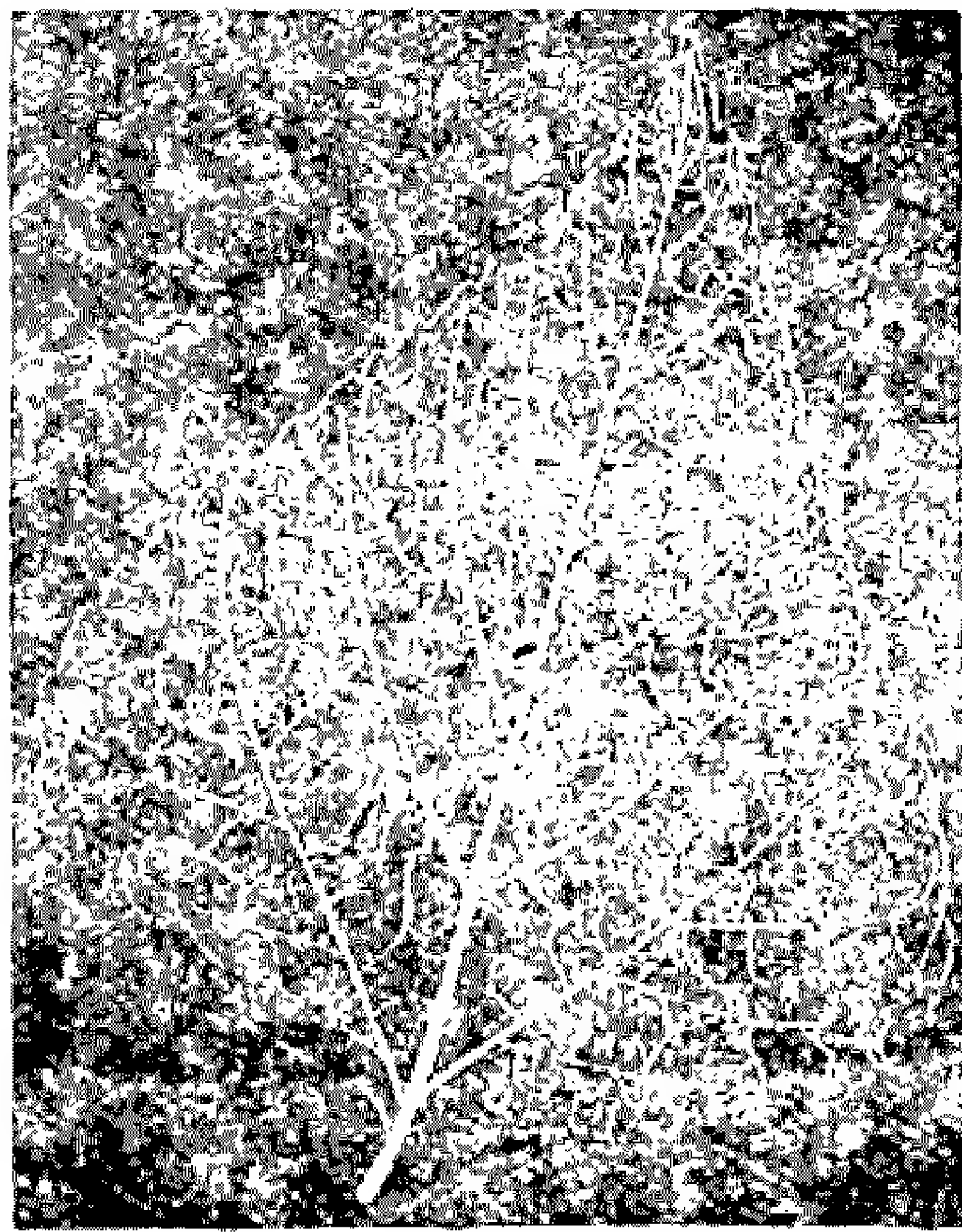
ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحب العالم الذي اعتاد أن يناقشني في المسائل الهامة فقرأ هذا وقال هذا حسن وان كان الانسان في بادئ الأمر قبل الفهم يظن أن بعض القول يشبه الخروج عن الموضوع وفي الحقيقة كله في الموضوع . اللهم إلا ان أكثر تلك الصناعات والمخترعات لا يفهمها أكثر القراء لأنها أمور فنية لا يدركونها ولكن في ذكرها تنوير للمسلمين فيفكرون فيما ينفعهم عسى أن يفتح الله لهم باب الاختراع وكفى الفهم الاجالى لتلك الاختراعات . ولكن ماذا تريد من شرح النبات والأنفس الانسانية في هذا المقام ؟ هذا الكتاب تقدم فيه ما فيه غنى للمستبصر في علم النفس وفي علم النبات . وفي سورة الحجر قد رسمت الأزهار المختلفة وشرحت كيفية إلقاحها وبنيت الحساب الرياضي في أوراقها بجداول . وفي سورة الشعراء كذلك وفي سورة ربه أمور أعجب وفي سورة السجدة وهكذا وفي سورة البقرة والأنعام والرعد وغيرها . فهل هذا كتاب في علم النبات ؟ فأما علم النفس وتشرح الجسم فهو كثير في الكتاب ، فاذا تريد أن تكتب الآن ؟ فقلت الذي أكتبه الآن شيء لم يتقدم له نظير وهو السحر الحلال والجمال والبهجة والحكمة ، فسأريك الساعة ما لم

تره لتعلم قوله تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - ثم قلت : أنا لأريك زهرة ولاشجرة ولاحديقة ولاحتلا ولاثمرا ، ولكن سأريك أمرا لا يؤبه له ، يحضره الجاهل والعالم ولكن بعد درسه الذي تراه يصبح ذلك الحقير في عظمة الشمس ولاقدار والنجوم الثوابت والمجرات العظيمة فقال : لقد شاقني وصفك ، فما هو هذا ؟ قلت : ورقة سقطت من شجرة والناس يزددونها . فقال : ما السبب في اختيارك الورقة ؟ قلت : السبب فيه أني نظرت رسمها في كتاب « علوم الجميع » باللغة الانجليزية ومقالا شرحها ، وهالك ترجمة ذلك المقال بقلم الماستر ( روبرت براون ) الاستاذ في علوم النبات الخ تحت عنوان « الورقة الساقطة » قال :

« إن الصيف هو الزمان الذي يحني فيه علماء النبات ثمرات علومهم ، وليس الخريف خاليا من مسراتهم واسعادهم بالعلم ، انه هو الفصل الذي فيه تعقد الحبوب وتحني الثمرات الخ وتنضج الحبوب قبل فصل الشتاء الذي هو في أقطارنا الشمالية يضعف قوة الحياة ونشاطها الى نباتها . وبالجملة ان أشهر الخريف هي التي فيها تسقط الأوراق . إن الغابات ذوات الأشجار العريضة الأوراق المختلفة الأنواع والأجناس في هذا الفصل تكون أبهج للناظرين وأسحر لعقول المفكرين منها ، في منتصف فصل الصيف حيث يصنع الناس الدريس اعتاد الناس أن يروا في شهر يونيو مالا حصرا من المساحات الواسعة المدحطات وهي غضة بسنة بهجة تسمى الناظرين ، أما في شهر سبتمبر واكتوبر فان تلك الغابات تتلون بألوان مختلفات الأصفر والأحمر والأسمر وهكذا مما يشعرون أن أجل تلك الأوراق وتوديعها الحياة . إن الأشجار إذ ذاك تتخاض حالها السندسية وجلالها البهية ، وبعد حين تلبس أخرى مسرة للناظرين . وههنا رسم الكاتب ثلاث ورقات ( انظر الاشكال الآتية )



( شكل ٥٠ )



( شكل ٤٩ )



( شكل ٤٨ )

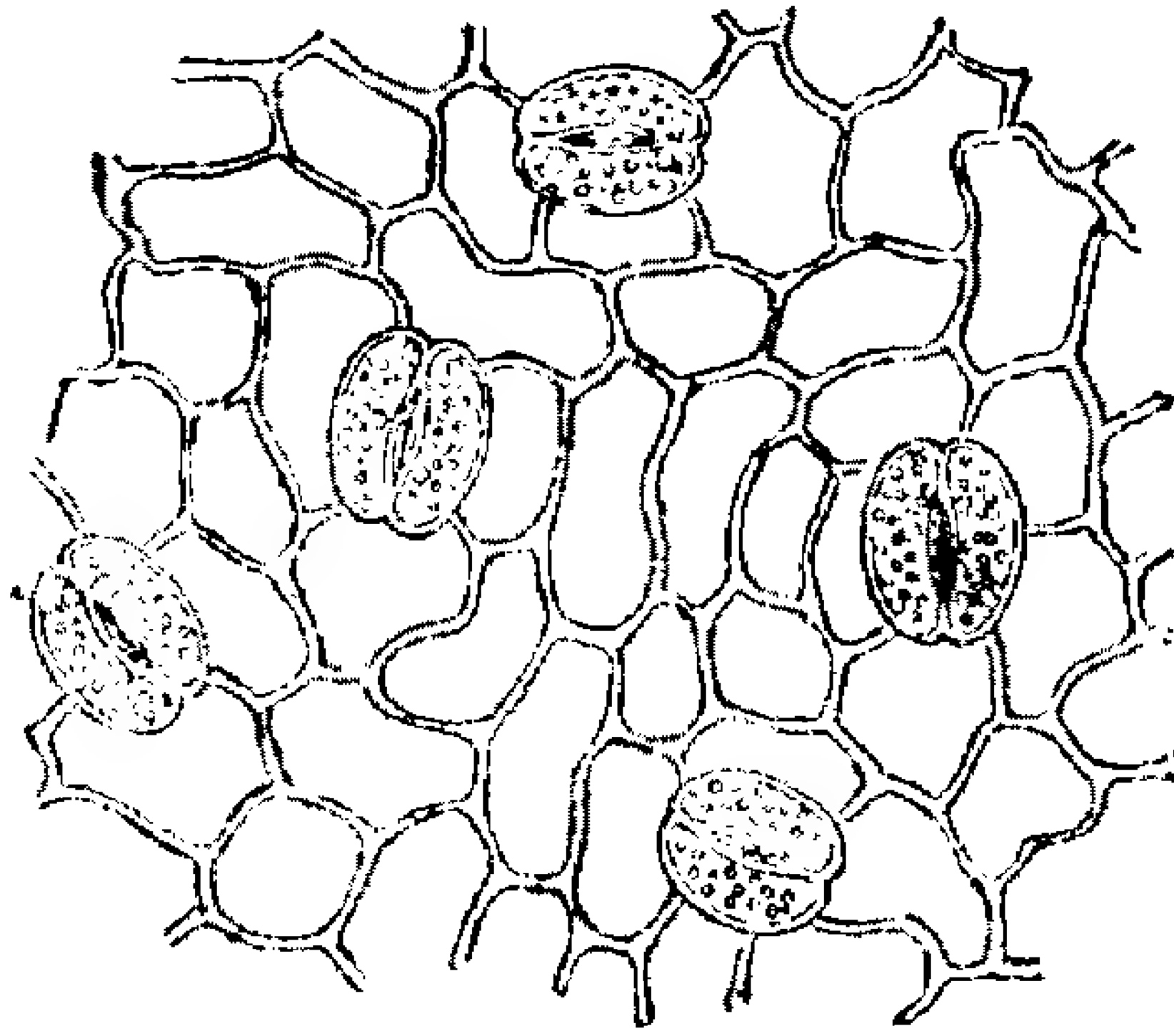
( ب ) الورقة الذابلة الندية الجافة ( ج ) هيكل الورقة ( ا ) الورقة الخضراء التي لا يزال فيها ماء الحياة  
فورقة ( ا ) خضراء لا تزال تفرق بماء الحياة ، لقد انتزعناها من شجرة الحور . وورقة ( ب ) قد أصبحت مصفرة ذائبة وقد فارقت الحياة . والورقة ( ج ) لنفس هذا الشجر ولكن المادة التي تملأ ما بين خلل العروق في الورقة قد تعرت عنها وزايلتها ولم يبق إلا الهيكل الذي يقول :

ألا ليت الحياة تعود يوما ✖ فأخبرها بما فعل الممات

وهنا أخذ يصف الورقة فأبان أن هيكلها حافظ لشكلها الأصلي . ثم قل : « إن هذه الورقة الخضراء مدوّرة قليلا أو كثيرا في هيئة رسمها شأن جميع الأوراق والطول يزيد كثيرا عن العرض وهي دقيقة الطرف

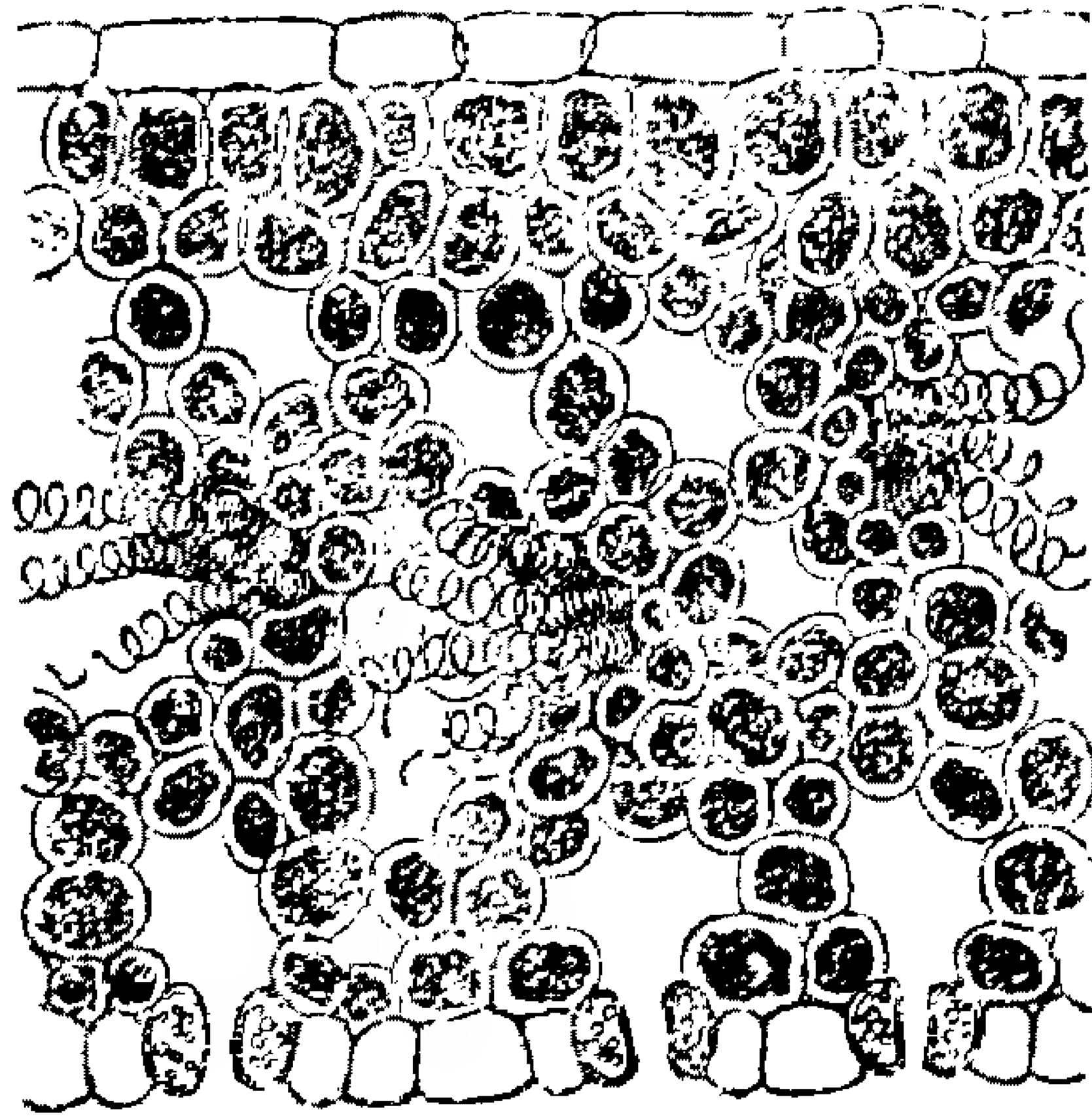


حادثته وهذه هي هيئة المثلث الذي لا اتقان فيه وتأملها تجد في وسطها ما يشبه العمود الفقري في الحيوان وقد تشعبت منه في الجهتين أضلاع وكل منها ذو فروع أخرى يتخللها جميعها مادة ناعمة تقوم مقام اللحم في هيكل الحيوان بحيث يظهر كل ذلك هيئة شبكية منسوجة جزأت الورقة أدق الأجزاء وأصغرها . ولقد غطى كل ذلك بغطاء دقيق اذا عومل بآبرة مع رفق واحتراس اذن يقسم أقساما في غاية الدقة . وفوق كل ذلك اننا نرى ظهر هذه الورقة ( وكل ورقة أخرى من أى نبات كانت ) أوضح لونا من وجهها الذي يقابل السماء ونرى أيضا أن الأسفل ليس في العنونة كالأعلى . إن كل ما ذكرناه هنا قد عرفناه بمجرد العين ولولم نستعن فيه بآلة بصرية كما هو ظاهر . ولما كانت آلة الابصار الصناعية المسماة بالميكروسكوب ممكنة الشراء لجميع الناس تقريرا لخص ثمنها أمكننا أن نستعين بها في تحقيق امتحاننا في هذا المقام لنزل بالآبرة مع الاحتراس قطعة صغيرة من غطاء أو جلد الوجه الأسفل للورقة ولنضعها بكل احتراس على قطعة من الزجاج تحت الميكروسكوب . أتدري ماذا يحصل بعد ذلك ؟ يكون هذا الشكل الذي تراه أمامك الآن ( انظر شكل ٥١ )



( شكل ٥١ - قطعة من ظاهر الورقة ترى فتحاتها وهي الأفواه )

وايست الفتحات شيئا سوى أفواه جلد الورقة أو منافذها ، وهذه الفتحات عامة في جميع أجزاء النبات الخضراء المكسوة بهذا الجلد أو بهذا الغطاء وتكون أيضا في أوراق الأزهار ولكنها أكثر جندا ( في الأوراق لاسيما الوجه الأسفل منها ) من أى جزء من ظاهر النبات وتختلف أعدادها قليلا وكثرة بحسب اختلاف أنواع النبات ، ثم إن هذه المنافذ أو الأفواه التي رأيتها في جلد الورقة الآن موصلات الى حجرات صغيرة مكوّنات من مادة ناعمة خضراء من الورقة وهنّ موصلات الى منافذ الهواء التي نراها الآن في داخل المادة المرسومة في هذا الشكل ( انظر شكل ٥٢ )



( شكل ٥٢ - الورقة مقطوعة عرضا )

أندري ماعدد الأفواه التي ذكرناها في الورقة ؟ انها قد تكون في البوصة الواحدة المربعة عدد (١٢) وقد تكون (٢٤) وتزيد حتى تصل الى (١٦٠.٠٠٠) وقد يكون ذلك في ورق الشجيرات الصغيرة الذي تشبه النجم أى مائيس بشجر بمقدار (٧٠.٨٧٥٠) في البوصة المربعة أيضا بينما كان عددها في ورقة شجر (الكاس) مليوناً وثلاثاً وخمسين ألفاً (١.٠٥٣.٠٠٠)

( وصف المادة التي في داخل الورقة )

ليس من السهل امتحان المادة التي في داخل الورقة ولكننا اذا فصلنا قطعة من جرمها اللحمي الذي تخللته تلك الشبكة رأينا تحت المكرو سكوب (المنظار المظلم) منظرًا كالذي استحضرناه وأرىنا كما فيما تقدم اننا هنا نلاحظ أن بين وجهي الورقة من أعلاها ومن أسفلها مادة خضراء قد جعلت بهيئة مثانة مدورة كما ترى وماهى هذه إذن ؟ هى المسماة بالخلايا جمع خلية في اصطلاح علماء النبات وكل خلية من هذه التى أمامك تحتوى على مادة خضراء عائمة فى مادة سائلة وهذه المادة السائلة تسمى (خضرة الورقة) واذا أردت اسما أطول من هذا قلنا لك (كلوروفيل) كما هو اصطلاح علماء النبات ويحيط بهذه المادة المشرقة حيطان شفافة يعاوها سقف مرفوع ، وما أشبه المادة الخضراء بين السقف والحيطان الأربعة إلا بسراج ذى لون أخضر أضاء على هذا السقف فظهرت الورقة بلون الخضرة البديع إذ الجلد أو الغطاء ليس فيه مادة خضراء وان كان من نفس مادة الخلية وليس يحوى غير الهواء وهو مركب من ذرات صغيرة شبيهة بالنباتات التى تبنى بها الحيطان فى منازلنا وقد وضعت وضعا محكما بهيئة منظمة كل واحدة بجانب الأخرى لا يتخللها غير الهواء . إن الشبكة المنسوجة من الفروع الدقيقة مما يشبه العمود الفقري فى الانسان فى وسط الورقة تمتد فى وسط الخلايا فتتخلل كل مسافة فارغة فتحشوها وتكون لها مكانها قوالب أو هياكل تحفظها

إن هذا الامتحان السريع الذى لم نتعمق فيه فيما يشبه العمود الفقري وفروعه قد يكون كافيا ولكننا نريد أن نزيد عليه ما هو أجل وأكمل ، ذلك ان هذه الفروع إن هى إلا خزم من الأنابيب مجتمعات أو أوان وضعت بجانب بعضها وربلت معا ، وهذه الأنابيب وظيفتها انما تحمل المواد المغذية من الساق الى الأوراق ، أفلا يحق لنا الآن أن نسمى تلك الأنابيب بالعروق لأنها أشبهت فى إيصال التغذية عروق الحيوان هاتين أولاء أتينا على عجالة فى تركيب الورقة من علم النبات ، وما هذه العجالة إلا رسالة صغيرة وضعت لايضاح مانحن فيه ، وقد اضطررنا أن نعمل فيها لأن ذلك كافى فى مقصودنا . فنحن فى الأسطر القليلة المقبلة نوضح هذه المسألة بتجربة كيميائية يعرف بها الفرق بين الغازين غاز الأكسوجين وغاز الكربونيك أى حامض الكربون فتقول :

لنضع ورقة (الحور) التى قطعناها حديثا فى إناء من الزجاج واسع الفم ثم لنغمرها بالماء ولنعرضها لضوء الشمس الوهاج ، فإذا نجد إذن ؟ نجد هناك فقاقيع من الماء أخذت تطفو على وجهه . هذا فى النهار أما فى الليل فانا نجد فقاقيع مثلها كذلك خرجت من ذلك الماء . فهى (أمران) إما أن نكون من علماء الكيمياء فأننا نعلم علم اليقين أن الغاز الذى ظهر بالفقاقيع لايلا غير الغاز الذى خرج بالفقاقيع نهارا . فأما اذا لم نكن كذلك فعلىنا أن نسأل أهل الذكر بهذا العلم ومن هؤلاء الإعلماء الكيمياء ، فهؤلاء يقولون لنا إن الغاز الأول هو الأكسوجين والغاز الثانى هو غاز حمض الكربونيك ، فالأكسوجين به حياة الحيوان وغاز الكربونيك هو الذى يخرج منه بالزفير لأنه مميت له ، والأكسوجين اذا سلطت شرارة نار فى قطعة خشب صغيرة أمدها وقواها فأخذت تسرى فى جرم الخشب فتصير لهبا ، فهو إذن حياة الحيوان وموقد النار ، فاذا وضعنا هذه القطعة الخشبية قبل أن يتم اشعالها فى إناء فيه غاز الكربونيك انطفأت النار حالا . إن غاز



الكر بونيك يخرج من البراكين بمقادير عظيمة ، ومن أجواف الحيوان بواسطة الزفير ، ومن المصانع المعروفة وهو الذى يتبخر فى الجو من النباتات التى أخذت تنحل أجزاءها وتفسدها كلها إذا لحقها الردى وحل بها الهلاك ، إن مقدار غاز حامض الكربونيك فى الجو قليلة ولا نسبة بينه وبين الهواء الجوى إلا كنسبة واحد الى ألف ألف ، وليس فى الجو من الفحم الصافى إلا (٨٩٢ر٥٧٥ر١٦٦ر١٣٨) طناً والطن حوالى (٢٢) قنطاراً والقنطار (٣٦) أقة وهذا المقدار الطائر فى الهواء هو عينه من صنف لحم الكوك المسمى بالافرنجية (تشرلوك) وهو الفحم الرخيص الذى يجعله الناس فى مواقدهم للتدفئة ونحو ذلك ، فهذا المقدار المذكور أحد جزئى ذلك الغاز وهو حامض الكربونيك لأن حامض الكربونيك مركب من جزء من الكربون (الفحم) وجزءين من الأكسوجين فالجزء المذكور هو الذى تقدم وزنه ، والأكسوجين يكون فى الهواء مقدار خمسة ، وإذا كان الهواء (على فرض أنه أصبح سائلاً بالتبريد) يصير عشرة أمتار على الأرض وهو الآن فى حالة الغازية نحو (٦٠) كيلومتراً يكون حامض الكربونيك المذكور شيئاً قليلاً جداً لا يؤيد له فى كونا المائتين . إن النبات بتعرضه لضوء الشمس يمتص غاز الكربونيك من الجو بمساعدة الأوراق وكل جزء أخضر فى النبات فهناك يمتصه النبات ويدور فيه دورته ، وإن يكون ذلك إلا بمساعدة ضوء الشمس أولاً وتأيد المادة الخضراء فى الورق ثانياً وما للورق إذ ذاك إلا معامل صناعية كيميائية يحلل لنا ذلك الغاز فيها فيأخذ جرم النبات الكربون (الفحم) ليتغذى به ويقوم بنية هيكله ويدع الجزءين الآخرين من الأكسوجين فيخرجان بالزفير كما دخلتا بالشهيق . إذن بهذا نفهم أن ما رأيناه خرج بزفير الورق بهيئة فقائيع فى الماء فى الاختبار المتقدم إنما كان أكسوجيناً ، ولو أننا هنا وضعنا على الزجاجية قنناً من الفلين وغطيناها به لرأينا شرارة تنقد فى ذلك الإنباء وقد تصير لها ، فأما فى الليل فن التجربة هى بعينها تفعل مثل ما تقدم ولكن النتيجة هنا عكس ما تقدم . فهنا تمتص الورقة الأكسوجين وتدع الغاز يخرج منها بالزفير ولكنه كميته قليلة جداً . وهما بحث العلماء فى هذا الغاز من أين أتى ؟ أهو من نفس الأكسوجين والكربون اللذين هما فى بنية النبات ؟ أم هو غاز من الذى امتصه النبات بالنهار ولم يتم امتصاصه فى بنيته . هذان رأيان لم يبدت فيهما العلماء

وهنا يسأل سائل فيقول : إذا كان النبات هذا شأنه وأنه بالليل يخرج لنا غاز الكربونيك فإنه لا جرم يفسد الهواء . وأى فرق بينه وبين لحم الكوك (تشرلوك) إذا أوقدناه كلاهما يفسد الهواء . فلماذا وجدناه فى غرفة المقابلة أو الجلوس فإنه يضر الأحياء أو يقتلهم

وهنا أجاب الكاتب قائلاً : إن هذا القول صحيح نظرياً . فأما عند العمل فلا لأن النبات الذى يكون فى المافذة مهما كثرت فإن زفيره بالحامض المذكور قليل جداً . بل إذا نام قارئ هذا الكتاب فى نفس مازرع فيه النبات وحفظ فيه فلا خرف عليه من الاختناق . وكيف يستضر به هذا الغاز ونحن لا نجد فى سنة آلاف نباتات مزروعة فى أوعية قد أحكم الغطاء عليها (١٢) ساعة ما لا يزيد عن جزء واحد و ٣٩ فى المائة من (١٠٠٠) جزء

قد قلنا فيما مضى أن الشهيق والزفير يكونان بواسطة الأفواه المرسومة فيما تقدم ، ومثل ما قلنا فى النبات المشاعد فى الأرض نقول أيضاً فى نبات الماء ، ولكن الامتصاص هنا يكون بجلد الورقة لا بالأفواه المتقدمة ثم إن الأكسوجين الذى يمتصه ذلك النبات يدور فى بنيته ويتمثل فيه فيدخل أولاً فى تلك الفتحات ويصل إلى تلك الخلايا ومن هناك يدور فى هيكل النبات كله واصل إلى بطرق هوائية صغيرة أو قنوات تحت تلك الخلايا

#### ﴿ النبات زبال الهواء ﴾

ألمست ترى أيها القارئ بعد هذا أن النبات زبال الهواء ، كيف لا وهو الذى يأخذ منه المادة الضارة وهو حامض الكربونيك فيحوطها فى داخل معمله إلى كربون ضار يبقى فى بنيته لأنه يناسبها وإلى الأكسوجين

يرجعه ثانيا الى الهواء فيصبح صالحا لتنفس الحيوان عوضا عن ذلك الغاز المضرب به وعلى ذلك نقول إن الورق في النبات يقوم بوظيفة الرئة في الحيوانات العليا ، والخلايا التي في الورق تقوم بوظيفة الخلايا التي في الرئة ، وانما ذكرنا الحيوانات العليا هنا في النظر لأن الحياة في أدنى درجاتها يكون العضو فيها قوما بأعمال كثيرة أما في مراتب الحيوانات العليا فالأعمال موزعة توزعا حسنا ، وذلك له نظير في المدنية . فالأمم الراقية أعمالها موزعة توزعا حسنا ، أما المنحطة فن الفرد الواحد يعمل جلة أعمال فهناك يقل الاختصاص ونبوغ الأفراد

﴿ ندى الأشجار ﴾

وهنا أفرد الكاتب فصلا شرح فيه الندى على الأشجار والنبات فأفاد أن الندى لم يكن من الجو وانما هو عرق من هيكل النبات كعرق الانسان ولذلك نشم من هذا الندى رائحة النبات الذي ظهر هو عليه كما نشم من عرق الانسان رائحته هو سواء بسواء ، ومن الشجر ما يقطر ماء على هذا النمط . وقد مر في بعض هذا التفسير ما هو أوفى من هذا في الندى

### ﴿ الورقة شجرة مصغرة أو هيكل حيوان ﴾

فلتجاوز ذلك الى ما ذكره المؤلف بعده بنحو ورقة من الكلام على هيكل الورقة ببيان أوضح وأجل قال : « فاذا تصورنا عظام الحيوان وأوعية دمه وتمثلت أمامنا هيكله فاننا نجد هذه الصورة مطابقة تمام المطابقة لهيئة الورقة . وهنا عجيبة أخرى ألفت اليها نظرك أيها الذكي ، فانظر واعجب : اننا كثيرا ما نرى نفس هيكل الورقة يشبه جد الشبه هيئة شجرته التي تحملها فصورة الورقة لها نظيران : هيكل الحيوان وهيكل شجرتها . حقا إن الشجرة التي جردت من أوراقها أيام الشتاء مثلا تكون صورة مكبرة للورقة التي سقطت منها . فاذا نظرت هيكل الورقة استبان لك النسبة بين تشعب فروع هيكلها وبين عروق جسم الحيوان . فانظر الى الأوراق المتقدمة وتأمل . ألسنت تجد أن فيها عمودا وسط الورق وهذا العمود خرجت منه أضلاع من جانبيه . فهذه الأضلاع كوتت مع ذلك العمود الذي في الوسط زاوية . وهذه الزاوية بعينها ترى فيما بين تلك الفروع وبين الأغصان التي تفرعت منها . فهذه الموازنة تراها جليلة ظاهرة . ثم ان نفس صورة الورقة مشابهة تمام المشابهة لصورة شجرتها فان الزوايا الحاصلة فيما بين جذع الشجرة وفروعها هي بعينها الزوايا الواقعة بين جذع الورقة الممتد فيها وفروعها سواء بسواء . وبهذا تم الكلام في شرح هيكل الورقة وتبيان عجائبها . وملخص ما تقدم في هذا المقام أن للورقة في كل نبات :

- ( ١ ) خلايا جمع خلية وهي أشبه بالحجرات
- ( ٢ ) وهذه الخلايا مركبات من حيطان شفافة
- ( ٣ ) ولكل منها سقف مرفوع عليها يغطيها
- ( ٤ ) وهذا السقف مكون من ذرات تشابه اللبنة التي يبنى بها منازلنا
- ( ٥ ) وفي داخل الحجرات سائل فيه مادة خضراء
- ( ٦ ) وهذه المادة الخضراء مضيئة تشع ضوءا على السقف وهو خال من اللون وليس يتخلله سوى الهواء
- ( ٧ ) وبهذا تظهر الأشجار بأنها خضراء والحقيقة أن الخضرة في تلك الخلايا داخلها ، وما هذه الخضرة إلا انعكاس

- ( ٨ ) في كل بوصة مربعة (البوصة تساوي سنتين اثنين ونصف سنتي والسنتي جزء من مائة من المتر) ما يبلغ (١٢) خلية و (٢٤) وهكذا الى ما يزيد عن ألف ألف حجرة بيضع مئات
- ( ٩ ) هذه الورقة اذا وضعناها في إناء زجاجي وعرضناها للشمس نظرنا في الماء فقاقيع وهكذا يحصل في الليل فقاقيع النهار كسوجين فقاقيع الليل غاز الكربونيك المستخرج من جسم ذلك النبات



ليلا أو مما بقي مما امتصه بالنهار

(١٠) ولواننا أقلنا الزجاجة بالتلين لظاهر لنا المحبوس من الأكسوجين بالنهار شررا ، وإذا ازداد ذلك صار لها

(١١) إن غاز الكربون الذي في الهواء قليل بالنسبة له بحيث لا يزيد على واحد في ألف ألف جزء منه والكربون الذي فيه تتقدم ذكر عدد طولاناته فلا يعيده

(١٢) وما النبات بالنسبة للهواء إلا كمثل مزرعة الجبل الأصغر في بلادنا المصرية بالنسبة لمستقدرات القاهرة فإن مراحض القاهرة تسير في أنابيب تحت الأرض وتسير أميالا كثيرة وهناك تخرج بالماء وتسقى بها تلك المزرعة وهناك يبقى بعض السماد ليخصب الأراضي الأخرى وزرعها عجيب جدا ، فهكذا النبات بالنسبة للهواء فقد أخذ ما يفسده فأصلحه في جسمه ثم رده صالحا للتنفس وورق النبات يقوم مقام الرئة في الحيوانات الكبيرة والخلايا في هذه كالحلايا في تلك

(١٣) غاز الكربون الذي يخرج من النبات لا يضر الناس ولا الحيوان لأنه قليل جدا فإن ستة آلاف نباتة بعد (١٢) ساعة لم يظهر منها (مع ان النبات مغطى) إلا مقدار يسير من ذلك الغاز الضار

(١٤) للشجر وورقه عرق كعرق الانسان يظهر بهيئة الندى المعلوم ولذلك نراه يحمل رائحة نفس النبات كما ان عرق الانسان يحمل رائحته

(١٥) إن في هيكل الورقة لشبهها لهيكل الحيوان ولهيكل نفس الشجرة ، ألم ترى الزوايا التي بين جذع الورقة وفروعها الكبرى وللزوايا التي بين الفروع الكبرى وأغصانها فهذه متساوية هكذا ترى نفس الشجرة جذعها مع فروعها الكبرى وفروعها الكبرى مع أغصانها كل هذه متساوية الزوايا . انتهى ملخص الموضوع

### ﴿ خطاب الورقة للناس عامة وللمسلمين خاصة ﴾

( في تفسير - سبحان الذي خلق الأزواج كلها - )

تقول : أيها الناس . ها أنا ذا تروني أستقط من شجرتي في ظلالها تحت أرجلكم وغاية ما نفعون انكم تزيلونني لتنظيف أمكنتكم وإسكنكم لتعلمون أني نور الله لتدروني كما ان الحشرات نوره أنزلت لكم لتدرونها ما أكثرنا نحن معاشر الورقات في الأرض ، وما أكثر أنواع الحشرات الطائقات عليكم صباحا ومساء ، أنا في حقولكم وفي بساتينكم وتحت أرجلكم والحشرات تطوف عليكم في الهواء ، أما أنا فاني علم وحكمة مجسمة واضحة أقيم عليكم الحجة لتنهضوا قولا تعالى - سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون - فأما أنا فاني مما تنبت الأرض ، قد اخترعني وابتدعني منظم هذا العالم وخالقه وقد ملائني بالحكمة والعلم ، أنتم تعظمون أمثال (اديسون) المخترع الأمريكي وقد ساعدكم في كشف أسرار الأنوار في منازلكم ، هو معظم عندكم منزلته سامية ، تحبونه وتهابونه بقلوبكم لأنكم أدركتم آثار صنعته ، وها هو ذا ربى قد جعلني نموذجا لصنعته ، فإذا صنع ؟ صنع لى سراجا كما صنع (اديسون) لكم سراجا ولكن سراج ربى هو الشمس ، ومن رحمة وحسن ابداعه انه جعلها بعيدة عني بمقدار (٣٥٠) سنة بسير القطار وبمقدار (١٢) سنة بسير قلة المدفع وجعل انورها سرعة بحيث يصل الى في (٨) دقائق و(١٨) ثانية

هذا هو سراج ربى ، فهذا النور هو والمادة الخضراء في داخل حجراتي أيام حياتي بهما أجدب أنا مادة حامض الكربونيك المفسد للهواء وأهضم في جسمي ذلك الفاسد وأخرج ما يصلح الهواء ، إن الفحم الذي يفسد الهواء هو الذي يدخل في تركيب كل فاكهة وزهر وورق وشجر ؟ هذه الحقول وهذه الجنات لاهياة

لها إلا ما تستخرج من زبالة الهواء ، فأضواء الشمس وأكسوجين الهواء والكربون المضرب فيه والأشجار وأوراقها وأزهارها وأثمارها والماء والأرض والرياح كلها متعاونات على نتيجة واحدة وهي حياتكم ، فأى نسبة بين سراج اديسن ومعامله وبين سراج الله وهو الشمس وبين معاملته في الأرض ، إن معامل اديسن وأمثاله لن تقدر أن تصنع حجرة واحدة من حجراتي بحيث تكون حيطانها شفافة وسقفها يبني بناء محكما وفيها سائل وفي السائل مادة خضراء تضيء وفي داخلها فروع كثيرة متداخلات فيها تحفظها حفظا تاما كالآطار الذي يحفظ ما هو داخله ، فالمعامل في الأرض ليس في طاقتها أن تصنع خلية واحدة كهذه فضلا عن (١٢) فضلا عن ألف ألف وبضعة آلاف في بوصة واحدة

إن صناعات (اديسن) وأمثال اديسن أقرب لعقولكم ، وصنع الله أشدة عظمته يعزب تذكره عنكم فعقولكم أقرب الى تعظيم صانع في أرضكم من تعظيم خالق الكون لعظمة صناعته وانها بعيدة المثال ولولا رحمة ربي بغفلتكم عن فعله لاهتت قلوبكم به هياما ينسيكم أنفسكم ولكنه من فضله أدخل الغفلة عليكم حتى ضعفت بصائرهم فعكفتم على أعمالكم الجزئية . ولكن في الأرض أناس قليلون جدا سمعت عقولهم وارتقت أفكارهم . وهؤلاء يهيمون بربهم لما بهرهم من عظمة صنعة . وهم الذين يحبونه حبا جما . فهم في الأرض يعيشون لا يتفغون من الحياة إلا أن يكونوا مسعدين لأنهم مقتدين بما يرون من أعمال ربهم لشدة حبه إياه . وهؤلاء هم عماد أهل الأرض وبقية الناس دونهم . وهؤلاء ليس عندهم لذة غير ذلك الحب وكلما غفلوا عنه خزنوا واعتقدوا انهم قد أذنبوا . فهم إذن يستغفرون . وإذا جاء الموت فرحوا به لأنهم به يرون محبوبهم . أولئك هم السعداء المفلحون

فأما قوله تعالى - ومن أنفسهم - فاقراءه فيما تقدم في ﴿سورة لقمان﴾ في تفسير قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - الخ وأما قوله - وما لا يعلمون - فذلك تذكير لنا بأن هناك عوالم نظامها متنسق على مقتضى هذا النظام . وهذا ما هو إلا ضرب مثل له . ألا ترى الى قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - والى قوله - وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال - والى هنا تم الكلام على أزواج النبات . كتب صباح يوم الأحد أول شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩

أما أزواج الحيوان فما أكثرها في هذا التفسير . ولكن لنذكر هنا ما جل مما عثرت عليها . فهناك مناظر جميلة لأزواج الحيوان . فنذكر أولا أشكالا غريبة لأربعة منها وذلك من إحدى المجلات العلمية وهي «مجلة الجديد» وثانيا نذكر ذكاء الحيوان وأعماله . وكذلك سمك الفردوس الذي يبني أعشاشه كالطير ويسبح فوق سطح الماء . وثالثا نذكر رؤسه المختلفة (انظر شكل ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ في الصفحة التالية) وسترى أيضا باقى الصور فيما يلى من الصفحات



## أولاً - الأشكال الغربية الأربعة



( شكل ٥٣ - الريحيا )

نوع من أسرة الهمام وقد ظهر أنها شديدة  
التقليد لماوريس حين جاورها في السكن إذ كثيرا  
ما تحاول أن تتصنع زهوه معتمدة على ضخامة  
الحجم بدلا مما ينتقصها من ازدهاء الألوان



( شكل ٥٤ - لاجاجة للمرأة )

هذه النعامة تستطيع بما وهبها الله من عنق  
طويل لين أن ترى أى جزء من جسمها فلا تعوزها  
المرأة وأكثر من هذا أن لها طرقا متعددة في  
ال نظر الى ما حولها ، وعلى الرغم من كل هذه  
المميزات فإن منظر الحزن والكآبة لا يكاد يفارقها



( شكل ٥٥ - رسم غوريلا كبيرة يبلغ وزنها  
٤٥٠ رطلا وطولها ١٧٠ سم وقد صاها  
الكولونيل (فن) من الكونغو الباجيكية )

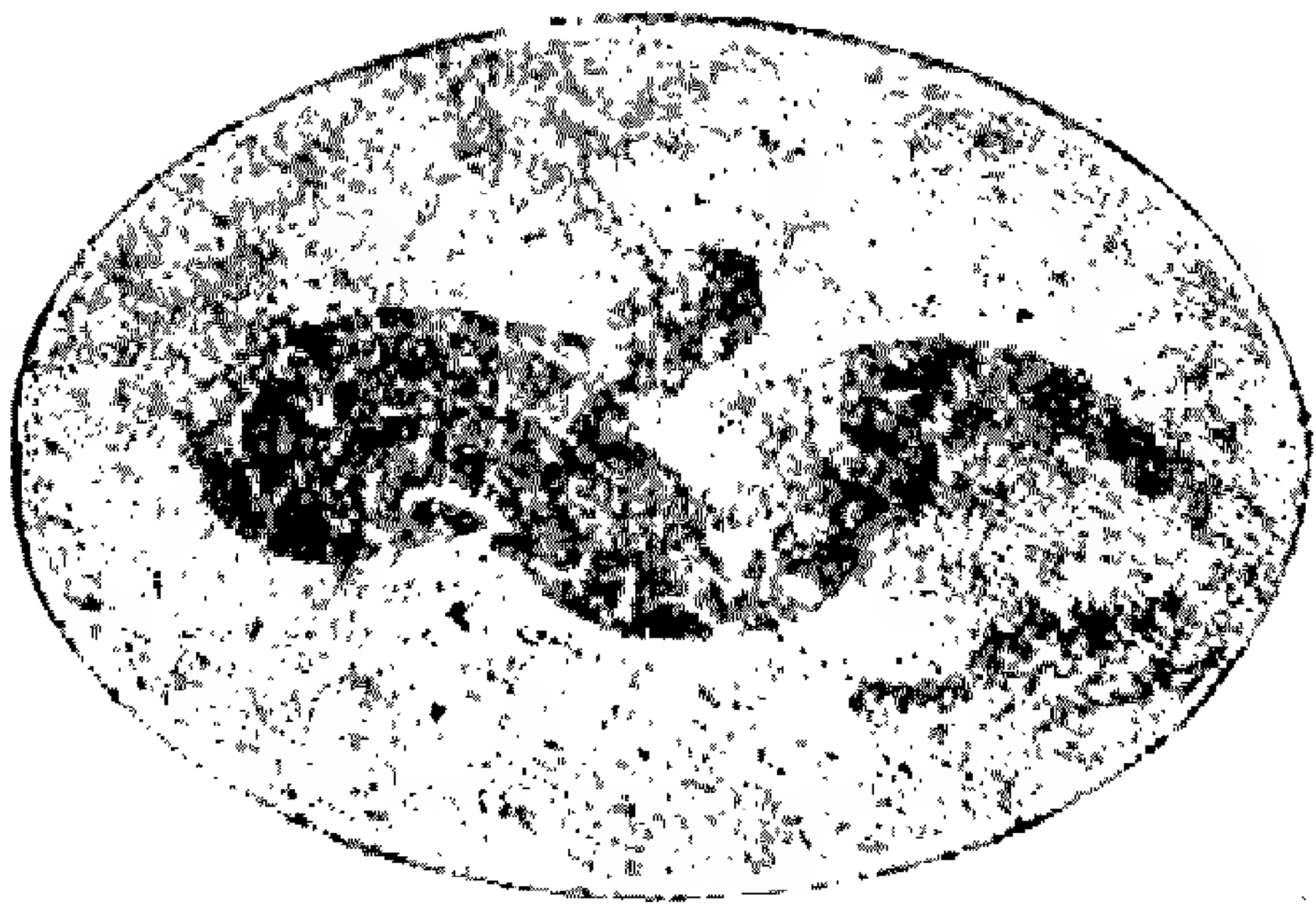


( شكل ٥٦ - رسم عجل لغودو وهو الذي  
صادته بعثة حديقة حيوانات لندن من أواسط  
أفريقيا ، وفي الصورة أحد الصيادين من الأهالي  
وهو يرضعه من زجاجة ليألف به قبل ترحيله )





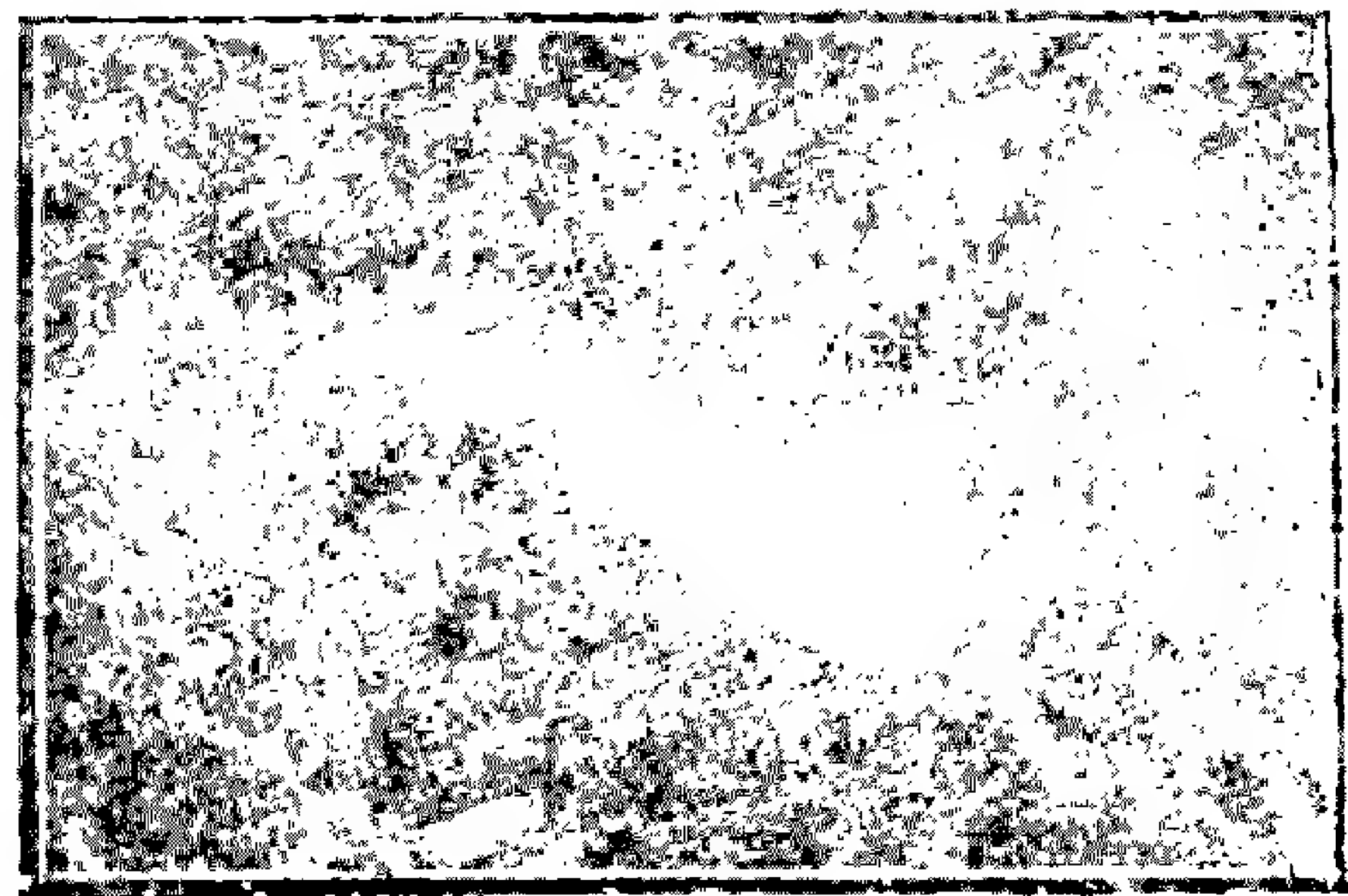
(شكل ٥٨ - رسم شامليون عجيب طوله ١٤ بوصة وهو أطول شامليون عرف في العالم صادته بعثة حديثة حيوانات لندن في تجوالها الأخير في إفريقيا)



( شكل ٦٠ - حية يقتلها النمل )  
بين أصناف الأفاعى التي صادتها بعثة حديثة حيوانات لندن هذه الحية التي افترسها النمل الأحمر هي وست مثلها في ليلة واحدة ، وهي من النوع السام والذي تميت لدغته الواحدة



( شكل ٥٧ - أحدث طريقة لتحنيط الحيوانات )  
أعلن أستاذ علم الحيوان في جامعة فيينا أن خير طريقة لتحنيط الحيوانات والنباتات هي غمسها في حمام البرانين إذ شاعده أن البرانين يمتصها وهي في حالاتها الطبيعية كما ترى في الصور الأربعة ، وفي حالة النبات يحفظ لون النبات وشكل الزهور الطبيعي وهذا يساعد كثيرا في دراسة هذه الأحياء

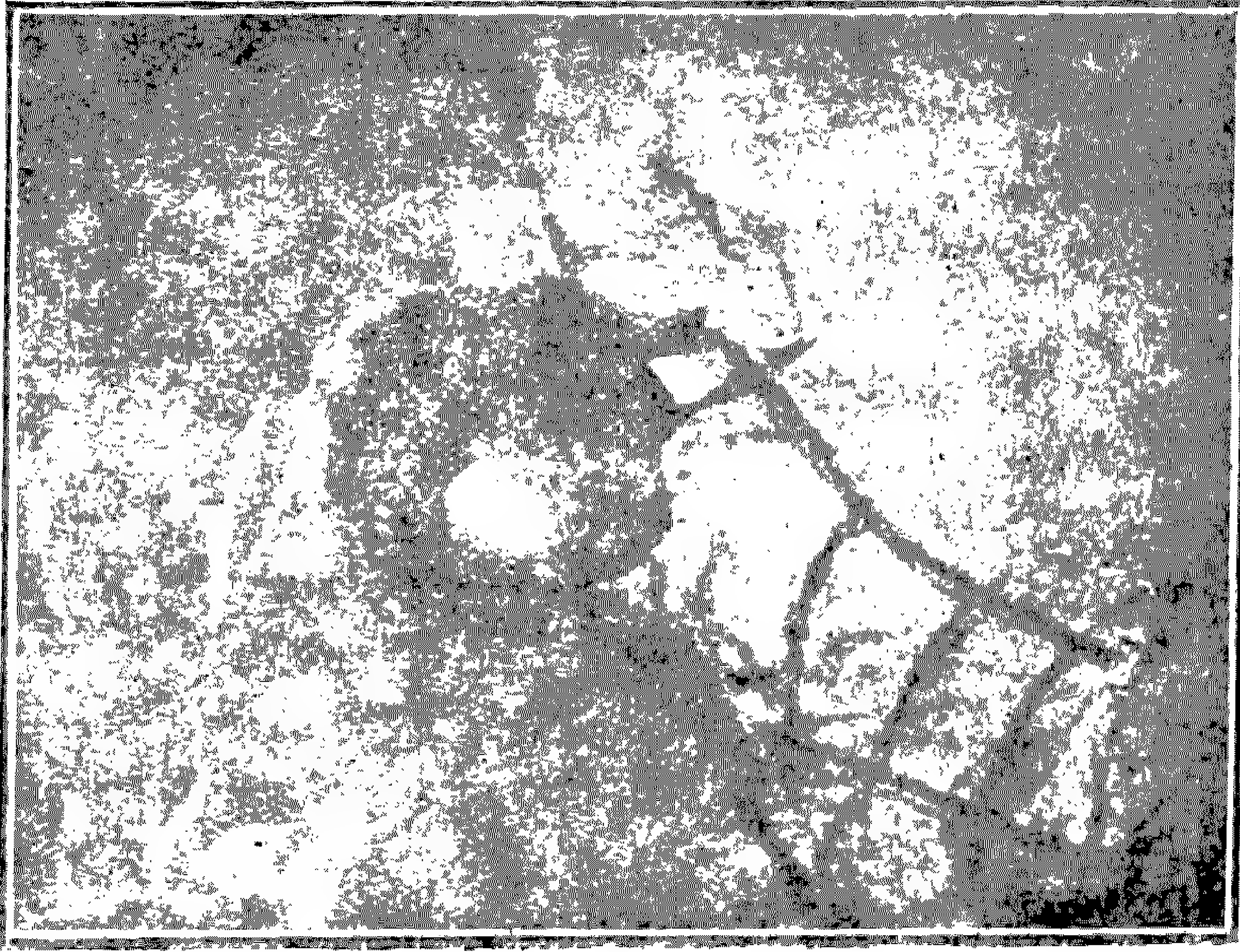


( شكل ٥٩ - آكل النمل )  
حيوان من أعجب الحيوانات التي أُرِفدت حديثة حيوانات لندن بعثة لجمها وبدعى آكل النمل . غير أن هذا النوع لم يطل أمد تسميته بل حل مكان نوع آخر منه

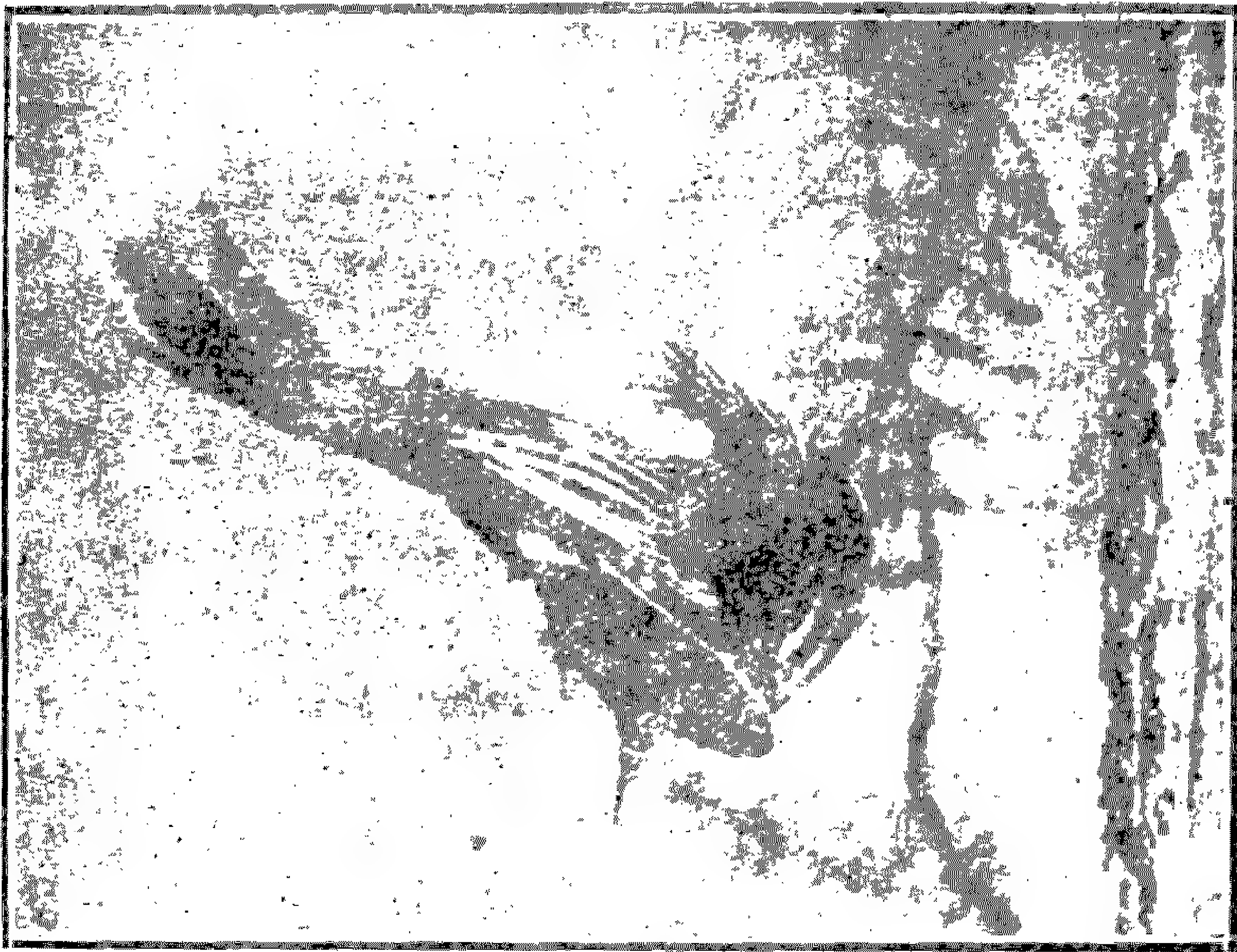


سمك الفردوس يبنى أعشاشه كالطير ويسبح فوق سطح الماء

تعرف البحار الصينية بأنواع غريبة من الأسماك ، ومن أغربها النوع المعروف بسمك الفردوس وهو يتخذ أعشاشا كالطير ويصنعها من مادة لزجة ينفخها بشفه فتصير كالفتاقيع وتسبح فوق سطح الماء وصناعة هذه الأعشاش خاصة بالذكور دون الاناث ، فإذا باغت الأنثى أخذ الذكر بيضها بشفه واحدة فواحدة ووضعها في العش اللزج فتتصق به . ولما كانت الأنثى في سمك الفردوس ذات طباع وحشية وتحب أن تأكل بيضها وما يخرج منه من الأسماك الصغيرة يرخم الأب أوالذكر على هذا البيض حتى ينقش ويحرسه حراسة تامة حتى لاتلتهمه الأنثى (انظر الأشكال الأربعة الآتية)



( شكل ٦١ - سمك الفردوس )



( شكل ٦٢ - الذكر من سمك الفردوس يتقيد بيض الأنثى في العش )



( شكل ٦٣ - الذكور من سمك القردوس برنختم على بعض الأنواع في العشب )



( شكل ٦٤ - سمك القردوس )





### ثانياً - ذكاه الحيوان وأعمارها

وأما أعمار الحيوان وذكاه بعضه ، فهناك ما جاء في « مجلة الجديد » تحت عنوان أعمار الحيوان وهامودا  
( أعمار الحيوان )

عثر بعض المسافرين الانجليز عند مرورهم بجزر نونجا في الارقيانوس على سلحفاة كتب على ظهرها عام ١٨٣٧ وقد كتبها القبطان كوك عند مروره بهذه الجزيرة ، وقد اتضح لهم أن عمرها يبلغ ١٥٠ عاماً وفيما يلي بيان بمتوسط أعمار الحيوانات المعروفة : ( التماسيح من ٢٠٠ الى ٢٥٠ عاماً ، الفيل من ١٥٠ الى ٢٠٠ عام ، النسر ١٠٠ عام ، البجعة ١٠٠ عام ، الغراب ١٠٠ عام ، الكركدن ٦٠ عاماً ، الأسد ٦٠ عاماً . الببغاء من ٥٠ الى ٨٠ عاماً . الأوز ٥٠ عاماً . الجمل ٥٠ عاماً . الصقر ٤٠ عاماً . الثور ٣٠ عاماً . الوعل ٣٠ عاماً . الجار من ٢٥ الى ٣٠ عاماً . الحصان ٢٥ عاماً . العصفور الحسون ٢٥ عاماً . الطاووس ٢٥ عاماً . البرقش من ٢٠ الى ٢٥ عاماً . الخنزير ٢٠ عاماً . الجاموس من ١٨ الى ٢٠ عاماً . القط ١٨ عاماً . الكلب من ١٠ الى ٢٥ عاماً . الدب ٢٠ عاماً . البقرة ٢٠ عاماً . الظبي ٢٠ عاماً . السرطان ٢٠ عاماً . الذئب ٢٠ عاماً . البيل ١٦ عاماً . القنبرة ١٦ عاماً . الثعلب ١٥ عاماً . ثعبان السمك ١٥ عاماً . الشاة ١٢ عاماً . الصرصار ١٠ أعوام . عصفور الكناري ١٠ أعوام . الماعز ١٠ أعوام . العصفور الدوري ١٠ أعوام . الدجاجة ١٠ أعوام . الأرنب ٨ أعوام . الأرنب البري ٧ أعوام . السنجاب ٧ أعوام . الفراشة ٧ أعوام . النحلة عام واحد وتوجد في عين الفراشة ( ٥٠٠٠ ) عدسة مختلفة و ( ٥٠٠٠٠ ) عصب . وإذا وضعت قوقعة الى جانب أذنك سمعت صوتاً كاللوح ينشأ من تكبير الغطاء الخارجى لصوت ضربات الدورة الدموية الصادرة من أوردة الرأس ( انظر شكل ٦٥ )

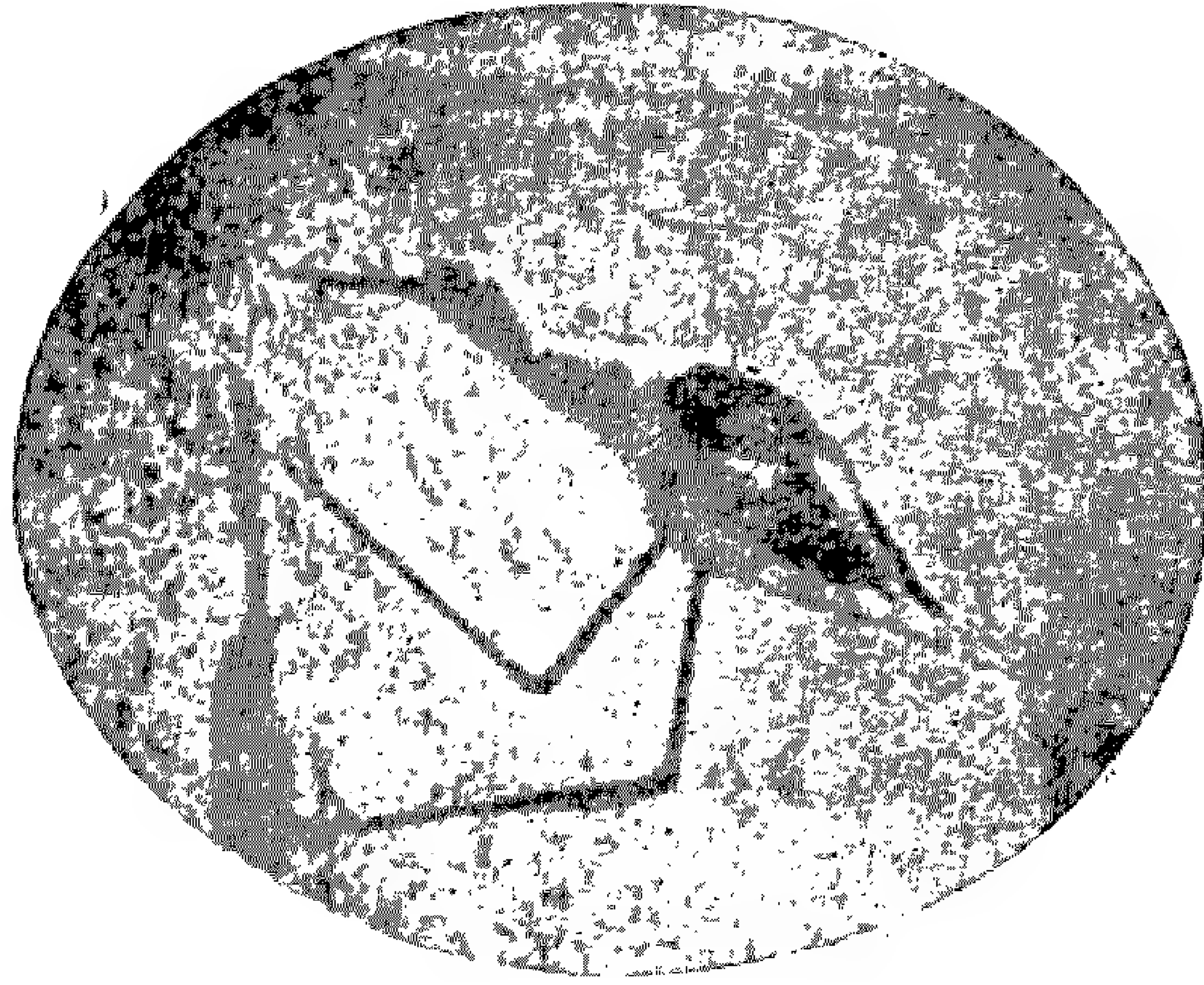
خرج جامعة كولومبيا



( شكل ٦٥ )

جاء هذا الكلب امتحاناً عقد له خاصة في جامعة كولومبيا لاختبار ذكائه وعمره ٥ سنوات





(شكل ٦٦ - رنم طير غريب ، ومن غرابته أن قدميه جراوتا اللون طول كل قدم (٢٧) سنتيمترا ونصف سنتيمترا ، أما ارتفاعه فهو ٢٥ سنتيمترا فقط)

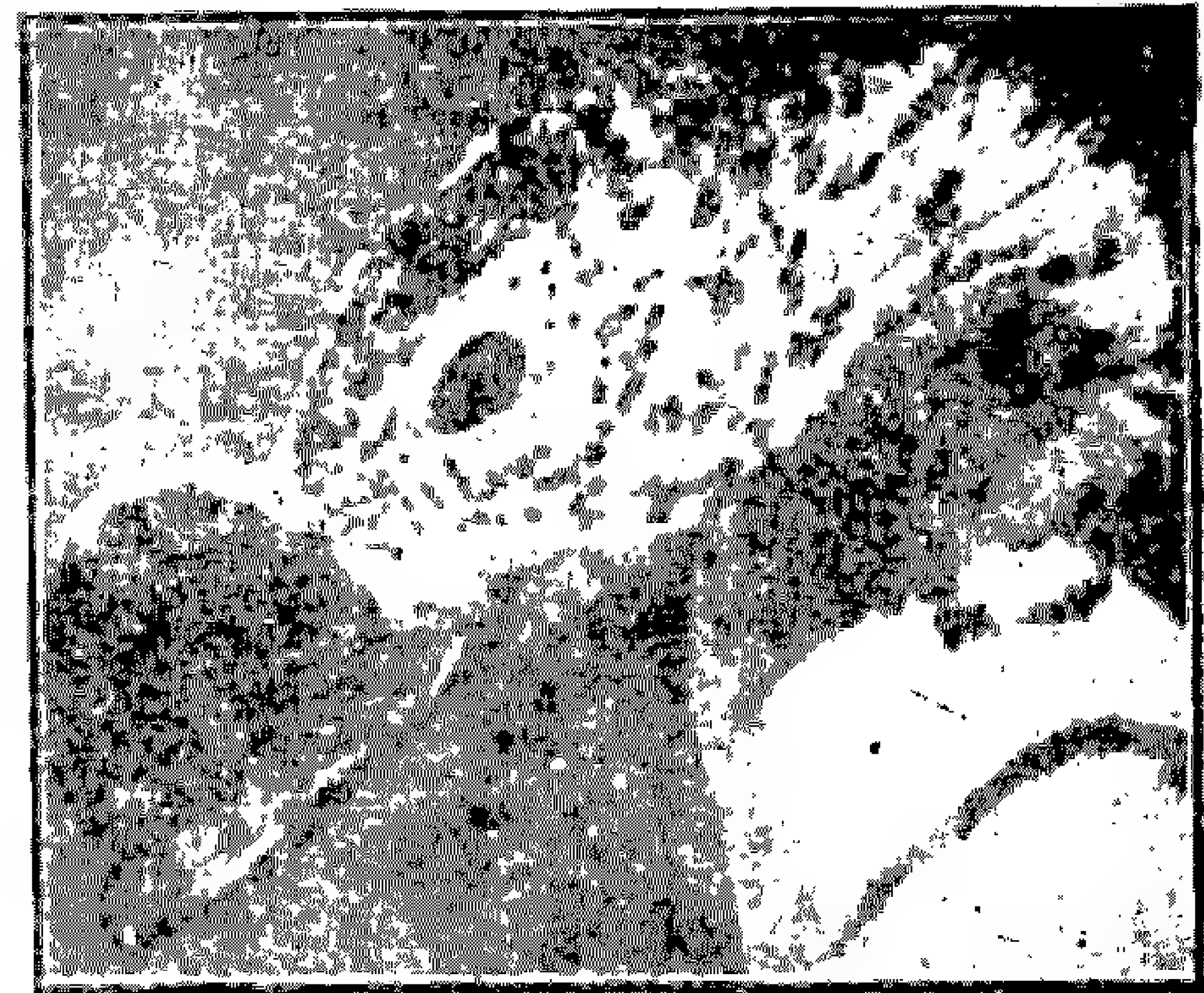
### ثالثا - رؤس الحيوان المختلفة

أما رؤس الحيوان فاسمع ماجاء في « مجلة الجديد » تحت العنوان التالى وهذا نصه :

#### أعجب رؤس الطير

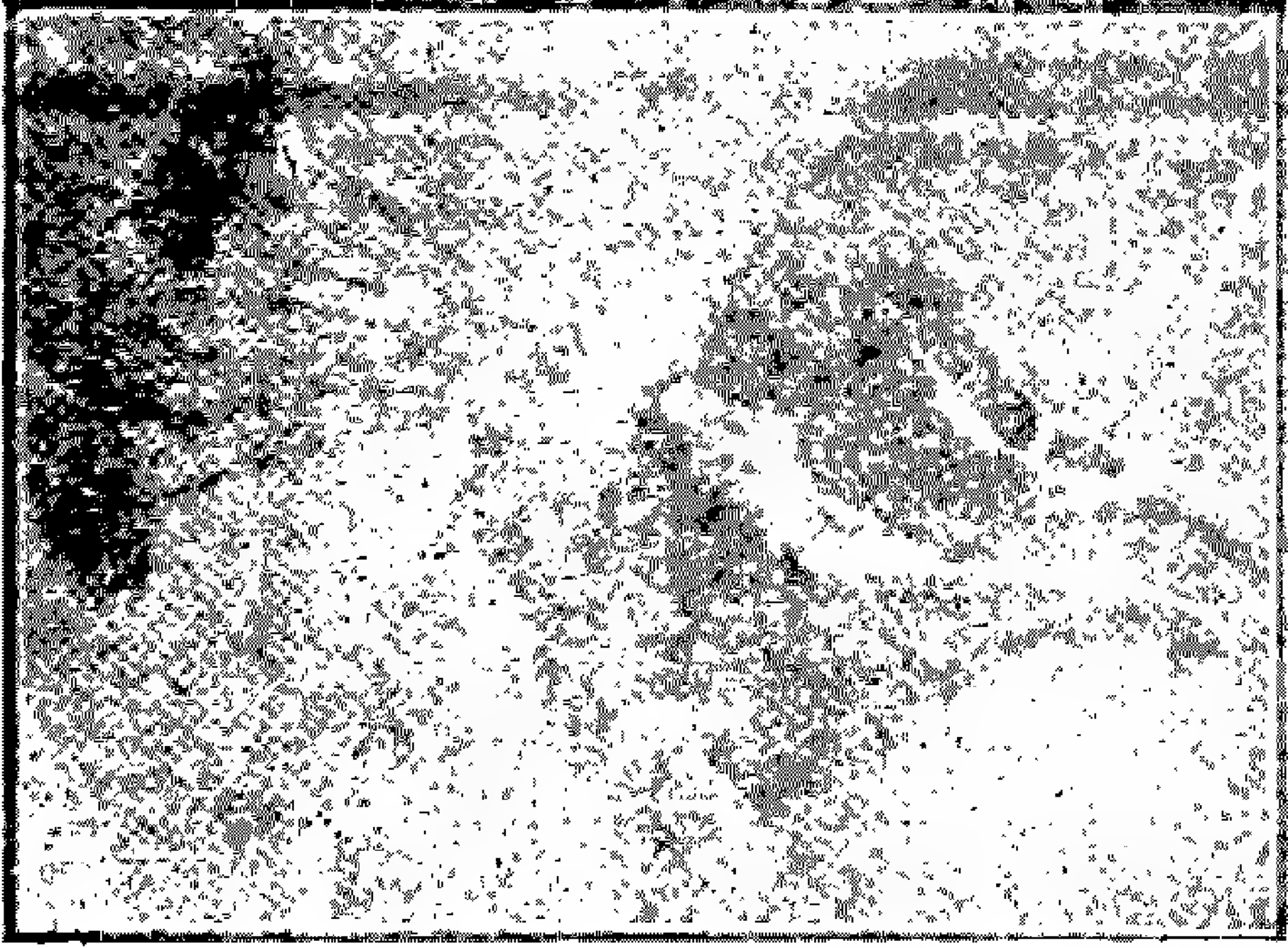


(شكل ٦٨) الصقر المتوج ومنقاره الصغير المعقوف يحدث أشد الرعب للطير والحيوانات الصغيرة وهو يأكل القردة والفيران والأرانب والطيور والأوز والجلان



(شكل ٦٧ - رأس البطة المعروفة بذات المشط وهى من أندر أنواع البط ، وذلك أن عرقها الشبيه بالمشط يكون فوق رقبتها لا فوق رأسها ، وليس لذلك أى سبب إلا أن تكون مخالفة لسواها فى الشكل)

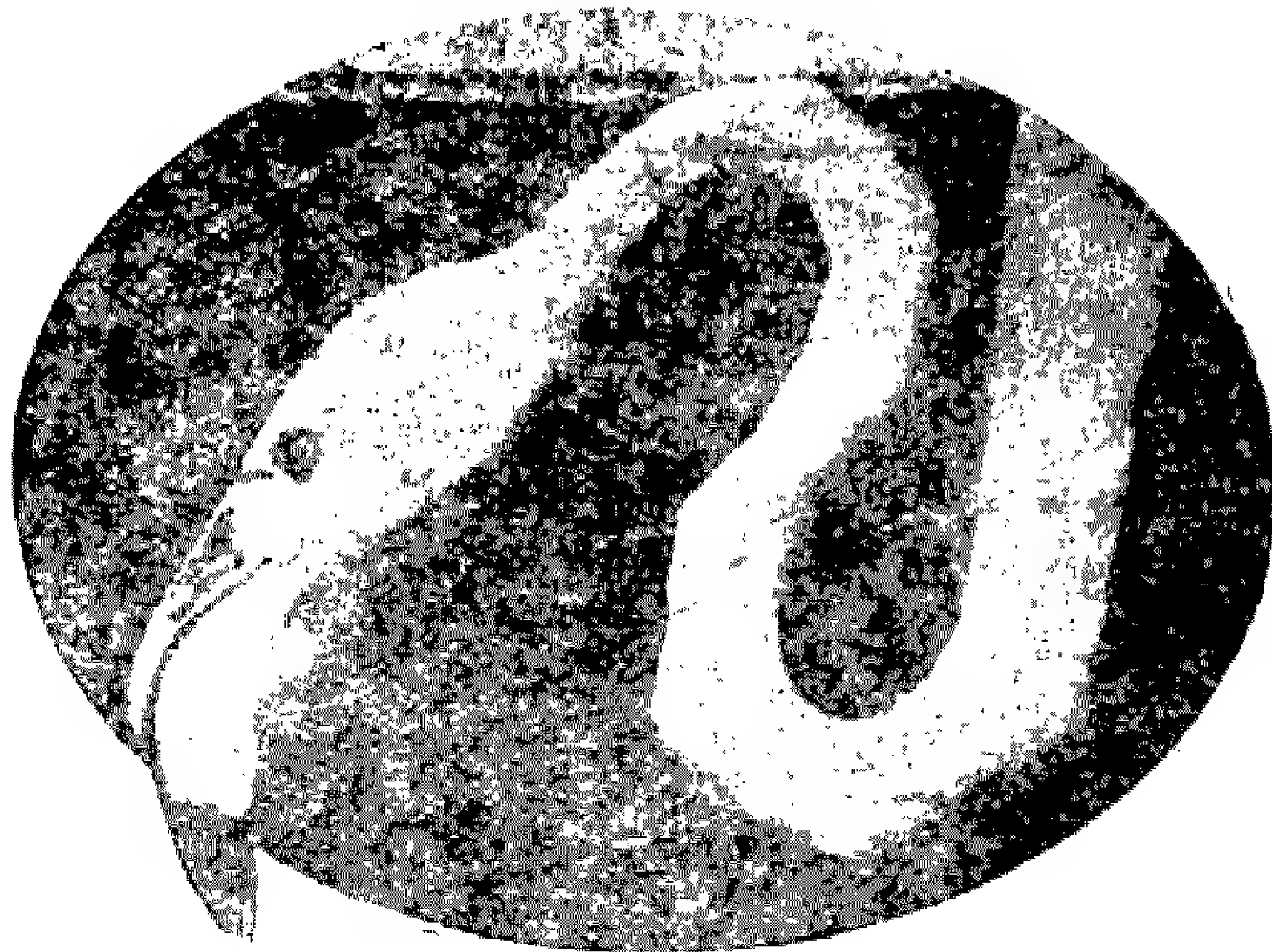




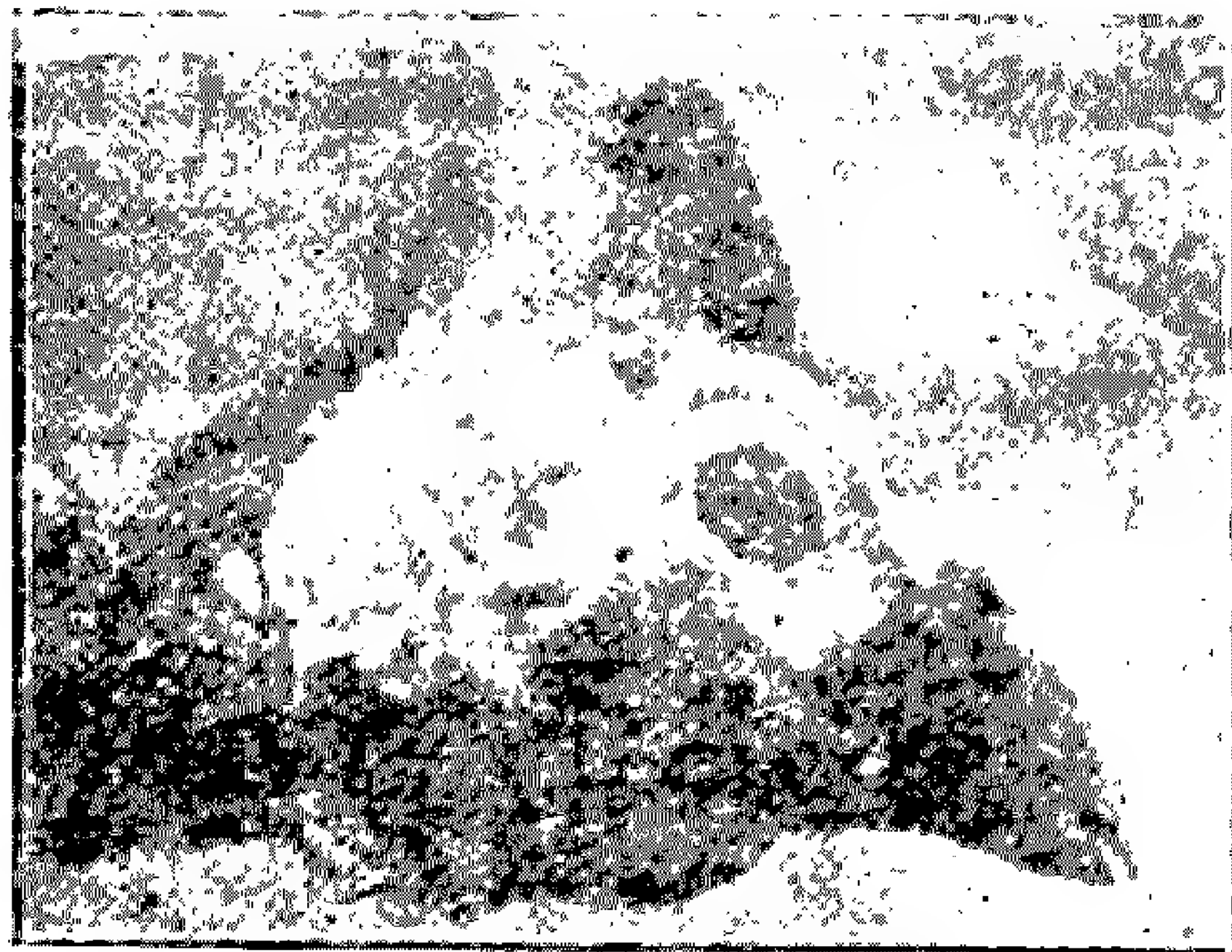
(شكل ٧٠ - رأس الطاووس وهو على الرغم من جماله وما يبدو عليه من الحجل تفرع منه السحالي والشفادع ، وان كان الطاووس نفسه يفضل أن يأكل الحبوب والكاد)



(شكل ٦٩ - رسم التوكان وطول منقاره كطول جسمه ويقرب منه في الحجم ، ولولا خفة هذا المنقار لما استطاع حمله)

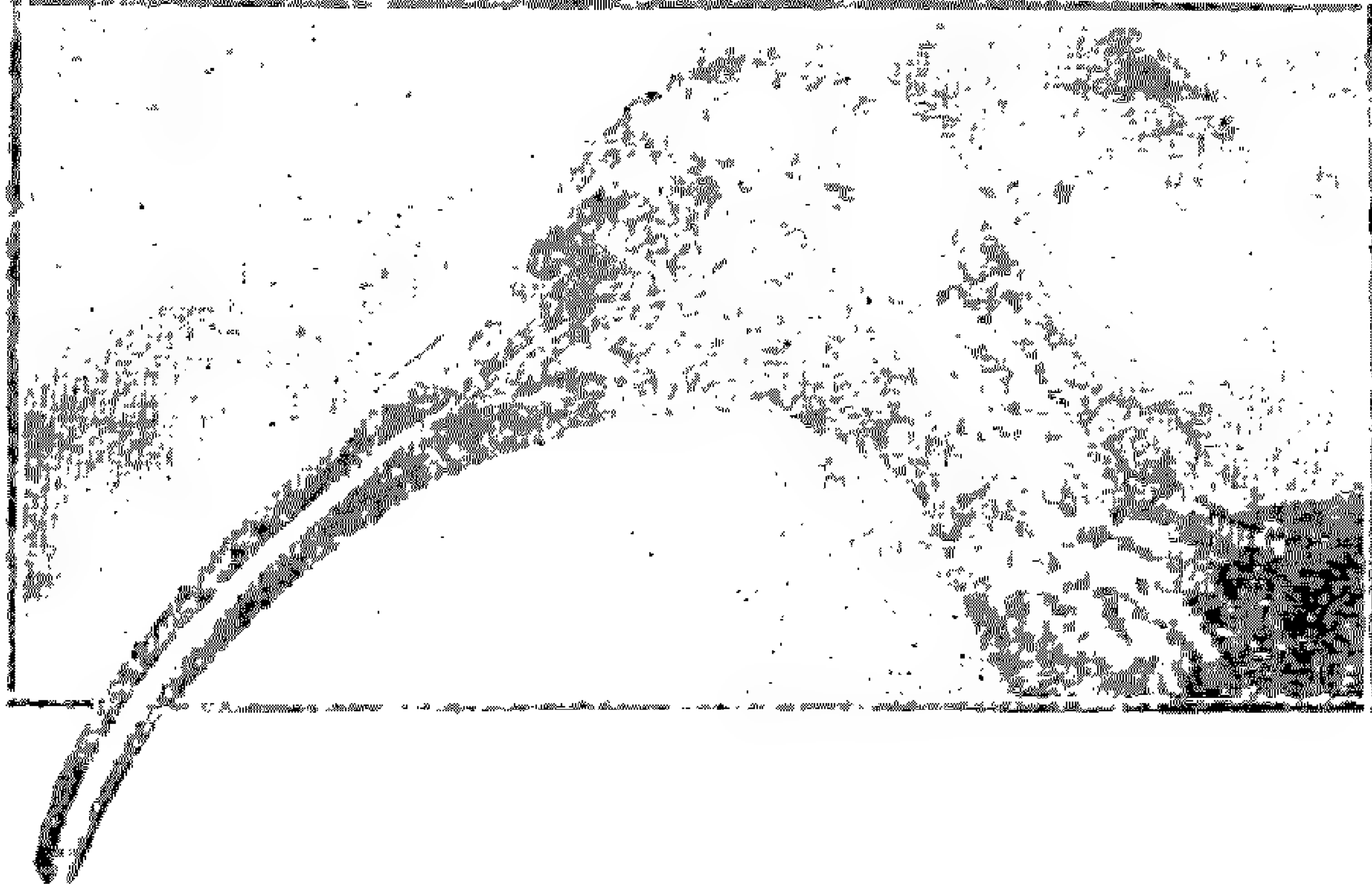


(شكل ٧١ - رسم رأس بشروش ويعرف بطول الرقبة وضخامة المنقار الذي يشبه صندوقا ذا غطاء محذب)

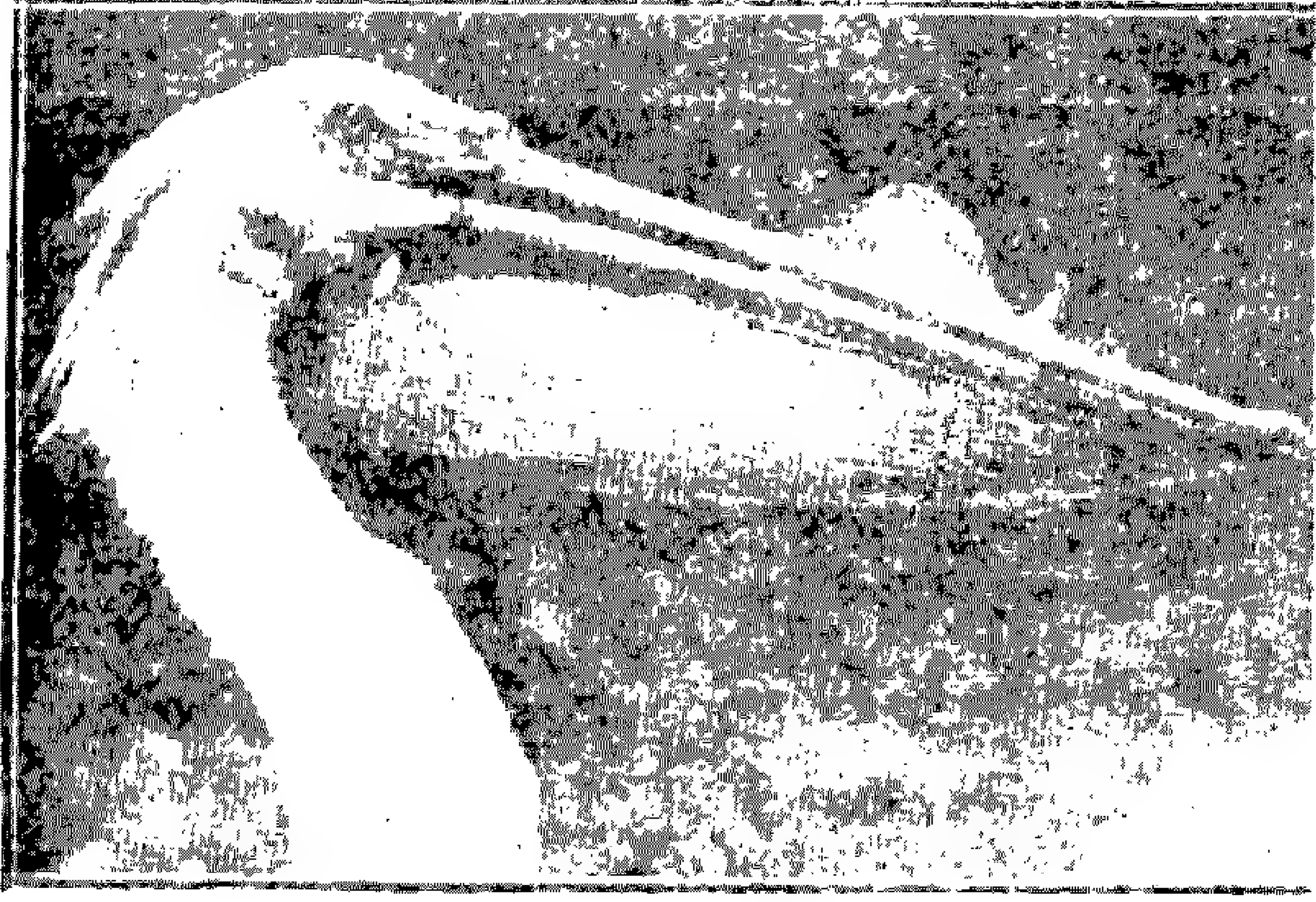


( شكل ٧٢ - رسم رأس دجاجة من بلاد غينا بأفريقيا ولها منقار صلب ، وهي عارية من الريش وتتكون من عظام أشبه خوذة النارس)





( شكل ٧٣ - رسم رأس إيبيس أو أفي منجل ومنقار طويل مستدق يدفعه بسهولة في طبقة من الأرض غير قليلة السمك فيخرج الديدان والحشرات وهو مفيد للزراعة )



( شكل ٧٤ - رسم جل الماء وقد أعدّه الله بمنقار كاقربة لأنه لا يتغذى إلا بالسمك فهو يحمل الأسماك في جعبة هذا المنقار لأفراخه الصغار )

### ﴿ اللطيفة السادسة ﴾

( في قوله تعالى - وتكاملنا أيديهم - وكيف تكاملت الأيدي في زماننا )

### ﴿ الاجرام في اليابان والطرق الحديثة لمكافحته ﴾

من هراء اقول أو تحصيل الحاصل ذكر ما ختمته اليابان في نصف القرن الأخير من التقدم العظيم في مختلف العلوم والفنون مما أدهش العالم وجعلتها محل احترام أرقى الأمم الغربية الحديثة فان ذلك معلوم مشهور لا يحتاج الى بيان وتفصيل . وإنما الذي حداني اليوم أن أكتب بعض الشيء عن ناحية معينة من نهضة اليابان وهي ناحية الأمن والطرق الحديثة المتبعة في مكافحة الاجرام هو ما تعمل له حكومتنا الآن من تعديل نظم البوليس والامن العام تعديلا يمتشي مع حالة العصر الذي نعيش فيه ويتكافأ مع النظم المتبعة في أوروبا وأمريكا حتى لا يكون هناك اعتراض من جهة ما على ما نطلبه من توحيد القضاء ومساواة الجميع من أجنب ووطنيين أمام قانون البلاد . الذي لفتني الى دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على الطرق العلمية الحديثة هو حادث قتل



ارتكب في ضاحية من ضواحي توكيو اطلعت عليه أخيرا في إحدى المجلات الأمريكية . وهو وإن يكن حادثا عاديا في ذاته يحصل الكثير من أمثاله بل ماهو أشد فظاعة وغموضا منه في أى بلد من البلاد : وقد يصل رجال الأمن في تلك الجهات الى معرفة الفاعل بعد تتبع اجراءات كثيرة وبذل مجهود عظيم . انما محل الاعجاب في موضوعنا هذا هو حسن قيام البوليس اليابانى بواجبه وتوزيع العمل بين رجاله توزيعا روعى فيه التخصص واتكأه على الرجال الفنيين ذوى الخبرة الواسعة في كشف الجرائم وتبين أسرارها هو الذى كلل مجهوداتهم بالفوز في القبض على المجرمين والأشرار في معظم الحوادث الجنائية مما صان هيبة الحكومه في نظر الجميع . وقد انتج ذلك أثره في تقليل الجرائم بأنواعها . ولأجل أن يحكم القارئ بنفسه على دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على العلم نسرد له باختصار هذا الحادث على سبيل المثال . وقبل ذكر موضوع الجريمة نقول إن بصمات الاصابع كانت العامل الاكبر في اثبات شخصية المجرم .

### ﴿ موضوع الجريمة ﴾

تاروكاوايستي شاب يابانى في العشرين من عمره أحب فتاة من بنات جنسه تدعى تيسوك كوجيكى ، عاملة في أحد المحال التجارية بتوكيو ولكن هذه لم تبادله حبه لفظاظه أخلاقه وادمانه الخمر وصارت تباعده كلما حام حولها فأدى سلوكها هذا الى تحريك كوا من الحقد والبغض في نفسه الشريرة وصمم على الاقتصاص منها جزاء معاملتها له . ففي ليلة ظلماء في إحدى حارات ناحية هودوجايا من ضواحي توكيو وجد نفسه وجها لوجه مع كوجيكى معشوقته فبه مجرد رؤيتها تغلبت عليه روح الوحشية والشروط . منها عتته طعنات قاتلة في رأسها بخنجر كان قد أعدّه لهذا الغرض ، وبعد انتهائه من فعلته الشنعاء مسح الخنجر من الدم بواسطة حزمة من الكلا الذى ينمو بطبيعته في الحقول المجاورة لمكان الحادث . ولكن أثناء تنظيفه للخنجر انطبعت بصمة ابهامه الأيسر على السلاح بدون أن يلاحظ ذلك ، وبمجرد فراغه من عملية التنظيف ألقى بالسلاح على الأرض في جهة مجاورة لمحل الحادث ولاذ بالفرار تحت جناح الظلام . ولو كان يعلم أن في القائه السلاح منطبعة عليه بصمة ابهامه فيه تسليما لرقبته للجلاد لكان له رأى في احترام القانون يخالف ما قدمت يداه .

### ﴿ العثور على الجثة ﴾

لم تمر الا برهة وجيزة حتى عثرت الشرطة المارة بالجثة ، وفي الحال أبلغت الأمر لبوليس توكيو . كان أول من وصل لمحل الجريمة هم رجال تحقيق الشخصية مع الآلات الفوتغرافية والنظارات الميكروسكوبية والمواد الكيميائية والمساحيق والفرش الخاصة باظهار البصمات الخفية وكذلك الطبيب الشرعى فباشروا عملهم بكل دقة وعناية حتى توصلوا الى اكتشاف السلاح الذى ارتكبت به جريمة القتل وبحثوه بكل دقة فوجدوا بصمة ابهام منطبعة عليه فأسرعوا بنقلها على ورق الشمع (ورق خاص لهذا الغرض) ووضعوا عليها غطاء من السيلويد لحفظها ، وكذلك رسموا الجثة ومحل الحادث والجهات المجاورة له . وبحثوا عن كل الآثار التى قد تفيد في كشف سر الجريمة . ابتدأ رجال تحقيق الشخصية في بحث البصمة التى عثروا عليها فكبروها وصاروا يدرسون ماثات الخطوط والنقط الدقيقة عليهم يجدون اصحابها سجلا خاصا في محفوظاتهم . وعند فراغهم من تقسيمها للتقسيم الفنى حفظوها في سجل خاص بها لعدم العثور على بصمات اصحابها محفوظة في الادارة . وانتظروا التحريات التى يقوم بها البوليس السرى (البوليس السرى هناك كما هو الحال في أوروبا مكون من رجال فنيين في علم الاجرام درسوا دراسة علمية خاصة فدربوا على القيام بعملهم أحسن تدريب)

ارتكب تاروجريمته في مارس وبعد مرور سنة من ارتكابها اعتقد أنه قد عفا النسيان على فعلته الشنعاء فاطمأن باله وذهبت هواجسه واشتغل عاملا في حانات الخمر والقهوى متنقلا من احداها الى الأخرى لم ينم الكشافون عن مواصلة بحثهم لكشف الستار عن سر هذه الجريمة ، ففي أغسطس الماضى سنة ١٩٢٧

قبضوا عليه في محل للعب الميسر سبى السمعة مشهور بأنه مجمع الاشرار وذوى السير المعوجة . لم يفزع تارو من البوليس وسخر من أخذهم لبصمات أصابعه لاعتقاده أنه ليس لبصماته سجل محفوظ من قبيل حتى يمكن معرفته وإداته في جريمة القتل . أرسلت بصماته لإدارة تحقيق الشخصية فوجدت إبهامه الأيسر مطابقا تماما للإبهام الذى وجد منطبعاً على الخنجر الذى استعمل فى ارتكاب الجريمة . عند ذلك تأكد البوليس أن القاتل قد وقع فى قبضته . أودع تارو والسجن وسردت له فيه قصة جريمة القتل الذى ارتكبها منذ سبعة عشر شهرا ووضعت أمامه الصورة الفوتوغرافية لجثة القتيلة برأسها المهشم والخنجر الذى استعمله فى ارتكاب الجريمة فأخذ الرعب يدب فى قلبه وصار يهذى هذيان المحموم واعترف بما قد أثمت يده . هذه هى خلاصة الاجراءات التى اتبعت فى هذه الجريمة وهى تدل على إحكام نظام البوليس فى اليابان وعلى أن رجال الخنط فى تلك البلاد تربوا تربية فنية خاصة ونظموا عملهم على أحدث القواعد العلمية بل كان لهم فضل كبير فى استنباط طرق علمية لظهار بصمات الاصابع أخذتها عنهم بلاد عريقة فى المدنية والعلم . إدارة تحقيق الشخصية والمباحث الجنائية فى توكيو وهى أهم إدارات البوليس من حيث أنها عماد البحوث الجنائية ففيها تتركز جميع المعلومات الخاصة بالجرائم فى امبراطورية اليابان وجزيرة فرموزا وكوريا . وتحفظ السجلات الخاصة بالمباحث الجنائية مع حفظ بصمات المجرمين وصورهم الفوتوغرافية . وكذلك آثار الاقدام والبصمات الفردية التى يتركها الجناة فى محال الجرائم . وتسجل بصمات المجرمين وتحفظ على حسب طريقة الاجرام التى يقبها المجرمون فى ارتكاب جرائمهم . وهذا النظام يفيد كثيرا فى سهولة العثور على المجرم لأن طريقة ارتكاب الجريمة تحصر البحث فى عدد معين من المجرمين اعتادوا تنفيذ جرائمهم بطريقة خاصة ليس من السهل أن يجيدوا غيرها . ويتبع هذه الادارة رجال البوليس السرى الذين يناط بهم التحرى عن الجرائم وكشف أسرارها . وعلى العموم فجملة النظام المتبع فى هذه الادارة هو مايجرى عليه العمل فى اسكتلنديارد فى لندن وإدارة البوليس العامة فى باريس

### ﴿ متحف الجريمة ﴾

يوجد بالادارة متحف هائل تحفظ به جميع الآثار التى يعثر عليها فى محال الجرائم بعد أن تكون قد بحثت بكتريولوجيا . فيشاهد به مجموعة كبيرة من الاسلحة والملابس اليابانية والاوروبية على اختلاف أنواعها والاجهزة والآلات التى تستعمل فى كسر الخزائن الحديدية وأوان زجاجية ومعدنية وغير ذلك من الآثار التى كان أو يكون لها شأن فى اثبات الجرائم . ومن ضمن الآثار الهامة المحفوظة فى هذا المتحف هو هذا الخنجر الذى قتل به الرئيس هارا رئيس وزارة اليابان منذ بضع سنوات فى محطة توكيو .

### ﴿ الاستاذ يوشيكافا ﴾

رأس ادارة تحقيق الشخصية والمباحث الجنائية فى اليابان الاستاذ سومينشى يوشيكافا أحد خبراء العالم القلائل فى المسائل المتعلقة بالاجرام والمجرمين وخاصة فى كشف الجرائم الغامضة وهو استاذ ضليع فى فن بصمات الاصابع والتصوير الشمسى ، وكشاف ماهر للآثار الدقيقة التى يتركها المجرمين أثناء ارتكاب جرائمهم يستعين بالبحث الكيمائى الكهربائى والميكروسكوبى وجميع الوسائل الأخرى التى تلزم لهذه البحوث . ان الاستاذ يوشيكافا درس الطرق الفنية لبصمات الاصابع الجارى عليها العمل فى اسكتلنديارد فى لندن وفى إدارات البوليس فى نيويورك وباريس وبرلين وهامبرج وفيينا . ولم يكتف بذلك بل واصل البحث والدرس حتى جعل لنفسه مكانة علمية لم ينلها الا القليلون فى العالم . يرجع اليه الفضل فى اكتشاف أنه لو استعملت نترات الفضة فى اظهار بصمات الأصابع ثم عرضت البصمات بعد ذلك للأشعة فوق البنفسجية لوضحت وضوحا تاما . وقبل اكتشافه هذا كان كثير من البصمات يعتبر عديم القيمة لعدم وضوح رموزها وضوحا كافيا . ولهذا كان يفلت كثير من المجرمين من يد العدالة . فتصوركم أدي هذا العالم الى العدالة والانسانية من الخدمات ، اذ أن فى الاقتصار



من المجرم حياة المجموع . هذا هو مجمل نظام القسم الفني الجنائي للبوليس في اليابان ذكرناه كمثال للنظام  
الحديثة للبوليس التي أنادت كثيرا في مكافحة الاجرام وحصر دائرته  
محمد جمال الدين  
مساعد مدير تحقيق الشخصية

### ﴿ مسامرة ﴾

حدثني أحد نظار المدارس المصرية . قال : أسلم عالم ألماني فمثل لماذا أسلمت ؟ قال : لأنني قرأت في القرآن  
المترجم بالألمانية آية - بلى قادرين على أن نسوي بنانه - وعلم بتحقيق الشخصية المبني على البنان لم يعرف  
إلا في زماننا هذا فعرفت أن هذا كلام الله فأسلمت اه

### ﴿ النطق بلا لسان ﴾

( حوادث واقعية غريبة )

كان العالم الانجليزي هكسلي في مقدمة الذين يجزمون بإمكان النطق بلا لسان . وقيل إن الذين يصابون  
بداء السرطان يفقدون لسانهم في بعض الأحيان ولكن بعضهم يملقون ويميزون الطعم بعد فقدده ، وما  
يروي في هذا الصدد أن هنري الظالم قطع السنة بعض المبشرين بالانجيل سنة ١٨٤٤ ميلادية ، فلبث بعضهم  
زمانا حتى عادوا الى الوعظ والارشاد من غير لسان ، وأن البابا ليون الثالث فقد لسانه أيضا ولكنه لم يمتنع  
عن الكلام والذوق . وفي سنة ١٧٤٢ م خصت لجنة من الأطباء في انجلترا فتاة فقدت لسانها ورأت انها  
تحسن النطق والكلام مثل غيرها من الناس . وفي بلاد الانجليز الآن رجل بلغ السبعين من العمر قطع لسانه  
من نحو ١٣ سنة وهو يتكلم ويغني ويذوق بلا عناء . وأما التعبير عن المراد بالحركات والاشارات فمن الامور  
السهلة . ولبعض القبائل في الحديث اشارات وحركات تزيد على الألفاظ عددا . وأكثر الاوروبيين استعمالا  
للإشارات في الكلام أهل ايطاليا وأقلهم استعمالا لها الانجليز . انتهى من ﴿ المصور ﴾

### ﴿ تذكرة ﴾

( في قوله تعالى - ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون - )

وفيها بيان أقوال علماء العصر في هذين السؤالين : « الأول » متى يعيش الانسان ١٤٠ سنة ؟  
« الثاني » كم يجب أن نعيش ؟ ترويحاً لعقلاء المسلمين مع فوائد تليق بالمقام . فهناك ما جاء في مجلة كل شيء  
وهذا نصه :  
﴿ متى يعيش الانسان ١٤٠ سنة ؟ ﴾

( حديث مع الاستاذ فورونوف )

الاستاذ أوالدكتور فورونوف معروف في القاهرة مذكأن طبيباً فيها في أوائل هذا القرن وطيباً خاصاً  
للسراى الخديوية . ثم لما انتقل الى أوروبا واشتغل بتجاربه المشهورة في اطالة العمر وتجديد قوى الشيوخ  
بالتلقيح وتجربة ذلك أولاً في القروود وغيرها من الحيوانات طار اسمه في كل ناحية لا كطبيب بل كمبشر بإمكان  
اطالة الأعمار الى ما فوق المائة وبإمكان عود الشباب الذي تفرحت عليه أجفان الشاعر الباكي القائل :

ونحت على الشباب بدمع عيني \* فلم يمد البكاء ولا النحيب

وقد جرى له حديث مع مندوب مجلة انجليزية فقال : « إن الأم التي تكون أول من يدفع اليها ولدها  
لتجربة عملية تجديد الشباب فيه قد تكون مؤسسة نوع انساني جديد وقوى . اعطنى أولادا تشتغل فيهم  
شرارة العبقري وأنا أربي لك نوعاً من السوبرمان أى الرجال الكاملين يكون عمر الواحد منهم فوق المائة

ويكون في الوقت نفسه قويا ونشيطا وعاملا بدنا وعقلا كالشباب منا . ومشروعى هذا الذى بدأ بعمليات تجديد القوى فى الأجسام الضعيفة قد يظهر كالجدل فى عيون غير العارفين ولكنى أثبت بعد امتحانات طويلة ودقيقة صحة الدعوى التى ادّعتها من وقت الى آخر حتى امتلأ صدرى أملا من جهة المستقبل واعتقدت امكان اخراج آرائى فى هذا الموضوع من القول الى الفعل . بدأت تجاربى بالكباش فنقلت غدة حيوية من كبش حولى الى كبش مسن فى أواخر عمره فكانت النتيجة على ما يرام حتى أعدت التجارب فى حيوانات أخرى فجاءت أحسن من الأولى ولكن عمل الطبيب يجب أن يكون دقيقا فالواجب لذلك أن تعاد التجارب المرة بعد المرة بلا ملل . وبعد ذلك أخذت الغدد التى لقحت بها حيوانا تجددت قواه فحصلت بذلك على برهان مزدوج . ذلك بأن الحيوان الذى استؤصلت منه الغدد عاد فتقهقر الى ما كان عليه إذ جعل يهزل وفقد شهيته الى الطعام وسقط شعره أو صوفه حتى بلغ درجة من الانحطاط أخطأ مما كان عليه قبل عملية التجديد الأولى . فقلت فى نفسى اذا نجحت هذه العمليات فى الحيوانات فلماذا لا تنجح فى الانسان ولكن عرضت لنا هذا صعوبة وهى قلة الرجال الأقوياء الذين يقدمون أنفسهم لمساعدة الضعفاء ويضحون بمثل هذه التضحية الغالية مع ان استئصال هذه الغدد من الأقوياء الأصحاء لا يؤثر كثيرا فى أحوالهم الطبيعية ولكن تلقيح الضعفاء بها ينفعهم أيما نفع ، وهنا بدأت تجاربى فى النسانيس ويقول علماء الطب ان الشمبانزى أقرب هذه الأصناف الى الانسانية ، واذا أخذت قطرة دم من الانسان ووضعت تحت الميكروسكوب هى وقطرة من دم نسانس لم يمكن معرفة الواحدة من الأخرى ، وقد جاءت تجاربى فى النسانيس ناجحة جدا ، وفى مدة خمسين سنة أو أقل يمكن عمل عمليات مذهلة فى الناس ، وليس تجديد قوى الشيوخ بالتلقيح هو غرضى الأعظم بل ان غرضى الأعظم هو تلقيح الذكور الذين سنهم بين الثامنة والعاشرة بالغدد فتكون النتيجة إيجاد نسل من الرجال المتفوقين (سو برمان) أما معظم الصعوبة الآن فقلة النسانيس ، ولكنى وضعت مشروعا للمحافظة على هذه الحيوانات النافعة ، وأصدرت الحكومة الفرنسية بناء على طابى أمرا بمنع صيد الشمبانزى فى المستعمرات الفرنسية وبأن لا يصدر منها إلا لغرض طبي . ثم قصدت الى (مدريد) وقابلت ملك اسبانيا فأصدر أمرا مثل هذا فيما يخص المستعمرات الاسبانية . وهكذا صنع ملك البلجيكيك عند مقابلتى إياه فى عاصمته بلأضاف الى مثل هذا الأمر إصدار تعليمات بأن يجعل جزء من الكنفو البلجيكية حيث تكثر النسانيس مستودعا لها حتى تتم المعدات التى اتخذها لإصدارها منه . وآمل أن تساعدنى الحكومة الانجليزية بمثل هذه الطريقة . وقضيت أشهرا من السنة الماضية أفقش عن مكان بين جنوا ومرسيليا يصلح ليكون مزرعة لهذه الحيوانات حتى وجدته وفيه الآن نحو مائة منها . فاذا نجحت وكانت المزرعة ملائمة لصحتها فلم تضعف بتغير الاقليم فى عزمى انشاء سلسلة منها من (نابلى) الى (مرسيليا) بمساعدة الحكومة الفرنسية . ويجب أن يكون عمر الشمبانزى (٦) سنوات الى (٨) قبلما يصلح لأن تستأصل غدته ويلقح بها الانسان . ومتى تغلبت على جميع الصعوبات وامتلات مزارعى حيوانات شديدة شرعت فى تجاربى على قدر كبير . وقد عملت الى الآن (٦٠٠) عملية ناجحة والعملية بسيطة جدا لا يحتاج فيها إلا الى مختبر موزعى ولا يبق صاحبها راقدا أكثر من اسبوع . وأقول الآن عن اقتناع انه لا ينصرم القرن العشرون حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ وازالة غبار السنين عن وجوههم كثيرة الغضون والأسارير وأجسامهم المحدودة الهزيلة . ويمكن أيضا تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر الذى هو الآن سبعون سنة على الغالب وسيدقى الدماغ والقلب صحيحين الى الآخر . وقد يمكن تغيير الصفات والشخصيات والعادات بهذه الطريقة فتقل الجرائم وتخلق العبقريات وتفرغ الشخصيات فى قوالب على حسب الطلب . ومهما يكن زمان ذلك بعيدا فما لا ريب فيه أن القروء ستكون أساس أمة قوية عتلا وجسما ودماغا وقلبا ونموا وذلك كله بواسطة التلقيح بغددها . اه



﴿ كم يجب أن نعيش ؟ وفوائده أخرى ﴾

يقول هوفلند أحد العلماء الذين صرفوا عنايتهم الى درس الحياة في كتاب وضعه وجعل عنوانه « فن إطالة العمر » ان المرء يولد مستعداً للحياة قرنين من حيث تركيب بنيته ونظام قواه قياساً على ما نراه في الحيوانات . أليس الانسان حيواناً مثلها ؟ على أن هوفلند لم ينفرد في هذا الرأي . فكل الذين يدرسون طبائع المخلوقات يرون رأيه ويرون طلائع النور من أبحاثهم بإمكان إطالة العمر فيسعون الى التجارب والامتحانات المتعددة . ومن الملاحظات الحرة بالنظر ما ذكره بعضهم عن النسبة بين عمر البلوغ والعمر التام فقالوا انها في الحيوانات على اختلاف أنواعها تكون كنسبة واحد الى ثمانية أى ان الكلب يبلغ أتم نموه في سنة ونصف فهو يعيش اذا لم يعرض أو يقتل بحادث ما ١٢ سنة والحصان يبلغ أتم نموه في ثلاث سنوات فهو يعيش ٢٤ سنة وقس عليهما سائر الحيوانات الدنيا . واذا اعتبرنا الانسان من حيث تركيبه البدني حيواناً وكان نموه لا يتم قبل بلوغه الخمسة والعشرين عاماً فن الضرورى أن يعيش مثنى سنة ويدعم هذا الرأي ما نراه من حياة بعض الناس الذين عاشوا أعماراً طويلة . إن هنرى جنسكس الانجليزى الذى ولد في ولاية يورك بانجلترا عاش ١٦٩ سنة ولما بلغ سن ١١٢ كان يحارب في معركة فالورفيلد . وجون بافن البولندى عاش ١٧٥ سنة ورأى بعينه ثلاثة من أولاده يتجاوزون المئة من أعمارهم . ويوحنا سورتنتفون النروجى الذى توفى سنة ١٧٩٧ عاش ١٦٠ سنة وكان بين أولاده من هو فى المئة والخمس سنوات . وطوزمابار عاش ١٥٢ سنة . وكورتوال ١٤٤ سنة . على أن أكثر من عاش بين البشر حديثاً على ما يعرف هوزنجى بلغ ٢٠٠ سنة والاحصاءات تدل على أن أعمار الناس أطول في اسوج وزوج وانجلترا منها في فرنسا وإيطاليا وكل جنوبى أوروبا كما ان الذين عاشوا هذه الأعمار الطويلة انما عاشوها ببساطة وكانت حياتهم حياة جد وعمل لامشاحة في أن العمل والعادات والاعتدال من العوامل الرئيسية لإطالة العمر . فالافراط في كل أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعى انما هو سبب تقصير أعمارنا . ومن رأى البعض أن العبودية هى السبب الأهم في تقصير العمر . العبودية للشهوة والتقليد والبطالة والذى . فاذا حاولنا التخلص من عبودية المدنية الحاضرة والانصراف الى كل ماهوة نونى وبسيط يمكننا مع الاعتدال أن نعيش مثنى عام بشرط آخر هو أن لا يكون علينا استحقاقات شهرية ولا مسؤولية عقلية تقضى على سلام حياتنا اه

﴿ رأى نابليون فى الطب ﴾

اشتهر نابليون بونابرت بميله الشديد للمطالعة واحراز الكتب النفيسة وبتقديره للطب والهيجين وكان ميله للعلوم الطبية قويا الى حد أنه تعلم علم التشريح وأتقنه اتقانا لكنه لم يستكمل دراسة الطب لانجاء آخر دفعه اليه القدر . أما ميله للطب والهيجين فكان بمقدار كرهه للدواء والعقاقير معتمداً كل الاعتماد على ( الطبيعة الشافية ) ومحبذا طريقة البابليين الذين كانوا يلقون المريض على قارعة الطريق حتى اذا مر به عابر أصيب بمثل ذلك المرض وشفى منه أرشده الى العلاج الذى كان سبب شفائه . ومن أقواله ان الأدوية لاتفيد سوى جماعة الطراز القديم وكان دواؤه الوحيد الحية والاستحمام بالماء الساخن والماء المالح . وقد قال يوما لأحد الأطباء : « إن الجسم آلة تطاب الحياة وهو مركب لهذه الغاية فقط . فلندع فيه الحياة تموت وتحيا كما تشاء ولندعها تدافع عن نفسها بنفسها فانها تفعل أكثر جدا مما تفعله أدويتكم التى تشل حركتها على الدوام » ومن أقواله أيضا : « إن الجسم يشبه ساعة تسير سيرا طبيعيا منظما مدة من الزمان وليس لساعاتى ما أن يفتحها أو أن يعالج ما اختل في نظامها إلا باحتراس كثير وعيناه معصبتان . واذا وفق ساعاتى واحد بعد عناء عظيم وعذاب طويل الى أن يصلح شيئا مما أفسده الزمان في ساعة جسمنا فكم وكم من الأغبياء يفسدون هذه الآلة المحيية التى صنعها الخالق سبحانه وتعالى » اه

{ وصايا طفل يخاطب والديه }

(في سنته الأولى) : الأظقة الشديدة تنهك جسمي النحيل الرخص فلا تشداني بها والافعل القليل حلا وثاق من تلك الأربطة لأتنفس قليلا ويجري الدم في عروقي

(في الثانية) : النظافة تنفع جسمي الغض وتقويه فأغسلاني مرة أو مرتين في اليوم كل يوم والافعل القليل مرة في الاسبوع

(في الثالثة) : القبلة تنقل الى جرائم الأمراض الضارّة والأسقام المؤلمة فلا تقبل أغرى وخذى وعيني ولا تسمح لأحد بتقبيلي والافعل الأقل قبل يدي فإنها تكفي

(في الرابعة) : الزهرة خارج المدينة مفيدة لي والهواء النقي ينعشني ويقويني فسيرا بي لأتمتع بمناظر الطبيعة الجيلة المقوية والافعل القليل اصعدا بي الى السطح

(في الخامسة) : العاشرة الرديئة تفسد أخلاقي فلا تتركاني تحت رجة الخادمة أو بين أولاد الأزقة والافعل القليل اجتمعوا بي وحدثاني ولاطفاني ولوساعتين في النهار

(في السادسة) : المدرسة مصدر سعادتي في المستقبل فانتخب لي مدرسة وطنية جامعة لأرضع فيها لبان العلوم العالية والافعل القليل العلوم البسيطة اه

{ عمر المخلوقات }

جاء في مجلة « كل شيء » مانصه :

يتقوّل الناس ان كثيرا من الحيوانات والطيور تعمر أكثر من الانسان ولكن ظهر بعد فحص عمومي لمعدّل أعمار المخلوقات على أنواعها أربعة فقط منها تعيش أكثر من الانسان وذلك مع عدم الانتباه للشواذ وهاك بيانها :

(١) السلحفاة ١٥٠ الى ٢٠٠ عام

(٢) نوع من السمك الألماني ١٠٠ الى ١٥٠

(٣) العقاب ذوالرأس الأبيض ٥٠ الى ١١٨ عاما

(٤) النسر ٥٠ الى ١٠٤ عاما

واليك معدّل أعمار بعض المخلوقات : الكلاب ٣٥ - الخيل ٤٠ - البقر ٢٥ - الهر ٤٠ - الدجاج ٣٠ - البط ٧٥ - الأسد والفمر ٢٥ - والسمعون (نوع من الأسماك) يعيش عادة مائة عام . والضفدع الاوروبي ٣٦ ويصل عمر التمساح الى الأربعين ، وأقصر الأعمار توجد بين الحشرات ، فنوع من الخنافس يعيش من ساعة الى ثلاث ساعات ، والذبابة ٣٤ يوما ، ولكن خنافس الأشجار تعيش أكثر من سائر الحشرات إذ انها تعمر ٣٧ عاما . انتهى ما أردته من المجلة المذكورة

\*\*\*

لما كان هذا التفسير يراد به ارتقاء العالم الانساني لاسيما المسلمين انتهزت كل فرصة لافادة العقلاء بتجارب أمثالهم ليحذوا حذوهم . فهاك ما جاء في جريدة الاهرام يوم ١٩ مايو سنة ١٩٣٠ م تحت عنوان « كلمة شفيق باشا في الاحتفال ببلوغه سن السبعين » وهذا نصها :

سيداتي سادتي : قضيت سبعين حجة طويلة مررت فيها بأيام سعيدة وليالي هنيئة ، واسكني أعد هذا اليوم أسعد أيامي ، فأنا في جمع من خلاصة أصدقائي واخواني . ليس فيهم إلا كل برّ وفيّ يشاطرنى ما أحله له في أعماق نفسي من حب ووفاء

زملائي الأعزاء رجال الرابطة الشرقية : يسرّني أن أتوجه بالشكر اليكم على تذكركم الذي يزيدني قوة



ونشاطا وسأحفظه بقية حياتي عنوان الثقة الغالية كما أشكر حضرات الذين تفضلوا فأطرونى اطراء مبالغاً فيه وأشكر جميع الذين شرفوني والذين حالت أعذارهم دون اسعادي بوجودهم فأرسلوا نهارهم بالبرق وبالبريد سيداتي سادتي : سألتى صديقي اسماعيل بك شيرين أن أبسط لحضراتكم ما أعتقد سرّ الفشاط والصحة في هذه السن المتقدمة . وعندى أن ذلك يرجع الى أسباب اتباعي أوامر الله بابتعادي عن تعاطي المشروبات الروحية . وما ساعد على ذلك أنه كان لنا جار مدمن لا يعود الى داره إلا وهو نشوان فتترجح رأسه بين كتفيه وتسلمها حائط الى أخرى ولا يكاد يعي مايقوله . وذات ليلة ممطرة رأيته محمولا الى الدار بخفيرين أحدهما من يديه والآخر من رجليه وهو ماطخ بالوحل . انطبعت هذه الصورة البشعة في ذهني فزادت نفوري من الخمر وكراهيتي لها . ومنها انني لم أدخن أبدا ولم أتعاط القهوة عادة إلا قليلا منها ممزوجة باللبن وقد اندهش بعض اخواني لذلك فهمست في أذنه عن السبب واسمحوالي فلا أفصح عنه لأنه لا يقال إلا بين الرجال . ومن ذلك أيضا عدم الإسراف في ملاذ الحياة ، فلا في الأكل كنت نهما . ولا في غيره كنت مسرفا . وكانت البساطة وما تزال ملاك حياتي ، فاذا لم أصادف الفراش الناعم والخبر اللين رضيت مغتبطا بالفراش الخشن والكسرة الجافة ومنها تعودي الرياضة ، فأنا مولع بالمسير على الأقدام حيث أمشي الساعة والساعتين والثلاث في اليوم ، فاذا عدت الى مستقرتي أكلت بشهية ونمت براحة مبكرا كما أستيقظ مبكرا . ومنها انني لم أعود التفريط في وقتي فكنت منتظما في ساعات عملي وأوقات راحتي ورياضتي ولا أقتل الوقت في القهاوى والملاهي نلسم هي الأسباب الأولى عندى التي أشكر الله عليها وأسأله المزيد حتى أتمكن من أداء ما يثقل كاهلي من دين على للتاريخ ألا وهو نشر مذكراتي في نصف قرن و بعد ذلك فعلى الدنيا السلام . انتهى كلامه والى هنا تم الكلام على اللطيفة السادسة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ اللطيفة السابعة ﴾

( في قوله تعالى - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - الخ )  
 جمال الله تجلى في الأنفس وفي الأشجار وفي كل مخلوق ، المادة كما تقدم في ﴿ سورة النور ﴾ عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - عبارة عن نقط كهربائية يدور سالها حول موجبها (٦) آلاف مليون مليون مرة في الثانية فانظره هناك ، فان الشجر والحجر والأرض والسماء كلها نور تنوعت حركاته فتتوالت مناظره فقل هذا حديد وهذا ماء وما هذا وما ذاك إلا تلك الأنوار الكهربية الجارية حول بعضها ترسم دوائر كدوائر الكواكب حول الشمس وبينها فرجات ومسافات وهي المسام تعادل المسافات بين الأرض والسيارات وبين الشمس . إذن المادة لم تخرج عن كونها مادة نورية غليظة وغلظها انما جاء في نظر أعيننا . هذا هو رأى علماء العصر الحاضر وهذه الحقائق اختفت عن عيوننا ، فلما خلقنا الله في الأرض أحوجنا الى الغذاء والغذاء احتاج الى الحرارة ، وهكذا أجسامنا اعتراها البرد فاحتاجت الى الدفء ، لهذا خلق الله النار ولكنها مخبوءة في الشجر والحجر فألهم الآباء أن يحكوا عودا يعود فظهرت النار ففرحوا بها . الله لا يريد أن يعطينا شيئا إلا اذا اشتقنا اليه ومتى اشتقنا طلبنا ومتى طلبنا نلنا علما منه بأننا لانبالي بما لانطلبه . هذه النار التي أوريناها من الحجر ومن الشجر عالم لطيف يذكرنا بالنور الأصلي وهو النور الذى منه كانت المادة وهو أقرب الى اللطافة والجمال ومذكر بنور الكواكب والشمس والقمر . والنار رآها موسى فقال - إني آنست نارا لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى - وقد قال بعض المفسرين : هاديا يدلنى على الله . ومتى ثبت أن المادة أضواء نورية لم يبق في الوجود الحق إلا الله . ومن عجب أن هذه الفكرة هي التي يقولها الصوفية وهي التي يقولها سقراط وأفلاطون من علماء اليونان إذ يقولون : « لا معنى للوجود الذى يتغير » والمادة

متغيرة فإطلاق اسم الوجود عليها مجاز ولا يتعلق العلم بها وإنما يتعلق بما هو ثابت . فههنا عجبتان : العجبة الأولى إيقاد النار في العصور الأولى التي منحتها الله للبشر وهذه صورتها ( انظر شكل ٧٥ )



( شكل ٧٥ - أول طريقة لاختراع النار وقد توفى اليها الانسان الفطري بشدة احتكاك قطعيتين من خشب الأشجار ولا تزال مستعملة بين سكان جزائر المحيط الهادى . فاعجب لاجهاد ستة من الرجال الأشداء كلما احتاجوا الى ما نفعله نحن فى لحظة واحدة بعود من الثقاب )

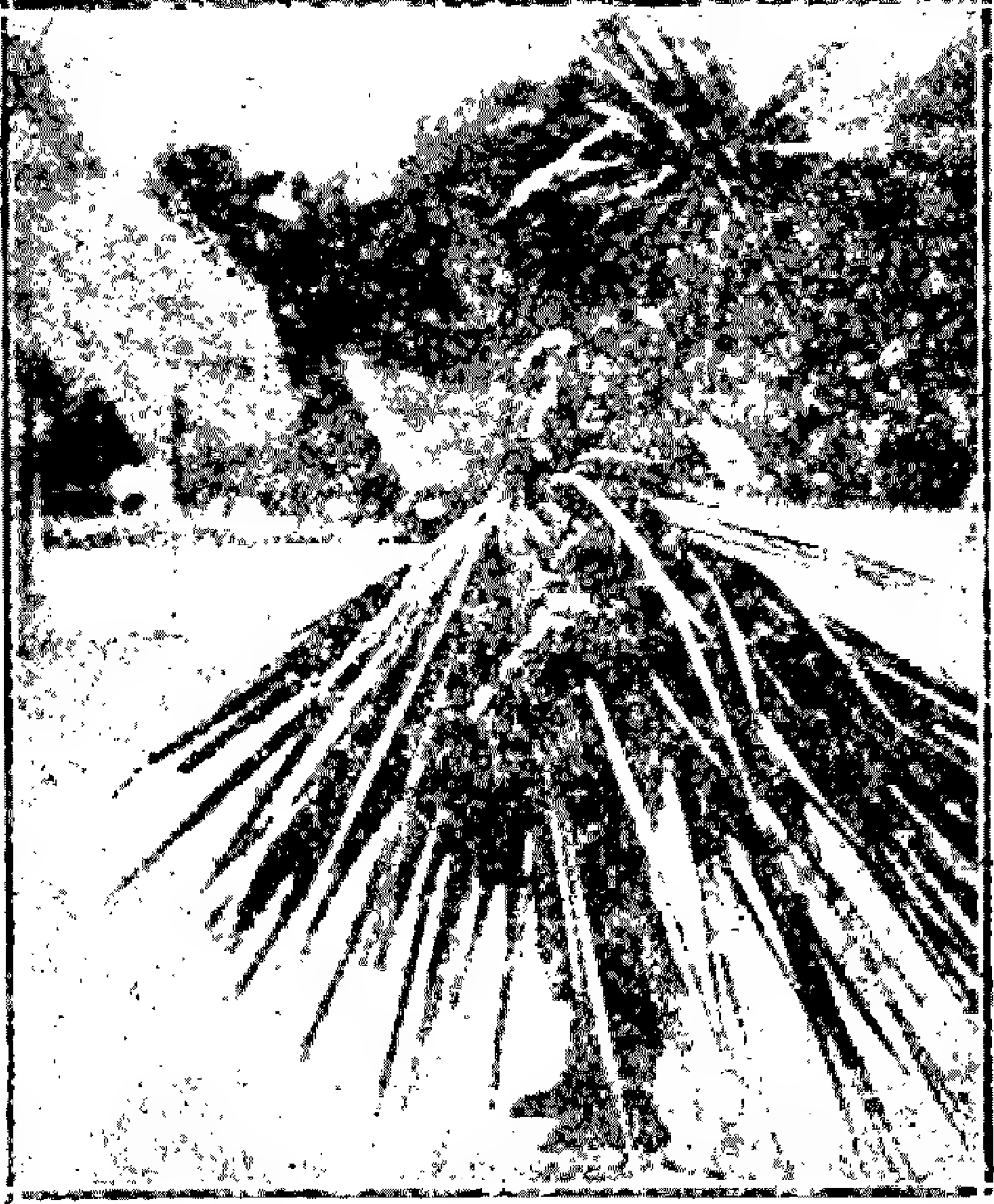
وهذه المنحة قديمة العهد جدا مجهولة الابتداء ولكنها بقيت عند أقوام الى الآن فى بعض جزائر المحيط الهادى كما ان لهم عادات من عجة إذ تفعل الأرملة بعد موت زوجها فى نفسها ما يقبح فعله ( انظر شكل ٧٦ )



( شكل ٧٦ - أرملة فى بونا جبست شعر رأسها ووجهها بالجير والطين لأن ذلك من شعائر الحزن الواجبة على المرأة هنالك عند مات فقد زوجها )



وأيضا لهم أسلحة حجرية الى الآن يستعملونها (انظر شكل ٧٧) وهكذا يضعون الورق على أجسامهم كما كان يفعل آدم عليه السلام هو وحواء (انظر شكل ٧٨)



( شكل ٧٧ - أسلحة حجرية من بلاد بابوان وقد أصبحت نادرة في جزائر المحيط الهادى إلا في هذه الجهة )

( شكل ٧٨ - رسم فارس من حاشية أحد الرؤساء في جزائر المحيط الهادى وهو مكاف بخدمة المآدب وما إليها . ولباسه الرسمى قبعة وبذلة من أوراق شجرة جوز الهند مع دهن وجهه بملاط أسود وأحمر )

واعلم أن الله أبقى هذه العجائب في المحيط الهادى الى الآن ليرينا كيف ارتقى الانسان في إيقاد ناره وفي عاداته وفي أسلحته وفي ملابسه ليعلم المسلمون الآن ومن معهم من الأمم أن في هذا العالم نعمًا قد خبئت لهم لا ينالونها إلا بالعمل . تمت العجبية الأولى

(العجبية الثانية) لا تؤخذ من الآية بطريق المفهوم ولكنها بطريق الاستنباع . ذلك ان الشجر والحجر اذا كان فيهما نار أفلا يكون في هذه النفوس الانسانية سرّ تكون نسبة النفوس الى ذلك السرّ كنسبة الشجر والحجر الى النار . نعم ذلك هو السرّ المكنون وهو الذى استخرجه أفلاطون قبل الميلاد بعدة قرون . قل ما يخصه : ﴿ مثل أفلاطون ﴾

يقول أفلاطون : « إن مثل الناس في الأرض كمثل قوم عاشوا في مغارة تحت الأرض وقد وضعوا وضعًا بحيث لا يلتفتون بمنة ولا يسرة ووجوههم مولية تلقاء آخر المغارة من الجهة المقابلة لبابها وهناك نار أوقدت وراءهم في الطريق وبينهم أيضا وبين النار سور والناس يغدون ويروحون خلف هذا السور أى في الجهة التى فيها النار وهؤلاء الذين يرون يحملون معهم صور الحيوان والنبات والشجر . فهؤلاء الذين في المغارة لا يرون إلا ضوء النار اللامع في المغارة أمام أعينهم وهم لا يرون النار ولا السور وإنما يرون تلك الصور مرسومة على حيطان المغارة أى صور الناس والحيوان والنبات . فهؤلاء لا يعلمون من الوجود إلا تلك الظلال فيسمون تلك الظلال بأسماء على حسب ما يتفق لهم . قال : فإذا أتيح لواحد منهم أن يخرج من المغارة الى خارجها فانه يرى الحقائق خلاف ما يرى اخوانه . يرى أن النبات والحيوان والانسان الحقيقي غير الخيالات . ويرى تلك

الحقائق مجسمة فعلا ماثلة وراء السور أمام النار . ثم ينظر فيرى أن اخوانه مغرورون إذ يظنون الظلال حقائق ثم ينظر هو فيرى أن الحيوان والنبات والانسان وما أشبهها ماهي إلا صور صوّرت فوق الأرض بأسباب سماوية كضوء الشمس والقمر والكواكب بل نفس النار آتية بحسب أصلها من آثار ضوء الشمس في الأشجار والنبات وهناك يرى أن السبب الحقيقي لهذه المخلوقات انما هي الشمس فيرى الليل والنهار والفصول الأربعة واذ ذاك يدهش من هذا الجمال والابداع ويعرف أصل الوجود . اهـ

فهناك ﴿ أمران ﴾ الأمر الأول ﴿ أهل المغارة يرون خيالات ﴾ الأمر الثاني ﴿ هذه الأجسام الحقيقية والنار المتقدة أصلهما الشمس . فكما أن الخيالات في المغارة لاحقيقة لها هكذا النبات والحيوان وسائر الدواب والنيران لاحقيقة لها بالنسبة للشمس . فالشمس هي الأصل والمخلوقات على الأرض تتبع لها . ثم إن أهل المغارة أشبهوا أهل الأرض والصور الخيالية في ضوء النار بالمغارة تمثيل لكل جناد ونبات وحيوان ومخلوق على الأرض وضوء النار في المغارة تمثيل لضوء الشمس . فالشمس وما تفرّغ عنها من الفصول والدهور وما خلق بسببها من الحيوانات والنباتات خيالات وصور غير ثابتة والوجود الحقيقي هو الخير المحض وهو الله تعالى فما أهل الأرض إلا عوالم لم يعرفوا الحقائق الخجوة وراء هذا العالم وهو الخير المحض الذي يدركونه اذا نظروا الى نفوسهم وهذا الخير المحض هو الله تعالى . فانظر الى أفلاطون القائل : « إن هذا العالم له مثل ( جمع مثال ) وتلك المثل دائمة وهي عوالم روحانية دائمة وأن هذا العالم فان وانه يجب علينا أن نطلب ذلك العالم الباقي ونذر هذا الفاني ولا يكون ذلك إلا بالجد والاجتهاد . فكما أن أصحاب المغارة لا يمكنهم أن ينظروا نور القمر ولا نور الشمس إلا تدريجاً بمعنى أن الواحد منهم ينظر بعد خروجه أولاً الى صور الأشياء في الماء ثم الى نجوم الليل في الماء ثم الى نفس ضوء النجوم ثم الى ضوء القمر ثم الى صور الأشياء نهارة في الماء ثم الى نفس الأشياء وهكذا كل ذلك بالتدريج ، هكذا لا يمكن الناس أن يصلوا الى الحقائق إلا تدريجاً بطرق منظمة على طريق الاحتيال والحياة كلها يجب أن توجه النفس فيها الى طرق العلم توجهاتنا لا هواة فيه ولا عوج ، وبدون ذلك لا يتسنى نيل المرغوب من الوصول لحقائق الأشياء ويقول اذا عرف الناس ذلك حقروا هذا العالم الفاني وأحبوا الوجود الحق

أقول : ولكن ليس هذا بحسب الطريق التي يتبعها جهلة المسلمين الناعمين . كلا . بل هي طريق العلم والعمل والجد المستمر . كل ذلك تشير له آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - الخ فالله عز وجل ألهم الناس فاستخرجوا النار من الشجر ، ثم ازدادوا علماً بالمتغيرات في عصرنا الحاضر عصر الراديو وعصر أعجب الاختراعات وألهم الحكماء من الناس فاستخرجوا من الظفر في نفوسهم معرفة ربهم فعاشوا في الدنيا مفكرين في اسعاد أنفسهم وأممهم والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الاثنين ١٨ مارس سنة ١٩٢٩

\*\*\*

﴿ تذكرة في قوله تعالى - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون - ﴾

( يوم الأحد ٢ فبراير سنة ١٩٣٠ عند صلاة سنة الصبح وأنا أردد آية - وهل أذاك حديث

موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً - )

تباركت يا الله وتعاليت ، وأعجبنا كلامك كما أدهشنا صنعك ، ذكرت لنا أنك جعلت لنا من الشجر الأخضر ناراً وبهذا تذكرنا آية - الله نور السموات والأرض - وانك سميت سورة باسم النور ولم تسم سورة باسم النار ، وأن رحمتك سبقت غضبك ، وأن لك شمساً كشفوها حديثاً لحرارة فيها وليس يخرج منها إلا ضوء وأن الناس اليوم يريدون أن يجرّدوا أضواء المصابيح من الحرارة البالغة ٩٦ في المائة ويحولوها الى ضوء وتصبح الحرارة (٤) في المائة والباقي يكون ضوءاً كشموسك التي جعلتها ضوءاً لحرارة فيه ، وتذكرنا قولك



في (سورة الواقعة) - نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين - وهم الذين يكونون في الصحارى المقفرة فيقذحون الزندين ويستخرجون النار . وقولك - وقودها الناس والحجارة - وقولك - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آتيت نارا -

اللهم إن شأن النار في قولك وفي صنعك لعظيم ، النار صنعك وأنت جيل فمصنوعك جيل يهيج العقول ويحير الأفكار ، جعلت النار تذكرة كما جعلتها متاعا لنا . إذن هي لعقولنا تنوير ولأجسامنا تدفئة ولما لنا مخرجة على هيئة نحر من البحار وهوائنا مجرية وهو يحمل سحبنا وهي لبناننا منمية وحيواننا منشطة ولعالمنا الأرضي كله نعمة لا عدد لأفرادها ولا حد لأوصافها

لولا الحرارة ما كان حيوان ولا إنسان . لولاها لم يكن سحب ولا رياح . النار نعمة من أجل النعم فهي والماء بهما الحياة وبهما الموت . بهما الحياة إذا اعتدلت بالميزان وبهما الموت إذا لم يكن اعتدال . الميزان بيدك وزنت عالمنا وجعلت للنار حدا وللماء حدا وقات لهما معا : أدخلنا أجسام كل حيوان وكل نبات وكونا نعمة لأهل الأرض إذا كان هناك نظام وكونا نقمة إذا لم يكن نظام . إن جسم الإنسان فيه حرارة وفيه رطوبة بقدر معلوم فإن زادت الرطوبة المائية حصل الزكام والسل وجميع الأمراض الباردة . وإذا غلبت الحرارة كانت أنواع من الحمى وما يماثلها . ومتى اشتد أحدهما هلك الحيوان . إذن لابد من الحرارة مصحوبة بالرطوبة في جسم الحيوان وهذا يشير له قولك - ومتاعا للمقوين - وقولك لعلى آتاكم منها بقبس - وهذه الحرارة الظاهرة الناجمة من الشمس ومن جميع أنواع النيران المتقدمة لها آثار في النفوس تشاكلها . وفي الحديث : إن كل أم يتبعها ولدها ، فإذا رأينا في الأجسام حرارة هكذا نرى في العقول والنفوس حرارة معنوية ولكن هذه أشد من تلك وأدوم . إذا اشتدت الحرارة على الأجسام أهلكتها ولكن إذا اشتدت آثارها كالحسد والغضب والحقد والغيرة والتعصب والطمع وأنواع العداوات وأنواع المحبة والعشق . فكل هذه إذا غلبت على الروح كانت لها عذابا وأصبا . فإذا أهلكك النار الحسية الحية في لحظة فن النار المعنوية في النفوس تلازمها وتكون لها عذابا وأصبا كما نرى ذلك في متعاطى الخمر وأنواع التبغ والحشيش والأفيون فكل هؤلاء أصبحت نفوسهم فيها نيران الشهوات الخاصة قد لازمتها ويشير لذلك - إن عذابها كان غراما -

فهذه اللذات التي لا ترحم في مطالبتها للإنسان نيران تطلع على الأفئدة وهي المعبر عنها في القرآن بقوله تعالى - لهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - وبقوله تعالى - ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد - وأوضح هذا كله قوله تعالى - ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته - فادخال النار الجسمية يتبعه الخزي والخزي هو مثل ما تراه في الدنيا من أن الإنسان قد يسلب ماله أو ماله فيخزي لشتماته الأعداء وفرحهم به . وهذا كله عذاب معنوي أشد من الحسى إذ جعله في الآية أشد من الحسى لأنه سبب الفضيحة والشتمات للعذب بها . فنحن في هذه الدنيا بين (نارين) نار ظاهرة وهي إما معتدلة وهي المتقدمة في منازلنا المديرة لآلاتنا الخازنة لخبرتنا الطابخة لطعامنا المجرية لسفنتنا المسيرة لقطرنا ولسياراتنا واطياراتنا ولعرباتنا . فهذه نعمة علينا في الأرض والبحر والهواء وفي أجسامنا وأجسام حيواننا . وأما غير معتدلة وهي التي تشب في مخازننا وفي مدننا فجأة فتهلك الحرث والنسل . ونار باطنة وهي إما معتدلة فيكون منها الحب المورث انتظام الجماعات واستقامة الأمم . والكراهية المعتدلة التي بها يكون تفرق الجماعات على الأرض ليحصل الاتقاع بقطعها المختلفة . ولو أن الله لم يجعل في القلوب إلا نار المحبة ولم يلطفها بما يضاعفها وهو الغيرة والحسد والتنافس لاجتمع الناس في صعيد واحد في الأرض وهلكوا . ولكن الغيرة والتنافس يورثان التباعد فيكون هناك ازدياد الخير والثمار . فكلما كان في النار الظاهرة نعمة لنمو النبات والحيوان ودوران الآلات هكذا في النار الباطنة نعمة . فالحب نار نافعة والبغض نار نافعة إذا كان فيهما اعتدال . فإذا لم

يعتدلا وازداد الحب حتى أعمى الحب عن المساوى أو ازدادت الغيرة والغبطة والحسد حتى جاوزت المقدار كان  
هذه الحرب والايذاء وخراب الديار . فلما رسوا أكانت ظاهرة أم باطنة منفعة لنا وقد يكون فيها الهلاك  
وهنا سألتى بعض الاخوان قائلين : أريد تلخيص هذا المقام فهو كثير الشعب لا ضابط له . فقلت : انظر  
البيان الآتى :

﴿ القبس فرعان وهما : ﴾

- ( ١ ) الحرارة
- ( ٢ ) الضوء
- ( ٣ ) الضوء معنوى يهتدى الى العلوم والمعارف
- ( ٤ ) حسى بالحواس الحس المعروفة
- ( ٥ ) أما الحرارة فهى معنوية وحسية
- ( ٦ ) فالحرارة الحسية إما أن تعادل وإما أن لا تعادل
- ( ٧ ) فان اعتدلت فهى المناع
- ( ٨ ) والحرارة التى سميناها متاعا هى إما جامعة وإما منعية وإما مديرة وإما مثيرة
- ( ٩ ) فهى فى نحو الطين والمجبن جامعة وفى النبات والحيوان منعية وآلات الأرض كسكة الحديد  
وآلات الماء كالسفن البخارية وآلات الهواء كالطيارات (مديرة)
- ( ١٠ ) وللبحار من البحار والهواء (مثيرة مبهثة) وبهذا تمت أقسام الحرارة المعتدلة التى سميناها متاعا
- ( ١١ ) أما الحرارة التى لم تعادل فهى التذكرة وهذه التذكرة تكون طاغية فى الأجسام وفى المدن والحقول
- ( ١٢ ) فالطاغية فى الأجسام تحدث أنواع الأمراض كأنواع الحيات
- ( ١٣ ) والطاغية فى المدن والحقول تهلك الحرث والنسل . وبهذا تم الكلام على الحرارة الحسية المعتدلة  
والتي لم تعادل

﴿ الحرارة المعنوية تنقسم كأقسام الحرارة الحسية المتقدمة ﴾

- ( ١٤ ) أما الحرارة المعنوية فهى معتدلة وغير معتدلة
  - ( ١٥ ) فان اعتدلت فهى إما مثيرة للعزائم فى الأعمال العظيمة
  - ( ١٦ ) وإما مديرة لنظام الفرد والأسرة والمدينة
  - ( ١٧ ) وإما منعية لملك النظم
  - ( ١٨ ) وإما جامعة للناس بأنواع المحبة
  - ( ١٩ ) والحرارة المعنوية إن لم تعادل فهى إما محدثة لأنواع الأمراض المختلفة
  - ( ٢٠ ) وإما موجبة للحرب والقتل بسبب العداوات المفرطة
- ثم قلت : فهذا الجدول المفرغ ( ٢٠ ) فرعابه تعرف أيها الذكى بعض أسرار قوله تعالى فى هذه السورة  
- الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون - فإيقاد النار عادة يكون للمناع وهذا يناسب  
قوله فى ﴿ سورة الواقعة ﴾ - ومتاعا للمقوين - وهذه لها تسعة فروع فى هذا الجدول ، وأما التذكرة فى  
﴿ سورة الواقعة ﴾ فلها فرعان وهذه هى النار الحسية وتلحق بها المعنوية بتسميها ولها ستة فروع والهدى  
المذكور فى ﴿ سورة طه ﴾ له فرعان فقط . إذن التذكرة والهدى والمناع والقبس هذه الكلمات الأربع  
المذكورة فى سور مختلفة تفرعت عليها جميع أعمال هذه الحياة ونظمها ، ثم إن الهدى والتذكرة والمناع  
آثارها فى النفس باقية فإن حرارة شوق النفوس الى العلوم وتخصيلها على مقتضى تلك الحرارة ومزاولة أنواع



الآلات الصناعية في هذه الحياة تحدث في لغوس ملكات تختلف باختلاف الأشخاص وهذه الملكات عملية في فروع المتاع علمية في فروع الهدى ولا آخرة ولاجنة ولا لقاء لله في الآخرة ولا سعادة إلا على مقتضى هذين الأصلين القوي العلمية بالهداية والقوي العملية بمزاولة أعمال متاع هذه الحياة

اللهم إني أجدك على العلم والحكمة وعلى معرفة بعض أسرار التنزيل في كتابك المقدس . إنك أنت الملهم أنت المنعم وأقول ما قاله بعض الصحابة رضوان الله عليهم :

والله لو لا الله ما هتدينا \* ولا نصـدقـا ولا صلينا

فأتران سكينه علينا \* وثبت الأقدام إن لاقينا

فأنا يا الله لولا توفيقك وإلهامك ونصرك لعبد ضعيف مثلي ما كتبت حرفا واحدا وهذا هو قول المسلم في الرفع والاعتدال في الصلاة ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجدة منك الجد ، فلك الحول ولك القوة ولك الملك والملكوت ﴾

فقال صاحبي هذا حسن جدا واضح جميل ولكن هذا الموضوع كان أليق بسورة طه أو بسورة الواقعة فقلت : نعم ولكن لم يفتح الله به إلا في هذه الأيام في أوائل شهر رمضان فأنبته في أقرب سورة الى الطبع . فقال : استوف المقام إذن لأنني أرى أن له بقیة . فقلت : لأدرى ماذا تريد . فقال : أريد إتمام الكلام على قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا - الخ . لم هذا التشويق بجملة - وهل أتاك - الخ وعلى الشمس وحرارتها فان لها بقية صالحة . فقلت : نعم هنا ﴿ فصلان ﴾ الفصل الأول ﴿ في التشويق بقوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى - الخ ﴾ ( الفصل الثاني ) في إتمام الكلام على حرارة الشمس وضوئها

### ﴿ الفصل الأول ﴾

( في الكلام على التشويق بقوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى - )

اعلم أن القصص في القرآن أريد به بعث الهمم وشحذ الأذهان . إن هذه الأمم الإسلامية التي نامت في القرون المتأخرة ستستيقظ من رقدتها بمزاولة القرآن واستكناه معانيه . ومماثل المسلم حين يقرأ علما أو يستفيد حكمة من أي فرع من فروع العلوم العلوية أو الدنيوية الحسية والعقلية إلا كمثل رجل رأى قافلة متبلة وأهله في منزله لا قوت عندهم وقد انتظروا الطعام وأنواع الأمتعة . من هذه القافلة . أورأى سحائب أقيمت وهو في أشد الجوع والعطش فأقبل اليهم يقول بشراكم ها هي ذه القافلة أقيمت أرهاقي ذه السحائب ستمطر كم وهذه عادة كل امرئ مع من يتصل به فهو إذا رأى مغنا قد اقترب وهم في انتظاره أسرع اليهم وبشرهم . وهل هذه إلا حال موسى عليه السلام . رأى نارا وهو متعب في طلب ﴿ أمرين ﴾ الهداية لله والدفع لأهله التي نضع ولا مغيث لها ولا مدين في صحراء طور سيناء . فأراه الله النار في شجرة العليق فبشر أهله بها . وهـل هذه النصيحة جاءت لمجرد حفظها أو فهمها أو معرفة بلاعتها أو مجرد الإيمان بها . كلا . والله فهذه مرتبة المجازي وصغار المتعلمين

أيها المسلمون : لا يفر منكم البلغاء ولا الشعراء ولا صغار العلماء . ألا يعلم المسلمون في أقطار الأرض أن كتب الحكماء ككتاب كليله ودمته الذي جاء على السنة الحيوانات قد قبلته جميع الأمم وهذه الحوادث التي فيه كحادثة ابن الملك والطار ( فرزد ) فان هذا الطائر كان له فرخ يلعب به ابن الملك فزرق في حجره فقتله فأقبل الطائر ففقا عين ابن الملك اقتصاصا لابنه فأراد الملك أن يخذع الطائر ويقول له أقبل و يكون بيننا الصلح فعلم الطائر انه يريد الغدر به فلم يقبل وكانت نتيجة ذلك هذه الحكمة : « انه لا أمان لعدو قوی له علينا ثأر وان أظهرنا نضرنا وملقا » وكحادثة الجرذ والسنور إذ ضرب مثلا ( لرجل كثير أعداؤه وأحدقوا به من كل جانب فأشرف معهم

على الهلاك فالتمس السجاة والمخرج بموالاته بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ثم وفي لمن صالحه منهم) ذلك أن الجرذ خرج يوما فرأى السنور وقع في شبكة الصيد ورأى ابن عرس خلفه يريد أخذه وفي الشجرة يوم يريد اختطافه أيضا فصالح السنور وهو أحد أعدائه لينجونه ومن الباقي فقطع حباله إلا واحدا حتى لا يغتاله السنور، ولما رأى ابن عرس واليوم اقترابه من عدوهما يئسا منه وانصرفا، فلما أقبل الصيد نحو السنور أقبل الجرذ فقطع الحبل الباقي فنجى السنور بذلك كما نجا الجرذ وانتهى الأمر

فهاتان الحادثتان يفرح بهما الأطفال والجهال باعتبار ظواهرهما، أما رجال السياسة ورجال الحكمة وهم سادات الأمم في الدنيا والدين، فأنهم يقولون: «ان المقصد أن الأفراد والأمم عليهم أنهم إذا وقعوا في ورطة وتألبت عليهم الأعداء أن يصلحوا بعضهم مع الاحتباس وبهذه المصلحة ينجون من بقية الأعداء ومن نفس ذلك العدو الذي صالحوه، وهذا هو الذي فعله الانكليز إذ صالحوا أمة شرقية هي اليابان إذ حاربت روسيا التي كانت تناوى انكليزا، وهكذا فليفعل الأفراد مع بعضهم، وهذه الطائفة إذا قرأت - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا - تفهم فوق ما يفهمه الجهلاء، فماذا يقولون؟ يقولون إن كل عاقل في الأرض لاسيما المسلمين عليه أن يسعى ﴿لغرضين﴾ الأول ﴿اصلاح حال الأمة من حيث الامور المادية﴾ (الثاني) ﴿اصلاحها من حيث الهداية العلمية، وهذان يجمعهما القبس والهداية، فالأول مادي والثاني عقلي وهذا هو نظام الأمم جميعها، فلانظام لأمة يخرج عن هذين الأصلين. وإذا كنا نجد مصلحة الجرذ للسنور ونجاته من ابن عرس واليوم جعلت رمزا لمصلحة بعض الدول المعادية أو الجماعات للنجاة من الجميع وهذا سر كلام فيلسوف مخلوق أفلا يكون كلام الله أولى باستنتاج الحكمة والعلم

فقال صاحبي: هذا حسن ولكن هذه المعاني مصرح بها في القرآن إذ يقول الله - وخذوا حذركم - ويقول - وان جنحوا للسلم فاجنح لها - وأمثال ذلك في القرآن كثير فلانطيل به. فقلت: نعم ولكن للرموز مزية ليست للتصريح. فالرمز آثاره قيمة نافعة عظيمة الأثر. فلناس حكم مسطورة في الكتب ككتاب ﴿الأمثال﴾ للبدائي ولهم حكايات مختلفة الأساليب وكلها ترجع لأغراض الحياة. هكذا القرآن فهو كما يقول - ولا يحق المكر السيء إلا بأهله - هو نفسه يذكر عادا وثمودا وأصحاب الرس وبختم أخبارهم باهلاك الكافرين وهذه طرق مختلفة لا بد منها كما اختلف الطعام والشراب والزروع والأدوية. كل ذلك لنظام الحياة على الوجه الأكمل

﴿آية - لعل آتيكم منها بقبس - أيضا وآثارها عند فلاسفة اليونان﴾

كتاب كليله ودمنه كتاب هندي ترجم للفارسية وترجه ابن المقفع للعربية وهاتان الحادثتان ذكرناهما هما المجرّد التنظير وان كان بينهما بون بعيد لأن كتاب ﴿كليله ودمنه﴾ قصيد بظواهره الخرافة وبيوطنه الحكمة والعلم. أما قصص موسى فظواهره حقيق لأنه نسب الى نبي مع أهله وهذا السر وقع بخلاف مسألة السنور والجرذ فهما خرافيان. وهنا أمر جدير بالتهجب وهو أن القرآن ذكر النار وقبسها والهدى في هذه الآية التي ذكرناها هنا لمناسبة آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - الخ

ذلك أن أفلاطون في جمهوريته ذكر النار في هذه المعاني نفسها قبل نزول القرآن بنحو (٨) قرون وهذا هو معنى قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - فلازلنا نرى في القرآن آيات قد تقررت وثبتت في العلم والحكمة كالذي تقدّم في ﴿سورة النور﴾ إذ يقول الله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ مع أنه لا جبال في السماء ينزل منها برد فظهر بالكشف الحديث أن في السماء جبالا من ثلج يصنع فيها البرد (انظر صورته المأخوذة ومعها الطيارة التي كان فيها المصوّر تصويرا شمسيا هناك) فهذه آية استبانة في العلم الحديث وذكرها القرآن قبل ذلك بنحو (١٣) قرنا وهكذا آية - أولم ير الذين كفروا أن



السموات والأرض كانتا ارتقا - الخ فهذه لم تظهر إلا حديثا إذ ظم لأهل العلم أن الأرض والكواكب السيارة مشتقات من الشمس وهكذا سيأتى فى ﴿سورة الحديد﴾ أن الأقباط بمصر قد عثروا حديثا على أن الرهبانية ليست من أصل الدين المسيحى ولكنها ابتدعتها رجل مصرى فى القرن الثالث المسيحى خاف من الوثنيين الرومانيين الذين يحكمون البلاد ففرّ إلى الجبال وتبطل فنجأ نصار ذلك سنة وهذا قوله تعالى - ورهبانية ابتدعوها - وأثبت بعض الأقباط فى كتاب «الخريدة النيسة» فى تاريخ الكنيسة ذلك وقلوا لم تكن نعرف هذا إلا فى زماننا ، فهكذا هذه الآية فإن قبس النار وألهى قد جاء فى كتاب ﴿جمهوريّة أفلاطون﴾ فهى آيات بينات فى صدر الذين أدتوا العلم من اليونان وجاء بها الوحى ، فإذن طابق الوحى الحكمة والفلسفة وأصبحت أقاويل الفلاسفة شروحا لآيات القرآن سواء أكانت قديمة العهد أم حديثة أم مستقبلة ، وهالك ملخص المقالة السابعة من جمهوريته ، وقد كتبنا لها ملخصا وجيزا فى ﴿سورة الأنعام﴾ عند آية إبراهيم وأنه رأى كوكبا الخ فأنوسع المقال فيها هنا فنقول :

قال ما ملخصه : « إذا أردنا أن نعرف حال النفس الانسانية علما وجهلا فلنتصوّر مغارة عميقة خلفها نار فيها أناس قد وضعوا فى الأغلال وظهورهم إلى تلك النار ووجوههم موجهة إلى الجهة الأخرى فلم يروا من الوجود إلا أشعة تلك النار قد أضأت ما أمامهم من حائط المغارة وهناك أمام النار خلف ظهورهم حائط مرتفع وبين النار والحائط طريق يمرّ فيه أناس يحملون تماثيل مختلفة من أمتعة وحيوانات ونبات وجادات ، ولا ريب أن النار المتقدة تحمل تلك الصور فتلقبها مع الحائط بضوئها فيرونها »

فأصحاب المغارة هم ضرب مثل لنا نحن سكان هذه الأرض ، فهم لا يرون إلا الضوء والأشباح المصورة فيه فلا ريب يسمونها بأسماء مختلفة ، فإذا نبغ أحدهم وخرج من بينهم فرضا وأراد مقابلة الشمس فرمى بما فى فلا سبيل له إلا أن يمصر أولا ظلال الأشياء خارج المغارة ثم ظلالها فى الماء ثم نفس الأشياء ثم صور النجوم فى الماء ليلا ثم نفس النجوم فى السماء ثم صورة القمر فى الماء ثم نفس القمر وضوءه ثم يرى صورة الشمس فى الماء ثم نفس الشمس وضوءها ، وهناك يعلم علما ليس بالظن أن الأشباح التى يراها أصحابها فى المغارة ليست حقائق بل هى خيالات لصور المواليد الثلاثة وغيرها مما على الأرض ، وكل ما على الأرض من حيوان ونبات وجاد هى حقائق تلك التماثيل وهذه نتائج للشمس . فهنا أربع مراتب : الظلال ، التماثيل ، نفس الأشياء من نبات وحيوان الخ ، الشمس . فالأصل الشمس وغيرها عنها وجد وأقلها مرتبة الظلال فى المغارة . إذن فكفى نفسه وقال إن لى أخوة بالمغارة فلا بد من أن أرجع اليهم ، فإذا تصوّرنا رجوعه اليهم فانه أولا لا يقدر أن يعيش فى الظلام كما كان معهم إلا تدريجا ، فإذا استقرّ قراره وألقى عصاه واستقر به النوى هنالك يخاطبهم بما يقرب إلى أفهامهم لا بنفس الحقائق لئلا يكذبوه ولأنه إذا قل هناك شمس وهناك نجوم وهناك حيوان ونبات هى أصل هذه التماثيل كذبوه فهو يسلك معهم سبيل الحكمة فلا يزال يعلمهم حتى يعرفوا منه أن هذه الأشباح أصولا هى التماثيل والتمائيل صور للمواليد الثلاثة ونحوها وكل هذه من الشمس بل نفس النار المتقدة الأصل فيها ضوء الشمس إذ لولاها لم تسكن ويفهمهم الفصول الأربعة والسنين وكل شئ هنالك يكون أصل هذه المغارة طوائف ثلاثة : مصدقون ومكذبون وشاكون متحيرين ، وهذا كله مثل لما نحن فان المغارة هى عالمنا المحسوس والنار ضوء الشمس والذى خرج من بين أهل المغارة هى نفس الفيلسوف مثلا إذا عرف الحقائق ورجوعه ثانيا إلى أهل المغارة مثل لارشاده لأهل بلاده وأعاليمهم شفقة عليهم . فالشمس بدل النار عبرها عن الله وضوءها بدل ضوء النار عبره عن إفاضة رحمته ونفس المخلوقات حية وغير حية بدل التى سميت ﴿المثل الأفلاطونية﴾ وهى عوالم روحية وهذه المخلوقات صور لها ظاهرة ونحن أهل الأرض مثل لأهل المغارة والأنبياء والحكماء مثل لذلك الذى خرج من بينهم فعرف ورجع ليرشدهم

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
(١) الله	تدبيره	المثل الأفلاطونية	نحن أهل الأرض	(١) ارتقاء نفس
(٢) الشمس	الضوء	العالم المحسوس	سكان المغارة	الفيلسوف وتعليمه لأمته
(٣) النار	ضوء النار	ظلاله في المغارة	تصورهم لتلك الظلال	(٢) خروج أحد سكان
				المغارة ثم تعليمهم ثانيا
				(٣) اختلاف أهل
				المغارة في قولهم
				واختلاف الناس في
				أقوال فيلسوفهم
				وكل معلم لهم

هناك تدرك النفس حقائق الأشياء وترى أن هذه العوالم آثار العالم المعاني فتتوجه الى مبدع هذا النظام ثم قال : ولا سبيل لتعليم رؤساء الجمهورية الحقائق إلا بالتعود على الرياضات البدنية والموسيقى ولا بد من امتحانهم في المخاطر والصبر عن الملاذ وهكذا علوم الحساب والهندسة والهيئة ثم الموسيقى لتعود النفس المراقبة الدائمة ثم يتلو ذلك الأعمال الحربية مدة عامين أو ثلاثة ثم علوم الرياضيات كرة أخرى فإذا بلغ المميز (٣٥) سنة فلينتقل الى علم معرفة الخبر المحض والجواهر العقلية وهذا العلم هو الأصل وبقية الموجودات كالتخيل بالنسبة له بل هو الحقيقة وكل العلوم ظنون ، وهذا يكون في خمس سنين ثم يدربون على الأعمال الحربية وغيرها ثم تسلم لهم المدينة في سن الحسنيين اهـ

هذا ملخص الكتاب السابع من جمهورية أفلاطون ، وهل هذا الفصل كله إلا صدى لصوت موسى إذ قال لأهله امكثوا إني آنست نارا اعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، ولست أقول إن أفلاطون قرأ هذه الآية فهذا مستحيل لأنها نزلت بعده بقرون ، ولكني أقول هذا كلام الله وكلام الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، ومن الذين أوتوا العلم أفلاطون وأفلاطون ذكر أن أحد أهل المغارة عرف فرجع وعلم اخوانه وهو نفسه حكاية موسى إذ رأى نارا فرجا أن تكون له مخرجا في أمر المعاش بالقبس من حيث حرارتها وأمر المعاد بالهدى من حيث ضوءها ، وهذا هو ملخص الكتاب السابع لأفلاطون فهو استنتاج من النار على حائط المغارة نتائج أوصلته الى الشمس ثم الى الله وهذا هو نفس الهدى الذي جاء على لسان موسى إذ قال - أو أجد على النار هدى - فهذا الفيلسوف وجد على النار هدى بالبحث دله على الله والنبي موسى عليه السلام نودي أن بورك من في النار ومن حولها فخاء الهدى بطريق الوحي عند النار اللهم إني أحمدك على العلم وأحمدك على التوفيق ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، اللهم إني أنت اللهم والمعلم ولوتركتني وشأني في هذا التفسير لم تكن لي قدرة أن أوازن ما بين كلام أفلاطون وهذه الآيات القرآنية ولم يكن لي من العلم ما يجمع بين هذه الامور المتباينة ظاهرا المتشاككة حقيقة

أيها المسلمون : كفى نوما . ها هوذا موسى عليه السلام يقول لأهله - إني آنست نارا - وها هي ذه الحكمة في أقطار الأرض يتعامها الناس وهذه الجمهورية الأفلاطونية تدرس في سائر أنحاء الغرب والشرق ومقالاتها في تربية الجند والجيش والتدريب يتردد صداها بين أهل أوروبا الذين تنظرون لهم نظر الاعظام والاجلال . إذن علوم الحكمة قبس من أنوار القرآن ، إذن لتدرسوا كل حكمة وعلم . ومن قرأ هذا التفسير أو أكثره فانه لا محالة لا يستقر له قرار ولا يكون له اضطراب إلا اذا سعى سعيا حثيثا لرقى الأمم الاسلامية بل جميع الانسانية في الأرض . فليقل كل قرىء لهذا التفسير أو نحوه لأمته - إني آنست نارا اعلى آتيكم منها بقبس



أرأجد على النار هدى -

هذا ما خطر لي في صلاة الصبح في التاريخ المتقدم اجلا وكان تفصيله وقت الكتابة . انتهى الكلام على الفصل الأول في التشويق بقوله تعالى - وهل أذاك حديث موسى -

### ﴿ الفصل الثاني ﴾

( في اتنام الكلام على حرارة الشمس )

معلوم أن الشمس تشع منها حرارة وضوء والحرارة تثير البخار وتثير الهواء وتثير السحاب ، وهذه الاثار الثلاثة يراد بها تهيئة أغذية الحيوان والانسان واراحتها واسعادهما ، فهنا ساقطت الشمس بأمر الله ماء وهواء للعالم الحيواني ، فلم يكن الغذاء ولم يكن الدواء ولا الروائح العطرية ولا لذائذ الذوق واللمس وجمال المبصرات آتيا من الشمس مباشرة بل اتخذ التدبير الالهي واسطة بين الشمس وبين الحيوان والانسان ، ولكن الشمس التي هي مصدر هذا كله لا تقف عند هذا الحد ، فهي بحرارتها تحيط بجسم الحيوان كل يوم فتتميت الأحياء الذرية وهي ( المكروبات ) بنفسها لاسطة وتعمل في الجوامع المادة الملونة ( كلوروفل ) العائمة في وسط السائل الداخل في فتحات الأوراق اللاتي تعد بمثابة وبألوف وبملايين في الورقة الواحدة ، انظره في قوله تعالى - سبحان الذي خلق الأزواج كلها - الخ الذي تقدم قريبا وبهذا الاتحاد بين ضوء الشمس وبين تلك المادة تجذب الورقة المادة الكربونية من الهواء وهذه المادة بها حياة الشجرة وقيام هيكلها وصلاح حالها وظهور أزهارها وأثمارها وجمالها وحسنها وبهائها . إذن الشمس نفعت الأحياء بواسطة الهواء والماء تارة وبفسها تارة أخرى . انتهت اللطيفة السابعة

### ﴿ اللطيفة الثامنة ﴾

( في قوله تعالى - فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء - )

وذلك في بيان شكل الكون وسدمه والكشف الحديث للملايين النجوم . أما شكل الكون اجالا فهالك ماجاء في ( المقتطف ) وهذا نصه :

#### ﴿ شكل الكون وعظمته ﴾

ارتأى الفيلسوف ( فيثاغورس ) في القرن الخامس قبل المسيح أن الأرض كرة فوضع أساس علم الكون ( كوسمولوجيا ) ولكنه وجد من الصعوبة هو وتلاميذه في اثبات رأيه ما نجده الآن لاثبات ما يراه علماء عصرنا في شكل الكون وعظمته . والرأى المعول عليه الآن أن الكون كرة مجوفة اذا سار النور من الطرف الواحد منها الى الطرف الاخر مارا بمركزها استغرق سيرة مائة مليون سنة مع أنه يقطع في اثانية من الزمان ( ١٨٦٠٠٠ ) ميل ولعالم كلها أي نجوم المجرة التي شمسنا منها والسدام كلها عوالم مثل المجرة وهي سابعة مثلها في فراغ هذا الكون . ويظهر في بادئ الرأي أن تصور ذلك ضرب من الخيال لكثرة هذه الملايين . ولكن مامن أحد يتعذر عليه أن يقابل بين حبة رمل وبين جبل كبير كجبل المقطم في مصر أو كجبل صنين في لبنان . حبة الرمل اذا كان قطرها ربع ملليمتر تسهل رؤيتها ويسهل لمسها واذا اتصلت بالطعام تسهر بها ونحن نمضغه ونتألم من احتمكاكها بأسناننا ومع ذلك ففسبنا الى جبل مثل جبل صنين من قاعه الى قمته كنسبة واحد الى نحو ألف مليون مليون مليون والى الأرض كلها كنسبة واحد الى ستة ملايين مليون مليون مليون مليون . وأما سدمه فهالك ماجاء في إحدى الجلات وهذا نصه :

« قد يفوق السدم بعض عالمنا المجري (١) في المنظمة ولزهاء . وتنبأ (هرشل) بأننا اذا بحثنا في كنه

(١) نسبة الى نهر المجرة واسمه في العامية (سكة التبن) وهو مجموعة من النجوم المتكاثرة تظهر انما في



هذه السدم فالتا سنجد بعضها يختلف اختلافا كبيرا عن كنهه النجوم ، وقد تحققت نبوءة هرشل هذه عام ١٨٦٤ حين حلل وليم هاجنر أطياف السدم فوجد مدها تختلف اختلافا كبيرا عن أطياف سائر النجوم وتدل دلالة واضحة على أن كث عدد السدم على الأرض من مادة غازية متبخرة ، وقد تقدم البحث في طبائع السدم تقدما كبيرا عند مابدي في استعمال طريقة التصوير الفوتوغرافي في الأرصاد الفلكية ، ففي عام ١٨٨٠ نجح هنري دريبر في الحصول على أول صورة فوتوغرافية للسديم الأكبر في برج الجبار ثم إن كمن درو برنس حصل في عام ١٨٨٨ لأول مرة على صورة ظاهر فيها النظام المولاي للسديم الأكبر في برج اندروميديا (انظر شكل ٧٩) بأن عرضا لوحا فوتوغرافيا لمدة ثلاث ساعات أمام منظار عاكس قطره عشرون بوصة . ويبلغ عدد السدم التي يمكن تصورها بواسطة أحدث المنظارات اليوم في أنحاء السماء نحو المليون ، وتنقسم السدم بوجه عام الى قسمين : مجرية ولا مجرية وذلك على حسب قربها أو بعدها عن العالم المجري . والرأي السائد أن السدم الملامجية تمثل عالمين في درجات متقاربة من أدوار تطورها . وقد سميت هذه العوالم بالجزر العالمية وبناء على هذا الرأي يكون هناك مئات الألوف من هذه الجزر العالمية متباعدة الواحدة عن الأخرى بما يقتدر بملايين السنين الضوئية (١) وقد قدر شدتلى قطر السديم الأكبر في برج اندروميديا بمقدار ٤٥٠٠٠ سنة ضوئية وقدر قطر السديم المرموز له بالرمز ( م ) بحوالى ١٥٠٠٠ سنة ضوئية . وهذه الأبعاد وإن كانت تقل عن قطر عالمنا المجري إلا أنها كبيرة كبرا كافيا بحيث تسمح لنا باعتبار هذه السدم عوالم مستقلة (انظر شكل ٨٠)

على مصطفى مشرفه



( شكل ٧٩ - السديم الأكبر في برج اندروميديا )  
( صورت يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠١ برصد بركس )

عرض السماء كنه مضيء . والعلم المجري مؤلف من المجموعة الشمسية وسائر نجوم نهر المجرة  
(١) السنة الضوئية هي ما يقطعه الضوء من المسافة في السنة وتساوى نحو ستة ملايين الملايين من الأميال





( شكل ٨٠ - السديم الأكبر في برج الجبار )  
( صورت يوم ١٩ أكتوبر ١٩٠١ بمصديركس )

### ﴿ نور العلم في أواخر هذه السورة ﴾

- (١) انحصر العلم اليوم في النور
- (٢) ليس في الدنيا مادة محقة
- (٣) كل ما نراه أو نسمعه أو نشمه أو نذوقه أو نلمسه إن هو إلا حركات
- (٤) اقرأ هذا المقام فيما تقدم في ﴿ سورة النور ﴾ تحت عنوان ﴿ قلارة ماء ﴾ عند آية - الله نور السموات والأرض - الخ فهناك تجد الذرات المائية ترجع إلى الكهرباء السالبة والكهرباء الموجبة التي يجري أولها حول ثانيها ستة آلاف مليون مليون في الثانية الواحدة
- (٥) فن نقص عدد الحركات كانت المظاهر غير ذلك كأن نحس بها نورا وهو ينحصر في عديدين (٤٠٠) و٧٠٠ مليون مليون مرة في الثانية فأدناها لون الحرة وأعلاها البنفسجي
- (٦) وإن زادت سرعة الحركات عم تقدم في الحال الرابعة كان عندنا ما نشمه ونذوقه ونلمسه من المواد كالحديد والنحاس وما أشبه ذلك
- (٧) إذن العالم الذي نعيش فيه حركات والحركات بتنوعها صارت كهرباء ونورا وماء وحديدا ورصاصا
- (٨) وهذه المظاهر التي أحدثها الحركة يحفظها نظام بديع جميل يختلف باختلافها



(٩) خذ لك مثلاً عرف علماء القرن التاسع عشر في النصف الأول منه أن كل عنصر من العناصر الكيميائية لن يدخل في تركيب مادة إلا بنسبة خاصة لا يتعداها هي ومضاعفاتها ويسمى ذلك عندهم (قانون النسب المضاعفة) وقد تقدم بعضه في (سورة البقرة) عند آية - واذا قل إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى - الخ فلاكسوجين له رقم (١٦) وللأكربون رقم (١٢) فإن يدخل الأكسوجين مع الأكربون إلا على هذا العدد أو مضاعفاته كما أن الجرثومة الأولى التي يتكوّن منها الحيوان والنبات تسير على طريقة المضاعفة أيضاً (١-٢-٤-٨-١٦-٣٢) وهكذا، اقرأ هذا المقام في (سورة مريم) إذ ترى هناك أن هذه العوالم كلها عند تركيبها تسير على طريقة المضاعفات في رقعة الشطرنج، جسم الإنسان والحيوان والنبات لا يتعدى نظرية الفيلسوف (صه بن داهر) الحكيم الهندي الذي طلب من الملك أن يمنحه حبات برتكون بحسب المضاعفات المبدوءة بعدد (١-٢-٤) المنتهية بعدد (٦٤) وقد ظهر هناك أن القمح المزروع في الأرض كلها سنين وسنين لا يبلغ مبلغه. أقول: نظير هذه المسألة التاريخية جميع مركبات الأجسام الحيوانية والنباتية، فالمسألة التي ذكرناها هنا وهي تركيب الأكسوجين مع الأكربون على هذا النمط تسير هي وغيرها فيكون التركيب فيهما (٣٢) من الأكسوجين مع (١٢) من الأكربون أو (١٦) من الأول مع (٢٤) من الآخر وهكذا، والنترات التي حسبها أولئك العلماء في القرن الماضي وبنوا عليها ماتقدم وعلى رأسهم (داتن) وظنوا أنها لن تتجزأ بعد ذلك أصبحت في قرننا هذا مجزأة بحيث أن أخف ذرة من تلك الذرات يحال إلى (١٨٥٠) جزءاً يسمونه (الكثرون) وهل هذا إلا نقطة كهربائية، إذن الدنيا كلها نقط كهربائية كالذي تقدم في (قطرة الماء) في (سورة النور) ومن هذا الباب عرف العلماء اليوم أن العناصر التي كشفوها وهي نحو (٧٠) ليست ثابتة فكل عنصر منها يمكن أن يحوّل إلى غيره مثل ما وجدوا أن الراديوم استخرج منه عنصر الهليوم وعنصر الرصاص المعلوم الذي تصنع منه الأنابيب

(١٠) الأستاذ (السيرارنست رذرفورد) الأستاذ بجامعة كامبردج حوّل عنصر الأوزون وهو (غاز) طبعاً يكون في الهواء الجوى إلى عنصر الأيدروجين الذي هو أحد عنصرى الماء وقد حصل على الأيدروجين من العناصر الآتية وهي: (البور، الفلور، الصوديوم، الألومنيوم، الفسفور)

(١١) إذن لا حواجز تحجز المواد أن ينقلب بعضها إلى بعض وثبت ثبوتاً لا ريب فيه لعلماء عصرنا أن العالم كله نقط كهربائية، إذن نحن اليوم جميعاً في مواد نارية ولكنها ملطفة بهذه المظاهر ولم يعرف الناس ذلك إلا بالتحليل الذي تشير له حروف أوائل السور ومنها الباء والسين، ومن نتائجهما أن الشجر الأخضر اتقد ناراً، فإذا كان الكون كله ناراً والشجر الأخضر المذكور في الآية ضرب مثل له كله، فلنحجب إذن من القرآن وعالمه التي تنطبق كل الانطباق على مباحث علماء العصر الحاضر. فعلماء عصرنا يقولون كما سمعته الآن إن الذرات الكهربائية ركبت منها حواسنا هذه المظاهر كلها والقرآن يحلل الحروف في أوائل السور ويذكر أن الشجر الكثيف الجسم حوّل إلى نار بالاحتكاك. ثم انتقل إلى المقصود إلى ما هو أدق فقال: - إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون -

إن الإنسان إذا نطق فلامعنى لنطقه إلا حركات في الهواء إن نقصت عن (٣٢) حركة في الثانية لم نسمعها وإن زادت عن (٣٢) ألف حركة في الثانية لم نسمعها كما إن الحركات في الأثير إن نقصت عن (٤٠٠) مليون مليون لم نرها وإن زادت عن (٧٠٠) مليون مليون لم نرها. إذن لاصوت ولا حرارة إلا بحركات ذات عدد مخصوص فلا فرق إذن بين كلامنا وبين ضوء الكواكب وغيرها في أنها كلها حركات. فكما أن نطقنا بالكلام توجد به عوالم الكلام هكذا تحريك الله للأثير يصدر عنه الأنوار وجميع المواد. إذن الوجود كله أمر أشبه بالمعنوى تنوعت مظاهره. لذلك ختم السورة بالحقيقة فقال تعالى: - فسبحان الذي بيده



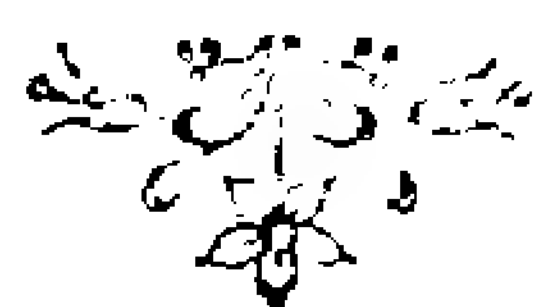
ملكوت كل شئ - ذلك لأنها كلها أمور جملة مظهره هو والافهى لاشئ  
 يا عجباً : اتفق العلم والقرآن اليوم اتفاقاً بديعاً ، ومن أعجب العجب أن تكون الآراء العلمية التي تحفظها  
 عقولنا ماهي إلا حركات فكرية . إذن الأجسام كلها حركات نارية والمعاني كلها حركات فكرية قائمات  
 بعقولنا . فكما أن الحركات القائمة بالأنير كقوت ماسميناه مادة بحسب الظاهر هكذا الحركات القائمة بعقولنا  
 كقوت ماسميناه علما . ونحن الى الآن لم نعرف ماهو الأنير الذي جرت فيه هذه الحركات الظاهرية ولا  
 ماهي أرواحنا التي جرت فيها الحركات التي سميناها علوما

فيا ليت شعري هل يعرف الناس بعدنا سر هذه الروح وسر هذا الأنير ولكننا نكتفي الآن بهذه السكامة  
 - بيده ملكوت كل شئ - ولما كانت النتيجة من هذا الوجود انما هي الأرواح التي تربى فيه بالعلم والأخلاق  
 ختم السورة بقوله - واليه ترجعون - وأرواحكم تحمل علما وأخلاقا وعلى مقتضاهما تكون درجاتكم .  
 إذن الحركات التي بها ظهرت المادة نتيجتها الأخيرة الحركات التي سميناها علما وهي التي بها تعلق العوالم الروحية  
 - وان الى ربك المنتهى - كتب في صبيحة يوم الأحد ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٠ م

### ﴿ تذكرة ﴾

قد كنت كتبت جملة مختصرة من أقوال أفلاطون قريبا وهي من تلخيص العلامة (سنتلانه) التلياني .  
 ولما اطلعت عليها كاهلة في نفس الكتاب المنشور حديثا فرحت بنعمة العلم وكتبتها تامة مفصلة والتفصيل بحسن  
 بعد الاجمال والحمد لله رب العالمين

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن  
 الكريم . ويليه الجزء الثامن عشر وأوله تفسير سورة الصافات )

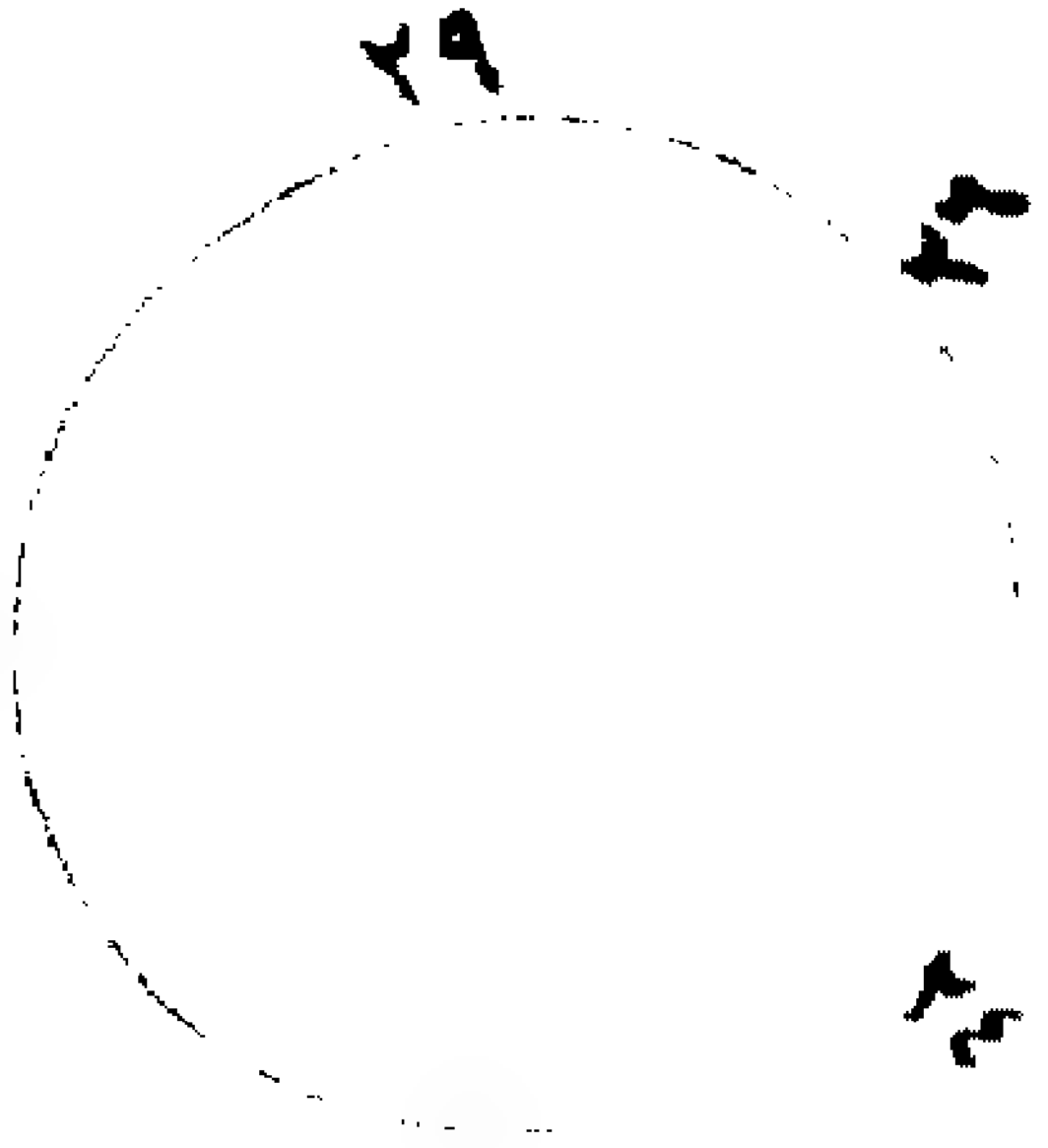
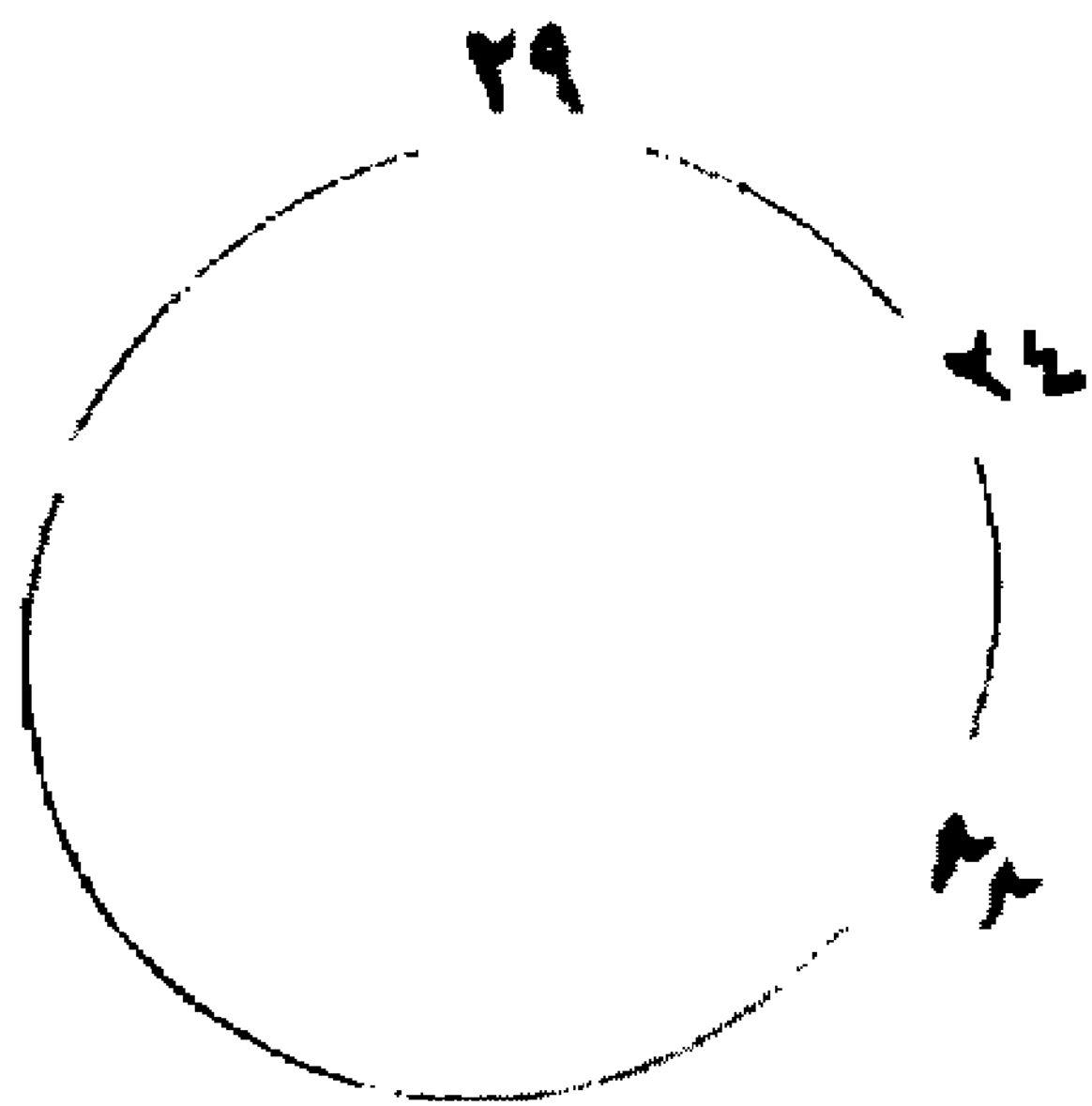
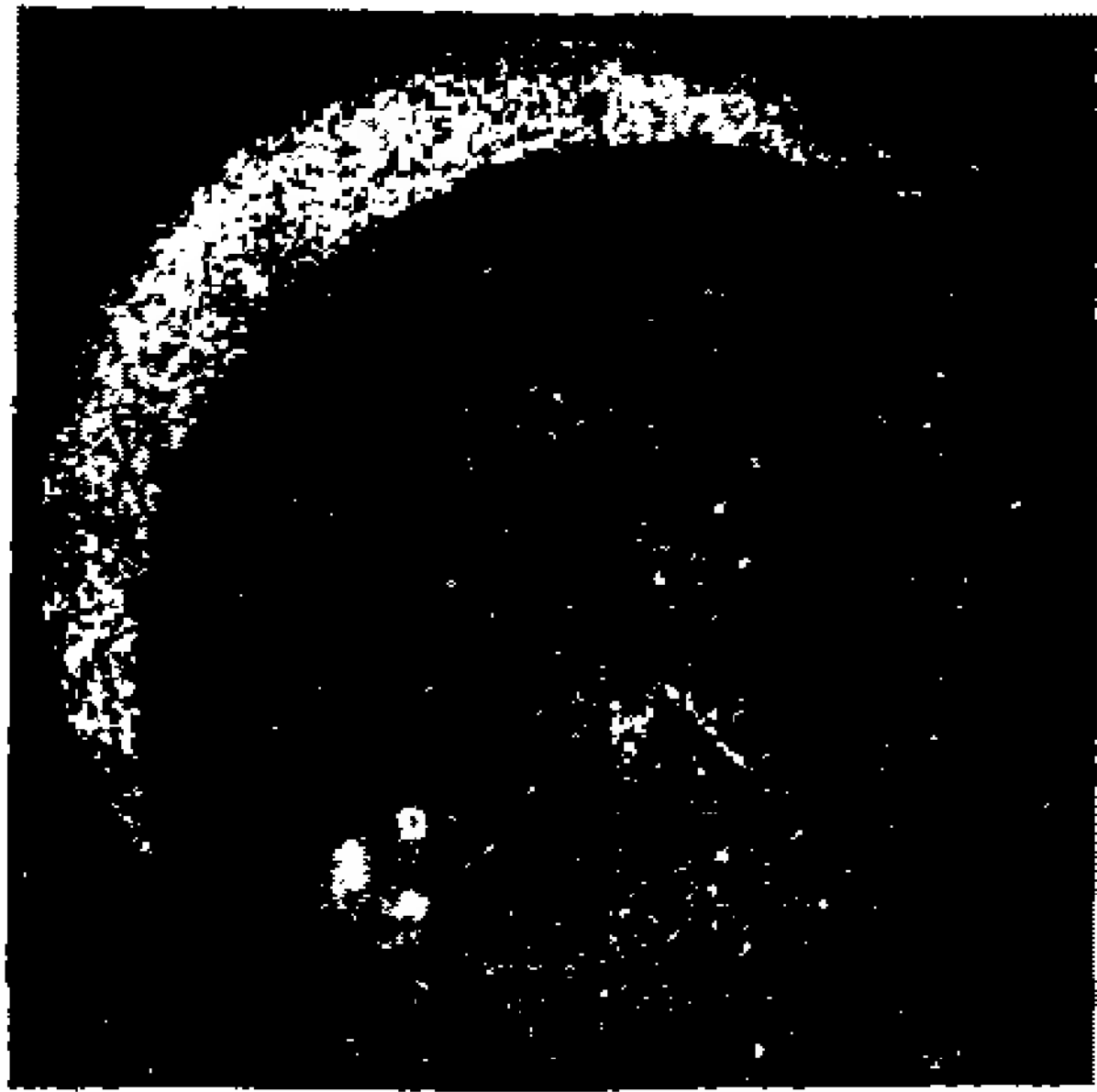
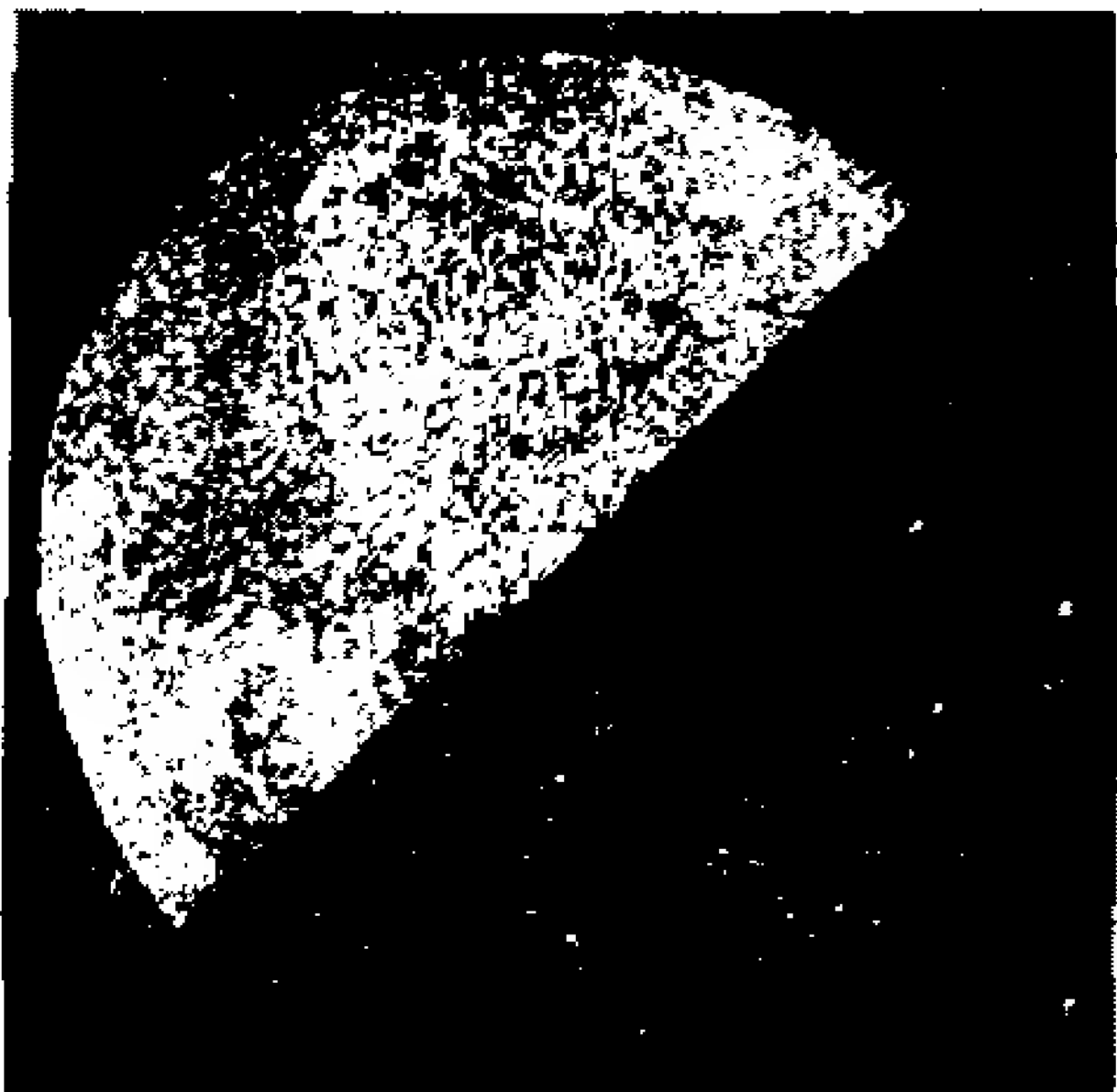


## ( الخطأ والصواب )

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وما هوذا :

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٥	٧	القائم	القائم	٦٨	٢٥	ر	و
٨	٢	النسبة	بالنسبة	٦٩	٢	١٤	١٢
٨	٣	جسمي	جسمين	٧٤	٤	المشادر	النشا
٨	١٠	وهو	هو	٧٤	٣٠	الاثناعشرى	الى الاثناعشرى
٢٣	٢	تقول	تقول	٧٩	١٢	نمرة ١ شكل ١	شكل ١٠
٢٥	١٣	اصوان	اسوان	٧٩	١٩	نمرة ١ شكل ١	شكل ١٠
٢٧	١٠	ناراني	ناران	٧٩	٢٤	نمرة ١ شكل ١	شكل ١٠
٢٩	٢١	هنا		٨٢	٦	ولشعور	والشعور
٣٩	٣١	طبقة تسمد	مهلكا لأهل	٨٩	٦	أشرقت	أشرفت
٤٣	٦	الكورنين	الكورينين	٩٥	٢٣	ولا-لاك	لاسلاك
٤٣	٩	السنخ	السنخ	٩٦	٢٣	عامودا	عمودا
٤٣	١٧	البلاغمرا	البلاغرا	٩٦	٢٨	ابفل	ايفل
٤٥	١٥	قريبا		٩٧	١١	اتصل	تصل
٤٦	١٧	برث	بزن	١٠١	٢	فتكون	
٤٧	٢	لوثة	الوثة	١٠١	٢٢	يهجة	يهجة
٤٨	١٢	إن	أن	١٠٦	١٠	وليس يوجد	ولا
٥٠	٣	احدى عشر	أحد عشر	١١١	٣	البالون	البالون
٥٤	١	أن الفائدة	على أن الفائدة	١١٥	١٧	عليهم الجراد	عليهم الطوفان والجراد
٥٥	٢	بشيفاكو	شيكازو	١٢٨	١٠	إلى قول	انى أقول
٥٥	٦	من الغابات	من الغايات	١٣٣	١٩	وأكثر الحيوان	والحيوان
٥٦	٣٥	صورتهم	صورتهم	١٣٤	٢٨	وفى الذرية	فى الذرية
٥٩	٢	إذ ان	إذ	١٤٢	٣٣	الثالث	الرابع
٦٠	٣١	الفحم الحجرى	الفحم	١٤٣	١١	نجي	نجي الموتى
٦١	١٢	إلا خمسين	إلا منذ خمسين	١٤٥	٣٢	بمشيته	بمشيته
٦٤	٢٩	الرؤيا	الرؤية	١٤٩	٣	ثم ختم السورة	وهذا هنا كما ختم السورة السابقة
٦٥	٢	والاسلفت	والأسفلت				
٦٥	٢٤	سر	سرا	١٤٩	٥	الى وكل شئ الخ	
٦٦	٤	هل يحصل	أيجعل	١٤٩	٢٥	المزمهرات	المزمهرات



صواب	خطأ	صحيفة
فأنهم جعلوا	جعلوا	٨ ١٦٥
		١٦ ١٨٩
<u>٣   ١   ٣٠</u>	<u>٣٠   ١   ٣</u>	٢٠ ١٨٩
وإد واحد	واحد	١٧ ١٩٠
وأريانا	ورأينا	٤ ١٧٨
سبعيه	أسبعيه	٣٠ ١٧٨
من	ومن	٢٤ ١٨٣
في السماء	في السما	٢٢ ١٩٣
إليك النزولا	إليه النزولا	٢٣ ١٩٣
النظام الشمسي	النظام الرسمي	٦ ١٩٥
		(شكل ٤٦ وشكل ٤٧) ١٦ ١٩٧
(شكل ٤٧)	(شكل ٤٦)	
القمر بين التربع الأخير والهلل	(التربع الأخير)	
الشرطان	السرطان	٢٨ ١٩٨
ويعرفون	يعرفون	٣٠ ١٩٨
أثباته هنا وهذا نصه	جاء في كتاب العقد الفريد ما نصه	٣ ٢٠٠
	أثباته هنا	٥ ٢٠٠
	بسقه	١٣ ٢٠٧
	النديه	١٨ ٢٠٧
السجدة	لقمان	١٦ ٢١٣
جراوا	جراوتا	١٢ ١٩

## فهرست

( الجزء السابع عشر )

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

٢ في آخر سورة سبأ عذاب الكافرين بشكهم وفي أول سورة فاطر ذكر الملائكة الذين يلهمون المؤمنين العلم في الحياة ويشمرونهم بعد الموت . وابتدئت الفاتحة بالجلدية العوالم . والآنعام تفصيل الحمد عليه الى ظلام وضياء الخ والكهف للتصرف في العالم العقلي وسبأ للتصرف في العالم المادى الذى هو نتائج وفي فاطر لعالم الملائكة

٣ فالجد في الفاتحة على مجمل وفي الأنعام على تفصيل الكشيف واللاطيف وفي الكهف على مايزين العقول وفي سبأ بأنواع الجمال الأرضى وبما خزن الأولون للآخرين من مال وكمال ، وفي سورة فاطر بنهاية النهايات وهو عالم الملائكة ، ونفس هذا الترتيب في الجد بحسب السور يرشدنا الى أن الأعلى لا يعرف إلا بعد الأدنى ، إن ذكر الملائكة في أول السورة مقدمة لآية - اليه يصعد الكلم الطيب - كما أن درجات العاملين ثلاث هكذا الملائكة ذوو أجنحة مثنى وثلاث ورباع

٤ تقسيم السورة الى ثلاث مقامات في المقام الأول في تفسير البسملة وفي قوله تعالى - والذى أوحينا اليك من الكتاب - الخ وههنا إيضاح المسألة المشهورة المعقدة التى ضل بها كثير من الخاصة فضلا عن العامة وهى ان اشتراك اللفظ بين الخالق والمخلوق فى الأسماء مثل الرحيم الغفور الشكور الخ أوقع اللبس فى القلوب فضل قوم به واعتقدوا الألوهية فى بعض آل البيت وهذه عقيدة زائفة انحدرت عن الأم القديمة كالبراهمة وقدماء المصريين وأمثالهم ، تلك الأم التى توارثت ديانات ظواهرها تعدد الآلهة لتبقى سلطة رجال الدين عليهم وبواطنها التوحيد ، وهذا اجماع الديانات القديمة كلها وتوارثها الباطنية وأدخلوا فى الملة حساب الجمل وجاء ابن الصباح ففزع العلم كما تقدم وأرجع الأمر الى الامام المعصوم

٦ فكل ما يتناقله بعض رجال الصوفية من ألوهية بعض الأئمة وتصرفهم إن هو إلا ترديد لصدى صوت جهال الأم القديمة وهونوع من التشيع سرى الى متأخريهم ولم يكن ذلك عند متقدميهم ، والديانة البرهمية مؤسسة على ألوهية (برهما) و(نشو) و(سيغا) أى الخالق الحافظ الذى يقبلهم من حال الى حال ، فهى صفات جعلوها آلهة ونصبوا لها الأصنام تضليلا للشعوب . وكل ما نقل عن الصوفية الصادقين مثل أبى يزيد البسطامى إذ يقول : « انسلخت عن نفسى فإذا أنا هو » وقول بعضهم « أنا الحق » فذلك كله مؤول يرجع الى صفاء النفوس لا الاتحاد ولا الحلول . وتحقيق الأمر أن نقول :

(١) إن صفة العبد إما تكون مماثلة لصفة الرب بحيث يكون محيطا بجميع المعلومات خالقا لجميع المخلوقات . فهو إذن خالق لنفسه والعبدان يخلق كل منهما الآخر وهذا باطل عقلا والولاية يستحيل أن تكون آتية بالمستحيل

(٢) وإذا قلنا صفة الله نفسها انتقلت من الله للعبد فهو مستحيل . وهل للصفات انتقال ؟ وبهذا يصبح الرب ليس ربا وهو تناقض

(٣) واتحاد الرب مع العبد محال . فهل يكون زيد نفسه عين عمرو ؟ وهل يكون البياض عين السواد ؟ أو هذا البياض ذلك البياض . فإذا استحال اتحاد الجواهر والأعراض فأتحد أحدهما مع خالق العالم محال من باب أولى



(٤) والحلول إما أن يكون لجسم في مكان كالنسبة بين زيد ومكانه الذي يجلس فيه وأما أن يكون لعرض في جوهر كالبياض بالنسبة للموصوف به ، ومعلوم أن الله لا هو جسم ولا هو عرض حتى يحتاج الى مكان ليحل فيه ، على أن صفات الحال لا تنتقل الى محله وبالعكس . إذن بطل مماثلة صفات العبد لصفات الله وانتقال الصفات والاتحاد والحلول ولم يبق إلا الاشتراك اللفظي لا غير . فأسماؤه الله الحسنی معانيها بالنسبة لله غير معانيها بالنسبة للناس . واذن زالت هذه الضلالة بهذا البرهان

ثم اعلم أن انتشار هذه العقائد بين الأمم مبني على مراتب الناس في الاستعداد فهم في عقائدهم أشبه بمراتب الأحياء من حيوانات تعيش في التراب وأخرى في الهواء النقي وبعضها يأكل الثمار وبعضها لا تعيش إلا على القاذورات . واني أرى أن هذه الأرض معرض لصور تتجلى لحكمائها فهي كمدار الصور المتحركة أوهى وليمة من الله أعدتها للأحياء على مقتضى درجاتهم كل بقدره وحكماء الأرض هم المتمتعون بهذه المناظر يلحقون العقول الصغيرة بأدنى الحيوان والعقول الكبيرة بالملائكة وبينهما درجات شتى ولا يسعد في الأرض إلا الحكماء.

١٠ ﴿المقام الثاني﴾ سورة فاطر مكتوبة مشككة جميعها وبلى ذلك التفسير اللفظي

١٢ تفسير الآيات اللفظي من أول السورة الى - والعمل الصالح يرفعه -

١٣ من قوله تعالى - والذين يكررون السيئات - الى آخر السورة

١٩ ﴿المقام الثالث﴾ في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها الى ﴿سبعة مقاصد﴾ الأول ﴿وصف الله بأبداع العالم الحسى والعقلى﴾ الثاني ﴿التذكير بالنعم﴾ الثالث ﴿نذيت فؤاد النبي ﷺ﴾ الرابع ﴿نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل الخ﴾ الخامس ﴿ضرب الأمثال لما سلف من القسمين﴾ السادس ﴿تقسيم المؤمنين الى قسمين من حيث العلم والى ثلاثة أقسام من حيث العمل﴾ السابع ﴿وصف الكأس التى يتجرعها الكافرون والى يشربها المؤمنون وشرح ذلك كله شرحا كافيا

٢٢ جوهرة في قوله تعالى - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها - وتبيان الرحمة التى فتحها الله فى العناصر للناس اليوم . إن الله قد صدق وعده للناس إذ قال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فليفرح المسلمون وليدرسوا علوم الأمم وليقولوا عرفنا بألله فزدنا . فهذه هو الهواء هو مركب من النيتروجين وهو الآزوت ومن الأكسوجين والأول أربعة أخماسه وهو المكوّن لعضلات الحيوان ولأهم أجزاء النبات ولذلك وجب تسميد الأرض منه ولم يعرفه الناس قبل اليوم إلا فى فضلات الحيوانات ثم اهتموا أخيرا اليه فى (جزيرة شيلي) باسم نترات الصوديوم . ولكن ذلك لا يكفى الناس أيضا فقام (فرترهابر) العالم الألماني فى زماننا فاخترع القرن الكهر بائى الذى يبرد الى درجة ٤٥٩ تحت الصفر ويسخن الى درجة (١٤٠٠) فوق الصفر وبهذا التبريد رجعت الغازات الى أجسام صلبة كما نشاهد أن الماء صار ثلجا بأقل برودة . فالبرودة تقرب الأجسام كما أن الحرارة تباعدها . فهذه الفرن حوّل الفحم الى ألماس والى الجرانيت المستعمل فى أقلام الرصاص وبه أيضا حوّل النيتروجين الى مادة جامدة كما حوّل البخار الذى هو أخف من الهواء (الذى منه النيتروجين) الى مادة جامدة استعملت فى السجاد بدل زبل نحو البقر وبدل ما جلب من (جزيرة شيلي) واستعملت أيضا فى آلات المهلكة فى الحرب . ومتى أطلقت الشرارة الكهر بائية على الأكسوجين والنيتروجين اتحدا ثم اذا عولجا بالماء صار ذلك (حامض النتريك) . هنالك تستخدم الأفران الكهر بائية فيصير جامدا ويباع فى الأسواق باسم ملح

الهواء أو ملح الفروج أو نترات الكاسيوم . ومن عجائب العلم أن ألمانيا انزلت أيام الحرب عن العالم خمس سنين فأغناها ذلك عن سبيل العالم وعن مفرقاته كل تلك المدة . ههنا تعجب المؤلف وقال : « كيف يكون في هذا الهواء مادة يبيعها في أسواقنا ونسحقها أرضنا ونقتل بها الأعداء ؟ » خطاب الهواء للمؤلف يقول له : « أنا أجل العبد في الكلمات ، وألقح الأشجار ، وأجل السحاب ، وأدخل في تركيب الأجسام ، فأكون عضلات ، فإن لم تعقلوا أيها المسلمون فإن الله تعالى يحولني إلى آلات تقتلكم ،

٢٦ (الملح وفوائده) وأنه من الكلور ذوالرائحة المهلكة والصوديوم الذي يحترق في الهواء وهو يكون في البحر وفي طبقات الأرض . ومتى مرّ التيار الكهربائي على محلوله في الماء حصلت منه ثلاثة أجسام (الكلور . الهيدروجين . الصودا الكاوية) والكلور سبع فوائد : (يظهر ماء الشرب . وينظف الورق وينفع في عمليات الطب . ويكون غازا ساما في الحرب . ويكون أبخرة سامة . ويدخل في المفرقات . ويهلك الحشرات) . هذه صفات الكلور المتقدم . أما الهيدروجين فأنما إذا أحرقناه في الهواء اتحد بالأكسوجين فأنزل النيتروجين والنيتروجين يمكن اتحاده بالهيدروجين فيكون منهما النشادر الذي يكون سمادا وهو يغذي القطن . والكلور يفيد في منع مرض شجر القطن وفي تبييضه

٢٨ الألومنيوم معدن متين ينفع لأواني الطبخ وللسيارات والطائرات وللتفويض وللمنع الصدأ وهو يكون كظهر الذهب لا يصدأ بالهواء . فهذا مما فتح الله به على الناس من تحليل العناصر

٢٩ بيان أن هذه العلوم كلها واجبة وهي فروض كفاية وضرب مثل لحال المسامين مع ربهم بحال من قسم أرضه بين أبنائه وقد قصر أحدهم خرمه . وبيان أن هذا التفسير متى انتشر هبّ المسامون على بكرة أبيهم لحوز العلوم . وبيان أن بلاد الحجاز ونجد والفرس وأفغان كلها مستقلة . فعلى كل من قرأ هذا الكتاب من أذكيائهم أن يذيع هذه الفكرة في بلاده وعلى الأغنياء أن يساعدوا بالمال

٣٠ (زجاج لا يبلس) زجاج لا ينكسر وهو يدخل الأشعة البنفسجية فتصح الأجسام بها وبه تطرز الثياب فيكون منظرها جيلا الخ وهذا مما فتح الله للناس من الرجات

٣١ (مسامرة) في قصة (فون شونبرج) ومحبوبته (ستوستود) الأول رأى صورتها فوق الحائط في نيويورك فذهب في بلاد الله شرقا وغربا فلم يعلم أين هي حتى وصل إلى ألمانيا فرآها على الحائط وأخبره رجل بأنها في مدينة نيويورك فوصل إليها ولم يرض أبوها بزواجها . ثم أنها هي أخذت تجول في الأرض وهو يتبعها وهي عنه معرضة حتى لان قلبها وهي في بلادنا المصرية فتزوجها في أيامنا وهذا مثل ضربه الله لنا . فجميع العقلاء كهذا العاشق وجيع الموجودات كهذه المعشوقة . ولن ينال عاشق ما أحب إلا بعد أن يذوق العذاب ألوانا . فهذه الدنيا دار صور وأعظم الناس طلبا وشرفا هم الذين يطلبون أعلى الموجودات وأشرفها وكل يطلب على مقدار همته

٣٣ (الاتحاد المادي والاتحاد المعنوي) والثاني صناعي وطبيعي . فالاتحاد المادي كاتحاد الهيدروجين مع الأكسوجين فيكون الماء أو مع النيتروجين فيكون النشادر وكتحاد الذرات فيكون كل حيوان وكل نبات . والاتحاد المعنوي اتحاد الصور المسموعة والمنظورة والمشمومة بأرواحنا وعقولنا فتتو الأرواح كما تتو بيضة الجنين بالأغذية . إذن نمو الأجسام ونمو الأرواح لا يتم إلا بالاتحاد . أما الاتحاد المعنوي الصناعي فهو ما نراه في رجال الحكومات إما داخلا كالوزراء ومن تبعهم وإما خارجا كرؤساء الممالك المختلفة فلكل من هؤلاء أغراض ولكنهم يسترونها ويشترون ظاهرا في المنافع العامة . ولا جرم أن أهل الأرض



لابزالون أطفالاً لأنهم لم يتحدوا اتحاداً حقيقياً ويستحيل أن يتم ذلك إلا إذا سعوا إليه بمجدهم بدليل أن كل اختراع لم يظهر إلا بمجدهم ، وأعظم مطلب لبني آدم هو الاتحاد العام ، فالطريق إليه طويل شاق وقد ألفت له كتاب ﴿أين الإنسان﴾ وخطاب أمم الأرض بأن العصر الحجري تبعه البرنزي والحديدي والبخاري والكهر بائي . إذن الإنسان له عصر سعادة مقبلة . إن خطابي ليس خاصاً بالمسلمين لأن كتاب الله عام . فالخطاب العام هنا أولى . وإذا كنت منذ (١٨) سنة خاطبت الأمم كلها وأنا عبد فكيف لا أخاطبهم وأنا أفسر كلام الله : « أيتها الأمم . إن الشرق لم يخاطب الغربي ويطلع كل على ما عند صاحبه إلا اليوم والحرب كانت اضطراراً اضطراليه . أن للناس أن يعملوا بما كتبته في كتابي ﴿أين الإنسان﴾ قد كشفت قليلاً . أستم تجهلون كيف تصنعون أراضى جديدة في البحر كالمرجان . ألم تجزوا عن اتحاد حيوان المرجان . أستم لستم بحاجة إلى الآن إلى أرض جديدة فدونكم الأرض واسعة . فهذه جزائر الهند الشرقية فهي تعادل مساحة نصف أوروبا ولا سكان فيها أكثر من ٥١ مليوناً وأرضها لا نظير لها في الحصوبة . فأين سكانها إذن . إذن النوع الانساني طفل صغير . إن المسلم يقول في صلاته - اهدنا الصراط المستقيم - والاستقامة ظاهرة في النظام العام وهو لم يتم إلا بالاتحاد العام وبهذا الصراط يكون السلام العام وقالت في كتابي ﴿أين الإنسان﴾ « ان الأمة التي عندها أرض خالية يجب عليها أن تقبل أناساً من أمم غيرها » . إن حياة الخلايا ضربت مثلاً لنا في الحب العام . إن الخلية في النبات أوفى الحيوان تنقسم على طريقة الشطرنج (٢ - ٤ - ٨ - ١٦ الخ) ويكون منها الكبد والطحال واليد والرجل وكل خلية في عضو منها مستقلة وهي مرتبطة بما جاورها من الخلايا وذلك العضو مرتبط بالعضو الآخر . فالفرد مستقل في حياته مشترك مع غيره فرح بالاستقلال وبالاشتراك معا . وكلما كانت الانسانية أكثر تضامناً كانت أوسع سعادة . وإذا وجدنا المخترعين عند من لا يقولون - اهدنا الصراط المستقيم - نفعونا نحن تبعاً أفلا ينبغي أن نجد ونرتقي لنفعمهم وننفع جميع الأمم ؟ أفلسنا نحن خیرأمة أخرجت للناس ولقد وجدنا الأمم حولنا ناقصة وأتم عنوانكم - انكم خیرأمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . فهذه الأمم لما رأت الامتيازات قد اضمحلت من الشرق بحذ السيف وبقيت في مصر وحدها لم تنه أمة عن هذا الظلم الذي لم نقدر أن نزيله بالجيوش إذ هم منعوا أن نكون عندنا جيوش إذن الأمم الآن عبيد العصا لا يهابون إلا القوة كما يشهد لذلك كلام اللورد أفيري والمستر بلانت الانجليزي أيها الناس : إن الأرض المذكورة في سورة سبأ سبقتكم في المدنية والعمران والإنسان له مستقبل باهر زاهر فجدوا ،

٤٠ ﴿ضوء الجوهرة﴾ ان كل شهوة لطعام أو شراب الخ إنما هي مبدأ من مبادئ العلم . فدراسة طعامنا انتهت إلى معرفة الكلور والصوديوم اللذين ركب منهما الملح . فلتعجب النفس الانسانية كيف كان من الملح غاز مهلك يكون أشبه بالسحاب في الجو . أليس هذا موقظاً للعقل وهناك تتأجج نيران المحبة والعلم ويعرف الإنسان صفات القادر الحكيم ويفهم أسماء الله الحسنى . وهناك يدرس العناصر الداخلة في تركيب النبات مثلاً ويرى ذلك داخل في معاني الأسماء المذكورة وأن لكل عنصر نورا خاصاً وذلك النور يظهر من نفس العناصر المذكورة في الشمس والكواكب . وبهذا يظهر سر آية - الله نور السموات والأرض - فلعوالم كلها ظهر أنها نور والسورة نفسها سميت النور

٤٢ اختلاف نتائج الطعام في أحوال الناس . جرب العلماء في الفيران غذاء الحنطة مع بعض الخضر فزادت أبدانها على التي لم تأكل خضرا . وتلاميذ اليابان الذين تغذوا بغذاء الأمم البيضاء طالت أجسامهم أكثر

من اخوانهم الذين أكلوا كأهل اليابان ، فثبت أن قصر القامات لأجل الماء كل لاغير والفيران التي أكلت طعام الانجليز صارت خشنة الجند شكسة الطباع بخلاف الفيران التي أكلت طعام اليابانيين فهي هادئات الطباع ، إذن شهوة الطعام أوجبه فدرسه الانسان فارتقى في بعد ، إذن الشهوات زرعت فينا للعلم ٤٣ فإذا رأينا الغذاء يترتب عليه الطول والقصر والهدوء والشراسة فليكن هكذا الثواب والعقاب ، فهما تابعان للأعمال ، إذن هما نتيجتان كالتائج المذكورة ، إن الشهوات التي ركبت فينا كلها نتائجها العلم . ألم ترى الذين توجهوا للقلابين وماتوا فلذتهم روحية عالمية وهذا من سر - مايفتح الله للناس من رحمة - الآية . ومن هذا الفتوح كشف تلك الأقطار التي يومها (٦) أشهر ونهارها كذلك وفيها غزال الرنة وفيها المعادن الكثيرة وبعض النباتات

٤٥ إذا صدقت نتائج الأغذية قوة وضعفا فلم تكذب نتائج الأمم المستعمرة ظلمها وعدلا من خرابها وبقائها فأبونا رفعوا المدنية ولما انعموا في اللذات ذهبت دولهم وهوسر حديث البخارى وهذا التفسير فيه زبدة العلوم

﴿ نتائج تعليم الله لنوع الانسان ﴾ الانسان شارك الطير في الهواء وقد أخرجت الأرض خباياها . إن هنا معجزتين نبويتين : إحداهما حديث الصدقة وأن الانسان لايجد من يأخذها وحديث «لوتوكلتم على الله حق توكاه لرزقكم كإيرزق الطيرالح» فهذا رمز الى زماننا إذ يطير الناس ولايحصرون في بلادهم ويعمل كل امرئ بقدر طاقته للمجموع ولامعطل في الأمم . فإذن لمن تكون الصدقة . إن هذا زمان انتقال . فالطيران زاد الى (٣٠٠) ميل في الساعة فحول القفر جنت

﴿ الكلام على مصادر القوة ﴾ وعلى الضباب الصناعى وعلى النبات الذى فيه طماطم فوق الأرض وبطاطس تحتها وأن الانسان ربما يتخذ غذاءه من الجوهر الفرد في المستقبل والشمس أصل كل ما في الأرض فذلك كله تفسير للا حاديت

٤٧ قد أظهر الكشف أن النبوغ أكثره في الأغنياء وهذه ضد القاعدة المشهورة . فطبقة الأغنياء والأشراف في فرنسا هي التي أنجبت العظماء وعالم انكليزى يقول : « إن في كل أبناء أربعة آلاف رجل عامى ينبغ في القضاء واحد وينبغ من أبناء القضاة واحد من ثمانية » وآخر الأقوال أن الغنى يساعد على النبوغ فلاهو ولاالفقر يوجدانه . وهنا كلام عام في معنى - اهدنا الصراط المستقيم - وهكذا

٤٩ ﴿ آيات في الكشف الحديث ﴾ وأن رجلا هو نلنديا هو الذى صنع أول العدسات ورأى منها حيوانات شتى في الماء الصافى ومن هنا أخذ العلم يرتقى

٥٠ الكلام على مافتح الله به على الناس في زماننا بكشف خيرات كانت خافية عليهم وهي (١١) موضوعا مثل ثروة القطب الشمالى . ودائرة القطب الجنوبى . ومنافع الشمس في أكلنا . ومعجائب البناء والألماس وصنع الورق من حطب الذرة وهكذا . وأن في القطب الشمالى من النباتات المزهرة (٧٦٢) نوعا وأن هناك أعشابا تكفى أربعة ملايين (رنه)

٥١ رسم محطة الطيارات والبالونات في القطب الشمالى كما تخيلها أحد المهندسين (شكل ١) والكلام على الأرض في دائرة القطب الجنوبى التي تنزع في الانتفاع بصيد الحيتان من بخارها واستخراج المعادن

٥٢ كيف نأكل نور الشمس ونتداوى به والكلام على المنسوجات الكيماية . الحبوب قد شبت بضوء الشمس الصناعى وهذا الغذاء خال مما يمرض الانسان وهذا يعيد الى الذكرة ما كان يعتقد أنه أكل الديانات القديمة ان الشمس مصدر الحياة . ومن عجب أن تلويح البشرية من تعرضها للشمس انما هو نتائج الأشعة فوق



البنفسجية وهي منعشة جدا للانسان وهي المسماة (فيتامين) فإذا لم تدخل أبداننا من طريق الجلد لم نساعد في الحياة ، فتغطية الأجسام تماما إذن جناية عظيمة ، وخير ما نلبسه هي الثياب البيض لاختراق الأشعة فوق البنفسجية لها والملونة لا تخترقها إلا قليلا ، ثم بيان أن الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم بأكل السكر والنشاء والحيز المصنوع منه والبطاطس البيضاء والأرز الأبيض واللحوم الهزيلة والقهوة المشبعة بالسكر والنقل المحلى بالسكر والمشروبات الحلوة والمربات ونحوها . فأفضل الحياة ألا كل بعرق الجبين والتعرض لنشأة الشمس ، فليأكل المدنى المواد الدهنية والجوز والأثمار والخضراوات ولبس أخف ما قدر عليه والمشي في الشمس ، وهناك دواء مشبع بضوء الشمس له فعل عظيم في صحة الانسان أقوى من زيت كبد السمك . (شكل ٢) الاستاذ هارى الذى كشف حقيقة كون الغذاء الشمس يساعد على الصحة (شكل ٣) رسم صبي كسيح في حمام الشمس يعالج بالأشعة فوق البنفسجية

٥٥ (الكلام على المنسوجات الكيميائية) يوشك العلماء أن يظهروا لنا ملابس كيميائية تغينا عن القطن وعن الحرير حتى لا تغلوا الأثمان اذا حلت بهما آفة ، وهكذا يريدون أن يجعلوا الطعام خاليا من الجراثيم الكثيرة في طعامنا

٥٦ (عجوبة البناء) نقل الأمريكان كنيسة من مكانها الى مكان آخر (شكل ٤)

٥٧ استخراج الألماس . منظر عام للآلات التي يجلس عليها العمال القائمون بتنظيف الألماس (شكل ٥)

٥٨ (شكل ٦) عملية قطع الألماس

٥٩ (شكل ٧) منظر الاختصاصى الذى يزن قطع الألماس

٦٠ الجليد السخن وصنع الورق من ورق الذرة بالضغط العظيم المساوى لضغط الماء في البحر على عمق (٢٥٠) ميلا تحول الفولاذ الى مادة ليننة وتحول الشمع الى مادة أصلب من الفولاذ والصمغ المرص صارت منه مقاطع للفولاذ والزئبق بأقل من هذا الضغط يجمد ، إن ورق الطباعة المصنوع من ورق الذرة أمتن قواما من غيره . إن الفحم الحجري هو المخزون في باطن الأرض قديما ومنه يكون الغاز الذى به تضاء المنازل بالأنايب ومن شوائبه تكون أصباغ كثيرة جراء وزرقاء وصفراء وسمرراء وسوداء وبرتقالية وبنفسجية وهكذا ولكن هناك في باطن الأرض غاز طبيعي عرف منذ مائة عام في أمريكا كالذى يستخرج في مدينة (فندلى) من بئر عمقها (١٠٩٣) قدما وامتد لها في الهواء (٣٠) قدما . ورؤى على ثلاثين ميلا من كل ناحية، وهنا ذكر الأقوال التي قيلت عند مظهرت هذه الغازات من خراب الأرض ونحو ذلك فلم يعبأ بها العلماء

٦٢ ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر وساعة تشتغل من نفسها ليلا ونهارا (شكل ٨) رسم ساعة تشتغل من نفسها (١٠٠٠ سنة)

٦٣ اكتشاف الطيارات في الجو ، اختراع المستر بيرد ، اختراع فونوغراف لتعليم اللغات عجائب العلم الحديث وهي البكتريا ومعرفة التشعع وتقدم الكهرباء واحتراق الآلات في داخلها والبناء الحديث والمعادن وطرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن . والطيارات والرحلات الجوية . كل هذه العجائب من راحة الله التي لا تمسك لها . فأما البكتريا فاكشفناها قد قلل الطاعون بما اخترعه باستور وأما تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة وفي التشعع فذلك ظاهر في ارتفاع الصناعات وفي الراديو والكهرباء اليوم قد ملأت العالم منافع لا حصر لها . وأما البناء بالأسمت المسلح فقد ظهر في ناطحات السحاب وغيرها وقد يتم بها في أشهر ما يستغرقه بناء الاهرام في سنوات وللمعادن آثار لم تكن سابقا في

ال عمران ، ولحفظ الأغذية من التعفن فضائل مثل إغاثة البلاد الجائعة بفضل ذلك الحفظ ومثل كثرة الحركة التجارية الخ وفضل الطيارات ظاهر ، وأما تقدم الآلات وهي الأعجوبة التاسعة فذلك أمر لا حصر لمنفعته في فروع الحياة . كل ذلك من أسرار الله تعالى الذي فتحه الله على الناس . فليغترف المسلمون من رحمة ربهم ومن أسرار آية - سيركم آياته فتعرفونها -

٦٦ وههنا فوائد مثل معرفة أن البرق الصاعق يتم في (٧) من ألف من الثانية وأنه يكون من الأرض والسماء معا ، وأن القوى كلها من الشمس إلا قليلا ومنها قوة الإنسان المستمدة من النشا المستمدة من الشمس . المستر وللمسكون الأمريكي وزوجته يعيشان في غواصة في الماء ويصوران عجائب الأعشاب والغابات وأصناف السمك البديع الجميل

٦٧ (المسألة الحادية عشرة) مما فتح الله به على الناس تلك العقول الكبيرة للأطفال ، فهناك طفل في (سلوفاكيا) يحسب عمر كل إنسان ساعات ودقائق في بضع ثوان وعمره هو خمس سنين ، وفي الولايات المتحدة من عمره (٨) سنوات وهو يعرف ثمان لغات وله مؤلفات ، وطفل اسمه (هنري) في الشهر العاشر من عمره كان ينطق كل كلمة في اللغة الألمانية

٦٨ وهكذا طفل بلجيكي في الثانية من عمره يضرب عددين مكون كل منهما من خمسة أرقام بسرعة ولا يخطئ بدون كتابة ، وصبي في الثانية عشرة من عمره في (بيرو) يصارع الثيران . وفي مصر ضرب أعدادا كثيرة في زمان قليل واستخرج الجذر التكعيبي وهكذا

٦٩ (المقام الثاني) ما يسبب الله من الرجات مثل ما حصل من البرد في أوروبا سنة ١٩٢٩ في بريطانيا إذ عطلت المواصلات به وفي جميع أنحاء أوروبا وعطلت المناجم وتلفرافات برلين وبعض السفن حصرت بالجمد في بحر البلطيك ولا طعام فيها والموانئ البلغارية على البحر الأسود محصورة بالجمد والعاصفة اكتسحت إقليم أينا ويعوق البرد سكك حديد إيطاليا الخ

٧٠ وهكذا في لبنان عطلت حركة التجارة وقطعت الطرق . وخسائر الجليد في العالم في كل شتاء (٢٠٠) ألف ألف دولار

٧١ صورة إحدى كنائس مدينة البندقية في إيطاليا تحت الجليد (لطيفة) في قوله تعالى - والله خلقكم من تراب - الخ ان الآلام موقظات لمعرفة الجلال

٧٢ (شكل ١٠) الجهاز الهضمي فيه الفم والمرى والغدة اللعابية والغدة الدرقية والغدة الهوائية والغدة التيموسية وهكذا الى الشرح

٧٣ (شكل ١١) شرح الجهاز الهضمي من الأنهر الستة في الفم والبلعوم والمرى والمعدة والأمعاء الدقيقة والغلاظ والمستقيم والزائدة الدودية وهكذا شرح أوسع لذلك في تقسيم الطعام على تلك الآلات

٧٤ مثل ان المواد العضوية التي ليست آزوتية كالنشا والسكر والمواد الدهنية كالزيت والسمن والشحم وأن المواد العضوية الأزوتية التي تستهلك في الجسم مثل زلال البيض وجلاتين العظام المغلية والجبن واللحم

والحبوب والبقول والمواد غير العضوية هي الماء والمواد المعدنية مثل كربونات الجير في العظام والأسنان ومثل فوسفات الجير في العظام أيضا وهذان في النبات وفي الحيوان . وهنا شرح (شكل ١٢) في

المعدة وما حولها وهو (١٣) جهاز كالقناة الصفراوية والقناة البنكرياسية وهكذا . وهنا اسهاب في نظرة الحكماء لهذه الأجهزة العجيبة فان الطعام الذي كان نباتا وحيوانا ومعادن أصبح في الفم وفي المعدة وفي

الأمعاء بفضل تلك الآلات منتقلا من حال الى حال فهو كيموس أولا فكيلوس ثانيا فدم ثالثا وهو يرتقي



من حال الى حال كما يرتقى التلاميذ في مدارسهم وما بقي من الفضلات يخرج من مخرجه وما اصطنع من الطعام يغذى الأعضاء وينتهي الى المخ ويصير عقلا وفكرا . ومن عجب أن تكون الغدد والآلات موزعات في الهضم على أنواع الطعام المختلفة - ذلك تقدير العزيز العليم -

٧٦ (شكل ١٤) القصبة الهوائية (شكل ١٥) الحويصلات الهوائية

٧٧ (شكل ١٦) النسيج الهدي للقصبة الهوائية وأنه أشبه بالكسنة من حيث وصفه وأنه دائماً يتحرك ليخرج الغبار الداخل مع التنفس (شكل ١٧) رسم الرئتين وتفرع القصبة الهوائية فيهما وهذا عجب . فهنا ما يشبه الشجر والأغصان والفروع

٧٨ (شكل ١٨) رسم يبين للغدد البسيطة والأنبوبية والعنقودية . وبيان أن هذا الدم أيضا يحتاج الى آلات ومصانع لبنى بها هذا الجسم كالغدة الصنوبرية لتحفظ التوازن في نظام الجسم ونمو الشعر وعدم طول العظام بغير نظام . ومثلها الغدة النخامية وتزيد على ذلك أنها لها صلة بأعضاء التناسل وحفظ الدم

ودقات القلب ومثل غدة تفرز الماء الملحي في العين وهكذا من الغدة الدرقية وجاراتها وهذه الأخيرة اذا أزيلت حصل التشنج الخ والبنكرياس تساعد الكبد في تلطيف بعض المواد والكبد يفرز الصفراء

٨٠ الغدتان فوق الكليتين (شكل ١٩) فهاتان اذا لم تعتدلا تلتون الجلد بلون برزى وينتهي ذلك بالموت والغدد التناسلية للذكر والأنثى لحفظ النسل ولاحداث عميزات الرجال كالذقن وعميزات النساء كاستطالة الشعر في الرأس وازدياد المواد الدهنية تحت العظام لتخفي الزوايا البارزة وهكذا من غدد عرقية وأخرى لبنية

٨١ أعصاب الحس وأعصاب الحركة ، إن ما حولنا أسهل فهمنا لنا من أجسامنا (شكل ٢٠) الهيكل العصبي للإنسان وهذا عالم جديد خرج عن كونه نباتا أو طعاما أو دما فهو يقرب من العالم الروحي وهو المخ والنخاع الشوكي والمخ نصفان أكبرهما تسعة أعشاره وهما أيمن وأيسر وهما مركز الحس والشعور والذاكرة والذكاء والارادة ، والنخاع صغير الحجم وهو ينظم الحركات العضلية فهو منظم والنصفان قبله

مصدران للحركة ، وبيان النخاع المستطيل المنظم للحركات غير الارادية كالتنفس والقلب وفيه تمر التيارات العصبية ومنى أصيب بضرر حصلت أمراض خطيرة وقنطرة فارول موصلة لبعض التيارات العصبية

٨٢ (شكل ٢١) رسم المخ ، والحبل الشوكي ينقل الاشارات بين المخ وأطراف الجسم ، وهناك ١٢ زوجا عصبيا في مناطق الرأس للحواس موصلات منها الى القوة العاقلة ، وفي الحبل الشوكي ثقب بين الفقرات تمر بها أعصاب تبلغ ٣١ زوجا موزعات على جانبي الجسم من الجانبين ، كل هذه للحركات الارادية

٨٣ وهناك الجهاز العصبي الاشتراكي ففيه العقد الشوكية (شكل ٢٢) ففيه عقد عصبية على جانبي العمود الفقري توزع في الغدد اللعابية والرئتين وفي كل ما لاسطان لنا عليه

٨٤ وللك الجالس في عرشه بالرأس (ثلاثة أعوان) الحس المشترك والقوة المفكرة والذاكرة ، فالخيلة المتصلة بالأول لها صور جميع العلوم فهي كالتخزينة المصورة والمفكرة لها نظام الطبيعة والانسان ومعرفة الله والذاكرة بها تعرف المواليذ الثلاثة والفلك والرياضيات والتاريخ العام ويد تبرز ما تطلبه النفس ولسان يبرز ذلك بالكلام

٨٥ (تذييل لهذا المقام) قراء هذا التفسير يشهدون بالحق لأنهم شاهدوا نفس الأعضاء وقد يقرأ عالم التشريح هذا وهو غافل عن حكمه كما يغفل الفلاح الذي يحافظ على الزرع عن حقائقه فهو لاء غافلون لم يشهدوا بالحق وهذا قوله تعالى - واذا أخطرك من بنى آدم - الخ وقوله - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الخ ، فقراء هذا التفسير شهداء بالحق وهم موقنون وهذه الطائفة مرشحون للدخول في عوالم

- أعلى لأنهم فيهم قوتنا العلم والعمل كما ان الأعصاب للحس وللحركة
- ٨٦ النحو والصرف والبلاغة شبكات نصطاد بها العلوم وهي في نفسها غير مقصودة لذاتها . فهي كالدائرة الغذائية التنفسية والدموية فكلاهما طلب به غيره وهي المعاني العقلية ، ثم إن الحكيم ينظر فبى أن المادة أصلها حركات وأنوزمعتولات ثم رجعت فينا الى أصلها ، إن ابداع الجسم كابداع طباق السموات كل في موضعه ، هكذا فلتكن أعمالنا كلها وأحوالنا فلانزع منها شيأ في غير موضعه
- ٨٧ مسامرة في نظام الانسان وجماله . ايضاح نظرية المحبة . يحب الزوجان الذكر والأنثى أحدهما الآخر يساعد هذا الحب جاملهما وقوتهما ، يلدان الذرية ثم هما يحبان من ولدا ولا يزال جاملهما في اضمحلال وحبهما للولد في اقبال حتى يكونا شيخين والذرية تحبهما على مقدار عطفهما . وهنا وصلنا الى عالم أرقى . زوجان يتحابان للمشاركة في الذرية والأعمال المنزلية وذرية تحب على مقتضى الاحسان الجسمي وهذه الذرية التي أحبت الوالدين شكرا لهما على التربية الجسمية تأخذ في حب المعلمين لها شكرا روحيا سببه فضيلة العلم ، إذن سعادة هذا العالم في الحب الروحي لأننا وجدنا أعلاه ما كان للعلم ولا يزال الانسان يترقى في الحب حتى يحب المعلم الأول وهو صانع العالم ، وأضرب لذلك مثلا : رجلا أتى سؤالا فقال عددان مجموعهما (٥٥) والفرق بينهما (٣) أو عددان مجموعهما (١١٠) والفرق بينهما (٦) ثم أجاب واحد من الجالسين بحساب الجبرقة ثلا في الأول (١٤) و (٤١) وفي الثاني (٢٨) و (٨٢) وسأل سؤالا آخر من علم وراء علم الجبر يسمى علم الدرهم والدينار فقال : رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص فأخبرهم بثمنها . فقال أكبرهم لأوسطهم : إن أعطيتني مامعك من الدينار مضافا الى مامعى صارمى ثمن الفرس . وقال الأوسط للأصغر : إن أعطيتني  $\frac{1}{4}$  مامعك مضافا الى مامعى صارمى ثمن الفرس وقال الأصغر للأكبر : إن أعطيتني  $\frac{1}{8}$  مامعك مضافا الى مامعى يكون مامعى ثمن الفرس . والمطلوب معرفة الثمن كله ومعرفة مال كل واحد منهم . فاذا أجاب واحد من الجالسين بأن الثمن هو ٣٤٠ وهو حاصل ضرب البسوط جمع بسط وأن مامع الأكبر (٢٠٨) ومامع الأوسط (٢٢٠) ومامع الأصغر (٢١٠) فن أجاب على هذه الأسئلة تحبه القلوب وتغرم به ويكون هو في نفسه فرحا فبالك اذا أحل لغز الكون كله وعرف صانعه الحكيم . ومما هو من هذا القليل أبعاد الهرم المذكورة في سورة يونس  $\frac{1}{3}$  ومناسبتها للقاييس والمكاييل ، ومنها أيضا مناسبات الأغذية لأعضاء الأجسام مثل قول أطباء العصر مثل ان البصل ينفع الكبد أكلا والفجل ينفع الكلا والجلد الجزر وللشجاعة البرتقال والليمون وأن المواد الزلالية كالبيض والمواد الدهنية والمعدنية كلها لازمة للجسم وهكذا قد وزعت أنواع الطعام على (٣٢) مصنع من مصانع الجسم ، واذا تركنا بعض الأطعمة اعترانا مرض لمجرد هذا الترك كما اتفق لى إذ تركت بعضها فرضت فلما علمت وعملت زال المرض . وإث قراء هذا التفسير يعشقون صانع العالم عشقا عظيما ، فالويل لمن مات وهو جاهل بهذه العوالم
- ٩١ لطيفة في بلدة المرج  $\frac{1}{2}$  جندى راكب يقبض على الفلاحين لأجل قتل الجراد الآكل للزرع فالجراد وباء يهلك البلاد ، إذن الاتحاد لابد منه لاتقاء الأخطار . مبدأ الامور كلها الجوع وهو يستلزم الطعام والأمم كلها يجب أن تتعاون لجلب المنفعة ودفع المضرة . إذن جسم الانسان أشبه بعلم الفلسفة يجمع العلوم كلها أو كالقرآن
- ٩٢ تعجب المؤلف من خلق الجراد وخلق آفته وهو مكروب يعطى لواحد منها فيدري الطاعون فيها كلها وقد حصل هذا فعلا بطور سيناء . إذن الدنيا أشبه بصور متحركة (السينما) فهنا عجب في نفس الطبيعة



والجهال لمالم يفهموها جعلت لهم دور لابرار الصور . أبها المسلمون : عار عليكم أن تذروا أرض الله وأن تتركوا قواكم بلا منعة فلندرسوا كل شئ أو فلنرحلوا من الأرض ، إن هناك قوما يحبون النظر لوجه الله أكثر من كل ما يشتهون ، وهذا النظر لذته لا تكون إلا بعد لذة العلم وحوزة في الدنيا . كل هذا مناسب لآية - والله خلقكم من تراب - الخ

٩٣ ﴿لطيفة﴾ في قوله تعالى - وما يستوى البحرين - الخ عجائب البحر مثل الكاشالوت ذوالأنياب المحددة والروكال الذي يبلغ طوله (١٢٠) قدما ومثل عمق البحر (٢٧٥٠) قمة مع ان النور لا يبعد أكثر من (٢٠٠) قامة . فهناك في الظلام حيوانات تعيش بالنور خارجي بل إن النور يخرج منها نفسها فهو تحت أمر السمكة . إذن هناك في (٢٥٥٠) قامة في الظلام أحياء ، ومنها ماله نور فسفوري وفي البحر المرجان يعني جزائر كثيرة كما بنت الأرضة في اليابسة مباني عالية

٩٤ إذن الأرضة برا والمرجان بحرا فعلا ما عجز عنه الناس فإن المرجان أحدث في البحر آلافا من الجزائر عاش فيها الحيوان والنبات ، ومن العجائب أن قوة الحصان تجر (٣٠٠٠) رطل في البر بسرعة ثلاثة أقدام في الثانية وعلى السكة الحديدية (٣٠٠٠٠) رطل للمسافة نفسها والوقت نفسه وفي البحر ٢٠٠٠٠٠ رطل . إذن الماء أكسبنا تسهيلا فوق السير المعتاد (٧٠) مرة . هذه سر آية - وترى الفلك مواخر فيه - إذن المسلمون عليهم أن تكون لهم يد في البحار عظيمة

٩٥ البرق السلكي والبرق غير السلكي . البرق السلكي معروف . المصطلح عليه في البرق غير السلكي كالذي في الاسكندرية وفي أبي زعبل وغيرهما من لأعمدة ذات الأتيمان الغالية لما فيها من دقة الصنع وأحسن الأعمال ان الألف تساوي نقطة وشرطة والباء شرطة وثلاث نقط وهكذا والشرطة ضعف النقطة ومنى أرسلت في الجوّ سرت فوق البر والبحر في المرتفعات الشاهقة ويتلقى المبرقون بالآلة خاصة ويدونون تلك الاشارات وكل من يأخذ الاشارات قادر أن يطلع على أسرار جميع الأمم ، واذن لا بد أن يكون هناك أرقام سرية والرياح والزواج لاتعيق هذه الاشارات ، أفليست هذه نعمة يجب شكرها على المسلمين وكيف يشكرون ما يجهلون . ومن عجائب العلم أن العلماء في أول القرن التاسع عشر كانوا يحزمون بأن لاحياة تحت عمق (٤٠٠) متر إذ لا ضوء هناك وهناك أيضا ضغط شديد على الحيوان فكيف يعيش في ظلام وضغط فكذب الوجود هذين البرهانين ، إن ضغط الجوّ على حيوان الأرض يبلغ ارتفاع عشرة أمتار من الماء والسمك في الأعماق القاصية يحمل فوقه سبع مائة ضعف ما يحمله حيوان الأرض وقد جعلت لها دروع صلبة تجعل أعضائها الداخلية في أمان والعلماء في حيرة من أمر هذه الحيوانات . ومن عجائب الماء نفسه أن السنتيمتر المكعب فيه (٣٠) ألف مليون مليون مليون جزيء وأن سرعة الجزيء (٣٠) كيلومترا في الدقيقة الواحدة أو نصف كيلومتر في الثانية ووزن هذا الجزيء (٣) أجزاء من مائة ألف مليون مليون مليون جزء من الجرام وهذا الجزيء مركب من ذرتين من الاودروجين وذرة من الاكسوجين والحركات المذكورة هي التي تحدث درجة الحرارة والضغط على الأواني والأمكنة والبحار ، وهذه الجزيئات المائية المركبة المذكورة أكبر (١٨٥٠) مرة من الالكترونات التي هي ذرات كهربائية وشعاعات ضوئية

٩٩ ﴿لطيفة﴾ في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وههنا يشير المؤلف الى ما كتبه في ﴿سورة السكهف﴾ مما نقله هالك أن علم الألوان اليوم لا يزال في المهد ولكن الذي علمناه منه يورث اليقين بالعناية الخاصة كما يشاهد في حجار الحبشة المرسوم هناك وفي أبي دقيق الطاووسي

١٠٠ وههنا يسبح المؤلف ربه متعجباً من نقشه ورقشه وأصباغه وإلهامه أمما كقـدماء المصريين الذين أبدعوا منذ ستة آلاف سنة في الألوان الخضر والزرق من الأحجار الملصكية ، وهكذا صنعوا الزجاج ملونا بالزرقه والبنفسجية وغيرهما ولا يكون ذلك إلا بأوزان التقادير وذلك من الميزان الذي قامت به السموات والأرضون

١٠٢ ههنا دهش المؤلف من أن هذه الأرض أخذت تنطق للناس بواسطة أحجارها . الأصباغ والزينة والجمال في المصنوعات

١٠٣ رسم شجرة ذات جدائل (شكل ٢٣)

١٠٤ صورة شجرة عجيبة في شمال ( كاليفورنيا ) يقصدها السائحون من كل فج عميق (شكل ٢٤)

١٠٥ شجرة يسمونها ناطحة السحاب (شكل ٢٥) في برمين في ألمانيا عمرها ٩٠ سنة ارتفاعها ٢٥ مترا

١٠٦ شجرة بالولايات المتحدة تسمى شجرة الفيل كأنها رأس فيل رفع خرطومها (شكل ٢٦)

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ فيما جاء في علم الحيوان حديثاً وأن الحيوانات المعلومة نحو نصف مليون نوع ومن هذه الأنواع ما تطير وطيرانها على قسمين : قسم يطير بخفقان الأجنحة أعلى وأسفل كما هو مشاهد ، وقسم يطير بالقفزات مثل بعض أنواع السمك الطيار والسحالي الطائرة والسنجاب الطائر ، وعند علماء الحيوان أن الجناحين إن هما إلا الرجلان الأماميان من ذوات الأربع وأن الحيتان انقرضت أعضاؤها الأمامية وأعطيت بدلها زعانف تعوم بها ، وقد تحققت المشابهة بين جناح الطائر والوطواط وزعنفة الحوت وذراع الانسان ، وما هذا التنوع إلا للتأدية الوظيفة ، والسحالي في المنطقة الحارة بأسياسها غشاء تصنع فيه ما يصنعه الانسان بالشمسية قبضا وبسطا ، وسنجاب الهند يرق في الهواء نحو (٨٠) ياردة

١٠٨ (شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) الوطاويط أثناء نومها وهي تحمل صغارها

١٠٩ (شكل ٢٩) وطواط طول جناحيه خمسة أقدام . الكلام على ريش الطيور . وبيان أن ذكور الطيور هي التي تزين بالريش الباهر الزاهي والاناث لا يهتممن بالزينة خيفة أن تظهر للحيوانات المفترسة لها وهي تحضن بيضها فتأكلها ، وجوارح الطير لازينة لها لئلا تعرفها فريستها فتفتر منها

١١٠ (شكل ٣٠) ههنا (٢٤) نوعا من الريش المختلف الأشكال كالعقاب وعصفور الجنة والعصفور الطنان وهكذا . الكلام على حيوانات قاع البحار التي عليها ضغط عظيم كما تقدم فلذلك كان لهما قاسيا لا يؤكل ولها ضوء يقوم مقام ضوء الشمس الذي حرمته

١١١ (شكل ٣١) وفيه (١٨) شكلا من أشكال الحيوانات المائية المذكورة مثل ماهو كالقنديل الذي يشبه المظلة ، و ماهو كالبلون و ماهو نثاك وماله أعضاء منيرة و ماهو كالخروف وهكذا الطائر المسمى النساف علاقته مع أنثاه في غاية العجب إذ تستقر هي في جوف الشجرة ويساعدها هو بالغذاء الى أن تربي أفراسها ويطرن

١١٢ (شكل ٣٢) صورة ذكر النساف خارج باب العش ومنقار أنثاه ممتد من الداخل

جمال العلم والبهجة واستطراد بذكر أمر نباتي وهو صنع الورق من الذرة وأمر حيواني وهو الجراد الذي هجم على مصر وماحولها من البلاد في هذه الأيام ، وههنا أفاض المؤلف في موضوع الورق ناقلا عن سديو الفرنسي أن المسلمين في القرن الأول صنعوا الورق من الحرير كما تعلموا من أهل الصين وذلك في سمرقند وبخارى وفي نفس القرن أي سنة ٧٠٦ ميلادية جعلوه من القطن بدل الحرير



وهذا اختراع عجيب وسموه الورق الدمشقي وانتشر ذلك في اسبانيا واستعمله أهل قسطنطينية في القرن الثالث عشر ومنهم أخذه أهل فرنسا وإيطاليا وانكثروا وألمانيا ، وورق العرب أقوى وأمتن وأجل وهكذا استعملوا بيت الابرّة من ابتداء القرن الحادى عشر وهكذا بارود المدافع المستعمل في حصار مكة في القرن الأوّل الهجرى وفي مصر في القرن الثالث عشر نرّموا بالبارود قللا لها دوى كالرعد ، ممّ قال إن العرب هم أساتذة أهل أوروبا في جميع فروع الحياة وهؤلاء الاوروبيون عالة على الأمم الاسلامية العربية في صنع البارود وبيت الابرّة والورق وبهذه الصناعات قلبت سياسة الأمم وآدابها وعسكريتها وهنا أظهر المؤلف دهشته من أن هذه الآراء في الأمم الاسلامية عند الفرنجة ينسكروا جهلا بها كثير من المتعلمين ببلاد الاسلام تعلما دينيا أودنيويا لجهلهم الفاضح بعلم التاريخ وقال : إن هذا التفسير ستعقبه نهضة عظيمة لأن عقلاء المسلمين يدهشون حين يعلمون أن آباءهم الأولين في القرون الثلاثة الأولى كانوا هداة الأمم في الصناعات فضلا عن الدين وبهذا تم الكلام على الأمر النبائى وهو الأوّل (الأمر الثانى) هو الجراد الذى ظهر أيام طبع هذه السورة وعمّ الأفغان وبلوخستان والعراق وسورية والحجاز واليمن والسودان وانهم في مصر أخذوا يحرقونه ، وبيان أن له آجالا محدّدة وأوقنا يظهر فيها إما كل (١٥) سنة مرة ، وإما كل (١٠) سنين والأثنى تضع بيضا بهيئة خاصة

١١٥ (شكل ٣٤) والبيض خمس عناقيد كل عنقود نحو (١٠٠) بيضة تضعها في حفرة وتسدّ عليها ، ثم ينهش الذكر أنثاه بعكس ذكر العقرب وأنثاه ، وبعد (٣) أو (٦) أسابيع يفقس وهو مائل للخضرة ثم يسود بعد ساعات ثم يغير جلده خمس مرات كالأفاعى وتظهر الأجنحة بعد مدة ما بين ٤٠ و ١٠٠ يوم وهناك يكون أحمر وهو شديد الخطر إذ ذاك ، وبعد ذلك يهتم بالتناسل فيقل خطره ، وبيان أن الجراد من الآيات المفصلات لقوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد - الخ ومن التفصيل ما سيكون بالعلم الذى سيدرسه فضلاء المسلمين بعدنا إذ يرون أن الجراد آيات للاقتصاد والسياسة ولإصلاح الديانات فأما الجراد فى الاقتصاد فانه يخرج من جبل فى السودان ومن غيره ويطوف بلاد مصر والعرب وغيرها ويفعل مايفعله النمل فان النيل طوفان اذا لم نجعل له جسورا والجراد مهلك ان لم نتخذ له لما طعاما أو نعصره فيكون منه زيت اطيارات الذى لانظيره فى طيرانها فى الجوّ ، وقد كتبت للحكومة المصرية انه يمكن أن يعصر منه زيت ، وهكذا جاء لها خطاب من أوروبا بهذا الصدد ولكن القوم عندما فى شغل شاغل . هذا اجبال الكلام على الاقتصاد فى آيات الجراد

١١٧ أما السياسة المستنتجة منه فان الأمم العربية المصابة به التى تفرقت شذرا بالانكسار على مجد الآباء كما تقدّم فى أوّل (سورة آل عمران) . لو قرأت آية الجراد المفصلة لهم بارساله عليهم كل (١٠) سنين أو (١٥) سنة لأدركت سر رقيها إذ الجراد يخاطبها بلسان الحال قائلا : « أيتها الأمم الاسلامية العربية فى السودان ومصر وسورية والعراق والحجاز ، أتم فى بلاد متصلة ، متحدو اللغة والدين ولكنكم متفرقون فداستكم الأمم وأذلنكم بعد أن علمهم آباؤكم ، أجهلتم أيها الناس انى قد اتحدت وقت وأكلت زرعكم ولم أبال باحراقكم جثث اخوانى ولا إبادتكم لى لأنى تعلمت علم الوحدة من دافع العالم فهو واحد وأنا واخوانى كلنا كجرادة واحدة ، أما أتم فكيف تجهلون هذه النعمة . فلتعلموا ولتعملوا لتكونوا متحدين . واذا بعث الله غرابا ليرى ابن آدم كيف يوارى سوءة أخيه . فأنا بعثنى لأعلمكم الاتحاد فانا متحدون والموت عندنا خير من الحياة مع الذل ،

١١٩ (الأمر الثالث) الإصلاح الدينى بسبب الجراد . إن البراهمة يحرمون أكل الحيوان رافة به وهذا

الجراد طعام للناس ومثله الأرض ذات الأجنحة التي تطير في وقت معلوم وقد انتظرت جوعها (التي تطير كأنها سحاب) جيوش من أنواع الحيوانات الجياع فتأكلها فكيف يحرم الحيوان ونفس العالم ونظامه مبنى على هذا وأمثاله كما هو معلوم ، وهناك حال رابعة وهي التذكير بعروج النفس الانسانية الى عالم الجبال إذ يرى الحكماء من نوع الانسان أن الحيوان آكل ومأكول ، وأرباب الديانات في العالم الانساني متعادون يتقانون والعامة اكتفوا بظاهر الديانات فلم درجة خاصة ، أما الحكماء فانهم يفكرون في السكيات لالجزئيات إذ يرون الأرض كشجرة لها أوراق تذبل وأخرى تحل محلها والأصل باق وهكذا

١٢٠ ﴿ بهجة هذه الآيات ﴾ من قوله تعالى - ألم تر أن الله - الى قوله - انما يخشى الله من عباده العلماء - يخاطب المؤلف ربه قائلا : « نحن لم ندر من أين أقبلنا ولا متى نموت ؟ واذا متنا لا ندري الى أين نذهب والعالم حولنا جوامد وسوائل وغازات ، واذا أقفلنا أعيننا تخيلنا العالم نورا وراءه قوة تحمله أرزاقنا فتصل إلينا وعواطفنا كذلك ، وما الأرزاق إلا نتائج العناصر التي ترجع الى أنوار منراكمة ، ثم إن هذه الأنوار التي تحمل أرزاقنا هي أنفسها تحمل عواطفنا كعواطف رجة الأم وعشق الفتى والفتاة ، إنَّ العشق بين الصنفين الذكر والأنثى والرجة التي أودعت الالهات إن هما إلا أشبه بالبتول والشمع المتقدين نارا ، فهما من الأرض والأرض من الشمس ، الرجة القدسية الإلهية كالشمس ورجة الأم وعشق العشاق متزلان من تلك الرجة العائمة كما تنزل البتول والشمع من عالم الشمس فاتقدا نارا ، حبنا ورجتنا ليسا كحب الله ورجته . فهما عندنا منفعلان وهما عنده قدسيان عرفناهما بآثارهما ونتائج العشق والرجة وجود الولد بالأول وبقاء حياته بالثاني . إذن الغرام والرجة منصبان على الوجود والبقاء للأشخاص . فوصال المتعاشقين موجه لوجود الولد وإن لم يقصدا وسهر الأم على الولد لبقاء حياته . والحب الشريف الطاهر يرقى الى معارج الفلاح في الحياة وعكسه الحب الشهواني الموقع في الخفيض

١٢٢ الحب أعلى وأدنى وأوسط : وللاذنى إما الولد وأما ارتفاع النفس الى العلا ونتيجة الأوساط حب العلوم ومن هذا الحب الأوساط حب رجال العلم له مثل الذين يتسلقون الجبال كاستاذ دير نفورث الذي تسلق (جبال همالايا) وعلماء آخرون مثل (دوجلاس) وأكثرهم مات بالعواصف والثلوج . واذا رأينا مجنون ليلى من الطبقة الدنيا في العشق يهيم بها ويقول : \* وانى اذا ماجئت ليلي الخ \* ورأينا غيره يقول : \* قضيت سنون بالوصال وبالهناء الخ \* فهو لاء قليل من الشبان بالنسبة لعشاق الدرجة الوسطى التي تحوى الشبان والشيوخ . وهذه الدرجة الوسطى مقدمة للدرجة العليا التي لا يكون فيها إلا الحكماء الذين ينظرون الى العشاق من الدرجة الصغرى والارحة الوسطى نظرهم الى الأطفال ويقولون : « نحن لانحصر عشقنا في فتيات كمجنون ليلى ولا فى حجر وجبل وشجر كعشاق العلوم الذين يكبون على تحصيلها بل نحن نجعل العلوم كلها سلما الى محبوبنا الذي نسعد بعرفته ،

١٢٥ بيان أن أجل الذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم تلك اللذة (من كتاب الاحياء للغزالي) مينا أن الانسان له لذات كثيرة في قواه المختلفة غريزة الغضب للتشفي وغريزة الشهوة للطعام وهكذا السمع والبصر الخ ولكن للقلب غريزة أخرى تسمى النور الإلهي وهو العقل الذي لم ينحصر في المجادلة بل هو الذي أدرك الحقائق . فكما أن العين لذة النظر وللشم لذة الروائح ولشهوة البطن الطعام الخ هكذا للعقل لذة



الحقائق ولذة العلم بقدر شرف المعلم والعالم بحال ملك أو أمير لذته أعلى من العالم بحال عامي والعالم بوجود هذا العالم نفسه يستحق في جنبها لذة العافية والسلطان والملك . وإذا فرح الصبي باللعب واللهم والشباب بالنساء والبنين والتفاخر والتكاثر ففرح الحكيم بمعرفة الله تعالى فوق ذلك كله وليس يمنع ذلك إلا عدم الاستعداد كما أن العنيد يمنع عن فهم لذة النساء فقد تلك الشهوة وفي هذا النوع الانساني قوم لا لذة لهم إلا فرحهم بالمعرفة

١٢٨ ومتى انتهى صفاء قلبه أحسن بلذة لقاء الله في هذه الحياة . وههنا ذكر لذة الصبيان والشبان ثم الحكماء وشرحها شرحا كافيا

١٢٩ بيان أن قرأء هذا التفسير سيتفنون في ضروب الحكمة ولا يكونون كالبراهمة يبعدون عن الناس فتكون العلوم موجهة لغرضين : حب الله ومنفعة الناس . بيان إني أتذكر دائما أن المحسن يحب لمن أحسن إليه أكثر من الثاني للأول (مثال ذلك) الأم فهي تحب ولدها أكثر من حبه لها وهذه قاعدة عامة حتى أن الحكماء يحبون الناس أكثر من حب الناس لهم وهكذا الأنبياء مغرمون بهداية الناس أكثر من غرام الناس بهم ، وأي محسن أكثر احسانا من الله ! إذن حبه (وإن كان قدسيا) أكثر من حب الناس له وهذا المعنى الذي خطر لي وجدته في الاحياء قد جرى على السنة بعض الناس مثل المروى عن داود وعن بعض الأبياء

١٣٠ بهجة الجمال ليلة ١٤ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ إذ كنت بالحقل مع المزارعين وضاع وقتي معهم بالنهار وكررت راجعا وقد أظلم الليل وأرخى سدوله وظهري البدر شرقا والنجوم غربا تلمع خلال النخيل . وهناك تجلى لي القمر كأنه يخاطبني يقول : « إني شاهدت الأمم من أيام الفراعنة والذين قبلهم والذين بعدهم وقد مروا في هذا المكان وأكثر الناس يمرّون غافلين . وأنت أيها الجوهري كنت اليوم في الحقل في أعمال حزينة والجاهل لا يعقل سواها أما الحكيم فانه إذا مرّ في تلك الأعمال ورآني فانه يأنس بي وتفتح له أبواب الحكمة إذ يرى اننا في السماء دلائل على بقائكم لأنه إذا طال أمد المواد العلوية مثلنا فبالأولى يطول أمد الأرواح بل هي خالدة » ثم قال : « قل للمسلمين إن ذوي العقول الكبيرة يحب عليهم العلم وإن اقتصروا على العبادة كانوا صغارا كما صغر النجم في أعين الرائيين جوهرة في قوله تعالى - أولم نعمركم - الخ وبيان أن الأطباء يقولون : « إن الانسان يعيش مائتي سنة بالقياس الى الحيوان إذ يعيش ثمانية أمثال مدّة نموه ومدة نموا الانسان (٢٥) سنة وأن الأطباء أجمعوا على أن ترك الشهوات والتسّم وتقليل الغذاء وإطالة المضغ تطيل الحياة . وهذا تقرأه في سورة طه في آخرها وفي أوائل الحجر وفي سورة الأعراف عند ذكر الأسراف وفي البقرة عند آية - واذ استسقى موسى - الخ وفي سورة الشعراء عند ذكر قصة ابراهيم

١٣٢ تذكر المؤلف في مدة حياته امتثالا لهذه الآية . الحياة ألم وأمل وعمل وحب وغرام . فالألم كالجوع والأمل كطلبنا الطعام والعمل اعداده وتعاطيه وذلك كله مصحوب بحب الطعام والغرام به ومثل ذلك حب الذكور للإناث

(١) الرجل والمرأة يتعاطيان الطعام والشراب ثم يكون عندهما ألم يسوقهما الى الاجتماع ثم يعقبه

(٢) أمل بالذرية والأول سائق والثاني شائق

(٣) ثم يكون العمل وهو أنهما يجتدان في ارتقاء وبقاء الولد

(٤) ويدوم بعد ذلك الحب والغرام لهذا الخبثوق الجديد وهما يتنيان له العمر المديد إذن النهاية

أن سعادة هذا الانسان ترجع الى مساعدة الآخرين

هذه طبيعة الانسان وهذه سعاداته الحقيقية ، وهذه حتى لأهل الشرق والغرب قاطبة ، ثم إن السوائق والتوائد لم ترها إلا في الحيوانات العليا فمن الحيوانات الدنيا ما تلد ولا ذكر لها بل هي خنثى . وقد تقدم في هذا التفسير ، إذن وجود الذكورة والانوثة في الحيوانات العليا دروس وتبرين على الحب أولا وعلى مساعدة الآخرين ثانيا ثم المعرفة العامة ، فليجوز الانسان هذه المرتبة وليكن عاشقا لصانع الوجود ليمتاز عن هذه الدرجات الثلاث . وأعظم سعادة لنوع الانسان أن يكون كله كأعضاء جسم واحد وهناك تكون السعادة مضاعفة وهذا زمانها فن اتصال الأمم بالسكك الحديدية والقطارات والتلغرافات (البرق) والطيارات لم يتم إلا في زماننا والانسان لا يمتاز عن الحيوان إلا بهذه الخلة وهي أن يكون كله كشجرة واحدة أو كجسم واحد والأمة التي لا تقدر على الاتحاد تلفظ من بين الأمم كلها

١٣٧ ﴿سورة يس﴾ وذكر أنها أربعة فصول : البسملة . تفسير الألفاظ . وتلخيصها . والمجانب العلمية

﴿الفصل الأول﴾ في تفسير البسملة . وذكر أن اليوم شروق ونحى وزوال وعصر . والسنة ربيع وصيف وخريف وشتاء . والانسان صبي وشاب وكهل وشيخ . هكذا الأمم لها ولادة فتكون طفلا ينسج على منوال ماحوله وما يشاهده ولها أيام فتوة وقوة ولها أيام انحطاط ولها أيام موت . ولا جرم أن أمم الأرض كانت أيام النبوة قد اعترها الضعف وقد هرمت الفرس والروم فجاء الاسلام فأحيا هذه الأمم فكانت العربية تدرس تواريخ الأمم وعظم شأنهم في القرنين الأولين ثم وقفت الفتوحات ليستثمروا ما زرعوا ثم صاروا أمة شيخة ثم صاروا أشبه بفصل الشتاء وهاهي هذه الأمم الإسلامية اليوم تريد أن تكون خلقا جديدا كصبي أو كفصل الربيع فهي إذن تقرأ تاريخ الأمم وهذا التفسير ظهر اليوم في إبان الصبا لأمم الاسلام الحديثة . إذن يقرؤون (يس) فيسمعون الله يقسم بالقرآن أن النبي ﷺ من المرسلين الخ كما أقسم بالنجم اذا هوى . ولا جرم أن النجم يهدي في هذه الحال وكما أن للنجم علوما هكذا للقرآن علوم وهداية كل منهما تتوقف على العلوم اللازمة له وطرق الهداية الى الصراط المستقيم لا تعدو سنة مسير الشمس في اليوم وفي السنة . ألا ترى أن في أول السورة ضرب المثل بأصحاب القرية . ولا جرم أن هذا هو الذي ينشده الصبي في أول حياته فهو ينشد أن يقلد من حوله بالمعرفة واذا ضرب الله مثلا بأصحاب القرية فما أحرانا نحن أن نضرب أمثالا اقتداء به بمأحل بالمسلمين في الأندلس من تفرقهم عشرين دولة فهلكوا وذلوا . فهذه هي الدرجة الأولى وهي كالتخلية لأنها تتخلى عن الجهل والكسل ويلبها الدرجة الثانية فهي المشار إليها بقوله تعالى - وآية لهم الأرض الميتة أحييناها - وهي المرتبة التي فيها تقدم الأمة الإسلامية باصلاح الأرض وأممها ونحن اليوم مقبلون على هذه قربا في مصر والشام والحجاز واليمن ونجد والعراق . فنحن الآن أشبه بالصحابة في أول أمرهم وقد أخذنا نجد لنصل الدرجة الثانية . وأما الدرجة الثالثة والرابعة فهما يرجعان الى الضعف والفناء وهو المذكور في آية النفخ في الصور ثم انقسام الناس فریقین الخ

﴿الفصل الثاني﴾ سورة يس مكتوبة مشكلة الى آخرها

١٤٢ تفسيرها تفسيرا لفظيا من صفحة ١٤٣ الى صفحة ١٤٨

﴿الفصل الثالث﴾ في ذكر ما كنت فسرته به منذ سنين وانها ثمان مقاصد : أن النبي حق وأن المنذرين صنفان الخ وآخر المقاصد ثلاثة فصول : قدرته على مسيخهم . والانتفاع بالانعام . واثبات البعث بأمور يعانونها كما ختم السورة السابقة بجوهرتين وياقوتتين



- ١٤٣ ﴿المقصد الأول﴾ يس الخ
- ١٤٣ ﴿المقصد الثاني﴾ - لتندرقوما - الخ
- ١٤٩ ﴿المقصد الثالث﴾ - إنا نحن نحيي الموتى - الى - إمام مبین -
- ١٥٠ ﴿المقصد الرابع﴾ - واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية - الى - محضرون -
- ﴿المقصد الخامس﴾ - وآية لهم - الى - يسبحون -
- ﴿المقصد السادس﴾ - وإذا قيل لهم - الى - ألم أعهد اليكم يا بني آدم - الخ
- ١٥٢ ﴿المقصد السابع﴾ - وامتازوا اليوم - ويدخل معه الثامن بفصوله الثلاثة
- ١٥٣ آيات العلوم في هذه السورة ، وآيات الأخلاق ، وآيات الأحكام
- ﴿الفصل الرابع﴾ في عجائب العلوم التي تشير لها هذه السورة . الياء والسين حرفان إما بمعنى يا انسان في لغة طي أو يا محمد ، وفي سورة ﴿آل عمران﴾ أن الحروف تشير لتحليل الكلمات والعالم المشاهد ليس فيه إلا الحروف والعناصر فالأولى منها الكلمات والثانية منها هذه العوالم ، وكأن الله يقول لنا لعلوم لفظية إلا بالتحليل ولا علوم حكمية إلا بالتحليل كل بحسبه . ويناسب هذا آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - . بهذا يخاطب الله الأتقين . فذكر لهم الأنعام والوبر والصوف والمرخ والعفار وقذح النار منهما ولم يكن الفقه إلا في صدور الرجال فلا تأليف ولا تصديف ولكن القوم ملكوا الأمم فاحتاجوا الى الفقه فدوتوه وتشعبت المذاهب ولهم الحق في ذلك . والفقه آياته قليلة ولكن العلوم والأخلاق لكل منهما (٧٥٠) آية فكان يجب أن تزيد الكتب المؤلفة فيهما أضعافاً مضاعفة وتكثر العلوم الرياضية والطبيعية
- ١٥٥ علوم الآفاق في مستقبل الزمان في بلاد الاسلام . كان أهل البادية يكفهم من العلم ما حولهم ولكن انتشار المدنية يدعو لكثرة الحاجات فتكون الصناعات ويتبعه أغشية العقول والشهوات فهما أمران متناميان معا : كثرة الحاجات وطلب العقول لازالة الشكوك . ولكن هذان الأمران في الاسلام متروكان فأصبح المسلمون في أقطار الأرض مشهورين بالنظافة من حيث القيام بالوضوء ولكنهم جهلاء عند سائر الأمم
- ١٥٦ محاورة بين المؤلف وبين أحد العلماء وايضاح الظواهر الكيميائية والطبيعية وأن اتقاد النار في الشجر من علم الكيمياء . والتمثيل للظاهرة الطبيعية بالسكر المذاب في الماء والكيمائية بالسكر المحرق فانه في الأول لم تتغير صفاته ولكنه في الثاني تغيرت صفاته . وبيان أني وأنا طالب في الأزهر كانت تخيل لي الأشجار كأنها تتحمل أمامي وأنا على نهر أبي الأخضر بالشرقية . وبيان أن اتقاد الشجر ناراً مسألة واحدة من مسائل كثيرة كيمائية . وما النار إلا أن يتحد الخشب والفحم وغاز الاستصباح والبترول والزيت بمادة الاكسوجين في الهواء فيكون الاحتراق والاكسوجين غاز عديم اللون والطعم والرائحة اذا ضغطناه أو بردناه سال . ومن الاحتراق صدأ الحديد وهكذا يتحد في جسم الحيوان الكربون مع الايدروجين والاكسوجين فيكون احتراق بطيء . إذن فليدرس المسلمون جميع العلوم وأهمها الكيمياء التي تشير له الآية باتقاد النار والتعبير بالياء والسين في أول السورة
- ١٥٨ الكلام على الصودا والبوتاسا المشتملين على الصوديوم وعلى البوتاسيوم وانهما داخلتان في شعر القطن وغيره من المواد المذكورة بالآية (١٣) مادة بنسب مختلفة وشرح كل منهما وانهما مادتان ناريتان دخلتا في أجسامنا وفي أشجارنا وحبنا وفي بارودنا فالبوتاسيوم يتقاد إذا ألقى في الماء ويقرب منه الصوديوم

١٥٩ البارود مركب من الفحم والكبريت وملح البارود ويختلف تركيبه باختلاف الدول . وخطاب المؤلف للمسلمين يقول لهم : « الشجر اتقد نارا ولكن الصوديوم والبوتاسيوم اتقدا نارا في الماء ، فهما أعجب من اتقاد النار من المرخ والعنار ، فهذا اتقاد في ماء وذلك في شجر » ثم تلخيص المقام في خمسة أمور

١٦٠ (فائدة) في ذكر المركبات التي تكون منها النيران الخضراء والجرعاء والبنفسجية . والكلام على ملح الطعام وانه مركب من الكلور الذي يحدث السعال ويهيج الأغشية ويميت ومن الصوديوم الذي يتقد نارا في الماء و يضع فوائده ، ويدخل في الكلور المركب المسمى بالماء الملكي الذي يذيب البلاتين والذهب

الكلام على بعض العلوم الرموز لها بالياء والسبين ، اننا لم نسمع العربي يقول : « يس قفا نيك الخ » وهذه الحروف أتيح لنا تفسيرها ، وقد فكر قلنا قوم فيها بحسب زمانهم فلنا فكر بحسب زماننا ، ولا جرم أن التحليل يتخلل سائر العلوم ، وذكر أن علم الكيمياء فرض كفاية

١٦٣ بيان أن المؤلف خطر له منذ ليلتين خاطر قوى أن الدورة الغذائية في الأجسام الانسانية من سرّ (يس) فهذه الدورة تبتدىء بالقواطع والأسنان وأنواع الريق والبنكرياس والمعدة وعصيرها والامعاء وعصيرها وهكذا . كل هذا تحليل ويس فيها سرّ التحليل . وهكذا الدورة التنفسية

١٦٤ لطائف هذه السورة

اللطيفة الأولى : في هذه اللطيفة « فصلان في الفصل الأول » في قوله تعالى - يا ليت قومي يعلمون - وذكر حكاية من كتاب « اخوان الصفاء » إذ ذكروا أن جماعة نزلوا سفينة فكسرت المركب فوصلوا الى جزيرة فيها قرود فأنسوا بها وتزوج الشبان منهم وولدوا ثم تذكروا بلادهم فصنعوا سفينة وبينما هم كذلك إذ انقضّ طائر على أحدهم فاخطفه وردّه الى منزله فهم يبكون عليه وهو يقول يا ليت قومي الخ

١٦٥ (الفصل الثاني) في معنى - يا حسرة على العباد - واحالة الأذكاء على المذكور في معنى الاستهزاء في (سورة التوبة)

(اللطيفة الثانية) في غمر الأرض ونقصها المستمر والكلام على الراديوم وعلى مدة عمر الأرض

١٦٦ (اللطيفة الثالثة) - والشمس تجري لمستقرّ لها - والموازنة بين سرعة النور والقبلة وسرعة الأرض وسرعة الطائرة الفرنسية والأمريكية والمائية والأتوموبيل والرجل في مشيه والحلزون ونمو الشجرة . فبينما نرى الضوء يجري حول الأرض أكثر من سبع مرات في الثانية نرى الشجر ينمو (٢٧) من عشرة آلاف مليون جزء من اليارده في الثانية الواحدة

١٦٧ ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال في الدقيقة . إن الطيارين يؤملون أن يطيروا (٦٠٠) ميل في الساعة الخ (شكل ٣٥) فيه صور الزورق والقطار الكهربائي وهكذا

١٦٩ (شكل ٣٦) بيان لأسرع الأشياء . هل بلغ الانسان أقصى سرعته في البر والبحر؟ أسرع قطار يجري (٦٨) ميلا في الساعة . وأسرع قارب (٩٣) ميلا . وأسرع سيارة (٢٣٢) ميلا في الساعة . وأسرع طائرة ٦٩٣ ميلا في الساعة . ويظن أن السرعة ستبلغ (٥٠٠) ميلا في الساعة الى ألف وهو مبالغة . وقد كشفوا ذبابة سرعتها (٨١٥) ميلا في الساعة أو (٣٦٠) مترا في الثانية . والعلم يحكم أن الانسان لا يستطيع أن يقود سيارة تجري (٣٠٠) ميلا في الساعة لأن سرعة أعصابه في توصيل الاحساس أقل من ذلك



١٧١ علم الفلك ودراسة الفلك فيما وراء البحار . إن أرضنا وشمسنا وكواكبنا كأذن متجانسات من حيث تركيبهن من الأنوار الكهربية (الكثرونات) وهذه صارت عناصر والعناصر عرفت بأضوائها ، أدرك نظرنا في الوجود فلا تجد إلا تشابها ، ألم تر إلى تشابه النارات القديمة في عاوم الفلك وكيف ظهر أن أهل أمريكا الأصليين قد عثر الباحثون اليوم في أطلالهم على حساب الزهرة والشمس والقمر والكواكب وكيف عرفوا تقويم الشمس وذلك في بلاد المكسيك وكيف ظهرت لهم كتابات هيروغليفية وحساب منظم ، وكيف عرفوا الصفر قبل معرفة أهل الهند له وذلك كله لأمة اسمها (المايا) وقد أحرق الأسبان كتبهم أيام دخول بلادهم ولم يبق منها إلا ثلاث كتب لا غير

١٧٣ (شكل ٣٧) خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة المايا وازدهرت وقد عرفوا السنة الشمسية والقمرية والشهر القمري بالدقة والتقويم اليولياني ليس أفضل من تقويم المايا كثيرا فتقويمهم منذ ألفي سنة لا يبلغ الخطأ فيه أكثر من يوم في ٣٣٣٣ سنة والتقويم القمري لا يزيد الخطأ فيه عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة وعرفوا دوران الزهرة والمريخ والمشتري وزحل وعطارد ، وتقويم الزهرة جعلوه ضابطا لتقويم الشمس والقمر وقد استنبطوا الصفر في الحساب قبل أهل الهند بألف سنة وأهل الهند لم يستنبطوه إلا في القرن السادس أو السابع بعد الميلاد ، إذن الأمم تشابه في الحساب وإن لم تجتمع

١٧٥ (تذكرة لأمة الاسلام) وههنا تذكر بما مر في سورة يونس في أولها من صور من سومة فلاكية وبروج وعجائب الاهرام ونسبة ارتفاعه ومحيطه الى محيط مدار الأرض حول الشمس ، وكيف كان أس القنطار والأردب والمساحة الخ وكيف رسم ذلك على صناديق الموتى . وكيف حظى أموات المصريين بهذا العلم وجهله أحيائهم وأحياء أمة الاسلام ، وكيف جهل المسلمون أن محمود الغزنوي قد أحضر البيروني في ديوانه وأظهر علم الفلك في دولته ، وأن هولاكو المغولي أحضر نصير الدين الطوسي الفلكي في ديوانه ، وأن الخان كوبلاي أحضر في ديوانه جمال الدين الفلكي ونقل علوم العرب وأن الطوسي المذكور أصلح خطأ الفلك في حساب الروم والسند وما وراء النهر وصار إماما عظيما فيه ، وكتاب (السند هند) ليس فيه إلا مسائل ابتدائية في الفلك ، ولقد منى المسلمون بأثم أزالت علومهم ومنها الترك إذ دخلوا مصر وأعدموها منها العلوم والصناعات وبقيت كذلك الى أيام محمد علي باشا . ولقد تعاهد على جهل المسلمين الملوك الفاتحون ورؤساء الدين الجاهلون ، وتجد بعض ذلك في آخر سورة ابراهيم وفي سورة الكهف ، ولقد أنشأ آبائنا أربع طرق موصلات ما بين الشرق والغرب بواسطة علم الفلك والجغرافيا عجائب الحرارة والضوء في قوله تعالى - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار - الخ وفيه بيان أن أمواج النور من (٤٠٠) الى (٧٠٠) مليون مليون في الثانية . فهذه الموجات تسليخ من الليل هكذا الاكسوجين يسليخ من الاودروجين وهذا يتحد بالاوزوت فيكون النوشادر . فلاودروجين بطريق الكيمياء انسلخ من الاكسوجين واتحد بالاوزوت فكان له في كل موطن حكم . إن الناس اليوم يريدون أن يسليخوا الحرارة من الضوء فترجع كلها ضواً وهناك شمس لحرارة لها مثل ما يتخيله الناس الآن هنا في الأرض

١٧٩ (الكشف الحديث في الحرارة والضوء) في كاليفورنيا نيليسكوب قطر عدسته (١٠٠) انش فأبرز نجوما عددها (١٥٠٠) مليون نجم فكيف يعرف الناس من النجوم بتليسكوب قطر عدسته (٢٠٠) انش وهو الذي يصنعونه الآن . إن بعض النجوم يصل ضوءها اليينا في (١٤٠) مليون سنة ويتكهن بعضهم أن أضواء غادرت كواكبها منذ (١٠٠٠٠٠) مليون سنة سوف يراها الناس وكما أن هناك

شموسا باردة فهناك شمس حرارة مقدار الحصة منها تسوى الانسان على بعد ألف ميل . وباليث شعري هل هذه قطعة من جهنم ، أم ما هي تلك لشموس ؟

١٨٠ بهجة العلم في المبصرات والمسموعات من حيث الفلك والموسيقى والشعر وغناء الأطيوار وعمل في الحقل وعواطف فيه ، فلعمل في الحقل له سبع فوائد لأجل العلم مثل استنشاق الهواء وتقوية العضلات وهكذا . وكيف كانت الفصة التي قصها لي والدي بشأن أسرتنا وسعادتها قديما قد ذكرني بأن السعادة في السموات أبدع وهكذا غناء المغنيات المحاذيات لي في الطريق حوّلته نفسي الى سعادتي لأنهن يلعبن وأنا مسافر الى الأزهر وهذا مجد خالد وذلك في شباني . أما بعد ذلك فاني سمعت الموسيقى في عرس فانتقلت نفسي من حالها الى حال أخرى كأنها تصدح لي أنا وأن مقصدي في نشر العلم أمر لاشك فيه وهكذا بكاء النائمات على عظيم قريننا حوّلته نفسي بسرعة ليالى ذوات عدد الى البكاء على الجهلي بهذه النجوم

١٨٣ ﴿ بهجة البدر ﴾ انما لما تقدم في سورة فاطر إذ خيل لي انه يخاطبني قائلا : « إن أناسا سيقفون موقفك هذا ويمتحنون نفوسهم هل أحسوا في أنفسهم ما أحسسته أنت ؟ و يرون أن الجوزاء مقدار الشمس (٢٥) مليون مرة والكواكب كثيرة العدد فكيف اختصت أرضنا بأن الله له فيها ولد وحدها » وهكذا منظر النخلات اللاتي كالقباب الخضروهي أشبه بالراقصات والنجوم تلمع من خلالها ومنظر النجوم الباسمات للحكماء مرسلات من الحضرة القدسية ليرفعن نفوس أقوام في الأرض ليصيروا في الملأ الأعلى والموازنة بينهما في تبسمهن للحكماء وبين تبسم المعشوق للعاشق فيتيه هذا بذلك . فليكن سرور الحكماء بما لا يتناهى من البسمات النجمية وليكن سعادته لانهاية لها فوق سعادة العاشق المذكور وهكذا لما سمعت صوت (الفونوغراف) وفيه خطاب الفتاة لأبيها تطاب منه أن يكرم خطيبها وذلك في حال مشيبي حوّل هذا الخطاب نفسي الى اني أنا الخطيب والحكمة مخطوبتي وهي تخاطب الله لأجلى

١٨٥ علاقة النظام السياسي بالنجوم والحساب والهندسة والقرين العضلي والموسيقى . في جمهورية أفلاطون ان اليقين لا يكون إلا بالعقل ولا بد من معرفة صورة الخير الجوهرية (الله) وفي طريق الفيلسوف عقبتان : عقبة في أيام التعلم . وعقبة أيام تعليمه الناس . ففي الأول يجاهد حتى يعرف وفي الثاني يكون أشبه بمن كان في نور فأراد دخول الظلام . والرياضة البدنية متعلقة بالجسد الفاني والموسيقى تهذب الأخلاق ان اعتدلت والا كان الفسق وعلم الحساب لا بد منه لأنه يدخل في كل علم ثم الهندسة السطحية ثم الهندسة المجسمة كالمكعب والكرة ثم علم الفلك . وهناك نسبة بين علم الفلك وعلم الغناء باعتبار حسابهما . فالمدار على نظام الحساب لاعلى ظواهر الأغاني ولاعلى أشكال النجوم أو معرفة الشهور والأيام . واذا كانت مباحث الفلك في السنين الكبيسة والبسيطة وحساب الخسوف والكسوف وفي الفصول الأربعة وفي سير القمر . كل ذلك بحساب منظم وهي دوائر منتظمة مشروحة

١٨٩ فهكذا نجد علم الشعر أرجعه الخليل بن أحمد الى خمس دوائر اشتملت على (١٥) بحرا من الشعر وهي كدوائر الفلك التي شرحت هنا شرحا كافيا وهذه الدوائر في صفحة (١٩٠) وما بعدها ولا يخرج فن الغناء عن الشعر لأن الاصول واحدة إذ ترجع الى وتد وسبب وقصالة وبين النغمات نسب . ولقد تجد ما يسمى بالماخوري في علم الموسيقى هو هو نفسه المسمى في علم الشعر بببحر الطويل المذكور في الدائرة الأولى من دوائر الخليل وهو هو نفسه صياح الفاخنة . إذن الشعر وغناء الطير وعلم الموسيقى كلهن ترجع الى الحساب . وليس المدار في الموسيقى على النغمات الظاهرة ولا في علم الفلك على جبال النجوم ونتائج



حسابها . كلا . بل المدار على معرفة النسب والنظام في القسمين والافالجلد المنقوش في جباله كالفلك في أنواره اذا وقفنا عند المحسوسات

١٩١ شواهد بحور الشعر وأوزانها مختصرة كالطويل والمديد والبسيط في الدائرة الأولى وكالوافر والكامل في الثانية وكالزج والرجز والرملي في الثالثة ، والدائرة الرابعة فيها السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث ، والخامسة فيها المتقارب ويقع ذلك شواهدا و بعضها لا يستعمل إلا مجزؤا كالمضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب له الدائرة الخامسة ، وبهذا تم الكلام على دوائر العروض للخليل المشبهة للدوائر الفلكية والموسيقية ، ولا بد من اتمام الكلام على الفلك بالكوكب الجديد الذي به صارت السيارات تسعا حول الشمس وهذا بعد نبئون وقد كشف في هذه الأيام

١٩٦ واذا تم الكلام على الكواكب وسيرها وما يشبه سيرها أتبعناه بالكلام على بعض توابع السيارات وهو القمر وبيان أشكاله الثانية مرسومة مشروحة

١٩٨ الضوء الرمادي للقمر وبيان انه بسبب ضوء الشمس المشرق على الأرض المنعكس منها على القمر كما انه هو يضيء عليها وضوءها الذي نراه على وجه القمر رماديا أكثر من ضوء القمر على الأرض ثلاثة عشر ضعفا فأكثر لكبر حجمها . المنازل والبروج وأن السنين الشمسية ظاهرة عند الروم والسريران والقبط في حسابهم وأن ذلك الحساب يسرى على الزرع في الأرض ونظام أعمال الحياة ، فالدنيا كلها أشبه بجسم واحد سماؤها وأرضها

١٩٩ (الكلام على حساب الشهور القمرية) وذلك من كتاب «صبح الأعشى» وذلك أن تمتد الأشهر من المحرم مع شهر ك الذي تريده وتقسم العدد نصفين وتضيف نصفا الى العدد وهناك تبتدى من اليوم الذي كان أول يوم في شهر المحرم وتعد منه فالיום الذي يقع العدة عليه يكون هو أول ذلك الشهر وان كانت الأشهر غير زوجية وقسمتها فاجبر النصف وسر في العمل وتفعل كما تقدم (١) ولك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء القبطي ما عدد الأيام التي مضت من الشهر العربي فتجعله أصلا (٢) وأضف على هذا المحفوظ لكل شهرين قبطيين يوما واحدا واجبر الكسر ان كان (٣) وزد على المجموع يومين أبدا (٤) وانظر كم مضى من الشهر القبطي الذي أنت فيه وضمه الى ذلك واسقط ذلك كله ثلاثين ثلاثين فما بقي فهو عدد ماضى من الشهر العربي الذي طلبته ومنه يعرف أوله

٢٠٠ وهناك حساب آخر من العقد الفريد للملك السعيد وذلك بقسمة السنين الهجرية مع سنتك على ٢١٠ وباقي القسمة عشراه ترجع الى العشرات في الجدول وآحاده ترجع الى الآحاد في الجدول وهناك أنزل في الجدولين معا الى أن يلتقي الأصبعان معا في بيت ثم ينظر في اتمام العمل بالجدول الثاني وهو سهل

٢٠١ الجدول الأول

٢٠٢ الجدول الثاني الذي فيه المقصود

٢٠٣ العلم أعلى السعادة فانه أظهر لنا أن حساب الفلك والعروض ونغمات الطيور كلها من واد واحد الخ (بهجة العلوم) وأن أصحاب العلوم ثلاث درجات : قوم وقفوا عند الظواهر . وآخرون رجعوا الى الحقائق . وآخرون صعدوا الى ما وراء ذلك

٢٠٤ وهل أذاك نبأ الحساب في الشعر وانه نسب عجيبة هندسية بحيث اننا اذا نسبنا ربع بيت من بحر الطويل مثلا الى البيت كله كانت هكذا نسبة ٧ الى ٥ كذبة ٢٨ الى ٢٠ وضرب ٥ في ٢٨ يساوي ضرب ٧ في ٢٠ وهكذا بقية البحور والنسب . واذا نظرنا الى العلوم الطبيعية وجدنا نفس هذا الحساب في

العناصر الداخلة في المواليد وتزيد تلك المواليد بمجانب أبدع من هذه مثل ان المغنيسيوم والحديد والحبر والكبريت . أولها يقوى العضل ويمنع الفتق . وثانيها يجعل الدم أحمر ويمنع فقر الدم . وثالثها يغذى العظم ويشفي الجروح . ورابعها ينظف الدم ويمنع الروماتزم . ولقد فرقت على العناصر فكانت هذه الأربع مجموعة في الطماطم والسبانخ ومفارقة في غيرهما ، وتزيد السبانخ منافع أخرى

(اللطيفة الخامسة) في آية - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - الخ وبيان أن المادة ليست شيئاً سوى حركات أحدثت أضواء فقراكت بحسب ما تحس به فسميناها أرضين وسموات وغيرها فلها طرفان طرف منه ينتهي الى الحركات والنور وآخر ينتهي الى حواسنا فيظهر لها بهذه الهيئات . إذن هذه صنعة محكمة لا غير والصناع الماهر من بنى آدم يحل قدرهم الناس ويرون منزلهم عالية مثل (اديسون) مخترع الآلة الحاككة الفونوغراف الذي له (١٤٠٠) اكتشاف تنفع العالم بها ، فهو لا يجد وقتاً يقابل فيه الناس . فاذا كان هذا العالم المخترع للمصباح الكهربائي وغيره أعظمه الناس فما بالناس ممن اخترع أجهزة ضوئية في نفس أوراق الشجر فلورقة الواحدة من الشجر قد تحوى البوصة المربعة فيها (١٢) حجرة أو (٢٤) أو أكثر الى ألف الى مليون ونصف مليون كلها حجرات حيطانها شفافة مسقفة بذرات شفافة أيضاً لالون لها وليس يتخلل تلك السقوف إلا الهواء وتلك الذرات التي صنعت منها هذه السقوف أشبه باللبات التي تبنى بها بيوتنا في النظام والترتيب وفي كل حجرة سائل يحمل مادة ملونة تحدث أشعتها خضرة تظهر على وجوه الأشجار والزرع فيظن الناس الأشجار والزرع خضرات وما هي بخضرات إن هو إلا انعكاس عن تلك القناديل الخضر العائمت في سوائلك الحجرات ومثل هذا يقال في الألوان الأخرى . وتلك القناديل الخضر في تلك الحجرات تعاون ضوء الشمس في اجتلاب الكربون من الهواء ليدخل في فتحات الورقات فيدور فيها ويخلص من الأكسوجين فيرجع الأكسوجين ثانياً الى الجو ويبقى الفحم في جسم النبات فيغذيه ويصير نافعاً لنا غذاء ودواء وفاكهة والأكسوجين الراجع الى الهواء يدخل في رئاتنا مع أنفاسنا فيصلح الدم ونعيش نحن بهذه الأعمال العجيبة فكأن النبات زبال الهواء . فانظر إذن الى ورقة فيها الحياة (شكل ٥٠)

٢٠٧ ورقة جافة وورقة تظهر الهيكل الأصلي . ثم انظر قطعة من ظاهر الورقة تظهر فتحاتها وأخرى مقطوعة عرضاً (شكل ٥١) و (شكل ٥٢)

٢٠٨ ثم تأمل في شرحها مثل ان فيها ما يشبه العمود الفقري وحوله فروع كالأضلاع وهذه الفروع تدق شيئاً فشيئاً حتى تكون في تلك الحجرات أشبه بقوالب لما هو داخل تلك الحجرات فتحفظها من التفرق وهي تتلقى الغذاء من الفرع والفرع من الفعن والغصن من الشجرة والشجرة مما حولها . فهذا الهيكل كهيكل الحيوان سواء بسواء وكهيكل نفس الشجرة في كثير من الأشجار . ألا ترى أن الورقة الساقطة من الشجرة كثيراً ما ترى شجرتها صورة مكبرة لها كما أن الدنيا كلها صورة مكبرة للإنسان فهو كورقة والعالم كشجرة وان يعرف هذا إلا من قرأ هذا المقام موضحاً في (سورة السجدة) إذ جاء هناك أن الانسان كهيئة العالم . ثم إن زوايا الورقة مع فرعها هي بعينها زوايا الفروع مع الأغصان وزوايا الأغصان مع نفس الشجرة . فهذا معناه أن الورقة شجرة مصغرة كما ان الانسان عالم صغير

٢١٢ خطاب الورقة للمسلمين تقول لهم : وإن الناس لما فهموا مصاييح اديسون عظموه أما الناس فانهم جهلوا مصاييح الله لأنها تجهز جميع الناس أن يصنعوا مثلها سواء أكانت كبيرة كالشمس أو صغيرة كالقناديل المعلقة في تلك الحجرات في الورقات اللاتي تعد بالآلاف والآلاف . لذلك لا يعرف جمال الله



ويسبح بحمده تسبيحا عقليا إلهيا أو حكيم وسواهم مقلدون  
 ٢١٤ ومن عجائب خلق الأزواج كلها النعامة والغورلا وعجل الكودو والريها وآكل النمل والنمل الضعيف  
 قاتل الحية وشامايون عجيب وسمك الفردوس ، وكيف يتفقد هو بيض الأنثى ، وكيف يرخم هو على ذلك  
 البيض بدل الأنثى التي تريد أكله لانتزاع الرحمة من قلبها ، وكيف امتحن العلماء كلها في جامعة  
 كامبيا . ومن أعجب ما نراه اختلاف رؤس الحيوان كالبطة والصقر المتوج والتوكان والطاووس وبشروش  
 ودجاجة غينا وايس وجل الماء ، فكل هذه مخلوقات عجيبات مرسومات في الأشكال من (شكل ٥٣) الى (شكل ٧٤)

٢٢١ الكلام على آية - وتكلمنا أيديهم - الخ وأن الفتى (ناروكارايتي) الياباني أحب فتاة يابانية وهي  
 تبغضه لشربه الخمر فقابلها في مدينة (توكيو) فانقض عليها فقتلها وألقى الخنجر في ناحية وفر تحت  
 جناح الظلام ، فلما رأت الشرطة ذلك الخنجر بحثوه بالآلات المعظمت فالفوه قد ترك بصمة إبهامه  
 عليه فكبروها وحفظوها وأخذوا صورة الفتاة وحفظوا كل شيء ، وهذا الإبهام أخذوا يوازنونها بما  
 لديهم من الأصابع المبسوطة في دفاترهم فلم يجدوها وأخذوا يبحثون عن الأشرار فوجدوه بعد (١٧)  
 شهرا يشرب الخمر وأخذوا بصمة إبهامه وهو غير مكترث لأنه ليس له بصمة عند الشرطة فوجدوه مطابقا  
 للبصمة التي كانت على الخنجر ، هنالك أيقنوا أنه هو القاتل ، فإذا كانت هذه حال الأيدي في الدنيا  
 فما بالك بالآخرة فهذه تكلمت في الدنيا بأفصح من الألسنة ، بل إن عالما ألمانيا أسلم لما قرأ في  
 القرآن - بلى قادرين على أن نسوي بنانه - إذ قال هذا العلم المقصود به خطوط الأيدي والبنان ولم  
 يظهر إلا في هذا الزمان فهذا دليل على أن هذا كلام الله حقا

٢٢٤ حوادث النطق بلا لسان رواها قوم ، فهناك فتاة في انكلترا قطع لسانها فصارت تنطق بغيره وبعض  
 المبشرين قطع لسانه فصار يعظ الناس بلا لسان

٢٢٥ آية - ومن نعمه تنكسه في الخلق - وبيان أن تنكيس الخلق الذي يكون في هذه الأيام سببه  
 جهل الناس بالصحة والا فالإنسان إذا قسنه بالحيوان كانت حياته (٢٠٠) سنة لا (٧٠) سنة لأنه يتم  
 خلقة في (٢٥) وبضربها في (٨) يسير مائتين وهو في ذلك كالكلب الذي يتم خلقه في سنة ونصف  
 فيعيش (١٢) سنة والحصان الذي يبلغ أشده في (٣) سنين فيعيش (٢٤) سنة من ضرب (٨) في (٣)  
 فلماذا لا يعيش الإنسان مائتي سنة ؟ ولما انحطت قوى الإنسان من جهله بالغذاء والصحة أخذ الأطباء  
 يحتالون له مثل الاستاذ فورونوف الذي يقول : « إن الإنسان يمكنه أن يعيش ١٤٠ سنة وذلك أنه  
 أخذ عددا من حيوانات فلقح بها حيوانات أخرى فرجع الهرم منها شابا صحيح البدن نشيطا قويا ولم  
 يقتصر على عمليات قليلة بل أوصلها الى (٦٠٠) عملية كلها نجحت ، ولم تنزع الغدة من الحيوان الذي  
 نشط بسببها رجع ضعيفا فأيقن بذلك ولم يجد بدا من المحافظة على (النسائيس والغورلا) وهذان  
 النوعان أقرب إلى الإنسان ، فالتطعيم بغدد هذين النوعين يجعل من الناس من يعيشون أكثر من  
 مائة سنة . ويقول : ليس القصد أن يعيش كبار السن بل القصد أن يعيش طويلا أولئك الشبان  
 الأذكاء ليبنوا للإنسانية المسكينة مستقبلا باهرا ويكون الفضل في ذلك لأنواع النسائيس ونحوه وقد  
 أجاهه لحفظ النسائيس والغورلا ملك اسبانيا ورئيس جمهورية فرنسا »

٢٢٦ كيف كان من الناس من عاش مائتي سنة في زماننا وهونجى ، وجون بافرالبولندي عاش ١٧٥ سنة  
 وهنرى جنكسن الانجليزى عاش ١٦٩ سنة وهكذا فهذا شبه دليل لقابلية الناس لطول الحياة انى يريد

(فورونوف) ويقول نابليون : « إن الأدوية لا تفيد شيئاً فالحجبة والاستحمام بالماء الساخن نافعة ولنترك البنية لصانعها الحكيم . فأما فتحها والبحث في داخلها فكم أهلك أناساً ، وكان له الإمام بعلم الطب وصايا طفل يخاطب ولديه أن لا يشدوا عليه اقماط في السنة الأولى وأن ينظفوه ويفسلوه كثيراً في السنة الثانية ، وأن يمنعوا تقبيل فمه في الثالثة ، وأن يخرجوه في الهواء الطلق في الرابعة ، وأن يعدوه عن قرناء الدوء في الخامسة ، وأن يكون في مدرسة نافعة في السادسة ، ويتبع هذا الكلام على أطول الحيوانات عمراً من الانسان كالسلحفاة والذئب ونوع من السمك وهكذا ، وهنا كلمة شفيق باشا المعاصر لنا بمصر وأنه عاش الى الآن سبعين سنة نشطا وأن سبب ذلك انه لا يشرب الخمر ولا يدخن ويأكل ما هو بسيط وينام على الحشن ولا يفرط في شئ من اللذات مطلقا ولا يشرب القهوة إلا نادراً جداً مع الابن وأنه رأى رجلاً من جيرانه يحمله الخفراء على أيديهم بالليل وهو سكران فاشمأز من الخمر واجتنبها احتقاراً لها » (اللطيفة السابعة) في قوله - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - وههنا رجعنا الى أصل المادة وانها نقط ضوئية صارت في أعيننا شجراً وحجراً الخ - ولكن في كل شئ نراه ناراً مخبوءة ولم يعطها الله لنا لنتخرجها إلا بالبحث فبحثنا عنها في الشجر والحجر ، وكلما ازدادنا بحثاً زادنا منها حتى أصبحت الآن في الكبريت فوق أعواد تظهر لنا النور حالا بأقل حكت في ملح البصر ، والنار رآها موسى فطلب القبس وطلب هادياً يده على الله كما جاء في بعض التفسير

٢٢٩ (شكل ٧٥) ابيان أول طريقة لاختراع النار ظهرت بين سكان جزائر المحيط الهادى إذ يقف ستة رجال أشداء بخشبة عظيمة فيزاوونها زماناً طويلاً بالضرب بها في غيرها فتحصل النار من شدة العرك وهذه عادات أبقاها الله لنا لنعرف تطوّر العلوم والمعارف كما أبقى بعض عاداتهم مثل ما فى (شكل ٧٦) إذ تضع الأرملة على جسمها وشعرها طيناً وجبسا خزناً على زوجها وهكذا أسلحتهم الحجرية (شكل ٧٧) لنعرف الآن كيف تطوّرت الأحوال الاجتماعية ، وهكذا الفارس الذى هو فى حاشية أحد الرؤساء هناك وملابسه كلها من ورق شجر الموز وذلك أشبه شئ بلباس آدم وزوجه . إن هذه النار فى الآية تذكرنا بطريق الاستنباع بالنار التى تخيلها أفلاطون فى جمهوريته إذ تصوّر أن الناس جميعهم أشبه بمن عاشوا فى ظلام فى كهف ووراءهم سزر وأمام السور نار وهناك أناس يحملون صور النبات والحيوان الخ وهم يمشون بين السور وبين النار فارتسمت الصور على حائط الكهف أمام أعين أولئك الجالسين فيه وهم جميعاً لم يروا ما خلفهم من الحائط والسائر والنفار فسموا تلك الأشياء بأسماء ولكن قام من بينهم رجل ففكر وترك المغارة وأخذ يمرن نفسه على رؤية النور شيئاً فشيئاً بحيث يرى صور الأشياء فى الماء ثم يرى النجوم ليلاً ثم القمر ثم الشمس ، هنالك يعلم أن الصور التى على حائط الكهف ليست حقائق وأن النار ليست شيئاً فالحقائق إنما هى الشمس والقمر والفصول الأربعة وجميع الحيوان والنبات ، ومن هناك قال إن النار ضرب مثل للشمس والشمس ضرب مثل لصانع العالم وأهل المغارة هم جميع الناس والفلاسفة والحكماء أشبه بالرجل الذى خرج من المغارة فاذا رجع الى أصحابه وعلمهم فانه ينصب ويتعب فى تعليمهم كما تعب وأنصب فى أيام تمرّنه على مشاهدته الأنوار ، فهناك مجاهدة فى مقابلة النور بعد الظلام وهنا مجاهدة فى الدخول فى الظلام بعد النور ولكنه يكون أرقى من سكان المغارة فيعلمهم هذا شأن كل حكيم فى هذه الأرض

٢٣١ تذكرة فى قوله تعالى - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - الخ عند صلاة الصبح . خطاب لله تعالى وأن نار المصابيح تشتمل على (٩٦) فى المائة حرارة وعلى أربعة فى المائة ضوءاً وأن من الناس



من يريد أن يعكس الموضوع فيزيد الضوء جدا فذكرنا هذا ما علمه الناس حديثا من شمسك التي لاجارة فيها بل هي ضوء فقط ، أنت جعلت النار تذكرة لنا ومتاعا لمن يكون في الصحراء ، إذن النار فيها الهداية بالتذكيرة والانتفاع بالحرارة . إذن هي كما تعطينا هداية تعطينا دفئا وهي التي تثير الماء من البحر فيحمله الهواء الذي تحرك بنفس الحرارة

٢٣٢ اللهم إن شأن النار عظيم . فإن كانت حسية معتدلة كان بها خروج البخار من البحار وجرى الهواء وحل السحاب ونمو النبات والحيوان والانسان . وإن طغت ولم تكن معتدلة أثارت الأعاصير وأهلكت الحرث والنسل وخربت المساكن والمدن والحقول وأثارت بالأجسام الأمراض من الحمى والجذري ونحوها وهكذا يفعل الماء في الناس والحيوان فانه ان اعتدل كان سبب الحياة وان خرج عن الاعتدال كان الفرق والطوفان والهلاك في الأرض وكان الزكام والسل وجميع الأمراض الباردة . وهكذا في عقولنا نرى الحسد والغضب والحب المفرط كلها مهلكات وهكذا الإفراط في اتباع الشهوات كتعاطي التبغ والأفيون وغيرهما . فهذه لذات لارحة عندها ولاشفقة تطني على النفوس طغيان النار والماء على القرى فان اعتدلت انتظمت بها الأفراد بالصحة والجماعات بالحب واعتدال المطالب فأما نفور الجماعات فقصده الأسمى توزيع الناس على سطح هذه الأرض جلبا للمنافع وهذا محمود والخروج عن هذا طغيان

٢٣٣ القبس فرعان وهما الحرارة والضوء الخ . وهنا تفصيل لذلك (٢٠) نوعا مثل أن الضوء معنوي وحسي والحرارة معنوية وحسية وهكذا وهذا التفصيل كله من أسرار ما جاء في ﴿سورة طه﴾ وفي ﴿سورة الواقعة﴾ من وصف النار بأنها متاع وانها هدى الخ

٢٣٤ الكلام على التشويق في - وهل أتاك حديث موسى - وبيان القبس والهداية وأن الأول اصلاح مادي والثاني اصلاح عقلي وكل نظام يرجع الى هذين وهذا هو كل شيء . فأما شعر الشعراء وكلام صغار العلماء والبلغاء فهو قليل الفائدة وإن كانت حكاية الطائر مع ابن الملك والجرذ مع السنور قد أفادوا حكمة في كتاب ﴿كليه ودمنه﴾ فكيف يكون القرآن

٢٣٥ آثار آية - لعل آتكم منها بقبس - عند فلاسفة اليونان . وأن أفلاطون ذكر النار في المغارة وجعلها مثالا للشمس والشمس رمز الله الخ

٢٣٦ وهنا ذكر المغارة ومن فيها وايضاها بعض الايضاح

٢٣٨ اتمام الكلام على حرارة الشمس

﴿اللطيفة الثامنة﴾ في آية - فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء -

٢٣٩ (شكل ٧٩) السديم الأكبر

٢٤٠ السديم الأكبر في برج الجبار

٢٤١ ايضاح لما سبق